

إِعْرَاقُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَبَيْكَاةُ

تأليف الأستاذ

محيي الدين اليزيدي

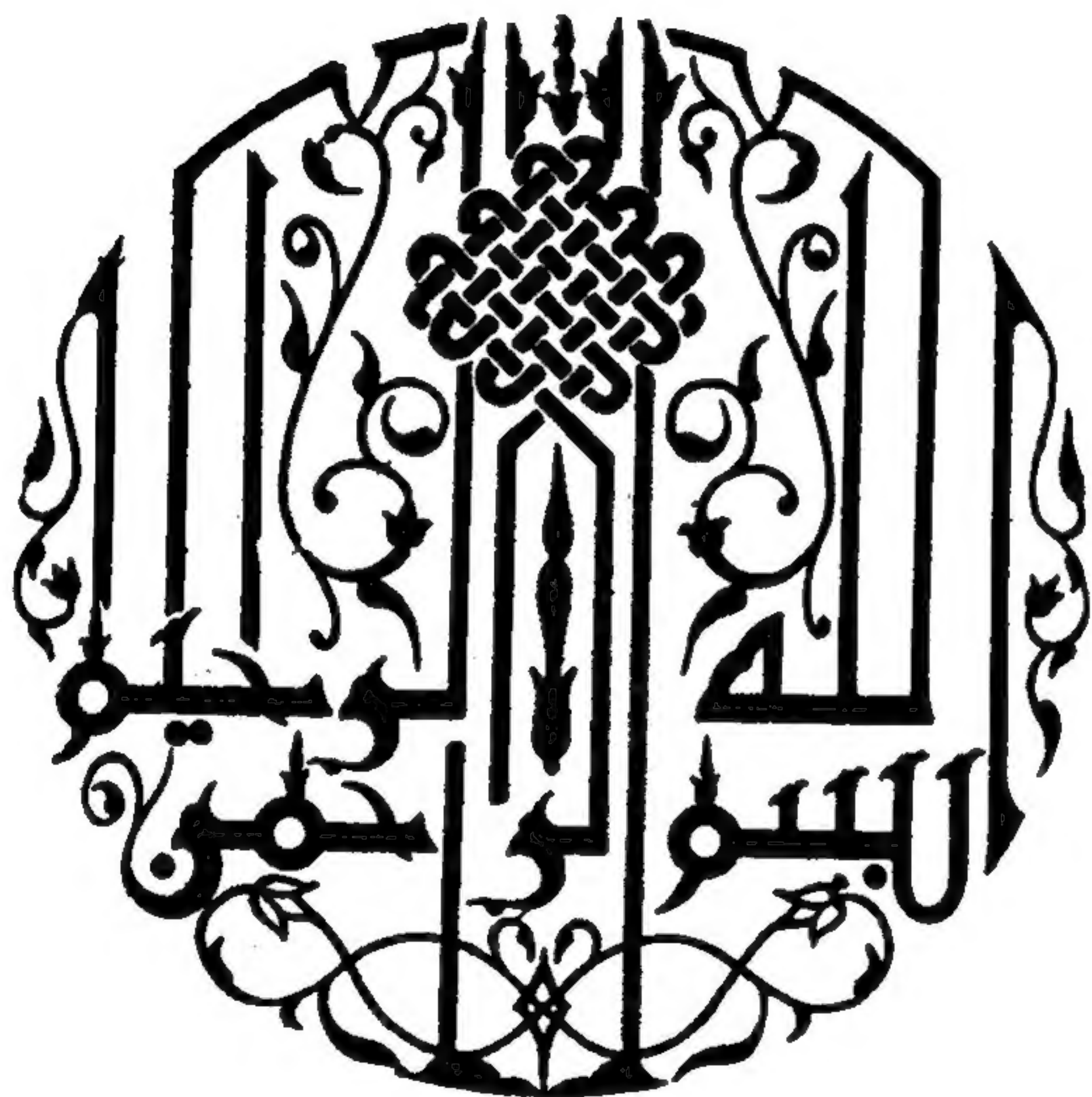
المجلد الأول

الجزء الأول - الجزء الثاني - الجزء الثالث

دار ابن كثير
 للطباعة والنشر والتوزيع
 دمشق - بيروت

اليكامة
 للطباعة والنشر والتوزيع
 دمشق - بيروت

دار الإشراف للشؤون الجامعية
 حمص - سورية



مقدمة

أما بعد حمد الله على آلائه ، والصلاة والسلام
على خاتمة رسله وأنبيائه ، فهذا كتاب « اعراب
القرآن وبيانه » ، اتيج له أن يظهر بعد أن طال
احتجابه ، وكثر طلابه ، ولعله أول كتاب جمع
البيان فاوعى ، ورسم لشدة الآداب السبيل الأقوم
والأسنى ، ولست ادل به لأنه عن أئمة البيان
مقتبس ، وفيه لمن رام البيان نعم الملتبس ، ولن
أتحدث عنه فهو أولى بالحديث عن نفسه ،

والمسك ما قد شف عنه ذاته

لا ما غدا ينعت به بانه

وقد جعلته بعدد أجزاء القرآن الكريم ،
ليسهل تناوله فلا يحتاج مقتنيه الى كتاب في الاعراب
والبيان ، وقد قطعتُ جُهيزة قول كل خطيب بعد
الآن .

محيي الدين البرويش

جمادى الاولى ١٤٠٠
حمص نيسان ١٩٨٠

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

اللغة :

(أعوذ) : أعتصم وأمتنع (الشيطان) : إمّا أن يكون على وزن فعّلان من شاط يشيط بقلب ابن آدم أي مال به وأهلكه ، وإمّا أن يكون على وزن فيعال من شطن أي بعد كآته بعد عن الخير أو بعد غوره في الشر . (الرجيم) : فعيل بمعنى مفعول والمرجوم في اللغة : المطرود الملعون أو فعيل بمعنى فاعل أي يرحم غيره بالإغواء والتضليل والقاء النفس في المتالف .

الاعراب :

(أعوذ) فعل مضارع مرفوع وهو فعل معتل أجوف لأن عين الفعل واو والأصل أعوذ على وزن أفعل فاستثقلت الضمة على الواو فنقلت الى العين فصارت أعوذ وهذه علّة ما كان من هذا الباب وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره : أنا . (بالله) : جار ومجرور متعلقان بأعوذ (من الشيطان) جار ومجرور متعلقان بأعوذ أيضاً ومن لا ابتداء الغاية كما أن إلى المنتهى الغاية فإذا قلت : لزيد من الحائط الى الحائط فقد بيّنت به طرفي ماله ، وإذا قال الرجل : لزيد عليّ من واحد الى عشرة فجائز أن يكون عليه ثمانية إذا أخرجت الحدين وجائز أن يكون عليه عشرة إذا أدخلت الحدين معاً ، وجائز أن يكون عليه تسعة إذا أدخلت حدّاً وأخرجت حدّاً . (الرجيم) نعت حقيقي للشيطان وجملة الاستعاذة ابتدائية لامحل لها من الاعراب .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللفظة :

(اسم) اختلف علماء اللغة في اشتقاق الاسم فذهب البصريّون إلى أنه من السّموّ وهو العلوّ وذهب الكوفيّون إلى أنه مشتق من السّمة وهي العلامة وكلاهما صحيح من جهة المعنى وفيه خمس لغات : اسم بكسر الهزة ، واسم بضمها ، وسم بكسر السين ، وسم بضمها ، وسمّى بوزن هدى ، هذا والاسم هو واحد الأسماء العشرة التي بنوا أوائلها على السكون فإذا فطقوا بها مبتدئين زادوا همزة تفادياً للابتداء بالساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وإذا وقعت في درج الكلام لم تفتقر إلى شيء .

(الله) علم لا يطلق إلا على المعبود بحق خاص لا يشركه فيه غيره وهو مرتجل غير مشتق عند الأكثرين وإليه ذهب سيبويه في أحد أقواله فلا يجوز حذف الألف واللام منه وقيل : هو مشتق وإليه ذهب سيبويه أيضاً ولهم في اشتقاقه قولان :

أ - أن أصله إله على وزن فعال من قولهم : آله الرّجل ياله إلهة أي عبد عبادة ثم حذفوا الهزة تخفيفاً لكثرة ورودها واستعماله ثم أدخلت الألف واللام للتعظيم ودفع الشّيعون الذي ذهبوا إليه من تسمية أصنامهم وما يعبدونه آلهة من دون الله .

ب - أن أصله لاه ثم أدخلت الألف واللام عليه واشتقاقه من لاه يليه إذا تستر كآته ، سبطاه ، يسمّى بذلك لاستتاره واحتجابه عن إدراك الأبصار وما أجمل قول الشريف الرّضي الشاعر :

بسم الله الرحمن الرحيم

« تاهت العقلاء في ذاته تعالى وصفاته ، لاحتجابها بأنوار العظمة .
وتحيّروا أيضاً في لفظ الجلالة كأنه انعكس إليه من تلك الأنوار أشعة
بهرت أعين المستبصرين ، فاختلفوا : أسريانيّ هو أم عربيّ ؟ اسم أو
صفة ؟ مشتقّ وممّ اشتقاقه ؟ وما أصله ؟ أو غير مشتقّ ؟ علم أو غير
علم ؟ » . (الرحمن) : صيغة فعّلان في اللغة تدل على وصف فعليّ
فيه معنى المبالغة للصفات الطارئة كمعطشان وغرثان . (الرحيم) صيغة
فعل تدل على وصف فعليّ فيه معنى المبالغة للصفات الدائمة الثابتة
ولهذا لا يستغنى بأحد الوصفين عن الآخر .

الاعراب :

(بسم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف والباء هنا للاستعانة أو
للالصاق ، وتقدير المحذوف أبتديء فالحار والمجرور في محل نصب
مفعول به مقدم أو ابتدائي فالحار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ
محذوف وكلاهما جيد و (الله) مضاف إليه و (الرحمن الرحيم)
صفتان لله تعالى وجملة البسمة ابتدائية لا محلّ لها من الاعراب .

البلاغة :

في البسمة طائفة من فنون البلاغة :

آ - الأولى في متعلق بسم الله أن يكون فعلاً مضارعاً لأنه الأصل
في العمل والتمسك بالأصل أولى ولأنه يفيد التجدد الاستمراري
وإنما حذف لكثرة دوران المتعلق به على الألسنة وإذا كان المتعلق به
اسماً فإنه يفيد الديمومة والثبوت كأنما الابتداء بإسم الله حتم دائم في
كل ما نمارسه من عمل ونردده من قول .

- ب - الإيجاز بإضافة العام إلى الخاص ويسمى إيجاز قصر .
- ح - إذا جعلنا الباء للاستعانة فيكون في الكلام استعارة مكنية تبعية لتشبيهها بارتباط يصل بين المستعين والمستعان به وإذا جعلنا الباء للاتصاف فيكون في الكلام مجاز علاقته المحلية فهو مررت بزيد أي يمكن أن يقرب منه لا بزيد نفسه .

الفوائد :

في البسمة فوائد لا يجوز الجهل بها ومنها :

- آ - اعلم أن البسمة آية من سورة الحمد وآية من أوائل كل سورة عند الشافعي وليست آية في كل ذلك عند مالك وعند أبي حنيفة وأحمد بن حنبل هي آية من أول الفاتحة وليست آية في غير ذلك ، والاحتجاج لذلك مبسوط في كتب الفقه والتفسير فارجع إليها .
- ب - لم يوصف بالرحمن في العربية بالألف واللام إلا الله تعالى ، وقد نعتت العرب مسيلمة الكذاب به مضافاً فقالوا : رحمان اليمامة . قال شاعر منهم يمدح مسيلمة :

سموت بالمجد يا ابن الأكرمين أبا

وأنت غيث الوري لا زلت رحمانا

- ح - تكتب بسم الله بغير ألف في البسمة خاصة استغناء عنها بياء الاستعانة بخلاف قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » .
- د - تحذف الألف من الرحمن لدخول الألف واللام عليها .

هـ - يقال لمن قال : بسم الله الرحمن الرحيم : مبسمل وهو ضرب من النحت اللغوي وقد ورد ذلك في شعر لعمر بن أبي ربيعة :

لقد بسملت ليلي غداة لقيتها

فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

ومثل بسمل حوقل إذا قال : لاحول ولا قوة إلا بالله وهيل إذا قال : لا إله إلا الله وسبجل إذا قال : سبحان الله وجمدل إذا قال : الحمد لله وحيصل وحيعل إذا قال : حي على الصلاة وحي على الفلاح وجعفل إذا قال : جعلت فداك .

هذا والنحت عند العرب خاص بالنسبة أي أنهم يأخذون اسمين فينحتون منهما اسماً واحداً فينسبون إليه كقولهم : حضرمي وعبسي وعبشي نسبة إلى حضرموت وعبد القيس وعبد شمس على أن الفراء ذكر عن بعض العرب : معي عشرة فأحدهن لي أي صيرهن أحد عشر ، وقال الفراء : معنى اللهم : يا الله أمنا بخير أي اقصدنا بخير فكثرت في كلام العرب ونحت العرب من اسمين فقل عن الصلدم إنه من الصلد والصلدم ومنه بلحارث لبني الحارث ولعل الحقلد وهو السيء الخلق والثقيل الروح منحوت من الحقد والثقل ونحتوا من فعل وحرف فقالوا : الأزلي وهو منحوت من لم يزل، ونحتوا من اسم وحرف فقالوا : من من لا شيء تلاشى ونحتوا من حرفين فقال الخليل : إن كلمة (لن) منحوتة من لا وأن وانها تضمنت بعد تركيبها معنى لم يكن في أصلها مجتمعين وانما أوردنا هذه الأقوال ، لا لأنها قاطعة فهي موضع خلاف كما رأيت ، ولكننا استأنسنا بها لتوافر هم المشتغلين باللغة على النحت ففيه ثروة جديدة للغتنا وتسهيل لكثير من التعابير الحديثة التي نفتقر إليها ، فالنحت من أبرز الظواهر في اللغات الأجنبية الحديثة بفضل ما

يلحق بالأصل من لواحق سابقة أو لاحقة ، أو بفضل ما يعطونه للفتهم من مرونة حين يؤلفون كلمة جديدة من اسمين أو صفتين أو فعلين حتى إذا تألفت الكلمة ، وأعطت مدلولاً خاصاً سارت على الأفواه كل مسير ، ومن أمثلة ذلك في اللغة الفرنسية قولهم المؤلف من فعل واسم *essie — main* للمندبل المعد لتشييف الأيدي وقولهم المؤلف من فعلين : *laiss ez — pass er* للإذن المكتوب للمرور وقولهم المؤلف من اسمين : *Oiseux monches* لنوع من طير صغير وغيرها .

و — كانت قریش قبل البعثة تكتب في أول كتبها : « باسمك اللهم » وكان أمية بن أبي الصلت أول من كتب باسمك اللهم إلى أن جاء الإسلام ونزلت بسم الله الرحمن الرحيم ، وروى محمد بن سعد في طبقاته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب كما تكتب قریش : باسمك اللهم حتى نزل قوله تعالى : « وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها » فكتب : باسم الله حتى نزل قوله تعالى : « قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن » فكتب باسم الله الرحمن حتى نزل قوله تعالى : « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » فكتب : بسم الله الرحمن الرحيم .

سُورَةُ الْفَتْحَةِ
مَكِّيَّةٌ وَمِائَتَانِ
سَبْعُ آيَاتٍ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ① الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ② مَلِكٌ يَوْمَ
الْذِيقِ ③ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ④ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ السَّيِّدِيمَ ⑤
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑥ »

اللفظة :

(الحمد) : الثناء بالجميل والنداء عليه باللسان ، والشكر هو الثناء على النعمة خاصة فيينهما عموم وخصوص (رب) الرب : هو السيّد والمالك والثابت والمعبود والمصلح وزاد بعضهم الصّاحب مستدلاً بقوله :

فدنا له رب الكلاب بكفّه

بيض رهاف ريشهنّ مقزّزع

والمربي : الذي يسوس من يريه ويدبره فهو اسم فاعل حذفت ألفه كما قيل : بارّ وبرّ وقيل : مصدر وصف به وقيّد بالاضافة نحو ربّ الدّار من ربّه يرّبّه وقيل : هو صفة مشبّهة مصوغة من فعل متعدّد فلا بد من تقديره لازماً بالنقل الى فعل بالضم (العالمين) جمع عالم بفتح اللام وجمع جمع المذكر السالم العاقل تغليبا والمراد به جميع الكائنات ولذلك أدرجه النحاة فيما ألحق بجمع المذكر والنكّة فيه هي أن هذا اللفظ لا يطلق عند العرب على كل كائن وموجود كالحجر والتراب وإنما يطلقونه على كل جملة متمايزة لأفرادها صفات تقربها من العاقل الذي جمعت جمعه وإن لم تكن منه فيقال : عالم الانسان ، وعالم الحيوان وعالم النبات والعالم لا واحد له من لفظه ولا من غير لفظه لأنه جمع لأشياء مختلفة (الدّين) : الجزاء ويوم الدّين : يوم الجزاء ومنه قول العرب : « كما تدين تدان » وقول الشاعر :

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا

والدّين ايضاً : الطاعة كقوله تعالى « في دين الملك » ، والدّين ايضاً : الملة قال المثقّب العبدى :

تقول إذا درأت لها وضيئي أهذا دينه أبداً وديني

(الصراط) : الطريق الواضح والمنهاج • قال جرير :

أمير المؤمنين على صراط إذا اعوج الموارد مستقيم

وفي الصراط أربع لغات : السّراط بالسّين من سراط الشيء إذا بلعه وسمي الطريق سراطاً لجريان الناس فيه كما يجري الشيء المبتلع والصراط وبالزاي خالصة وبإشمام الصاد الزاي وكل هذه اللغات قد قرئ به ويذكر ويؤثث وتذكره أكثر •

الاعراب :

(الحمد) مبتدأ (لله) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (رب) : صفة لله أو بدل منه (العالمين) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء نيابة عن الكسرة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (الرحمن الرحيم) صفتان لله تعالى أيضاً (مالك) صفة رابعة لله وقرئ ملك وبينهما فرق دقيق وهو أن المالك هو ذو الملك بكسر الميم والمملك ذو الملك بضمها قال أهل النحو : إن ملكاً ممدح من مالك وذلك أن المالك قد يكون غير ملك ولا يكون الملك إلا مالكا وجمع الملك أملاك وملوك وجمع المالك ملاك ومالكون (يوم الدين) مضاف إليه (إياك) ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم للاختصاص (نعبد) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره نحن (وإياك نستعين) عطفاً على إياك نعبد ونستعين فعل مضارع مرفوع وهو معتل أجوف والأصل فيه نستعون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى العين فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها فصار نستعين (اهْدنا) فعل أمر مبني على حذف العلة وهو هنا بمعنى الدعاء ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به وفاعله ضمير مستتر فيه وجوبا تقديره انت (الصراط) مفعول به ثان

أو منصوب بنزع الخافض لأنّ هدى لا تتعدى إلا الى مفعول واحد وتتعدى الى الثاني باللام كقوله تعالى : « يهدي للتي هي أقوم » أو يالى كقوله تعالى « وإنك لتهدى الى صراط مستقيم » ولكن غلب عليها الاتّساع فعداها بعضهم إلى اثنين وقد نظم بعض الظرفاء ابياتا ضمتها الأفعال التي تتعدى الى واحد وإلى الثاني بحرف جر وهي :

تعدى من الأفعال طورا بنفسه . وحينا بحرف الجر للثان ماترى
دعا في النداء سمى كذا كنى وزوجه واستغفر اختار غيرا
أمرت صدقت الوعد قلت وزته عفا وهدى منى كذا سأل اذكرا

ومجموعها ستة عشر فعلا (المستقيم) صفة للصراط وهو معتلّ وعين الفعل فيه واو والأصل مستقوم فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت الى القاف فانقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها (صراط) بدل مطابق من الصراط (الذين) اسم موصول مضاف اليه في محل جر (أنعمت) فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بضمير رفع متحرك والتاء ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة انعمت لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (عليهم) جار ومجرور متعلقان بأنعمت (غير) بدل من الضمير في عليهم أو من الذين أو نعت للذين وسيأتي بحث مسهب عن غير في باب الفوائد (المفضوب) مضاف اليه (عليهم) جار ومجرور في محل رفع فاعل للمفضوب لأنه اسم مفعول (ولا) الواو حرف عطف ولا زائدة لتأكيد معنى النفي وهو ما في غير من معنى النفي وهذه الزيادة مطردة (الضالين) معطوفة على المفضوب عليهم مجرور وعلامة جرهم الياء لأنه جمع مذكر سالم .

البلاغة :

اشتملت هذه السورة ، على قصرها ، على أفانين متعددة من البلاغة ندرجها فيما يلي :

١ - جملة الحمد لله خبر لكنها استعملت لإنشاء الحمد وفائدة الجملة الاسمية ديومة الحمد واستمراره وثباته .

٢ - في قوله إياك نعبد وإياك نستعين فنّ التقديم فقد قدّم الضمير لحصر العبادة والاستعانة بالله وحده ، وقدمت العبادة على الاستعانة لأن الاستعانة ثمرتها وإعادة إياك مع الفعل الثاني تفيد أن كلا من العبادة والاستعانة مقصود بالذات فلا يستلزم كل منهما الآخر ولأن الكاف التي مع إيتا هي الكاف التي كانت تتصل بالفعل أعني بقوله نعبد لو كانت مؤخرة بعد الفعل وهي كناية عن اسم المخاطب المنصوب بالفعل فكشّرت إيتا متقدمة وكان الافصح إعادتها مع كل فعل .

٣ - وفي قوله لله فن الاختصاص للدلالة على أن جميع المحامد مختصة به وكذلك بالاضافة في قوله مالك يوم الدين لزوال المالكين والأملاك عن سواه في ذلك اليوم .

٤ - وفي هذه السورة فن الالتفات من لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب ومن لفظ الخطاب الى لفظ الغيبة والغرض من هذا الفن التطرية لنشاط الذهن جرياً على أساليبهم ، ولأنه لما أثنى على الله بما هو أهل له وأجرى عليه تلك الصفات العظيمة ساغ له أن يطلب الاستعانة منه بعد أن مهد لذلك بما يبرر المطالبة وهو ، تعالى ، خالق بالاستجابة ، والاشعار بأن أولى ما يلجأ اليه العباد لطلب ما يحتاجون اليه هو عبادته تعالى والاعتراف له بصفات الألوهية ، البالغة ، وقال « صراط

الذين أنعمت عليهم » فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : غير المغضوب عليهم فزوى لفظ الغضب عنه تحنّناً ولطفاً وهذا غاية ما يصل اليه البيان ، وهذه مراتب الالتفات في هذه السورة :

آ - عدل عن الغيبة الى الخطاب بقوله : إياك نعبد وإياك نستعين بعد قوله : الحمد لله رب العالمين لأن الحمد دون العبادة في المرتبة ألا تراك تحمد ظيورك ولا تعبدّه فلما كانت الحال بهذه المثابة استعمل لفظ الحمد لتوسطه مع الغيبة في الخبر ولم يقل الحمد لك .

ب - ولما صار الى العبادة وهي قصارى الطاعات قال : « إياك نعبد وإياك نستعين » فخاطب بالعبادة إصراحاً بها ، وتقرباً منه عز وجلّ بالانتهاء الى عدد محدود منها .

ح - وعلى نحو من ذلك جاء آخر السّورة فقال : « صراط الذين أنعمت عليهم » فأصرح الخطاب لما ذكر النعمة ثم قال : « غير المغضوب عليهم عطفاً على الأول . لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه وآلائه فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب فأسند إليه النعمة لفظاً وزوى عنه لفظ الغضب تحنّناً ولطفاً .

د - وأتى بنون الجمع في قوله : « نعبد » و « نستعين » والمتكلم واحد لأنه ورد في الشريعة أنه من باع اجناساً مختلفة صفقة واحدة ثم ظهر للمشتري في بعضها عيب فهو مخير بين ردّ الجميع أو إمساكه وليس له تبعض الصفقة ، بردّ المبيع وإبقاء السليم ، وهنا لما رأى العابد أن عبادته ناقصة معيبة لم يعرضها على الله مفردة بل جنح الى ضمّ عبادة جميع العابدين اليها وعرض الجميع صفقة كاملة راجياً قبول عبادته في ضمنها لأنّ الجميع لا يردّ البتّة ، إذ بعضه مقبول

وردّ المعيب ، وإبقاء السليم تبعيض للصفقة وقد نهى سبحانه عباده عنه ، وهو لا يطبق بكرمه العظيم ، وفضله العميم فبقي قبول الجميع .

٥ - وعلى ذكر استهلال القرآن بالفاتحة نذكر هذا الفن في الفاتحة ، وهو براعة الاستهلال ، وهو من ارق فنون البلاغة وأرشقها ، وحدّه أن يتبدىء المتكلم كلامه بما يشير الى الغرض المقصود من غير تصريح بل بإشارة لطيفة ، وإيلاء بعيدة أو قريبة ، والاستهلال في الأصل : هو رفع الصوت ، وسمي الهلال هلالاً لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته ومن أمثله في الشعر قول أبي تمام في مطلع قصيدته : « فتح عمورية » :

السيف أصدق أنباء من الكتب

في حدّه الحدّ بين الجِدِّ والتَّلبِ

فقد استهلّ قصيدته بذكر السيف وفيه إيلاء قريبة جداً الى الموضوع الذي ظلمت القصيدة بمدده وقد اشتهر أبو الطيب ببراعة مطالعه ومن روائعها قوله :

أتراها لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي

فقد ألمع الى موضوع قصيدته وهو الغزل برشاقة زائداً ابتكار المعنى في حسابان الدمع خلقة في المآقي حسناً وجمالاً .

٦ - الاستعارة التصريحية في قوله : « اهدنا الصراط المستقيم » فقد شبه الدين الحق بالصراط المستقيم الذي ليس به أدق انحراف قد يخرج عن حدود الاستقامة لأن الخط المستقيم هو أقصر بعد بين نقطتين ووجه الشبه بينهما أن الله سبحانه وإن كان متعالياً عن

الأمكنة لكن العبد الطالب الوصول لا بد له من قطع المسافات ، ومس الآفات ، ليكرم الوصول والموافاة •

٧ - التفسير بعد الإبهام وذلك في قوله تعالى : « صراط الذين أنعمت عليهم » •

٨ - التسجيع في الرحيم والمستقيم وفي « نستعين » و « الضالين » والتسجيع هو اتفاق الكلمتين في الوزن والروْي •

الفوائد :

اُطوت هذه السورة على فوائد لا تحصى وسنورد ما تهم معرفته منها :

١ - الألف واللام في الحمد للجنس على الأصح لأن حقيقة المحامد ثابتة لله تعالى •

٢ - وسميت هذه السورة « الفاتحة » لأنها أول القرآن وبراعة استهلاله وتسمى أم الكتاب لأطوائها على المثل السامية وهي مكية على الأصح ومن اسمائها السبع المثاني والوافية ، والكافية والشافية ، والرقية ، والكنز والأساس وغيرها •

٣ - غير : لفظ غير مذكر مفرد أبداً إلا أنه إذا أريد به مؤنث جاز تأنيث فعله المسند إليه تقول قامت غير هند وأنت تعني امرأة وهي في الأصل صفة بمعنى اسم الفاعل وهو مغاير ولذلك لا تعرف بالاضافة، وقد يستثنى بها حملاً على إلا كما يوصف بالاحملاء عليها وهي من الألفاظ الملازمة للاضافة لفظاً أو تقديراً فادخال الألف واللام عليها خطأ •

٤ - آخر الفاتحة « ولا الضَّالِّين » وأما لفظ آمين فليس منها ولا من القرآن مطلقاً وهو اسم بمعنى استجب ويسنّ ختم الفاتحة به وفيه لغتان : المدّ والتقصير قال أبو نواس في المد :

صلى الإله على لوط وشيعته أبا عبيدة قل بالله : آمينا

وقال آخر في القصر :

تباعد مني فطُحَلْ إذ دعوته آمين فزاد الله ما بيننا بعدا

٥ - قد يقال : إن المؤمنين مهتدون فما معنى طلبها ؟ والجواب ان المطلوب هو الثبات على الهدى أو زيادته وليس في كون بعض الناس لم يهتدوا ما يخرجهم عن أن يكون هدى فالشمس شمس وإن لم يرها الضَّير ، والمسل عسل ، وإن لم يجد طعمه المرور ، فالخية كل الخية لمن عطش والماء زاهر ، ولمن بقي في الظلمة والبدر زاهر ، وخبت والطيب حاضر .

٦ - الأرجح أن الفاتحة هي أول سورة كاملة نزلت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم بجعلها أول القرآن وانعقد على ذلك الاجماع ونزول أول سورة العلق وهو « اقرأ باسم ربك الذي خلق » يعتبر بمثابة تمهيد للوحي المجمل والمفصّل فلا ينافي كونها أول سورة من القرآن وذكر السيوطي في الاتقان : أن أول ما نزل من آي القرآن اقرأ باسم ربك ، ويا أيها المدثر وسورة الفاتحة .

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

مَدَنِيَّةٌ وَمِائَتَانِ

مَائَتَا وَثَمَانٍ وَارْبَعِينَ آيَةً

﴿ أَلَمْ ۙ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝
 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝
 الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝
 أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ ﴾

اللغة :

(أ لم) : الحروف التي ابتدئ بها كثير من السور هي على الأرجح أسماء للسور المبتدأة بها أما ماهيتها والحكمة منها فقد اختلفت في ذلك الآراء ، وتشعبت المقاصد ، حتى ليتعذر إن لم نقل يستحيل على الباحث أن يستوفيها ويسكننا أن نصنف هذه الآراء إلى صنفين :

١ - انها من التشابه به الذي تفوض الأمر فيه إلى الله ويسعنا في ذلك ما وسع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعيهم ، قال هؤلاء : ليس من الدين في شيء أن يتنطع متنطع فيخترع ما يشاء من العلل ، التي قلنا يسلم مخترعها من الزلل •

٢ - انها كغيرها من الكلام الوارد في القرآن فيجب أن تتكلم بها ونسبر اغوارها ونكتنه المعاني المندرجة في مطاويها عملا بقوله

تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ » وعلى هذا الرأي نرجح أن معناها التحدي والارهاص بأن هذا القرآن مؤلف من نفس الحروف التي ينظم بها العرب أشعارهم ، ويؤلفون خطبهم وأسجاعهم وهم مع ذلك عاجزون عن الاتيان بمثله أو محاكاته وهذا تفسير يتمشى مع إعجاز القرآن الذي تميز به ، وتقول دائرة المعارف الاسلامية في بحثها عن القرآن ما خلاصته : إن العلماء تعبوا كثيراً في فهم المقصود من هذه الحروف وقد وردت هذه الحروف في تسع وعشرين سورة كلها من العهد المكّيّ إلا ابتداء سورتي البقرة وآل عمران فقد وردا في العهد المدني وجسلة الحروف التي تكررت في هذه الابتداءات أربعة عشر حرفاً .

وقد اعجبنا بحث كتيبه الدكتور زكي مبارك في كتابه « النشر الفني » فأحببنا أن نقبس منه ما يروق قال صاحب النشر الفني ما خلاصته : كنت أتحدث عن فواتح السور مع المسيو بلانشو فعرض علي تأويلا جديرا بالاعتبار ، جديرا بالدرس والتحقيق وفحواه :

ان الحروف : الم • الر • حم • طسم هي الحروف : a. q. i التي توجد في بعض المواطن من : chan — son Degeste

فهي ليست إلا اشارات وبيانات موسيقية يشار الى الحانها بحرف أو حرفين أو ثلاثة فهي رموز صوتية فليس من المستبعد أن تكون فواتح السور اشارات صوتية لتوجيه الترتيل ، ولعل ما اورده الدكتور زكي مبارك يتصل اتصالا قريبا أو بعيدا بما أوردناه من معنى التحدي وقرع العصا للمكابرين الذين سبروا أغوار القرآن وأدركوا بفطرتهم البلاغية ما يتميز به من بيان ، وللسيوطي في كتابه المتع « الاتقان » رأي يؤيد ما ذهبنا اليه إذ قال : انه أريد مفاجأة العرب ، وهم أهل الفصاحة والبلاغة ، برموز وإشارات لا عهد لهم بها ليزداد التفاتهم ،

وتتنبه أذهانهم وهوسهم (ريب) : الريب : الشكّ وقلق النفس واضطرابها وفي الحديث : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » هذا وللريب في اللغة ثلاثة معان أحدها : الشك وهو المراد هنا ، وثانيها التهمة قال جميل :

بشينة قالت : يا جميل اربطني فقلت : كلا يا بشينة مريب

وثالثها الحاجة قال :

قضينا من تهامة كل ريب وخير ثم أجمعنا السيوف

(ينفقون) تفق الشيء وتقد بمعنى واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء دال على معنى النقاد والخروج والذهاب يقال : نفث الشيء من فيه : رمى به ونفث في العقد ومن أقوالهم : « لا بد للمصدر أن ينفث » و « هذه نفثة مصدر » وتفق الحمار : مات والتقصي في هذا الباب ، يضيق عنه صدر هذا الكتاب وهو من عجائب ما تميّزت به لغتنا الشريفة وسيأتيك الكثير من أمثاله في هذا الكتاب العجيب (المفلحون) الفائزون ببغيتهم الذين افتتحت أمامهم وجوه الظفر وكل ما جاء ممّا فاؤه فاء وعينه لام دال على معنى الافتتاح والشقّ فحو فلق وفلح •

الاعراب :

(الم) كلمة أريد لفظها دون معناها في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف أي هذه ألم (ذلك) اسم إشارة في محل رفع مبتدأ واللام للبعد والكاف للخطاب (الكتاب) خبر ذلك وهو أولى من جعله بدلا من اسم الإشارة لأنه قصد به الإخبار بأنه الكتاب المقدس المستحق لهذا

الاسم تدعيما للتحدّي، والجملة ابتدائية لامحل لها من الاعراب على أنه يجوز جعله بدلا من اسم الإشارة فتكون جملة لا ريب فيه خبرا لاسم الإشارة (لا ريب فيه) لا نافية للجنس وريب اسمها المبني على الفتح في محل نصب اسم لا والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة خبر لذلك أو حال من الكتاب (هدى) خبر ثالث لذلك (للمتقين) جار ومجرور متعلقان بهدى لأنه مصدر ولك أن تجعله صفة لهدى (الذين) اسم موصول في محل جر صفة للمتقين (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والجملة الفعلية لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول (بالغيب) جار ومجرور متعلقان بيؤمنون (ويقيمون) الجملة عطف على جملة يؤمنون داخلية في حيز الصلة (الصلاة) مفعول به (وما) الواو حرف عطف وما جار ومجرور متعلقان بينفقون (رزقناهم) فعل ماض وفاعل ومفعول به وجملة رزقناهم لا محل لها من الاعراب لأنها صلة ما والعائد محذوف أي رزقناهم إياه (ينفقون) فعل مضارع مرفوع معطوف على يقيمون داخل في حيز الصلة أيضا (والذين) الواو حرف عطف واسم الموصول معطوف على الموصول الأول مندرج معه في سلك المتقين (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (بما) الجار والمجرور متعلقان بيؤمنون (انزل) فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود على ما أي القرآن والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (إليك) الجار والمجرور متعلقان بأنزل (وما) الواو حرف عطف وما عطف على بما أنزل إليك وجملة (انزل) لا محل لها لأنها صلة الموصول (من قبلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وهو أولى من تعليقها بأنزل (وبالآخرة) الواو حرف عطف والجار والمجرور متعلقان بيقننون (هم) ضمير منفصل

في محل رفع مبتدأ (يوقنون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعله والجملة الاسمية معطوفة على الجملة الفعلية وهي « وما رزقناهم ينفقون » وسيأتي سر المخالفة بين الجملتين في باب البلاغة (أولئك) اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ والكاف للخطاب (على هدى) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لأولئك (من ربهم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لهدى والجملة استئنافية لامحل لها (وأولئك هم أولئك مبتدأ ، وهم ضمير فصل أو عماد لامحل له (المفلحون) خبر أولئك ولك أن تعرب هم مبتدأ والمفلحون خبره والجملة الاسمية خبر أولئك .

البلاغة :

في هذه الآيات فنون عديدة نوردتها فيما يلي :

- ١ - التعريف : في تعريف الكتاب بالألف واللام تفخيلاً لأمره وهو في الأصل مصدر قال تعالى : « كتاب الله عليكم » .
- ٢ - التقديم : فقد قدم الريب على الجار والمجرور لأنه أولى بالذكر استعداداً لصورته حتى تتجسد أمام السامع .
- ٣ - وضع المصدر هدى موضع الوصف المشتق الذي هو هاد وذلك أوغل في التعبير عن ديمومته واستمراره .
- ٤ - المجاز المرسل : في قوله « هدى للمتقين » وعلاقته اعتبار ما يثول إليه أي الصائرين إلى التقوى .
- ٥ - الإيجاز : في ذكر المتقين لأن الوقاية اسم جامع لكل ما تجب الوقاية منه .

٦ - الاستعارة التصريحية التبعية في قوله : « على هدى » تشبيهاً لحال المتقين بحال من اعتلى صهوة جواده فحذف المشبه واستعيرت كلمة على الدالة على الاستعلاء لبيان أن شيئاً تفوق واستعلى على ما بعدها حقيقة نحو : زيد على السطح أو حكماً نحو : عليه دين فالدين للزومه وتحمله كأنه ركب عليه وتحمله ، والدقة فيه أن الاستعارة بالحرف ، ويقال في إجراءاتها : شبه مطلق ارتباط بين هدى ومهدي بمطلق ارتباط بين مستعلٍ ومستعلى عليه بجامع التمكن في كل منها فسرى التشبيه من الكليات إلى الجزئيات ثم استعيرت على وهي من جزئيات المشبه به لجزئي من جزئيات المشبه على طريق الاستعارة التصريحية التبعية ومثل الآية الكريمة قوله :

لسنا وإن أحسابنا كرمتم يوماً على الآباء بتكل

فتأمل هذا البحث فانه من الدقة والحسن بمكان ، وسيرد في القرآن الكريم نساذج منه كالسطح الحلال .

٧ - التكرار في قوله : « يؤمنون بالغيب » و « يؤمنون بما انزل إليك » وفي تكرار اسم الموصول وإن كان الموصوف واحداً ، وقد يكون الموصوف مختلفاً فهو تكرار للفظ دون المعنى وفائدته الترسيع في الذهن ، والتأثير في العاطفة ويكثر في الشعر .

٨ - الحذف في قوله « الم » أي هذه الم و « هدى » أي هو هدى فحذف المبتدأ وفي قوله « ينفقون » أي المال فحذف المفعول به وقد استهوى الإتيان في سبيل المحامد والمآثر نفوس شعراء العرب وما أجمل قول دعبل :

قالت سلامة : أين المال ؟ قلت لها :

المال ويحك لاقى الحمد فاصطحبها

٩ - حسن التقسيم وهو فن من فنون البلاغة فحواء استيعاب المتكلم جميع اقسام المعنى الذي هو آخذ فيه بحيث لا يغادر منه شيئاً فقد استوعبت هذه الآيات جميع الاوصاف المحمودة ، والعبادات التي يعكف عليها المؤمنون لأن العبادات كلها تنحصر في نوعين :

بدنية ومالية ، ولا بد من استيفائهما لتكون العبادات كلها مقبولة وما أجمل الحديث الشريف القائل : « يقول العبد مالي مالي وإنسا له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى أو أعطى فافتنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس » وقوله : مالي مالي مفعول به لفعل محذوف أي أحب مالي والثاني تأكيد للأول .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾
 ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾
 اللفظة :

(سواء) اسم بمعنى الاستواء أجري مجرى المصادر فلذلك لا يشئ ولا يجمع قالوا : هما وهم سواء فإذا أرادوا لفظ المشئ قالوا : سيان وإن شئت قلت سواءان وفي الجمع هم أسواء وأيضاً على غير القياس : هم سَوَاسٍ وسواسية أي متساويان ومتساوون والسواء : العدل الوسط بين حدين يقال : ضرب سَوَاءَهُ أي وسطه وجئته في سواء النهار أي في منتصفه ، وإذا كانت سواء بعد همزة التسوية فلا بد من أم اسمين كانت الكلمتان ، أم فعلين وإذا كان بعدها فعلاً بغير همزة التسوية عطف الثاني بأو ، نحو : سواء عليّ قتت أو قعدت وإذا كان بعدها مصدران عطف الثاني بالواو أو بأو ، نحو سواء عليّ

قيامك وقعودك . وقيامك أو قعودك (غشاوة) فعالة من غشاه أو غشيه إذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعِصامة ويجوز في الغين الكسر والضم والفتح .

الاعراب :

(إن الذين) إن واسمها وجسلة (كفروا) من الفعل والفاعل لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (سواء) خبر مقدم أو خبر إن (عليهم) جار ومجرور متعلقان بسواء (أنذرتهم) همزة الاستفهام بمعنى التسوية وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أو فاعل نسوء الذي أجري مجرى المصادر والجسلة خبر إن (أم) عاطفة متصلة وسيأتي حكمها في باب الفوائد (لم تنذرهم) لم : حرف نهي وقلب وجزم وتنذرهم فعل مضارع مجزوم بلم والفاعل ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والجسلة معطوفة على جسلة أنذرتهم (لا) نافية (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وجسلة لا يؤمنون خبر بعد خبر ولك أن تجعلها تفسيرية لا محل لها من الاعراب (ختم) فعل ماض (الله) فاعل (على قلوبهم) الجار والمجرور متعلقان بختم (وعلى سمعهم) عطف على قوله على قلوبهم (وعلى أبصارهم) الواو استئنافية والجار والمجرور متعلقان بسحذوف خبر مقدم (غشاوة) مبتدأ مؤخر (ولهم) الواو حرف عطف والجار والمجرور متعلقان بسحذوف (عذاب) مبتدأ مؤخر (عظيم) نعت لعذاب والجسلة معطوفة على الجسلة السابقة .

البلاغة :

١ - في إسناد الختم الى القلوب استعارة تمثيلية فقد شبهت

قلوبهم في نبوتها عن الحقّ وعدم الاصفاء إليه بحال قلوب ختم الله عليها وهي قلوب البهائم وهو تشبيه معقول بمحسوس أو هو مجاز بعقليّ وهو باب واسع عند العرب يقولون : سال بهم الوادي إذا هلكوا وطارت بفلان العنقاء إذا طالت غيبته •

٢ - وحدّ السمع لوحدة المسوع دون القلوب والابصار لتنوّع المدركات والمرئيات •

٣ - تنكير العذاب هنا فيه إشارة الى أنه نوع منه مجهول الكمّ والكيف ووصفه بعظيم لدفع الايهام بقلته وندرته ، والتأكيد بأنه بالغ حد العظمة •

الفوائد :

١ - همزة التسوية هي الواقعة بين سواء وبعد ما أبالي وما أدري وليت شعري وضابطها : أنها الهمزة التي تدخل على جملة يصح حلول المصدر محلها كما تقدم •

٢ - أم : لها حالان :

آ - متصلة وهي منحصرة في نوعين وذلك لأنها إما أن تتقدّم عليها همزة التسوية كما في الآية أو همزة يطلب بها التّعيين نحو : أزيد في الدّار أم عمرو؟ وسميت متصلة لأن ما قبلها وما بعدها لا يستغنى بأحدهما عن الآخر وتسمى أيضاً معادلة لمعادلتها الهمزة في النوع الأول إذ كلتاهما تفيد التسوية •

ب - منقطعة وهي المسبوقة بالخبر المحض نحو قوله تعالى :

« تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه » وسيت منقطعة لا تقطاع ما بعدها عما قبلها فكل منها كلام مستقل لا ارتباط له بالآخر .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾
 ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللّٰهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ ءِلَآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ
 ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللّٰهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

اللفظة :

(الناس) اسم جمع لا واحد له من لفظه ومادته عند سيبويه والفراء همزة ونون وسين ، وحذفت همزته شذوذاً وأصله أناس وقد نطق القرآن بهذا الأصل قال تعالى : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » ، وذهب الكسائي إلى أن مادته نون وواو وسين مشتق من النّوس وهو الحركة يقال : ناس ينوس نوساً والنّوس تذبذب الشيء في الهواء ومنه نوس القرط في الأذن وسمي أبو نواس بذلك لأن ذؤابتين كاتتا تنوسان عند أذنيه واسمه الحقيقي الحسن بن هانيء ، وإنما أطلنا في هذا البحث لأن بعض المعاجم الحديثة خلط في أصله فأورده في مادة أنس وبعضها أورده في مادة نّوس وأضاعوا بذلك الطالب والمراجع في متاهات لا منافذ منها .

(يخادعون) الخداع في الأصل : الإخفاء ومنه الأخدعان وهما عرقان مستبطنان في العنق ومنه أيضاً المخدع وهو داخل البيت ثم أطلق على اظهار غير ما في النفس .

(يشعرون) الشعور : ادراك الشيء من وجه يدقّ ويخفى وهو مشتق من الشعر لدقته ، وقيل هو الادراك بالحاسة فهو مشتق من الشعار وهو ثوب يلي الجسد ومشاعر الانسان : حواسه وشعر بالأمر من بابي نَصَرَ وكرَّم : علم به وفطن له ، ومنه يسمى الشاعر شاعراً لفطنته ودقة معرفته . والتحقيق أن الشعور إدراك ما دقّ من حسّي وعقلي .

(مرض) : المرض : مصدر مرض ويطلق في اللغة على الضعف والفتور وقالوا : المرض في القلب : الفتور عن الحق ، وفي البدن فتور الأعضاء ، وفي العين فتور النظر وهو جميل يتغنى به الشعراء قال :

مرضي من مريضة الأجفانِ علّاني بذكرها علّاني

ويطلق المرض فيراد به الظلمة قال :

في ليلة مرضت من كلّ ناحية فما يحس بها نجم ولا قمر

الاعراب :

(ومن الناس) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لذكر المنافقين الذين آمنوا بالسنتهم وكفروا بقلوبهم فقد افتتح سبحانه ، بذكر المتقين ثم نثى بالكافرين ظاهراً وباطناً ، وثلث بالمنافقين ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر ويجوز أن تكون من نكرة موصوفة في محل رفع مبتدأ مؤخر كأنه قيل : ومن الناس فاس وسيأتي بحثها (يقول) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو والجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب صلة لمن إذا كانت موصولة وصفة لها إذا كانت

نكرة موصوفة (آمنا) فعل وفاعل والجملة الفعلية في محل نصب مقول للقول (بالله) الجار والمجرور متعلقان بآمنا (وباللّوم) عطف على بالله (الآخر) نعت لليوم (وما) الواو حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (هم) ضمير منفصل في محل رفع اسم ما (بمؤمنين) الباء حرف جر زائد للتوكيد لأنه ليس في القرآن حرف جر زائد ولكنه الاصطلاح النحوي جرى على ذلك فهو عند البلاغيين حرف لا يستغنى عنه والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (يخادعون) فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل والجملة الفعلية مستأنفة كأنه قيل : لم يتظاهرون بالإيمان ؟ فقيل : يخادعون ويحتمل أن تكون حالية من الضمير المستكن في يقول ، أي مخادعين الله والذين آمنوا (الله) مفعول به ليخادعون (والذين) عطف على الله (آمنوا) الجملة الفعلية لامحل لها لأنها صلة الموصول (وما) الواو حالية وما نافية (يخدعون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل (إلا) أداة حصر (أنفسهم) مفعول به والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (وما) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية (يشعرون) فعل مضارع مرفوع والجملة عطف على جملة وما يخدعون أو مستأنفة (في قلوبهم) الجار والمجرور خبر مقدم (مرض) مبتدأ مؤخر (فزادهم) الفاء حرف عطف وزاد فعل ماضٍ والهاء مفعول به والجملة عطف على ما تعلق به الخبر ويحتمل أن تكون الفاء استئنافية وجملة زادهم الله دعائية لا محل لها (الله) فاعل زادهم (مرضاً) مفعول به ثانٍ وزاد يستعمل لازماً ومتعدياً لاثنين ثانيهما غير الأول (ولهم) الواو عاطفة أو استئنافية والجار والمجرور خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) صفة لعذاب (بيا) الباء حرف جر للنسبية وما اسم موصول في محل جر بالباء (كانوا) كان واسمها (يكذبون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر كانوا وجملة كان واسمها

وخبرها لا محل لها لأنها صلة الموصول ويجوز أن تكون مصدرية والمعنى على الأول بالذي يكذبونه وعلى الثاني بسبب كونهم يكذبون والجار والمجرور صفة ثانية لعذاب أو مصدر أي بسبب كونهم يكذبون •

البلاغة :

١ - المشاكلة في قولهم يخادعون الله لأن المفاعلة تقتضي المشاركة في المعنى وقد أطلق عليه تعالى مقابلاً لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم ومن أمثلة هذا الفن في الشعر قول بعضهم :

قالوا : التسبب شيئاً نَجِدُ لك طبخه قلت : اطحخوا لي جبة وقميصاً

٢ - المجاز : في الخداع المنسوب اليه لتعاطيهم أفعال المخادع ظناً منهم أنهم يستطيعون ذلك لصدق فيه ولذلك قال : وما يخدعون إلا أنفسهم •

٣ - الاستعارة التصريحية في قوله : في قلوبهم مرض حيث استعير المرض لما ران على قلوبهم من جهل وسوء عقيدة وما إلى ذلك من ضروب الجبهالات المؤدية إلى المتالف •

الفوائد :

١ - تأتي من نكرة موصوفة في موضع يختص بالنكرة كقول سويد بن أبي كاهل :

ربّ من أنضجت غيظاً قلبه لو تمنى لي موتاً لم يطع
م ٣ - اعراب

٢ - ما الحجازية هي العاملة عمل ليس وإنما سميت حجازية لأن التنزيل جاء بلغة أهل الحجاز وأحكامها مبسطة في كتب النحو .
 ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۚ ﴾
 ﴿ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
 ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۚ إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ
 السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

اللفظة :

(الفساد) : خروج الشيء عن حال استقامته وتقيضه الصلاح ،
 والفساد في الأرض : تهيج الحروب ، وإثارة الفتن ، والاخلال
 بمعاش الناس .

(السفهاء) : جمع سفيه وهو المنسوب للسفه والسفه : خفة
 رأي وسخافة يقتضيها نقصان العقل ، ويقابله الحلم يقال سفه بكسر
 الفاء وضمتها .

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية والجملة بعدها مستأنفة لا محل لها ويجوز أن تكون
 الواو عاطفة والجملة بعدها معطوفة على جملة يكذبون فتكون في موضع
 نصب عطفاً على خبر كان والمعطوف على الخبر خبر فهي بهذه المثابة جزء
 من السبب الذي استحقوا به العذاب الأليم وإذا ظرف لما يستقبل من
 الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (قيل) فعل ماض مبني للمجهول
 وفائب الفاعل ضمير مستتر فيه تقديره يعود على الله تعالى وفي هذا
 التعبير بحث هام سيأتي في باب الفوائد وجملة قيل في محل جرّ بإضافة

الظرف اليها (لهم) الجار والمجرور متعلقان بـ (لا) الناهية الجازمة (تفسدوا) فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بتفسدوا (قالوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية لامحل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (إنما) كافة ومكفوفة (نحن) مبتدأ (مصلحون) خبر نحن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة في محل نصب مقول القول (ألا) حرف تنبيه يستفتح بها الكلام (إنهم) إن حرف مشبه بالفعل والهاء اسمها (هم) ضمير فصل أو عائد لا محل له من الاعراب ولك أن تعرب هم مبتدأ (المفسدون) خبره والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (ولكن) الواو عاطفة ولكن مخففة من الثقيلة لمجرد الاستدراك (لا) نافية (يشعرون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة معطوفة على ما تقدم (وإذا قيل) الواو استئنافية أو عاطفة وقد تقدم الكلام عنها وجملة فيل الفعلية في محل جر بإضافة الظرف اليها (لهم) الجار والمجرور متعلقان بـ (لا) وجملة قيل في محل جر بإضافة الظرف اليها (آمنوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو والجملة لامحل لها لأنها مفسرة ونائب الفاعل مصدر وهو القول وقد أضمر لأن الجملة بعده تشره والتقدير : وإذا قيل لهم قول هو آمنوا لأن الأمر والنهي قول وقد منع النحاة أن تكون الجملة قائمة مقام الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلاً فلا تقوم مقامه (كما) الجار والمجرور نعت لمصدر محذوف والتقدير آمنوا إيماناً كإيمان الناس ، واختار سيبويه أن يكون في محل نصب على الحال سواء أكانت الكاف حرفاً أم اسماً بمعنى مثل وصاحب الحال هو المصدر المفهوم من الفعل المتقدم وما مصدرية (آمن الناس) فعل وفاعله (قالوا) فعل وفاعل وإذا متعلقة بـ قالوا والجملة لامحل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أنؤمن) الهمزة للاستفهام الإنكاري

وتؤمن فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره نحن (كما)
تقدم إعرابها قريباً (آمن السفهاء) فعل وفاعل (ألا إنهم هم السفهاء
ولكن لا يعلسون) تقدم إعراب نظير هذه الجملة قريباً .

البلاغة :

١ - في الآية خروج الاستفهام من معناه الأصلي وهو طلب العلم
إلى أغراض أخرى تفهم من مضمون الكلام وتفصيله في علم المعاني
ومرد ذلك إلى الذوق السليم وقد صدق فولتير حيث يقول : « ذوقك
أستاذك » .

٢ - التغاير : وهو فن يكاد يكون من المرقص فقد وردت في
الفاصلة الأولى « لا يشعرون » ووردت في الفاصلة الثانية « لا يعلمون »
لسرّ عجيب لا يدركه إلا الملهمون وتفصيل ذلك : أن أمر الديانة ،
والوقوف على أن المؤمنين هم على الحق وأما المنافقون فهم على الباطل ،
هو أمر يحتاج إلى بعد نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر العلم
والمعرفة وأما التفات وما فيه من البني المؤدي إلى اشتجار الفتنة ،
واستبحار الفساد في الأرض ، فأمر دنيوي مبني على العادات ، وهو
معلوم عند الناس ، بل هو بمثابة المحسوس عندهم فلذلك قال فيه :
لا يشعرون وأيضاً فإنه لا ذكر السّقه في الآية الثانية وهو جهل مطبق
كان ذكر العلم أكثر ملاءمة فقال : لا يعلمون وهذا من الدقائق فتنبه له .

الفوائد :

١ - نائب فاعل قيل : يقدره النحاة ضميراً لمصدره وجملة النهي
مفسرة لذلك الظرف وقيل الظرف نائب الفاعل فالجملة في محل نصب

واختلفوا في وقوع الجملة فاعلاً أو نائب فاعل والوجه أن الجملة التي يراد بها لفظها يحكم لها بحكم المفردات ولهذا تقع مبتدأ نحو لا حول ولا قوة كثر من كنوز الجنة وفي المثل : زعموا مطيئة الكذب ولهذا لم يحتج الخبر الى رابط •

٢ - (ألا) قيل : هي حرف بسيط يفتح به الكلام وينبئ على أن ما بعده متحقق لا محالة ، وقيل : هي حرف مركب من همزة الاستفهام وحرف النفي ، والاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً وأختها (أما) التي هي من مقدمات اليمين على حد قوله :

أما والذي بكى وأضحك والذي أمات وأحيا والذي أمره الأمر

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

اللفظة :

(الطغيان) مصدر طغى طغياناً بضم الطاء وكسرهما ، ولام طغى قيل : يا غوقيل : واو ومعناها مجاوزة الحد •

(يعمهون) العمه : التردد والتحير وهو قريب من العمى إلا أن يعمه عموماً وخصوصاً لأن العمى يطلق على ذهاب نور العين وعلى الخطأ في الرأي والعمه لا يطلق إلا على الخطأ في الرأي •

الاعراب :

(وإذا) عطف على ما تقدم وقد تكرر إعراب إذا فيقاس على ما تقدم (لقوا) أصله لقيوا وهو فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة استثقلت الضمة على الياء فحذفت ونقلت حركتها الى القاف والواو فاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (الذين) اسم موصول مفعول به (آمنوا) فعل وفاعل والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (قالوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية لامحل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (آما) فعل وفاعل والجملة الفعلية مقول القول (وإذا) عطف على وإذا المتقدمة (خلوا) فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (إلى شياطينهم) الجهار والمجرور متعلقان بخلوا والى معناها انتهاء الغاية وسيأتي بحثها في باب الفوائد (قالوا) فعل ماض والجملة لامحل لها من الاعراب (إنا) إن حرف مشبه بالفعل ونا ضمير متصل في محل نصب اسمها (معكم) مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر إن والكاف مضاف اليه وجملة إنا معكم اسمية في محل نصب مقول القول (إنما) كافة ومكفوفة (نحن) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (مستهزون) خبر نحن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم والجملة الاسمية تأكيد لجملة إنا معكم فهي داخلة في حيّز مقول القول ولك أن تجعلها مستأنفة لا محل لها مبنية على سؤال نشأ من ادعاء المعية كأنه قيل لهم عند قولهم : إنا معكم فما بالكم تشايعون المؤمنين بكلمة الايمان ؟ فقالوا : إنما نحن مستهزون أو انها تعليلية للمعية (الله) مبتدأ (يستهزء) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر فيه جوازاً يعود على الله والجملة الفعلية

خبر (بهم) الجار والمجرور متعلقان يستهزىء (ويمد هم) الواو عاطفة ويمد هم فعل مضارع مرفوع عطفاً على يستهزىء والفاعل مستتر تقديره هو والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به (في طغيانهم) الجار والمجرور متعلقان يمد هم (يعمهون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة الفعلية في محل نصب على الحال من الضمير في يمد هم .

البلاغة :

انطوت هاتان الآيتان على فنون عديدة من فنون البلاغة نوجزها فيما يلي :

١ - المفارقة بين الجمل فقد خاطبوا المؤمنين بالجملة الفعلية وهي جملة آمنا وخاطبوا شياطينهم بالجملة الاسمية وهي جملة إذا معكم وذلك لأن الجملة الاسمية أثبتت من الجملة الفعلية فإيمانهم قصير المدى لا يعدو تحريك اللسان ، أو مدة التقائهم بالمؤمنين وركونهم الى شياطينهم دائم الاستمرار والتجدد وهو أعلق بنفوسهم ، وأكثر ارتباطاً بما رسخ فيها .

٢ - المخالفة بين جملة مستهزئون وجملة يستهزىء لأن هزاء الله بهم متجدد وقتاً بعد وقت ، وحالاً بعد حال ، يوقعهم في متاهات الحيرة والارتباك زيادة في التنكيل بهم .

٣ - المشاكلة : فقد ثبت أن الاستهزاء ضرب من العبث واللهو وهما لا يليقان بالله تعالى ، وهو منزّه عنهما ولكنه سمى جزاء الاستهزاء استهزاء فهي مشاكلة لفظية لا أقل ولا أكثر .

٤ - الفصل الواجب في قوله : « الله يستهزئ بهم » لأن في عطفها على شيء من الجمل السابقة مانعاً قوياً لأنها تدخل عندئذ في حيز مقول المنافقين والحال أن استهزاء الله بهم وخذلانه إياهم ثابتان مستمران سواء خلوا إلى شياطينهم أم لا فالجملة مستأنفة على كل حال لأنها مظنة سؤال ينشأ فيقال ما مصير أمرهم ؟ ما عقبى حالهم ؟ فيستأنف جواباً عن هذا السؤال .

الفوائد :

ذكر النحاة معاني لإلى الجارة أحدها الانتهاء وهو الأصل فيها وثانيها المعية كقوله تعالى : « مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ » أي مع الله وثالثها التبيين وهي المبينة لفاعلية مجرورها بعد ما يفيد حباً أو بغضاً من فعل تعجب أو اسم تفضيل نحو : « رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ » ورابعها مرادفة اللام نحو « وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ » وخامسها موافقة (في) كقول النابغة الذبياني :

فلا تتركني بالوعيد كأنني إلى الناس مطلي به القار أجرب

وسادسها موافقة (عند) كقول أبي كبير الهذلي :

أم لاسبيل إلى الشباب وذكره أشهى إلي من الرحيق السلسل

وسابعها التوكيد كقراءة بعضهم : « أفئدة من الناس تهوى إليهم » بفتح الواو في تهوى على تضمين تهوى معنى تميل .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبَحَتِ تِجَارَتُهُمْ
وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ
مَا حَوْلَهُ، ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍ لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٧﴾﴾

الاعراب :

(أولئك) اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ (الذين)
خبر أولئك (اشتروا) فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف
المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل (الضلالة) مفعول به (بالهدى)
الجار والمجرور متعلقان باشتروا والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها
صلة الموصول (فما) الفاء حرف للعطف مع التعقيب وما نافية (ربحت)
فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة (تجارتهم) فاعل ربحت (وما)
الواو عاطفة وما نافية (كانوا) كان فعل ماض ناقص والواو اسمها
(مهتدين) خبرها وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم (مثلهم)
مبتدأ (كمثل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مثلهم أو
الكاف اسم بمعنى مثل خبر ومثل مضاف اليه (الذي) اسم موصول
في محل جر بالاضافة (استوقد) فعل ماض مبني على الفتح بمعنى
أوقد وهي استعمل بمعنى أفعل ومثله أجاب واستجاب ، وأخلف
واستخلف والفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هو وجملة استوقد
لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول واستعمل الذي في موضع
الذين ولذلك قال فيما بعد : « بنورهم » (ناراً) مفعول به ، وجملة
مثلهم مستأنفة مسوقة لضرب المثل لحال المنافقين الذين اشتروا الضلالة
بالهدى استحضاراً للصورة ورفعاً للأستار عن الحقائق (فلما) الفاء
حرف عطف ولما ظرف بنعني حين متضمن معنى الشرط وقيل : هي حرف

وجوب لوجوب وسماها ابن هشام رابطة (أضاءت) فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والفاعل ضمير مستتر فيه جوازا تقديره هي (ما) اسم موصول بمعنى المكان مفعول به (حوله) ظرف مكان متعلق بحذف صلة ما وزعم بعض اللغويين أن أضاء فعل لازم فيتعين أن تكون ما زائدة أي أضاءت حوله (ذهب الله) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (بنورهم) الجار والمجرور متعلقان بذهب (وتركهم) فعل ماض وفاعل مستتر فيه جوازا ومفعول به أول (في ظلمات) الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني وتركهم (لا) نافية (يبصرون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة في موضع نصب على الحال المؤكدة لأن من كان في الظلمة لا يبصر .

البلاغة :

في هاتين الآيتين من فنون البلاغة ما تضيق عنه الصحف وسنحاول تلخيص هذه الفنون :

١- الاستعارة التصريحية الترشيحية والمعنى اختاروا واستبدلوا وقرينة الاستعارة الضلالة ثم رشح لهذه الاستعارة بقوله : فما ربحت تجارتهم فأسند الربح الى التجارة فالمستعار منه الذي هو الشراء رشح لفظي الربح والتجارة للاستعارة لما بين الشراء والربح من الملاءمة ، والترشيح هو أن يبرز المجاز في صورة الحقيقة ثم يحكم عليه ببعض أوصاف الحقيقة فينضاف مجاز الى مجاز ومن ذلك قول حميدة بنت النعمان بن بشير :

بكى الخز من روح وأنكر جلده
وعجّت عجيجاً من جذام المطارف

عقد أقامت الخز مقام شخص حين باشر روحاً بكى من عدم
ملاءمته بقولها : وأنكر جلده ثم زادت في ترشيح المجاز بقولها :
وعجّت أي صاحت مطارف الخز من قبيلة روح هذا وهي قبيلة جذام
ومعنى البيت ان روحاً وقبيلته جذام لا يصلح لهم لباس الخز ومطارفه
لأنهم لا عادة لهم بذلك فكنى عنهم بما كنى في البيت •

٢ - الفرق بين اشتروا واستبدلوا من وجهين :

١ - ان الاستبدال لا يكون شراء إلا إذا كان فيه فائدة يقصدها
المستبدل منه سواء كانت حقيقية أم وهمية •

٢ - ان الشراء يكون بين متبايعين بخلاف الاستبدال فاذا أخذت
نوباً من ثيابك بدل آخر يقال : انك استبدلت نوباً بثوب فلمعنى الذي
تؤدي اليه الآية أن أولئك القوم اختاروا الضلالة على الهدى لفائدة
لهم بازاتها يعتقدون الحصول عليها من الناس فهو معاوضة بين طرفين
يقصد بها الربح وهذا هو معنى الاشتراء ومثلها البيع والابتياح
ولا يؤديه مطلق الاستبدال ، إذا عرفت هذا أدركت السرّ في اختيار
اشتروا على استبدلوا ، وتبينت أن القرآن وهو أعلى درج البلاغة
لا يختار لفظاً على لفظ من شأنه أن يقوم مقامه إلا لحكمة في ذلك ،
وخصوصية لا توجد في غيره •

٣ - التسميم في قوله : « وما كانوا مهتدين » وحدّه أن يأتي

في الكلام كلمة أو كلام إذا طرح منه نقص معناه في ذاته أو في صفاته أو لزيادة حسنة فقوله : « وما كانوا مهتدين » تتسيم لما تقدم أفاد بأنهم ضالون في جميع ما يتعاطونه من عمل .

٤ - التشبيه التشيلي : في قوله : « مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم » وحقيقة التشبيه التشيلي أن يكون وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد أي أن حال المنافقين في تفاههم وإظهارهم خلاف ما يسترونه من كهر كحال الذي استوقد ناراً ليستضيء بها ثم انطفأت فلم يعد يبصر شيئاً ، وهكذا يبدو لك أن التشبيه التشيلي يعمل عمل السحر في تأليف المتباينين ، ويريك للمعاني المتشكلة بالأوهام شبيهاً في الأشخاص الماثلة وينطق لك الأخرس ويعطيك البيان من الأعجم ويريك الحياة في الجماد ، ويجعل الشيء قريباً بعيداً ، ومن أمثله في الشعر قول بشار :

كأن مشار النقع فوق رؤوسنا وأسيفنا ليل تهاوى كواكب

فقد شبه ثوران النقع المنعقد فوق الرؤوس والسيوف المتلاحمة فيه أثناء الحرب بالليل الأسود البهيم تتهاوى فيه الكواكب ، وتتساقط الشهب وقول أبي تمام يصف الربيع :

يا صاحبي "تقصيًا نظريكما تريا وجوه الأرض كيف تصوّر

تريا نهاراً مشمساً قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقرر

شبه النهار المشمس في الروض البهي المكلل بالأزاهير بالليل القمر الساجي .

هـ - المخالفة بين الضميرين فقد وحد الضمير في استوقد وحوله نظراً إلى جانب اللفظ لأن المناققين كلهم على قول واحد وفعل واحد ، وأما رعاية جانب المعنى في (بنورهم وتركهم) فلكون المقام تقبيح أحوالهم وبيان ذاتهم وضلالهم فاثبات الحكم لكل فرد منهم واقع .

٦ - مراعاة النظر : وهو فن يعرف عند علماء البلاغة بالتناسب والائتلاف وحده أن يجمع المتكلم بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وهي هنا في ذكر الضوء والنور والسر في ذكر النور مع أن السياق يقتضي أن يقول بضوئهم مقابل أضاءت هو أن الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قال بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نوراً والغرض هو إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلاً ويؤكد هذا المعنى أنه قال ذهب بنورهم ولم يقل : أذهب نورهم والفرق بينهما أن معنى أذهب أزاله وجعله ذاهباً ومعنى ذهب به استصحبه ومضى به معه والغرض إفادة أنه لم يبق مطمع في عودة ذلك النور إليهم بالكلية إذ لو قيل : أذهب الله نورهم ربما كان يتوهم أنه إنما أذهب عنهم النور وبقي هو معهم فربما عوضهم بدل ما فاتهم فلما قال : ذهب الله بنورهم كان ذلك حسماً وانقطاعاً لمادة الاطماع من حصولهم على أي خير لهم أو منهم وهذا من أسى ما يصل إليه البيان

وقد تعلق ابن الرومي بأهداب هذه البلاغة حين قال في وصف العنب الرّازقي :

لم يُبق منه وَهَجُ الحرور إلا ضياء في ظرُوف نور

فجعل ماء العنب ضوءاً لأنه أشد توهجاً وأكثر لآلاء من قشره

الذي هو بمثابة نور يصون ذلك الضوء ويحفظه فسا أبرع ابن الرومي في اقتباسه .

الفوائد :

١- لكاف التشبيه ثلاث حالات :

أ - يتعين أن تكون اسماً وهي ما إذا كانت خبراً أو فاعلاً أو مفعولاً أو مجرورة بحرف أو إضافة كما تقدم في الآية وكقول أبي الطيب :

وما قتلَ الأحرارَ كالغزو عنهم ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا

ب - يتعين أن تكون حرفاً وهي الواقعة صلة للموصول .

ج - يجوز فيها الأمران فيما عدا ذلك وسيأتي المزيد من بحث الكاف في هذا الكتاب .

٢ - ترك : في الأصل بمعنى طرح وخطى فيتعدى لواحد وقد يتضمن معنى التصيير فيتعدى لاثنين .

وَصَمُّكُمْ عَمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَحْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ

لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

اللفة :

(صم) جمع أصمّ وهو الذي لا يسمع ، يقال : صمّ يصمّ بفتح الصاد فيهما أي ثقل السمع منه وقيل : أصله السّدّ وصست القارورة أي سدّتها •

(بكم) : جمع أبكم وهو الذي لا يتكلم أي الأخرس •

(عَمِيَ) جمع أعمى والعمى ظلمة في العين تمنع من إدراك المبصرات والفعل منها على وزن عمي على فعل بكسر العين واسم الفاعل على أعمى وهو قياس الآفات والعاهات •

(صَيَّبَ) : هو المطر الذي يصبوب أي ينزل وأصله صيوب اجتمعت الياء والواو وسبقت أحدهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء •

(السَّمَاء) كلّ ما علاك فأظلتك فهو سماء والسماء مؤنث وقد يذكر • قال :

فلو رفع السماء إليه قوماً لحقنا بالسماء مع السحاب

الاعراب :

(صم) خبر لمبتدأ محذوف أي هم صمّ والجملة مستأنفة (بكم)

خبر ثان (عمي) خبر ثالث وهذه الأخبار وإن تباينت في اللفظ متحدة في المدلول والمعنى لأن مآلها إلى عدم قبول الحق (فهم) الفاء عاطفة وهم مبتدأ (لا يرجعون) لا نافية ويرجعون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة خبرهم والجملة عطف على هم صم أي لا يعودون إلى الهدى والمعنى أن مشاعرهم انتقضت بناها التي بنيت عليها للاحاساس والإدراك (أو) حرف عطف للتفصيل أي أن الناظرين في حالهم منهم من يشبههم بحال المستوقد ومنهم من يشبههم بأصحاب صيب (كصيب) الجار والمجرور معطوفان على كمثل ولا بد من تقدير مضاف أي كأصحاب صيب بدليل يجعلون أصابعهم في آذانهم (من السماء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لصيب (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (ظلمات) مبتدأ مؤخر (ورعد وبرق) معطوفان على ظلمات (يجعلون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة مستأنفة مسوقة للإجابة عن سؤال مقدر كأنه قيل : فكيف حالهم مع ذلك الرعد ؟ فويل يجعلون (أصابعهم) مفعول به (في آذانهم) الجار والمجرور في موضع المفعول الثاني ليجعلون (من الصواعق) الجار والمجرور متعلقان بيجعلون ، ومن سببية واظطر الفوائد (حذر الموت) مفعول لأجله (والله) الواو اعتراضية والله مبتدأ (محيط) خبر (بالكافرين) الجار والمجرور متعلقان بمحيط والجملة لامحل لها من الإعراب لأنها معترضة بين جملتين من قصة واحدة وهما : يجعلون أصابعهم ويكاد البرق (يكاد) فعل مضارع مرفوع من أفعال المقاربة التي تعمل عمل كان وفيها لغتان : فعل وفعل ولذلك يقال كدت بكسر الكاف وكدت بضمها (البرق) اسم يكاد المرفوع (يخطف) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو يعود على البرق وجملة يخطف خبر يكاد وخبر هذه الأفعال لا يكون إلا فعلاً مضارعاً وجملة يكاد مستأنفة كأنها جواب قائل يقول

فكيف حالهم مع ذلك البرق فليل : يكاد (أبصارهم) مفعول به والهاء ضمير متصل في محل جر بالإضافة (كلما) كلّ منصوب على الظرفية الزمانية وقد سرت الظرفية الى كل من إضافتها لما المصدرية الظرفية وما مع مدخولها (أضاء) في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة وقيل : ما نكرة موصوفة ومعناها الوقت والعائد محذوف تقديره كل وقت أضاء لهم فيه فجملة أضاء في الأول لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي وفي الثاني محلها الجر على الصفة وكلما برأسها متضمنة معنى الشرط والعامل فيها جوابها (لهم) الجار والمجرور متعلقان بأضاء (مشوا) فعل ماض مبني على الضم المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل وجملة مشوا فيه لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمشوا (وإذا) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (أظلم عليهم) فعل ماض مبني على الفتح والفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هو يعود على البرق والجملة في محل جر بالإضافة الظرف إليها وعليهم متعلقان بأظلم (قاموا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (ولو) الواو استئنافية ولو : شرطية وعبرة سيويه انها حرف لما كان سيقع لوقوع غيره وهي أحسن من قول النحويين إنها حرف امتناع لامتناع وستأتي مباحث طريفة عنها في هذا الكتاب (شاء الله) فعل وفاعل ومفعول المشيئة محذوف وهذا الحذف سائغ في كلام العرب يكادون لا يذكرون مفعول شاء إلا في الأمر المستغرب كقول الخريمي :

فلو شئت أن أبكي دماً لبكيت عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

فإن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول شئت لأنه شيء مستغرب فحسن ذكره ومثل شاء أراد في هذا الحكم (لذهب) اللام واقعة في

جواب لو وذهب فعل ماض مبني على الفتح وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو (بسمعهم) الجار والمجرور متعلقان بذهب (وأبصارهم) عطف على يسمعهم (إن) حرف مشبه بالفعل (الله) اسمها المنصوب (على كل) الجار والمجرور متعلقان بقدير (شيء) مضاف إليه (قدير) خبر إن وجملة لذهب لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم وجملة إن الله تعليلية لا محل لها من الإعراب .
البلاغة :

١ - الاستعارة التصريحية فقد شبههم بالصم والبكم والعمي وطوى ذكر المشبه واعتبره بعض علماء البلاغة في حكم المذكور فهو عندهم تشبيه بليغ وارد في كلامهم كثيراً .

قال شاعرهم :

صم إذا سمعوا خيراً ذكرت به وإن ذكرت بسوء عندهم دفنوا
ولكن بلغاء المحققين يتناسون المشبه ويضربون عن توهمه صفحاً .
قال أبو تمام يمدح خالد بن يزيد الشيباني :

ويصعد حتى يظن الجهول بأن له حاجة في السماء

فقد استعار الصعود من العلو الحسي للعلو المعنوي على طريق الاستعارة التصريحية ثم بنى عليه ما يبنى على العلو في المكان ترشيحاً وتسميماً للمبالغة ولم يذكر المشبه .

٢ - التشبيه التمثيلي المتكرر فقد شبه سبحانه المنافقين وإظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر بمن استوقد ناراً ثم انقطعت وذلك من ثلاثة أوجه :

أ - أن مستوقد النار يستضيء بنورها ، وتذهب عنه وحشة الظلمة فإذا انطفأت ذهبت الاستضاءة واتفى الانتفاع والاهتداء .

ب - أن مستوقد النار إذا لم يملأها بالوقود ذهب ضوءها كذلك المنافق إذا لم يستدم الإيمان ذهب إيمانه •

ج - أن مستوقد النار المستضيء بها هو في ظلمة ربداء من نفسه فإذا ذهبت النار بقي في ظلمتين : ظلمة الليل وظلمة نفسه ثم شبه الدّين بالصيّب لأن القلوب تحيا به حياة الأرض بالمطر وما يتعلق به من تشبيه الكفار بالظلمات وما في ذلك من الوعد والوعيد بالبرق والرعد وما يصيب الكفرة من الفتن والبلايا بالصواعق •

٣ - وإنما أفرد الرعد والبرق وظاهر الكلام وسياقه يستوجبان جمعهما كما جمع ظلمات ولأن الجمع أبلغ من الإفراد على حدّ قول البحرى :

يا عارضاً متلفعاً بروده يختال بين بروقه ورعوده

نقول إنما جنح القرآن إلى الإفراد لنكتة هامة وهي أن البرق والرعد لما كانا في الأصل مصدرين والمصادر لا تجمع يقال رعدت السماء رعداً ، وبرقت برقاً ، روعي حكم الأصل بأن ترك جمعهما وإن أريد معنى الجمع وهذه النكتة ذهل عنها البحرى ، ولا يخفى أن من بين الألفاظ ما يعذب مفردة ويقبح جمعه وبالعكس وسيأتي ذلك كله في مواطنه من هذا الكتاب العجيب •

٤ - المجاز المرسل في قوله : « يجعلون أصابعهم في آذانهم » لأن الاصبع ليست هي التي تجعل في الأذن فذكر الأصابع وأراد الأنامل وعلاقته الكلية والمجاز هنا أبلغ من الحقيقة ولذلك عدل عنها إليه وجمع الأصابع لأنه لم يرد أصبعاً معينة لأن الحالة حالة دهش وحيرة

فأية أصبح اتفق لهم أن يسدوا بها آذانهم فعلوا غير معرّجين على ترتيب معتاد أو تعيين مفترض .

الفوائد :

زعم قاضي القضاة تاج الدين محمد بن عبد الرحمن بن عقيل شارح ألفية ابن مالك في النحو أن من الصواعق متعلقان بحذر الموت وفي ذلك تقديم معمول المصدر ، قال ابن عقيل : إن الذي حمّله على ذلك أنه لو علّقه يجعلون لكان في موضع المفعول لأجله ويلزم على ذلك تعدّد المفعول لأجله من غير عطف وذلك ممتنع عند النحاة وأجاب عن هذا الاعتراض أن المفعول لأجله الأول تعليل للجعل مطلقاً ، والثاني تعليل له مقيداً بالأول والمطلق والمقيّد متغايران فالمعلّل متعدّد في المعنى وإن اتحد في اللفظ ، وقد استدرك ابن هشام في مغني اللبيب على ابن عقيل ، فارجع إليه إن شئت ففيه متعة وفائدة .

﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

اللمعة :

أنداداً جمع ندّ بكسر النون وهو المثل ولا يقال إلا للثلث المخالف المناوىء . قال جرير :

أَتَيْتُمْ تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نَدَاءً وَمَا تِيمَ لَدِي حَسْبَ نَدِيدٍ

الاعراب :

(يا أيها) يا حرف نداء للمتوسط ولم يقع النداء في القرآن بغيرها من أدوات النداء وأي : منادى فكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب (الناس) بدل من أي على اللفظ (اعبدوا) فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (ربكم) : مفعول به والكاف ضمير متصل في محل جر بالإضافة (الذي) اسم موصول نعت لربكم (خلقكم) فعل ماض والكاف مفعول والفاعل مستتر تقديره هو (والذين) الواو حرف عطف والذين اسم موصول معطوف على الكاف أي وخلق الذين (من قبلكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لامحل له من الاعراب لأنه صلة الموصول (لعلكم) لعل حرف ترج ونصب والكاف اسمها (تتقون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة الفعلية خبر لعل وجملة لعلكم تتقون لا محل لها لأن موقعها ما قبلها موقع الجزاء من الشرط ويجوز أن تعرب حالية أي حال كونكم مترجين للتقوى طامعين فيها (الذي) اسم موصول في محل نصب صفة ثانية لربكم (جعل) فعل ماض والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره هو والجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (لكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لفراشاً ثم تقدمت (الأرض) مفعول جعل الأول إن كانت من الجعل بمعنى التعبير (فراشاً) مفعول به ثان وإن كانت من الجعل بمعنى الخلق فتكون فراشاً حالاً مؤولة (والساء) عطف على قوله الأرض (بناء)عطف على فراشاً (وأنزل) الواو حرف عطف وأنزل عطف على قوله جعل (من السماء) جار ومجرور متعلقان بأنزل

(ماء) مفعول أنزل (فأخرج) عطف على أنزل (به) جار ومجرور متعلقان بأخرج (من الثمرات) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة وتقدمت (رزقاً) مفعول به (لكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لرزقاً (فلا) الفاء تعليلية ولا : ناهية (تجعلوا) فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون والواو فاعل والجملة تعليلية لا محل لها بثابة الاستئنافية والمعنى أن هذا النهي متسبب عن إيجاد هذه الآيات الباهرة (لله) جار ومجرور متعلقان بمحذوف في موضع المفعول الثاني لتجعلوا (أنداداً) مفعول تجعلوا الأول (وأنتم) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تعلمون) فعل مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر أنتم والجملة الاسمية في موضع نصب على الحال .

الفوائد :

١ - اضطرب كلام النحاة في إعراب الاسم المعرف بالألف واللام بعد يا أيها فقال معظمهم : إنه صفة وحجتهم أن كلاً من حرف النداء وأل أداة تعريف وهم يكرهون أداتين لمؤدّي واحد فأقحمت أي لتكون هي المنادى ظاهراً والمحلّي بال صفة لها ويرد بأنه جامد مثل يا أيها الرجل ويجب أن يكون وإن كان جامداً لكنه في حكم المشتق أي المتصف بالرجولية والذي نراه أنه يقال في أن أي أو أية منادى وها حرف تنبيه وما فيه أل بدل من المنادى إذا كان جامداً وإلا أعرب نعتاً .

٢ - إنما سميت الأرض أرضاً لأنها تتأرض ما في بطنها يعني تأكل ما فيها .

٣ - إذا ورد الترجي في كلام الله تعالى ففيه ثلاثة تأويلات :

آ - إن لعل على بابها من الترجي والاطماع ولكنه بالنسبة الى المخاطبين وقد نص على هذا التأويل سيويه في كتابه والزمخشري في كشافه .

ب - إن لعل للتعليل أي اعبدوا ربكم لكي تتقوا نص عليه قطرب واختاره الطبري في تفسيره الكبير .

ج - انها للتعرض للشيء كأنه قيل : افعلوا ذلك متعرضين لأن تتقوا نص عليه أبو البقاء واختاره المهدوي في تفسيره الممتع .

٤ - إذا تقدم النعت على المنعوت أعرب حالاً وساغ لذلك أن يكون صاحب الحال نكرة مع أنه محكوم عليه أن يكون معرفة لأن الحكم على المجهول لا يفيد في الغالب وعليه قول الشاعر :

لمية موحشاً طلل يلوح كأنه خلل

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ
وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ

اللغة :

(السورة) الطائفة من القرآن التي أقلثها ثلاث آيات ، ومن معانيها المرتبة الرفيعة قال النابغة الذبياني :

ألم ترَ أنَّ اللهَ أعطاك سورةً ترى كلَّ مَلِكٍ دونها يتذبذبُ

(وقودها) بفتح الواو وهو ما توقد به النار من حطب وغيره
وأما بضمها فهو مصدر وقد ، وكذا يقال فيما جاء على هذا الوزن
كالوضوء والطهور والسحور .

الاعراب :

(وإن) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق للرد على من ارتابوا في القرآن تعنتاً ولجأوا وإن شرطية تجزم فعلين (كتم) كان فعل ماض ناقص والتاء اسمها والفعل الناقص في محل جزم فعل الشرط (في ريب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كتم (مما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لريب وما موصولة (نزلنا) فعل ماض مبني على السكون ونا ضمير في محل رفع فاعل والجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (على عبدنا) الجار والمجرور متعلقان بنزلنا والعائد محذوف أي نزلناه ولم يقل أنزلناه لأن القرآن نزل منجماً على سبيل التدريج (فأتوا) الفاء رابطة لجواب الشرط لأن الجملة طلبية لا تصلح لتكون شرطاً وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (بسورة) الجار والمجرور متعلقان بأتوا (من مثله) متعلقان بحسب عودة الضمير فهو إما

أن يعود على القرآن فهما متعلقان بسحذوف صفة لسورة وإما أن يعود على عبدنا فهما متعلقان بقوله: فأتوا والمعنى على الأول يتناول عدة أمور :

آ - فأتوا بسورة من مثله في حسن النظم وبديع الوصف وروعة الأسلوب وإيجازه .

ب - فأتوا بسورة من مثله في غيبوبة أخباره وأحاديثه عن الماضي وتحديثه عما يكون .

ج - فأتوا بسورة من مثله فيما انطوى عليه من أمر ونهي ووعد ووعيد وبشارة وإنذار ، وحكم وأمثال .

د - فأتوا بسورة من مثله في صدقه وصياقته من التحريف والتبديل وغير ذلك من خصائصه .

هـ - فأتوا بسورة من مثله في منظوياته البعيدة ، وأحكامه المتشعبة مع تطورات الأزمنة ، وتقدم العلوم ، ومواكبته للحضارة الانسانية في مختلف ظروفها وأحوالها .

والمعنى على الثاني يتناول عدة أمور أيضاً :

آ - فأتوا من مثل الرسول أي من أمي لا يحسن الكتابة على الفطرة الأصلية .

ب - فأتوا من مثل الرسول أي من رسول لم يدرس العلماء ، ولم يجالس الحكماء ، ولم يتعاط أخبار الأولين ، ولم يؤثر ذلك عنه بحال من الأحوال .

ج - فأتوا من مثل الرسول أي من كل رجل كما تحسبونه في زعمكم شاعر أو مجنون وكلا المعنيين كما ترى ، حسن جميل .

(وادعوا) عطف على قوله : فأتوا والواو فاعل (شهداءكم) مفعول به لادعوا والكاف في محل جر بالاضافة (من دون الله) الجار والمجرور متعلقان بادعوا والمعنى : وادعوا من دون الله شهداءكم ، والشهداء : إما جمع شهيد للسبالة كعليم وعلماء وإما جمع شاهد كشاعر وشعراء ويحتمل أن يتعلقا بحذوف حال من قوله شهداءكم والتقدير منفردين عن الله تعالى أو مغايرين لله (إن) شرطية وانظر بحثاً هاماً عنها في باب الفوائد (كنتم) كان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها (صادقين) خبرها وجواب الشرط أي فافعلوا ذلك (فإن) الفاء استئنافية وإن شرطية (لم) حرف نهي وقلب وجزم (تفعلوا) فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف النون (ولن) الواو اعتراضية ولن حرف نهي ونصب واستقبال (تفعلوا) فعل مضارع منصوب بلم وعلامة نصبه حذف النون والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها معترضة بين الشرط وجوابه (فاتقوا) الفاء رابطة لجواب الشرط واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (النار) مفعول به (التي) اسم موصول في محل نصب صفة للنار (وقودها) مبتدأ مرفوع والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (الناس) خبر (والحجارة) عطف على الناس والجملة الاسمية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (أعدت) فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر فيه جوازاً تقديره هي (للكافرين) الجار والمجرور متعلقان بأعدت والجملة الفعلية في محل نصب حال لازمة من النار وإنما قلنا لازمة رداً على بعض المعربين كأبي حيان وابن عطية فقد جعلوا الجملة استئنافية تفادياً لجعلها حالية من النار لأن المعنى

يصير فاتقوا النار في حال اعدادها للكافرين بينما هي معدة لهم اتقوها
أم لم يتقوها ولكن اضافة لازمة تدفع هذه المظنة .

البلاغة :

١ - إيجاز القصر في قوله : « فاتقوا النار » والايجاز هو جمع
المعاني الكثيرة تحت اللفظ القليل مع الإبانة والإفصاح.

٢ - إيجاز الحذف في قوله « فاتقوا النار » أيضاً وايجاز
الحذف يكون بحذف كالمسة أو جمالة أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف لأن
من اتقى النار عصم نفسه عن جميع الموبقات التي يطول تعدادها .
وترك المكابرة والمعاندة .

٣ - الاعتراض : في قوله : « ولن تفعلوا » وهو يأتي في الكلام
لأغراض كثيرة ، والقرض هنا التأكيد بأن ذلك غير متاح لهم ولو جهدوا
وتضافرت همهم عليه ومن روائعه قول عوف بن محلم الخزاعي :

إن الثمانين ، وبلغتها ، قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله : وبلغتها اعتراض بين اسم ان وخبرها وفائدتها الدعاء
للمخاطب بأن يمتد عمره إلى الثمانين مع التنصل من مسؤولية عدم
السمع بسبب كبر السن ووقر السمع وقول المتنبي جميل للغاية :

وخفوق قلب لو رأيت جحيمة — يا جنّتي — لظننت فيه جهنّما

والاعتراض في قوله : يا جنتي وقول أبي نواس وقد عشق الأمين :

قد هام قلبي ولا أقول بمن أخاف من لا يخاف من أحد

إذا تفكّرت في هواي لله

مسبت رأسي هل طار عن جسدي ؟

إني - على ما ذكرت من فرقي -

لأمل أن أقاله بيدي

والاعتراض في قوله : على ما ذكرت من فرقي وفيه مالا
يكتنه حسنه .

الفوائد :

١ - فشل محاولات التحدي : دعا القرآن قريشاً الى أن تحاول محاكاة القرآن تحدياً لها في مواطن كثيرة أبرزها الآية التي نحن بصدددها ويظهر أنها حاولت أن تردّ على هذا التحدي فعمّزت عن هذا في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تنقطع الرغبة في تقليد القرآن بعد حياته ، فقد حاول مسيلمة الكذاب الذي ظهر باليمامة في بني حنيفة وطلحة بن خويلد الذي تنبأ في بني أسد والأسود العنسي الذي تنبأ في اليمن وسجاح التي ظهرت في بني تغلب ولا سبيل الى الجزم بأن الكلام الذي جاء به هؤلاء منسوب إليهم حقيقة بل نرجّح أنه من تخيّل القصّاص المتأخرين ، فمن هذا الكلام المتهافت الذي نسب الى مسيلمة أنه كان يقول : « يا ضفدع بنت ضفدعين ، تقّي ما نقين ، نصفك في

الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشارب تمنعين »
وواضح تماماً أن هذا الهراء ليس من لغة الجاهليين في شيء ، ومع
هذا فقد خدع عنه الجاحظ ، أو هو يسخر منه حين يقول : « ولا أدري
ما الذي هيّج مسيلمة حتى ساء رأيه في الضفدع » وأما وحي الأسود
الغنسي - كما يقول - فكان ينزل به عليه - على زعمه - ملك أسماه :
ذا ضار وكان رجلاً فصيحاً يجيد سجع الكهّان وقد ضاع كلامه
ولم يصلنا منه شيء ، وأما وحي طلحة فقد كان ينزل به عليه - فيما
يزعم - ملك سمّاه ذا النون ثم عدل عن ذي النون وقال لا بل هو
جبريل ولم يعرف شيء عن قرآنه المزعوم وأما سجاح فقد ادّعت
قرآناً إلا أن وحيها صمت حين لقيت مسيلمة وتزوجته ذلك الزواج
الماجن المضحك ، الذي تذكر مخازيه كتب الأدب والتاريخ ، وذكر
ابن قيس الجوزي والباقلاني أن عبد الله بن المقفع عندما انتهى إلى
قوله تعالى : « حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور » إلى قوله : « وقيل بعداً
للقوم الظالمين » عدل عن انشاء قرآنه وقال : هذا لا يستطيع البشر
أن يأتوا بمثله ، وترك المعارضة وأحرق ما كان اختلقه ، ويقول
الباقلاني : إن قوماً ادّعوا أن ابن المقفع عارض القرآن في كتابه
« الدرّة اليتيمة » ولكنه لم يجد فيما أنشأ ابن المقفع في هذا الكتاب
ما يصح أن يكون تقليداً للقرآن .

وكان شاعرنا العظيم أبو الطيب المتنبي قد تنبأ - فيما يقول
الرواة - في بادية السماوة وأنشأ كلاماً سماه قرآناً منه قوله : « والنجم
السيّار ، والفلك الدوّار ، والليل والنهار ، إن الكافرين لفي أخطار
امض على سننك ، واقف من كان قبلك من المرسلين ، فإن الله قامع بك
زينع من ألحد في دينه ، وضلّ عن سبيله » إلا أن المتنبي عدل عن هذه

المحاولة ، على أننا نشك كثيراً في هذه الروايات لأن المتنبي كان أحصف من أن ينسب إلى نفسه مثل هذا الهراء ولأسباب أخرى لا مجال لبحثها الآن .

ومن الذين اتهموا أيضاً بهذه التهمة أبو العلاء المعري في كتابه « الفصول والغايات » في محاذاة السور والآيات « وما ورد في هذا الكتاب » سبحانه مؤبّد الآباد ، هل للمنية نسب إلى الرقاد ؟ لا أتخيل إذا اتبعت أحداً من الأموات ، إذا هجعت لقيني قريب عهد بالمنية ، ومن فقدت منذ أزمان ، أسألهم فيجيئون وأحاورهم فيتكلمون كأنهم بحبل الحياة معلقون ، لو صدق الرقاد لسكنت إلى ما يخبر عنه سكان القبور ولكن الهجعة كثيرة الكذاب « وقد ذكر مصطفى صادق الرافعي من أدبائنا المحدثين في كتابه المتمتع : « إعجاز القرآن » ما نصه : « وتلك ولا ريب فرية على المعري أراد به عدوّ حاذق لأن الرجل أبصر بنفسه وبطبعة الكلام الذي يعارضه » أما الدكتور طه حسين فقد ذكر في كتابه « مع أبي العلاء في سجنه » ما خلاصته : هل أراد أبو العلاء إلى معارضة القرآن في الفصول والغايات كما ظن بعض القدماء ؟ نعم ولا ، نعم إن فهمنا من المعارضة مجرد التأثير والمحاكاة ، ولا إن فهمنا من المعارضة أن أبا العلاء قد نظر إلى القرآن على أنه مثل أعلى في الفن الأدبي فتأثره وجدّه في تقليده كما يتأثر كل أديب بما يعجب به من المثل الفنية العليا ، ذلك شيء لا شك فيه فأيسر نظر في كتاب « الفصول والغايات » يشعرك بأن أبا العلاء حاول أن يقلد قصار السور وطوالها وليس المهم أنه وفق في هذا التقليد أو لم يوفق بل من المحقق أن التوفيق لم يقدر له ، كما لم يقدر لغيره » .

٢ - نصّ النحاة والأصوليون على أن إن الشرطية لا يعلّق عليها

إلا مشكوك فيه فلا تقول : إن غربت الشمس آتاك بل إذا غربت آتاك وان إذا يعلق عليها المشكوك فيه والمعلوم والشك على الله محال فكيف جاءت هنا ؟ والجواب أن الخصائص الإلهية لا تدخل في أوضاع العريية بل هي مبنية على خصائص الخلق ، وهذا منزل منزلة كلامهم فيما بينهم كأنه قيل : إن العادة بين الناس الشك في أمر الإله والرسول والمعاد وليس ذلك ما وقع القطع به في الذهن إلا بعد قيام النظر وقيام الأدلة .

﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾

اللفظة :

(وبشر) : البشارة : الإخبار بما يظهر سرور المخبر به ومنه البشرة لظاهر الجلد ، وتباشير الصبح : ما ظهر من أوائل ضوئه ، ولهذا التفسير اللغوي بحث فقهي طريف . قال الفقهاء : إذا قال لعبده : أَيْتَكُمْ بَشْرَنِي بِقَدُومِ فَلَانٍ فَهُوَ حَرٌّ فَبَشْرُوهُ فَرَادَى أَعْتَقَ أَوْلَهُمْ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَظْهَرَ سُرُورَهُ بِخَبْرِهِ دُونَ الْبَاقِينَ وَلَوْ قَالَ مَكَانَ بَشْرَنِي : أَخْبِرْنِي عَتَقُوا جَمِيعًا لِأَنَّهُمْ جَمِيعًا أَخْبَرُوهُ .

الاعراب :

(وبشر) الواو عاطفة عطفت وصف جملة ثواب المؤمن على وصف جملة عقاب الكافر وفاعل بشر ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت (الذين) اسم موصول في محل نصب مفعول به (آمنوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (وعملوا) عطف على آمنوا داخل في حيز الصلة والواو فاعل (الصالحات) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم (أن) حرف مشبه بالفعل تنصب الاسم وترفع الخبر وهي مع مدخولها في موضع نصب بنزع الخافض وسيأتي بحثه في باب الفوائد (لهم) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف خبر أن المقدم (جنات) اسمها المؤخر وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم (تجري) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل (من تحتها) الجار والمجرور متعلقان بتجري (الأنهار) فاعل مرفوع (كلما) ظرف زمان متضمن معنى الشرط وما مصدرية أو نكرة مقصودة وقد تقدم القول فيها قريباً (رزقوا) فعل ماض مبني للمجهول والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل والجملة الفعلية لا محل لها أو في محل جر على الصفة أي كل وقت رزقوا فيه (منها) الجار والمجرور متعلقان برزقوا (من ثرة) الجار والمجرور بدل اشتغال من قوله منها ومثاله : أكلت من بستانك من الرمان شيئاً حديثك ، فموقع من ثرة موقع قولك من الرمان (رزقاً) منعمول به ثان لرزقوا والمفعول الأول هو نائب الفاعل الذي هو الواو ويبعد أن يكون رزقاً مصدراً منصوباً على المفعولية المطلقة ، وجملة كلما رزقوا صفة ثانية لجنات أو حالية ولك أن تجعلها مستأنفة لا محل لها من الاعراب (قالوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب

شرط غير جازم (هذا) اسم إشارة مبني على السكون في محل رفع مبتدأ (الذي) اسم موصول مبني على السكون في محل رفع خبر والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (رزقنا) فعل ماض مبني للمجهول ونا ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل وجملة رزقنا لا محل لها لأنها صلة الموصول والعائد محذوف أي رزقناه (من قبل) من حرف جر لا ابتداء الغاية وقيل ظرف مبني على الضم لا تقطاعه عن الإضافة لفظاً لا معنى في محل جر بمن والجار والمجرور متعلقان برزقنا أو بمحذوف حال (وأتوا) الواو استئنافية وأتوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل (به) الجار والمجرور متعلقان بأتوا والجملة مستأنفة مسوقة للاخبار عن هذا الذي رزقوه (متشابهاً) حال أي مشبهاً للثمر الذي كانوا يألفونه في الدنيا لأن الانسان بالألوف أنس ، وإليه أميل ، وقيل يشبه بعضه بعضاً في اللون وإن تباين في الطعم والمعنى الأول أرجح بدليل ما تقدم وهو قوله : « هذا الذي رزقنا من قبل » (ولهم) الواو حرف عطف ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (فيها) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (أزواج) مبتدأ مؤخر والزوج ما يكون معه آخر فيقال زوج للمرأة والرجل وأما الزوجة بالتاء فقليل وقال الفراء : انها لغة (مطهرة) نعت لأزواج (وهم) الواو حرف عطف وهم مبتدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدون (خالدون) خبر هم .

البلاغة :

١ - المجاز المرسل في قوله تجري من تحتها الأنهار والعلاقة المحلية هذا إذا كان النهر مجرى الماء كما قال بعض علماء اللغة أما إذا كان بمعنى الماء في المجري فلا مجاز فيه وفيه لغتان فتح الهاء وسكونها .
م ٥ - اعراب

٢ - التشبيه البليغ في قوله : هذا الذي رزقنا من قبل وسيبليفاً لأن أداة التشبيه فيه محذوفة فتساوى طرفا التشبيه في المرتبة ومن أمثله قول أبي العلاء يصف ليلة :

ليلتي هذه عروس من الزنج عليها قلائد من جنان

الفوائد :

١ - قد يحذف الجار سماعاً فينتصب المجرور بعد حذفه تشبيهاً له بالمفعول به ومنه قول جرير :

تَمْرُونُ الدِّيارِ وَلَمْ تَعُوجُوا كَلَامِكُمْ عَلَيَّ إِذْنٌ حَرَامٌ

أي تمرون بالديار ، ويقاس سقوط حرف الجر قبل أن المصدرية وأن المشبهة بالفعل المفتوحة الهمزة .

٢ - جمع غير العاقل يجوز وصفه بالجمع المناسب قال تعالى : « جنات معروشات » ويجوز في غير القرآن معروشة وجمع التكسير الدال على العقلاء يجوز وصفه أيضاً بالمفرد المؤنث ويجوز وصفه بالجمع كما في الآية وهو « أزواج مطهرة » ويجوز في غير القرآن مطهرات .

﴿ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا

الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾

اللفظة :

(يستحيي) الحياء : تغيّر وانكسار يعتري الانسان من تخوّف
ما يُعاب به ويُذمّ • ومن أقوال العرب : « فلان أحيا من مخدّرة »

وقالت ليلى :

وأحيا حياء من فتاة حيّة وأشجع من ليث بخفّان خادر

(البعوض) الحيوان العضوض المعروف واشتقاقه من البعض
وهو القطع ومنه بعض الشيء لأنه قطعة منه •

(النقض) : الفسخ وفك الترتيب •

الاعراب :

(إن) حرف مشبه بالفعل (الله) اسمها المنصوب (لا) نافية
(يستحيي) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازا تقديره هو
يمود على الله والجنلة الفعلية في محل رفع خبر إن (أن يضرب) أن
حرف مصدر ي ونصب ويضرب فعل مضارع منصوب بأن مفسرة
جوازا وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول به إن
كان يستحيي يتعدّ بنفسه أو في محل نصب بنزع الخافض وقد تقدم

بحته قريباً (مثلاً) مفعول به ليضرب (ما) فيها أقوال عديدة أرجحها
 فيسا نرى أنها الإبهامية وهي التي إذا اقترنت باسم نكرة زادته شيوعاً
 وعموماً وإبهاماً تقول : أعطني كتاباً ما تريد أي كتاب شئت وتعرب
 صفة للاسم قبلها (بعوضة) بدل من مثلاً (فما) الفاء عاطفة وما اسم
 موصول في محل نصب معطوف على بعوضة (فوقها) ظرف مكان
 متعلق بسحذوف لا محل له من الإعراب لأنه صلة الموصول المراد :
 فما تجاوزها في المعنى الذي ضربت فيه مثلاً وهو القلة والحقارة أو
 فما تجاوزها في الحجم كأنه قصد بذلك ردّ ما استهجنوه من ضرب
 المثل بالذباب والعنكبوت لأنها أكبر من البعوضة تقول : فلان لا يبالي أن
 ييخل بنصف درهم فما فوقه تريد الدرهم والدرهمين وجميل حديث
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه مسلم عن إبراهيم عن الأسود
 قال : دخل شباب قريش على عائشة رضي الله عنها وهي بمنى وهم
 يضحكون فقالت : ما يضحكم ؟ قالوا : خرّ على طنب فسطاط فكادت
 عنقه أو عينه أن تذهب فقالت : لاتضحكوا إني سمعت رسول الله صلى الله
 عليه وسلم قال : ما من مسلم يشاك شوكه فما فوقها إلا كتبت له بها
 درجة ومحيت عنه خطيئة . يحتمل فيما عدا الشوكه وتجاوزها في
 القلة ويحتمل ما هو أشد من الشوكه وأوجع (فأما) الفاء استئنافية
 وأما حرف شرط وتفصيل (الذين) اسم موصول في محل رفع مبتدأ
 (آمنوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الذين
 (فيعلمون) الفاء : رابطة لجواب الشرط ويعلمون فعل مضارع
 مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وجملة يعلمون في محل
 رفع خبر الذين (أنه) أن : حرف مشبه بالفعل والهاء ضمير متصل
 في محل نصب اسمها (الحق) خبرها وان وما في حيزها سدت مسدّ

مفعولي يعلسون (من ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (واما) الواو حرف عطف واما حرف شرط وتفصيل (الذين) اسم موصول في محل رفع مبتدأ (كفروا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها صلة الموصول (فيقولون) الفاء : رابطة لجواب الشرط ويقولون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر الموصول (ماذا) اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لأراد أو ما اسم استفهام وذا اسم موصول — هنا خاصة — في محل رفع خبر ما والجملة في محل نصب مقول القول وعلى الوجه الأول تعرب جملة أراد مقولاً للقول (أراد) فعل ماض مبني على النتح (الله) فاعل أراد (بهذا) الجار والمجرور متعلقان بأراد (مثلاً) تمييز مؤكد أو حال من اسم الإشارة أي مثلاً به أو من الفاعل أي مثلاً (يضل) فعل مضارع مرفوع وفاعله مستتر فيه جوازاً تقديره هو والجملة الفعلية مستأنفة جارية مجرى التفسير والبيان للجسيتين المصدريتين بأمّا وقيل : في محل نصب صفة مثلاً والمعنى : مثلاً يفترق الناس به إلى ضالين ومهتدين (به) الجار والمجرور متعلقان بيضل (كثيراً) مفعول به (ويهدي) عطف على يضل (به) الجار والمجرور متعلقان بيهدي (كثيراً) مفعول به (وما) الواو حالية أو استئنافية وما نافية (به) الجار والمجرور متعلقان بيضل (إلا) أداة حصر (الفاسقين) مفعول به والجملة لا محل لها من الاعراب أو حالية (الذين) اسم موصول في محل جر لأنه صفة للفاسقين (ينقضون) فعل مضارع مرفوع والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عهد الله) مفعول به ومضاف إليه (من بعد) الجار والمجرور متعلقان بينقضون (ميثاقه)

مضاف اليه والضمير يعود على اسم الله أو على العهد وسيأتي تفسير طريف في الميثاق في باب الفوائد (ويقطعون) عطف على قوله ينقضون (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (أمر) فعل ماض مبني على الفتح (الله) فاعل أمر (به) جار ومجرور متعلقان بأمر (أن يوصل) أن حرف مصدري ونصب ويوصل فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وأن وما في حيزها في تأويل مصدر بدل من الضمير في به والمعنى ويقطعون ما أمر الله بوصله ، أو مفعول لأجله والتقدير كراهية أن يوصل أو لئلا يوصل (ويفسدون) عطف على يقطعون (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان يفسدون (أولئك) اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ (هم) ضمير فصل أو عماد لا محل له (الخاسرون) خبر أولئك ولك أن تعرب هم مبتدأ والخاسرون خبره والجملة الاسمية في محل رفع خبر أولئك .

البلاغة :

١ - التمثيل : غني العرب بالتمثيل عناية كبيرة وذكر علماء البلاغة له مظهرين :

آ - أحدهما أن يظهر المعنى ابتداء في صورة التمثيل .

ب - وثانيهما : ما يجيء في أعقاب المعاني لإيضاحها وتقريرها في النفوس وهو على الحالين يكسو المعاني بهجة وجمالا ويرفع من أقدارها ، ويبعث فيها الحركة والحياة ، ويجسدها للقارىء حتى ليكاد يتقربها بلمس ، وما زال الناس يضربون الأمثال بالبهايم والطيور

والحشرات • ومن أروع ما صنف العرب في ذلك كتاب كليلة ودمنة الذي قيل إنه ترجمه عن الفارسية عبد الله بن المقفع وفي الفرنسية قصص لافوتتين •

وعن الحسين وقتادة : لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه ، وضرب للمشركين بهما المثل ضحكت اليهود ، وقالت : ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله سبحانه الآية ، وما يرجح أنها أنزلت فيهم انها اشتملت على نقض العهد وهو من أبرز سماتهم • وأدبنا العربي حافل بضرب الأمثال بمختلف الهوامّ وسائر الحشرات قال شاعرهم :

وإني لألقى من ذوي الضغن منهم

وما أصبحت تشكو من الوجد ساهره

كما لقيت ذات الصفا من خليلها

وما اتفكت الأمثال في الناس سائره

وذات الصفاحية تقول الأسطورة العربية : انها كانت قتلت قرابة حليفها فتواتقا بالله على أنها تدي ذلك القتل الى آخر تلك الأسطورة المتعة •

٢ - الاستعارة المكنية وذلك في قوله : « ينقضون عهد الله » فقد شبه العهد بالجبل المبرم ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من خصائصه أو لوازمه وهو النقض لأنه إحدى حالي الجبل وهما النقض والابرام •

٣- المقابلة : وهي تعدّد الطباق في الكلام ، فقد طابق بين يضل ويهدي وبين يقطعون ويوصل .

الفوائد :

١- (أمّا) حرف شرط وتفصيل وقد تبدل ميمها الأولى ياء استثقالاً للتضعيف كقول عمرو بن أبي ربيعة :

رأت رجلاً أيما إذا الشمس عارضت

فيضحي وأيما بالعشي فيخصر

ويفصل بين أما والفاء الجوابية بواحد من ستة :

أ - المبتدأ : كآية الآفة الذكر .

ب - الخبر : نحو : أما في الدار فعلي .

ج - جملة الشرط كقوله تعالى : « فأما إن كان من المقربين فروح وريحان » .

د - اسم معمول لمحذوف كقوله تعالى : « وأما ثمود فهديناهم » .

هـ - اسم منصوب لفظاً أو محلاً بالجواب نحو قوله تعالى : « فأما اليتيم فلا تقهر » .

و - ظرف معمول لأما لما فيها من معنى الفعل الذي نابت عنه نحو : أما اليوم فإني ذاهب .

هذا وتكون أما للتوكيد والشرط فتنب عن مهما نحو : أما بعد فإن الجهاد باب من أبواب الجنة ، والتقدير مهما يكن من شيء . وقد

تنوب الواو عن أما فيقال وبعد ، وهذا الاستعمال شائع في الخطب
والمكاتبات والى ذلك أشار الشاعر بقوله :

لقد علمت قيس بن عيلان أنني
إذا قلت : أما بعد أني خطيها

٢- ماذا : فيها وجهان :

أ - أن تكون ذا مركبة مع ما مجهولتين اسماً واحداً للاستفهام
وتعرب حسب موقعها •

ب - أن تكون ذا اسماً موصولاً بمعنى الذي فتكون خبراً
لما الاستفهامية ويظهر أثر ذلك في جوابه ولهذا أوردنا الوجهين معاً في
الاعراب وقد قرئ قوله تعالى : « يسألونك ماذا ينفقون ؟ قل العفو »
بنصب العفو ورفع على التقديرين وقال لييد :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول

أنحب فيقضى أم ضلال" وباطل

فقد روي أنحب مرفوعاً على البدلية من ذا على الوجه الثاني
ولو قال أنحباً على البدلية من ماذا كلها المنصوبة على المفعولية
ليحاول لجاز •

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ

أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

اللفظة :

(استوى) : اعتدل واستقام واقتصب كالسهم المرسل .

(فسواهن) : خلقهن أو صيرهن .

الاعراب :

(كيف) : اسم استفهام مبني على الفتح في محل نصب على الحال ومعنى الاستفهام هنا : التوبيخ (تكفرون) : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون ، والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل (بالله) الجار والمجرور متعلقان بتكفرون (وكنتم) : الواو . حالة وقد مقدرة بعدها على القاعدة المقررة وهي إن الفعل الماضي إذا وقع جملة حالة فلا بد من قد ظاهرة أو مقدرة وكان واسمها (أمواتاً) خبر كان المنصوب والجملة الفعلية في محل نصب على الحال (فأحياكم) الفاء حرف عطف وأحيا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والكاف مفعول به (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (يميئتم) فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله (ثم يحييكم) عطف أيضاً وإننا عطف

يشم للتراخي الممتد بين الحالين (ثم) حرف عطف أيضاً (اليه) جار ومجرور متعلقان بترجعون (ترجعون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة معطوفة (هو) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (الذي) اسم موصول في محل رفع خبر (خلق) فعل ماض مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (لكم) جار ومجرور متعلقان بخلق (ما) اسم موصول مبني على السكون في محل نصب مفعول به (في الأرض) جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له من الاعراب لأنه صلة الموصول (جميعاً) حال من المفعول به الذي هو ما خلافاً لمن أعربه من المفسرين تؤكداً لما ولو كان ذلك لقليل جميعه (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (استوى) فعل ماض معطوف على خلق (الى السماء) جار ومجرور متعلقان باستوى (فسواهن) الفاء حرف عطف وسوى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به (سبع سماوات) حال إذا كانت سوى بمعنى الخلق المجرد لأنه دل على العدد المجرد ومثله قوله تعالى : « فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة » أو على البدلية من الضمير في فسواهن ، وإذا كانت سوى بمعنى صيرّ كانت مفعولاً ثانياً وأنكر أبو حيان هذا الاعراب ولا مسوغ لانكاره (وهو) الواو استئنافية وهو مبتدأ (بكل شيء) الجار والمجرور متعلقان بعليم (عليم) خبر هو .

الفوائد :

كيف : اسم مبني على الفتح وأكثر ما تستعمل استفعالاً ومحلها من الإعراب إما خبر لما بعدها إن وقعت قبل ما لا يستغنى عنها نحو : كيف أنت ؟ وكيف كنت ، وإما مفعول ثانٍ لظن وأخواتها نحو : كيف

تظن الأمر وإما نصب على الحال مما بعده إذا وقعت قبل ما يستغني عنها نحو . كيف جاء أخوك ؟ أي على أية حال جاء ؟ وإما نصب على المفعولية المطلقة نحو « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾﴾

الاعراب :

(وإذ) الواو استئنافية وإذ : ظرف لما مضى من الزمن في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر وهذا الاعراب هو الغالب على إذ المذكورة في أوائل القصص في القرآن واختاره الزمخشري وابن عطية وغيرهما من المعربين وقد رده أبو حيان والكرخي ولعل من المتع أن نورد نصاً طريفاً لأبي حيان بهذا الصدد قال : « وليس بشيء لأن فيه اخراج إذ عن بابها وهو أنه لا يتصرف فيه بغير الظرفية أو بإضافة الظرف الزماني إليها » ورد عليه ابن هشام بما تراه مفصلاً في باب الفوائد ومضى أبو حيان يقول : « والذي تقتضيه العربية نصبه بقوله : قالوا أتجعل أي وقت قول الله للملائكة : إني جاعل في الأرض خليفة قالوا : أتجعل كما تقول في الكلام : إذ جئتني أكرمتك أي وقت مجيئك أكرمتك وإذ قلت لي كذا قلت لك كذا فانظر الى هذا الوجه السهل الواضح كيف لم يوفق أكثر الناس الى القول به وارتبكوا في دهياء ، وخطبوا خطب عشواء » (قال) فعل ماض والجملة الفعلية في

محل جر باضافة الظرف اليها (ربك) فاعل (للملائكة) : الجار
والمجرور متعلقان بقال (إني) إن حرف مشبه بالفعل والياء اسمها
(جاعل) خبرها (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بجاعل إذا كانت
بمعنى خالق وفي محل نصب مفعول به ثان إذا كانت اسم فاعل من
الجعل بمعنى التصيير وجملة اني جاعل في محل نصب مقول القول
(خليفة) مفعول به لجاعل لأنه اسم فاعل (قالوا) : فعل ماض مبني
على الضم لاتصاله بواو الجساعة والواو فاعل والجملة لا محل لها
لأنها استئنافية (أتجعل) الهزة للاستفهام التعجبي المجرّد كأنهم
يطلبون استكناه ما خفي عليهم من الحكمة الباهرة ، وتجعل فعل
مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت (فيها)
جار ومجرور لك أن تعلقهما بجعل إذا كانت بمعنى الخلق وأن تجعلهما
في موضع المفعول الثاني المقدم إذا كانت بمعنى التصيير (يفسد) فعل
مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة لا محل لها من الاعراب
لأنها صلة الموصول (فيها) جار ومجرور متعلقان بيفسد (ويسفك)
فعل مضارع معطوف على يفسد داخل حيّز الصلة (الدماء) مفعول به
(ونحن) الواو حالية ونحن ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (نسبح)
فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن والجملة الفعلية في محل
رفع خبر نحن (بحمدك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي
متلبّسين بحمدك (ونقدس) فعل مضارع معطوف على نسبح (لك)
جار ومجرور متعلقان بنقدس وجعلها بعضهم زائدة والكاف مفعول
لنقدس ، (قال) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة مستأنفة
(إني) ان واسمها (أعلم) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر
تقديره أنا والجملة خبر ان (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول

به (لا) نافية (تعلمون) فعل مضارع مزروع بثبوت النون والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة إني أعلم الاسمية في محل نصب مقول القول .

البلاغة :

في الاستفهام الوارد في قوله : أتجعل ، خروج لمعناه الأصلي عن موضوعه فهو للتعجب كما اخترنا في الإعراب وقيل : هي للاسترشاد أي أتجعل فيها من يفسد كمن كان فيها من قبل ، وقيل استفهموا عن أحوال أنفسهم أي أتجعل فيها مفسداً ونحن مقيمون على طاعتك لا نفتر عنها طرفة عين ، وقال آخرون هي للإيجاب ، والواقع أن كل لفظ استفهام ورد في كتاب الله تعالى لا يخلو من أحد الوجوه الستة الآتية :
 ١ - التوبيخ ، ٢ - التعجب ، ٣ - التسوية ، ٤ - الإيجاب ، ٥ - الأمر ، ٦ - التقرير . أما الاستفهام الصريح فلا يقع من الله تعالى في القرآن لأن المستفهم متعلم ما ليس عنده والله عالم بالأشياء قبل كونها ، فالتوبيخ نحو : « أذهبتم طياتكم » والتقرير : « أنت قلت للناس » ؟ والتسوية نحو : « سواء عليهم أأنذرتهم » والإيجاب نحو : « أتجعل فيها من يفسد فيها » ، والأمر نحو : « أسلمتم » فعلى هذا يعرف ما جاء في كتاب الله فاعرف مواضعه وتدبر .

الفوائد :

١ - إذ ظرف للزمن الماضي ولا تقع بعدها إلا الجملة وقد تحذف الجملة ويعوض عنها بالتنوين ويسمى تنوين العوض نحو : « ويومئذ يفرح المؤمنون » والأصل يوم إذ غلبت الروم يفرح

المؤمنون فحدثت جملة غلبت الروم وجيء بالتنوين عوضاً عنها فالتقى ساكنان : ذال والتنوين فكسرت الذال على أصل التقاء الساكنين ويتلخص إعرابها بخمسة أوجه :

٢ - أن تكون ظرفاً نحو : « فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا » •

ب - أن تكون مفعولاً به : وهو الغالب على إذ المذكورة في أوائل التنزيل •

ج - أن تكون بدلاً من المفعول نحو : « واذكر في الكتاب مريم إذ اتبنت » فإذا بدل اشتمال من مريم •

د - أن يضاف إليها اسم زمان صالح للاستغناء عنه نحو : « يومئذ تحدث أخبارها » •

هـ - وترد إذ للمفاجأة وتقع بعد بينا وبينما • قال الشاعر :

إستقدر الله خيراً وارضيّن به فينما العسر إذ دارت مياسير

وعندما تكون إذ للمفاجأة ماذا يكون إعرابها ؟ عندئذ يكون الأرجح اعتبارها حرفاً للمفاجأة •

٢ - هذا وقد اختلفت الأقوال كثيراً في معرفة الكيفية التي عرف الملائكة أن ذرية آدم يفسدون في الأرض وأقرب ما رأيناه فيها الى المنطق أنهم علموا ذلك من لفظ خليفة قالوا : الخليفة هو الذي يحكم بين الخصوم ، والخصم إما أن يكون ظالماً أو مظلوماً ومتى حصل التظالم بينهم حصل الفساد في الأرض واستشرى •

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ قَالَ يَتَّبِعُكُمْ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

اللغة :

(آدم) : اسم علم أعجمي كآذر وعابر وعاذر وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة ، وأخطأ من زعم أنه مشتق من الأدمة أي السرة أو من أديم الأرض أي وجهها لأن الاشتقاق من خصائص العربية ، وللإمام الطبري زعم لا نعلم كيف صدر عنه وهو أنه فعل رباعي سدسي به ومن هذا الخطأ محاولتهم اشتقاق يعقوب من العقب وإبليس من الإبلّاس ، وإذن يحق لنا أن نتساءل : لم منعت هذه الأعلام من الصرف لولا العلمية والعجمة ؟ فتنبّه لهذا الفصل .

الاعراب :

(وعلم) الواو حرف عطف وعلم فعل ماض مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره هو يعود على الله ، والجملة معطوفة على جمل محذوفة تقديرها : فجعل في الأرض خليفة وسماه آدم (آدم)

مفعول به أول (الأسماء) مفعول به ثان (كلها) تأكيد للأسماء (ثم)
 حرف عطف للترتيب مع التراخي (عرضهم) عطف على جملة وعلّم
 أي وعرض المسميات أو ألقاها في قلوبهم وغلب العقلاء على غير العقلاء
 وتلك سنة من سنن العرب في كلامهم (على الملائكة) جار ومجرور متعلقان
 بعرضهم (فقال) عطف على جملة عرضهم (أنبئوني) فعل أمر والمقصود
 من الأمر هنا التعجيز وهو مبني على حذف النون لأن مضارعه من
 الأفعال الخمسة والواو فاعل والنون للوقاية والياء ضمير متصل في
 محل نصب مفعول به (بأسماء) الجار والمجرور في موضع المفعول
 الثاني (هؤلاء) اسم الإشارة مبني على الكسر في محل جر بالاضافة
 (إن) حرف شرط جازم (كنتم) فعل ماض ناقص والتاء اسمها
 (صادقين) خبرها وكنتم في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف
 تقديره فأنبئوني ، (قالوا) فعل وفاعل (سبحانك) مفعول مطلق وهو
 مصدر لا يكاد يستعمل إلا مضافاً منصوب بإضمار فعله كعباد الله
 (لا) نافية للجنس من أخوات إن المشبهة بالفعل (علم) اسمها المبني
 على الفتح (لنا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (إلا) أداة
 حصر (ما) مصدرية أو اسم موصول وهي مع مدخولها أو هي وحدها
 في موضع الرفع على البدلية من محل لا واسمها نحو لا إله إلا الله
 وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه (علمتنا) فعل وفاعل ومفعول والجملة
 لا محل لها لأنها صلة الموصول (انك) ان واسمها (أنت) ضمير فصل
 أو عناد لا محل لها (العليم) خبر إن الأول (الحكيم) خبر إن الثاني
 ويجوز أن تعرب أنت مبتدأ خبراه العليم الحكيم والجملة الاسمية في
 محل رفع خبر إن (قال) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو
 والجملة ابتدائية لا محل لها (يا آدم) ياء حرف نداء للمتوسط وآدم

منادى مفرد علم مبني على الضم (أنبئهم) فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (بأسمائهم) في موضع المفعول الثاني (فلما) الفاء عاطفة على جملة محذوفة والتقدير : فأنبأهم بأسمائهم فلما أنبأهم وحذفت الجملة لوضوح المعنى ولما ظرفية بمعنى حين أو رابطة متفصلة معنى الشرط على كل حال (أنبأهم) الجملة في محل جر باضافة الظرف إليها إن جعلت لما ظرفية أو معطوفة إن كانت للربط (بأسمائهم) الجار والمجرور متعلقان بأنبأهم (قال) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ألم) الهمزة للاستفهام التقريري والهمزة إذا دخلت على النفي أفادت التقرير ولم حرف نهي وقلب وجزم (أقل) فعل مضارع مجزوم بلم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنا (لكم) الجار والمجرور متعلقان بأقل (إني) ان واسمها (أعلم) فعل مضارع مرفوع والجملة الفعلية خبر إن وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول القول (غيب السموات) مفعول اعلم (والأرض) عطف على السموات (وأعلم) عطف على أعلم الأولى (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (تبدوون) فعل مضارع مرفوع وجملة تبدوون لا محل لها لأنها صلة (وما) عطف على ما الأولى (كنتم) كان واسمها (تكتمون) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم .

البلاغة :

الطباق بين السموات والأرض وبين تبدوون وتكتمون . هذا وإن الطباق من الألفاظ التي خالفت مضمونها ولذلك سماه بعضهم التضاد والتكافؤ وهو الجمع بين معنيين متضادين ولا مناسبة بين معنى

المطابقة لغة واصطلاحاً فإنها في اللغة الموافقة . يقال : طابقت بين الشيئين إذا جعلت أحدهما على حذو الآخر . وابن الأثير يعجب لأنه لا يعرف من أين اشتقت هذه التسمية إذ لا مناسبة بين الاسم ومساها ، وقدامة يسيه التكافؤ ، ولا فرق بين أن يكون التقابل حقيقياً أو اعتبارياً أو تقابل السلب والایجاب . ومن طباق السلب قول السوءل:

ونكر إن شئنا على الناس قولهم

ولا ينكرون القول حين نقول

فقد طابق بين نكر وهو إيجاب ، وبين ولا ينكرون وهو سلب
ويصبح الطباق مقابلة حين يؤتى بمعنىين أو أكثر ثم يؤتى بما يقابل
ذلك على الترتيب كقول البحتري :

فإذا حاربوا أذلوا عزيزاً وإذا سالموا أعزّوا ذليلاً

وما زال الناس يعجبون من جمع البحتري بين ثلاث مطابقات
في قوله :

وأمة كان قبح الجور يشحطها دهرأ فأصبح حسن العدل يرضيها

حتى جاء أبو الطيب فزاد عليه مع عنوبة اللفظ ورشاقة الصنعة
وطابق بين خمسة وخمسة :

أزورهم وسود الليل يشفع لي

وأثني وبياض الصبح يغري بي

فقد طابق بين الزيارة والاثناء وبين السواد والبياض وبين الليل والصبح وبين يشفع ويفري وبين لي وبى .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى
وَأَسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَتَّخِذُمْ أَسْكُنًا أَنْتَ
وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا
كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ
وَمَتَّعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾

اللمعة :

(إبليس) اختلف فيه أهو مشتق أم لا ؟ والصحيح انه علم أعجبي ولهذا لم ينصرف للعلمية العجمية ولو كان مشتقا من الإبلان أي اليأس لانصرف وقد تقدمت الإشارة الى ذلك .

(رغدا) يقال : رغد العيش بالضم رغادة اتسع ولان فهو رغيد ورغد بالكسر رغدا بفتحين فهو راغد .

(فأزلهما) يحتمل معنيين أولهما : أظهر زلتهما وثانيهما أبعدهما .

الاعراب :

(واِذْ) الواو حرف عطف واِذ ظرف لما مضى من الزمن (قلنا) :
 فعل وفاعل والجملة الفعلية في محل جرّ بإضافة الظرف اليها (للملائكة)
 جار ومجرور متعلقان بقلنا (اسجدوا) فعل أمر مبني على حذف النون
 والواو فاعل والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (لآدم) جار
 ومجرور متعلقان باسجدوا (فسجدوا) الفاء عاطفة وسجدوا فعل وفاعل
 (إلا) أداة استثناء (إبليس) مستثنى بإلا متصل إن كان إبليس في
 الأصل من الملائكة وقيل منقطع لأنه ليس منهم (أبى) فعل ماض مبني
 على الفتح المقدر على الألف والجملة الفعلية في محل نصب على الحال أي
 حال كونه رافضاً للأمر مستكبراً له كافراً به (واستكبر) الواو حرف
 عطف واستكبر فعل ماض معطوف على أبى (وكان) الواو حرف عطف
 وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو (من الكافرين)
 الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر كان (وقلنا) الواو حرف عطف
 وقلنا فعل وفاعل معطوف على قلنا واختلاف الزمانين ليس علة مانعة
 من عطف الفعل على الفعل (يا آدم) يا حرف نداء للمتوسط وآدم
 منادى مفرد علم مبني على الضم في محل نصب (اسكن) فعل أمر
 وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (أنت) تأكيد للفاعل المستتر في اسكن
 (وزوجك) الواو حرف عطف وزوجك معطوف على الضمير المستكن
 في اسكن وحسن عطف الظاهر على الضمير توكيده بالضمير المنفصل
 (الجنة) مفعول به على السعة (وكلا) الواو حرف عطف وكلا فعل
 أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والألف
 ضمير متصل في محل رفع فاعل (منها) الجار والمجرور متعلقان بكلا
 (رغداً) صفة لمصدر محذوف أي أكلا رغداً فهو مفعول مطلق ويجوز

أن يعرب حالا مؤولة بالمشتق أي راغدين هائثين (حيث) ظرف مكان مبني على الضم متعلق بكلا وقد أطلق لهما الأكل والرغد في الجنة حتى يقطع عليهما منافذ العذر إذا خطرت لهما شجرة واحدة معينة وفي أشجار الجنة الكثيرة مندوحة عنها (شئتما) الجملة الفعلية في محل جر بإضافة ظرف المكان اليها (ولا تقربا) الواو حرف عطف ولا ناهية وتقربا فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون والألف فاعل (هذه) اسم إشارة في محل نصب مفعول به (الشجرة) بدل من اسم الإشارة (فتكونا) الفاء فاء السببية وتكونا فعل مضارع منصوب بأن مضرة بعد فاء السببية والألف ضمير متصل في محل رفع اسم تكونا (من الظالمين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر تكونا (فأزلهما) الفاء عاطفة على محذوف مقدر يقتضيه سياق الكلام أي فأكلا من الشجرة عينهما وأزلهما فعل ماض مبني على الفتح والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به والميم والألف حرفان دالان على التثنية (الشيطان) فاعل أزل (عنها) الجار والمجرور متعلقان بأزلهما أو بمحذوف حال (فأخرجهما) عطف على أزلهما (مما) جار ومجرور متعلقان بأخرجهما (كانا) فعل ماض ناقص والألف اسمها (فيه) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانا (وقلنا) معطوف على ما تقدم وجملة كان لا محل لها لأنها صلة الموصول (اهبطوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول القول (بعضكم) مبتدأ (لبعض) متعلق بقوله (عدو) وهو خبر المبتدأ أو متعلق بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعدو وتقدمت عليه . وجملة بعضكم الخ جملة اسمية في محل نصب حال أي متعادين (ولكم) الواو حرف عطف ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم

(في الأرض) متعلقان بالاستقرار الذي تعلق به الخبر أو بمحذوف
حال (مستقر) مبتدأ مؤخر (ومتاع) عطف على مستقر (الى حين)
الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع أي تمتد الى يوم القيامة .

الفوائد :

(أبى) من الأفعال الواجبة التي معناها النفي ولهذا يفرغ ما بعد
إلا معها كما يفرغ الفعل المنفي قال تعالى : « ويأبى الله إلا أن يتم نوره »
ولا يجوز ضربت إلا زيدا على أن يكون استثناء مفرغاً لأن إلا لا تدخل
في الواجب .

﴿ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ ۖ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝
﴿٢٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ
فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٨﴾ ۝

الاعراب :

(فتلقى) الفاء استئنافية وتلقى فعل ماض مبني على الفتح
المقدر (آدم) فاعل (من ربه) الجار والمجرور متعلقان بتلقى
(كلمات) مفعول به ونصب بالكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (فتاب)
الفاء حرف عطف على محذوف يقتضيه المقام أي فقالها فتاب (عليه)
متعلقان بتاب (انه) ان واسمها (هو) ضمير فصل أو عماد لا محل

نه ويجوز أن يكون مبتدأ (التواب) خبر ان الاول (الرحيم) خبر
 إن الثاني ويجوز أن يكونا خبرين لهو والجملة الاسمية خبر لأن
 (قلنا) فعل وفاعل (اهبطوا) الجملة الفعلية مقول القول (منها)
 متعلقان باهبطوا (جميعاً) حال من الواو وجملة قلنا اهبطوا تابعة
 لجملة وقلنا اهبطوا تأكيداً لها ولتناط بها زيادة جديدة (فإما) الفاء
 عاطفة وإن شرطية وما زائدة للتأكيد (يأتينكم) فعل الشرط مجزوم
 وبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والكاف ضمير متصل
 في محل نصب مفعول به (مني) الجار والمجرور متعلقان يأتينكم
 (هدى) فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف المحذوفة
 لالتقاء الساكنين (فمن) الفاء رابطة لجواب الشرط ومن اسم شرط
 جازم في محل مبتدأ (تبع) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط
 والفاعل مستتر تقديره هو (هداي) مفعول تبع وعلامة نصبه الفتحة
 المقدرة على ما قبل ياء المتكلم المضافة الى هدى والفاء ومدخولها في
 محل جزم جواب الشرط (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط وهو من
 ولا نافية (خوف) مبتدأ وساغ الابتداء به وهو نكرة لتقدم النفي
 عليه وهو أحد مسوغات الابتداء بالنكرة (عليهم) الجار والمجرور
 متعلقان بمحذوف خبر خوف ولك أن تعمل لا عمل ليس فيكون خوف
 اسمها وعليهم خبرها (ولا) عطف على لا الأولى (وهم) مبتدأ أو
 اسم لا العاملة عمل ليس (يحزنون) الجملة الفعلية في محل رفع أو
 نصب خبر هم أو خبر لا وجملة فعل الشرط وجوابه خبر من .

الفوائد :

الراجع عند النحاة أن اسم الشرط إذا وقع مبتدأ وذلك إذا وقع
 بعده فعل لازم نحو : من يذهب أذهب معه ، أو فعل متعد استوفى

مفعوله نحو : « من يعمل سوءاً يجز به » فالخير هو جملة فعل الشرط وهناك من النحاة من يجعل جملة الجواب هي الخير ومنهم من يجعل الخير جملة فعل الشرط وجوابه معاً وهذا ما وقع اختيارنا عليه .

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٢٦) يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ ﴿٢٧﴾ وَءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ ﴿٢٨﴾ ﴿

اللغة :

(إسرائيل) : اختلفوا فيه والأصح أنه علم أعجمي ولهذا منع من الصرف وهو مركب تركيب الاضافة فإن إسرا هو العبد بالعبرية وإيل هو الله وقد تصرف العرب فيه بلغات أصحها لغة القرآن ، وهو لقب ليعقوب وقرأ أبو جعفر والأعمش إسرائيل بياء بعد الألف من غير همز وروي عن ورش إسرائيل بهمزة بعد الألف دون ياء وإسرا بالالف محضة بين الراء واللام وتروى قراءة عن نافع : إسرائيلين أبدلوا من اللام نوناً كأصيلان ، هذا وتتعاقب اللام والنون في كلمات مسموعة منها : عنوان الكتاب وعلوانه وأبنت الميت وأبنته إذا أثنت عليه بعد موته وغيرها .

الاعراب :

(والذين) الواو حرف عطف والذين مبتدأ والجملة معطوفة على قوله في الآية السابقة فمن تبع هداي لأنها قسيمة وكان مقتضى التقسيم أن يقول : ومن لم يتبع هداي ، ولكنه عدل عنه ليبرز التقسيم مسجلاً عليه الكفر (كفروا) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (وكذبوا) معطوف على كفروا داخل في حيّز الصلة (بآياتنا) الجار والمجرور متعلقان بكذبوا (أولئك) اسم إشارة مبتدأ ثان (أصحاب النار) خبر أولئك والجملة الاسمية خبر الذين (هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدون (خالدون) خبرهم والجملة الاسمية في محل رفع خبر ثان للمبتدأ الذي هو أولئك ويحتل أن تكون في محل نصب على الحال وأعربها بعضهم مفسرة لا محل لها لقوله : « أولئك أصحاب النار » لبيان أن صحبتهم للنار ليست لمجرد الاقتران بل هي للديمومة والخلود وهو إعراب سائغ وجميل (يا بني) يا حرف نداء وبني منادى مضاف وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة لأنه ملحق بجمع المذكر السالم وقد تغير بناء مفردة وأصل ابن واوي والبنوة دليل عليه وقيل : أصله يائي لأنه مشتق من البناء وهو وضع الشيء على الشيء والابن فرع عن الأب فهو موضوع عليه وجمع جمع تكسير فقالوا أبناء وجمع جمع سلامة فقالوا بنون (إسرائيل) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجبة (اذكروا) فعل أمر مني على حذف النون لاتصاله بواو الجعاعة والواو فاعل (نعمتي) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم والياء مضاف إليه (التي) اسم موصول في محل

نصب نعت لنعمتي (أنعمت) فعل وفاعل (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بأنعمت وجملة أنعمت لا محل لها لأنها صلة الموصول (وأوفوا) عطف على اذكروا (بعهدي) الجار والمجرور متعلقان بأوفوا (أوف) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (بعهدكم) الجار والمجرور متعلقان بأوف (وإياي) الواو عطف وإياي ضمير منفصل في محل نصب مفعول به مقدم لارهبوا مقدر لاستيفاء فارهبون مفعوله وهو الياء المقدرة والأصل فارهبوني (فارهبون) الفاء في هذا التركيب الذي تكرر في القرآن كثيراً فيها قولان : أحدهما أنها جواب مقدر تقديره تنبّهوا أو نحوه كقولك : الكتاب فخذ ، أي تنبّه فخذ الكتاب ثم قدم المفعول إصلاحاً للتفظ لئلا تقع الفاء صدراً ، وثانيهما : أنها زائدة (وآمنوا) عطف على ما تقدم (بما) الجار والمجرور متعلقان بآمنوا (أنزلت) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (مصدقاً) حال من اسم الموصول (لما) اللام حرف جر مقويّة للتعدية وما اسم موصول مبني على السكون في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدقاً (معكم) ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محلّ له من الإعراب لأنه صلة الموصول (ولا) الواو حرف عطف ولا ناهية (تكونوا) فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون والواو اسمها (أول) خبر تكونوا (كافر) مضاف إليه (به) متعلقان بكافر (ولا تشتروا) عطف على ولا تكونوا (بآياتي) الجار والمجرور متعلقان بتشتروا (ثمناً) مفعول به لتشتروا (قليلاً) صفة (وإياي فاتقون) تقدم اعراب هذا التركيب .

البلاغة :

في قوله تعالى : « أوف بعهدكم » فن يقال له التعطف وفحواه إعادة اللفظة بعينها في الجملة من الكلام ويسميه بعضهم فن المشاركة ، ويدخل في عموم العهد عهد الله الذي أخذه عليهم وعلى البشر كافة وهو التدبّر ، ووزن كل ما يعرض لهم في حياتهم بميزان العقل والنظر وهو ميزان لا يطيش ، لا بميزان الهوى والغرور وهو ميزان طائش .

الفوائد :

انطوت هذه الآيات الآتية على فوائد متعددة ندرجها فيما يلي :

١ - مقتضى القياس أن يقول : أول كافرين به ليطابق الواو في قوله : تكونوا ولكنه عدل عن ذلك لأسباب هي :

أ - أنه على حذف الموصوف والتقدير أول فريق كافر به .

ب - النكرة المضاف إليها اسم التفضيل يجب افرادها نحو : أنت أفضل رجل وأتما أفضل رجل وأتم أفضل رجل .

٢ - نحو قوله : « وإياي فارهبون » هو من باب الاشتغال وإيا فيه منصوبة بفعل محذوف يفسره المذكور ولا يصح أن يكون الضمير مفعولاً مقدماً للفعل الذي يليه لأن الفعل نصب الضمير الذي بعد نون الوقاية والمحذوف للتخفيف .

﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٢)
 وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣)

اللغة :

(ولا تلبسوا) يقال : لبست الشيء بالشيء : خلطته به والمصدر اللبس بفتح اللام المشددة .

الاعراب :

(ولا تلبسوا) الواو حرف عطف ولا ناهية وتلبسوا : فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (الحق) مفعول به (بالباطل) الجار والمجرور متعلقان بتلبسوا والباء للملابسة أو للاستعانة (وتكتموا) : الواو عاطفة وتكتموا فعل مضارع مجزوم عطفاً على تلبسوا داخلة تحت حكم النهي ولك أن تجعلها للمعية وتكتموا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعدها وهي مسبقة بالنهي (الحق) مفعول به (وأنتم) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تعلمون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وجملة تعلمون الفعلية خبر أتم وجملة وأنتم تعلمون الاسمية حالية (وأقيموا) الواو عاطفة وأقيموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الصلاة) مفعول به (وآتوا الزكاة) عطف على أقيموا الصلاة (واركعوا) عطف أيضاً (مع) ظرف مكان متعلق باركعوا (الراكعين) مضاف إليه .

﴿تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٤٤) ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ (٤٥) ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّ هُمُ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٤٦)

اللفظة :

(بالبر) البر بكسر الباء الصلة والطاعة والصلاح والصدق والبر بفتح الباء الصحراء والبر بضمها القمح والواحدة برّة .

(الخاشعين) الخشوع : الخضوع والذل ومن مجاز هذه المادة أرض خاشعة أي متطامنة وخشعت الجبال وخشعت دونه الابصار .

الاعراب :

(تأمرون) الهمزة للاستفهام الإنكاري بل تجاوز هنا الإنكار إلى التوبيخ والتقريع والتعجب من حال هؤلاء اليهود لأنه ليس هناك أقبح في العقول من أن يأمر الإنسان غيره بخير وهو لا يأتيه ، وتأمرون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل (الناس) مفعول به (بالبر) الجار والمجرور متعلقان بتأمرون (وتنسون) عطف على تأمرون (أنفسكم) مفعول به (وأنتم) الواو واو الحال وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تتلون) فعل مضارع مرفوع وعلامة

رفعه ثبوت النون وجملة تتلون الفعلية خبر أتم وجملة وأتم الاسمية
 حالية من فاعل تنسون (الكتاب) مفعول به (أفلا) الهمزة للاستفهام
 الإنكاري والفاء حرف عطف ولا نافية (تعقلون) فعل مضارع مرفوع
 وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وسيأتي سر هذا التركيب
 (واستعينوا) عطف على ما تقدم (بالصبر) جار ومجرور متعلقان
 باستعينوا (والصلاة) عطف على الصبر (وانها) الواو حالية وان
 واسمها (لكبرة) اللام هي المرحلة وكبرة خبر إن (إلا) أداة حصر
 (على الخاشعين) الجار والمجرور متعلقان بكبرة فهو استثناء مفرغ
 لأن ما قبل إلا ليس فيه ما يتعلق بكبرة لتستثنى منه فهو كقولك هو
 كبير عليّ ولأن الكلام مؤول بالنفي أي وإنها لا تخف ولا تسهل إلا
 على الخاشعين فتنبه لهذا فإنه من الدقائق (الذين) اسم موصول مبني
 على الفتح في محل جر صفة للخاشعين (يظنون) فعل مضارع مرفوع
 وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة
 الموصول (أنهم) ان واسمها (ملاقو) خبرها (ربهم) مضاف اليه وإن
 وما في حيزها سدت مفعولي يظنون (وانهم) عطف على انهم (اليه)
 جار ومجرور متعلقان براجعون (راجعون) خبر انهم •

البلاغة :

في قوله : وأتم تتلون الكتاب فقد صدر الكلام بالضمير زيادة
 في المبالغة وتسجيلاً للتبكيك والتوبيخ عليهم بعد أن عبّر عن تركهم
 فعلهم البر بالنسيان زيادة في مبالغة الترك أي فكأن البر لا يخالـج
 قوسهم ولا يدور لهم في خلد لأن نسيان الشيء يترتب عليه تركه أو
 استعمال السبب في المسبب •

الفوائد :

١ - القاعدة في العربية أن ضمير الغائب لا يعود على غير الأقرب إلا بدليل وقد كان مقتضى الظاهر أن يعود الضمير في قوله : انها على الصلاة لأنها الأقرب جرياً على مقتضى الظاهر وكف عن خبر الأول لعلم المخاطب بأن الأول داخل ضمناً فيما دخل فيه الآخر وهو مطّرد في كلامهم . قال الانصاري :

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والأمر مختلف

أراد نحن راضون وأنت بما عندك راض فكف عن خبر الأول إذ قام دليل على معناه . ومنه قول الآخر :

إن شرخ الشباب والشعر الأسود ما لم يثعاصَ كان جنونا

وقيل يعود على المصدر المفهوم من قوله واستعينوا أي الاستعانة .

٢ - إذا اجتمعت همزة الاستفهام وحرف العطف ففيها مذهبان :

أ - مذهب سيويه وهو أن الهمزة في نية التأخير عن حرف العطف ولما كان لها صدر الكلام قدمت عليه وذلك بخلاف هل .

ب - مذهب الزمخشري وهو أن الواو والفاء وثم بعد الهمزة واقعة موقعها وليس في الأمر تقديم ولا تأخير ويجعل بين الهمزة وحرف العطف جملة مقدرة يصح العطف عليها وتلائم سياق الكلام فيقدر هنا : أتفعلون فلا تفعلون ولا نرى مرجحاً لأحد المذهبين على الآخر .

٣ - اللام المزحلقة : هي لام الابتداء زحلت الى الخبر لدخول إن عليها وقد تزحلق الى الاسم نحو : « إن من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا » .

﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١٧) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٨﴾

اللغة :

(عدل) بفتح العين وهو الفداء لأنه معادل " للمفدي " قيمة وقدراً وإن لم يكن من جنسه ، وبكسر العين هو المساوي في الجنس والجرم ويقال : عدل وعديل .

الاعراب :

(يا) حرف نداء للمتوسط (بني إسرائيل) منادى مضاف وقد تقدم القول فيها قريباً (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (نعمتي) مفعول به (التي) اسم موصول في محل نصب صفة لنعمتي (أنعمت) فعل وفاعل والجملة لامحل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (عليكم) جار ومجرور متعلقان بأنعمت وقد تقدمت هذه الجملة بنصها وإنما أعيدت للتوكيد وقرع العصا وتنبيه أذهانهم الكلية عن سماع الخير (وأني) الواو حرف عطف وان واسمها عطف

على نعمتي فهي في محل نصب ولذلك فتح همزتها (فضلتكم) الجملة في محل رفع خبر أني (على العالمين) جار ومجرور متعلقان بفضلتكم وال في العالمين للعهد لا للجنس لئلا يلتزم تفضيلهم على جميع الناس والمراد على عالمي زمانهم (واتقوا) الواو حرف عطف واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (يوماً) مفعول به على حذف مضاف أي عذاب يوم أو هول يوم ويجوز نصبه على الظرفية والمفعول به محذوف تقديره اتقوا العذاب يوماً (لا) نافية (تجزي) فعل مضارع (نفس) فاعل تجزي والجملة الفعلية في محل نصب صفة ليوماً (عن نفس) الجار والمجرور متعلقان بتجزي (شيئاً) مفعول به ويجوز أن يكون اتصابه على المصدر أي لا تجزي شيئاً من الجزاء فيه وفيه إشارة إلى القلة والضالة (ولا) الواو حرف عطف ولا نافية (يقبل) فعل مضارع مبني للمجهول (منها) جار ومجرور متعلقان بتقبل (شفاعة) نائب فاعل (ولا) عطف على ما تقدم (يؤخذ) فعل مضارع مبني للمجهول (منها) جار ومجرور متعلقان بيؤخذ (عدل) نائب فاعل (ولا) عطف أيضاً (هم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (ينصرون) فعل مضارع مبني للمجهول والواو ضمير متصل في محل رفع نائب فاعل والجملة الفعلية خبرهم .

البلاغة :

أتى بالجملة المعطوفة الأخيرة وهي « ولا هم ينصرون » اسية مع أن الجمل التي قبلها فعلية للمبالغة والدلالة على الثبات والديمومة أي أنهم غير منصورين دائماً ولا عبرة بما يصادفونه من نجاح مؤقت .

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يَذْبَحُونَ
أَبْنَاءَكَ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكَ ۚ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكَ عَظِيمٌ ۝٩٩﴾

اللفظة :

(يسومونكم) من سامه خسفاً إذا أولاه ظلماً . قال عمرو بن كلثوم:

إذا الملكُ سامَ الناسَ خسفاً أيينا أنْ نقرَّ الذِّلَّ فينا

وأصله من سام السلعة إذا طلبها .

(بلاء) محنة واختبار .

الاعراب :

(وإذ) الواو عاطفة ، وإذ : ظرف لما مضى من الزمان متعلق
بأذكر مقدرة وقد تقدم القول فيها (نجيناكم) فعل ماض مبني على
السكون ونا ضمير متصل في محل رفع فاعل والكاف ضمير متصل في
محل نصب مفعول به والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (من آل
فرعون) الجار والمجرور متعلقان بنجيناكم وفرعون مضاف اليه وعلامة
جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجبة
وفرعون يطلق على كل من ملك العساقلة بمصر كقيصر ملك الروم
وكسرى ملك الفرس (يسومونكم) الجملة في محل نصب على الحال

ويحتل أن تكون مستأنفة (سوء العذاب) مفعول به ثان لأن سام يتعدى لاثنين ويحتمل أن تكون منصوبة على المصدرية فهي صفة لمصدر محذوف أي يسومونكم سوماً سوء العذاب (يذبحون) الجملة تفسيرية لامحل لها ولك أن تجعلها بدلاً من جملة يسومونكم (أبناءكم) مفعول به (ويستحيون) عطف على يذبحون والاستحياء : الاستبقاء (نساءكم) مفعول يستحيون والنساء جمع نسوة ونسوة جمع امرأة من حيث المعنى وقيل النسوة والنساء جمعان لامرأة على المعنى (وفي ذلكم) الواو مستأنفة والجار والمجرور خبر مقدم (بلاء) مبتدأ مؤخر (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لبلاء (عظيم) صفة ثانية لبلاء .

﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكَ الْبَـحْرَ فَأُتِجَيْنَكَ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾
 ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾
 ﴿ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

اللمعة :

(واعدنا) وواعدنا بمعنى واحد وليس هو من باب المفاعلة التي تقتضي المشاركة مثل قولك : عافاه الله وعاقبت اللص .

(موسى) علم أعجمي لا ينصرف وهو في الأصل مركب والأصل موسى بالشين المعجمة لأن الماء بالعبرية يقال له مو والشجر يقال له شا

فعربته العرب وقالوا : موسى ، أما موسى الحلق المعروفة فهي مشتقة من ماس ييس إذا تبختر في مشيته وقلبت الياء واواً لأنها وقعت بعد ضم كموقن لأن موسى تتحرك عند الحلق بها وقيل : هي مشتقة من لوسيت رأسه إذا حلقتة والموسى تذكر وتؤنث وتجمع على مواسي وموسيات •

الاعراب :

(وإذ) تقدم إعرابها كثيراً (فرقنا) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (بكم) الجار والمجرور متعلقان بفرقنا أو محذوف حال أي فصلناه ملتبساً بكم والمعنى أن فرق البحر حصل بدخولكم إياه (البحر) مفعول به (فأنجيناكم وأغرقنا) عطف أيضاً (آل فرعون) مفعول به وفرعون مضاف إليه (وأتم) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تنظرون) الجملة الفعلية في محل رفع خبر أتم والجملة الاسمية في محل نصب على الحال من الكاف في أنجيناكم (وإذ) عطف على وإذ الأولى (واعدنا) الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (موسى) مفعول به أول (أربعين) مفعول به ثان ولا يجوز أن ينصب على الظرفية لفساد المعنى إذ ليس وعده في أربعين ليلة وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (ليلة) تمييز ملفوظ والعامل في هذا النوع اسم العدد قبله (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (اتخذتم) معطوف على واعدنا (العجل) مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف لأنه مفهوم من سياق الكلام أي إلهاً (من بعده) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وأتم) الواو حالية وأتم مبتدأ (ظالمون) خبره والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (ثم غفونا)

عطف على ما تقدم (عنكم) الجار والمجرور متعلقان بعفونا (من بعد ذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال والاشارة الى المصدر المفهوم من اتخذ أي من بعد ذلك الاتخاذ (لعلكم) لعل واسمها (تشكرون) الجملة الفعلية في محل رفع خبر لعل وجملة الرجاء حالية .

﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ ۖ يَتَقَرَّبُ إِلَيْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾

اللفظة :

(لقومه) : القوم : اسم جمع لا واحد له من لفظه وإنما واحده امرؤ وقياسه أن لا يجمع وشذَّ جمعه قالوا : أقوام وجمع جمعه قالوا : أقاويم قيل : يختص بالرجال قال تعالى : « لا يسخر قوم من قوم... ولا نساء من نساء » وقال زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

وقيل : لا يختص بالرجال بل يطلق على الرجال والنساء قال تعالى : « إنا أرسلنا نوحاً الى قومه » والقول الأول أصوب واندراج النساء في القوم هنا على سبيل الاتساع وتغليب الرجال على النساء وسموا قوماً لأنهم يقومون بالأمور .

(بارئكم) : البارئ : الخالق يقال : برأ الله الخلق ، أي خلقهم وأصل مادة برأ يدل على انفصال شيء وتميزه عنه يقال : برأ المريض من مرضه إذا زال عنه المرض وانفصل ، وبرئء المدين من دينه إذا زال عنه الدين وسقط ، ومنه البارئ في أوصاف الله تعالى لأنه الذي أخرج الخلق من العدم وفصلهم عنه الى الوجود .

الاعراب :

(وإذ) تقدم القول فيها (آتينا) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (موسى) مفعول به أول (الكتاب) مفعول به ثان (والفرقان) الواو حرف عطف والفرقان معطوف على الكتاب والمراد بالكتاب التوراة والفرقان ما يفرق بين الحق والباطل ، والهدى والضلالة عطف عليه وان كان المعنى واحداً (لعلكم) لعل واسمها (تهتدون) الجملة الفعلية خبر لعل وجملة الرجاء حالية (وإذ قال موسى) عطف على ما تقدم (لقومه) الجار والمجرور متعلقان بقال (يا قوم) يا حرف نداء وقوم منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة (انكم) إن واسمها (ظلمتم) الجملة الفعلية خبر إن (أنفسكم) مفعول به (باتخاذكم) الجار والمجرور متعلقان بظلمتم والباء للسببية أي بسبب اتخاذكم (العجل) مفعول به للمصدر : انخاذ (فتوبوا) الفاء تعليلية لأن الظلم سبب التوبة وتوبوا فعل أمر مبني على حذف النون (إلى بارئكم) الجار والمجرور متعلقان بتوبوا (فاقتلوا) الفاء للعطف والتعقيب (أنفسكم) مفعول به وسيأتي معنى القتل في باب البلاغة (ذلكم) اسم إشارة مبتدأ (خير) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل على غير القياس إذ القياس أخير ومثله شر والقياس أشر (عند) ظرف متعلق بمحذوف حال (بارئكم) مضاف

إليه (فتاب) الفاء عاطفة على محذوف والتقدير ففعلتم ما أمركم فتاب (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بتاب (إنه) إن واسمها (هو) ضمير فصل أو عماد لا محل له (التواب) خبر إن الأول (الرحيم) خبر إن الثاني أو هو مبتدأ خبراه التواب الرحيم والجملة الاسمية خبر إن .

البلاغة :

١ - في قوله تعالى : « فاقتلوا أنفسكم » مجاز مرسل علاقته اعتبار ما يثول إليه أي أسلموها للقتل تطهيراً لها أي لينفذ هذا الحكم الصادر وهذا أحد الأقوال في القتل وقيل المراد بقتل الأنفس تذليلها وكبح جماحها فإن القتل يرد بمعنى التذليل ومنه قول حسان بن ثابت في وصف الخمر :

إن التي ناولتني فرددتها قتلت ، قتلت ، فهاتها لم تقتل

أراد مزجها بالماء لتذهب سورتها .

٢ - الالتفات في قوله : « فتاب عليكم » والالتفات هنا من التكلم الذي يتطلبه سياق الكلام إذ كان مقتضى المقام أن يقول : فوفقتكم فتبت عليكم .

وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسِي لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

الاعراب :

(واِذْ) تقدم القول فيها (قلتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (يا) حرف نداء للمتوسط (موسى) منادى مفرد علم (لن) حرف هي ونصب واستقبال (تؤمن) فعل مضارع منصوب بـلن، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن، والجملة مقول القول (لك) الجار والمجرور متعلقان بنؤمن (حتى) حرف غاية وجر (نرى) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى (الله) مفعول به (جهره) مفعول مطلق لأنها مصدر جهر أي قرأ بصوت عال فهي بمثابة الذي يرى بالعين ويجوز أن تعرب نصباً على الحال أي جاهرين بالرؤية (فأخذتكم) الفاء عاطفة وأخذتكم فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به مقدم (الصاعقة) فاعل والجملة معطوفة على قلتم (وأنتم) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (تنظرون) فعل مضارع والواو فاعل وجملة تنظرون خبر أنتم وجملة أنتم تنظرون في محل نصب حال (ثم) حرف عطف للترتيب والتراخي (بعثناكم) فعل ماض وفاعل ومفعول به (من بعد) الجار والمجرور متعلقان ببعثناكم (موتكم) مضاف إليه (لعلكم) لعل واسمها وجملة (تشكرون) خبرها وجملة بعثناكم عطف على جملة فأخذتكم .

وَوَضَّلْنَا عَلَيْكَ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ
طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

المغة :

(الغمام) : السحاب الأبيض •

(وظللنا) جعلناه يظللکم •

(المن) : نبات خاص يستعمل طعاماً ويسمى الترنجبین •

(السلوى) : طير معروف يسمى السمانى بضم السين وفتح النون بعدها ألف مقصورة ويعرف في بلاد الشام بالفرى •

الاعراب :

(وظللنا) الواو عاطفة وظللنا فعل وفاعل (عليكم) جار ومجرور متعلقان بظللنا (الغمام) مفعول به وهذه الجملة متصلة بما قبلها في سياق الذكرى منفصلة عنها في الوقوع فإن التظليل استمر إلى دخولهم أرض الميعاد ولولا أن ساق الله إليهم الغمام يظللهم في التيه لسفعتهم الشمس ولفحت وجوههم ولا معنى لوصف الغمام بالرقيق كما قال كثير من المفسرين بل السياق يقتضي كثافته إذ لا يحصل الظل الظليل الذي يفيد حرق التظليل إلا بحساب كثيف يمنع حر الشمس ووجهها (وأنزلنا) عطف على وظللنا (عليكم) جار ومجرور متعلقان بأنزلنا (المن) مفعول به (والسلوى) عطف على المن (كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وجملة كلوا في محل نصب مقول القول أي وقلنا : كلوا (من طبيات) جار ومجرور متعلقان بكلوا (ما) اسم موصول في محل جر بالاضافة (رزقناكم) فعل وفاعل ومفعول

والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما) الواو حرف عطف
وما نافية (ظلمونا) فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على محذوف
يقتضيه سياق الكلام والتقدير فظلموا أنفسهم بكفران تلك النعمة
السابقة (ولكن) الواو حالية ولكن حرف استدراك أهمل لتخفيف
نونه (كانوا) كان واسمها (أنفسهم) مفعول به مقدم ليظلمون
(يظلمون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة الفعلية خبر كانوا وجملة
لكن وما في حيزها في محل نصب على الحال .

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا
الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾

اللفظة :

(القرية) مشتقة من قرئت أي جمعت لجمعها أهلها تقول : قرئت
الماء في الحوض أي جمعته واختلف في القرية فقيل : هي بيت المقدس
وقيل : هي أريحا وهي قرية بغور الأردن .

(حطة) : فعلة بكسر الحاء من الحط .

الاعراب :

(وإذ) تقدم القول فيها (قلنا) فعل وفاعل والجملة في محل جر
بإضافة الظرف اليها (ادخلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو
فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (هذه) الهاء حرف تنبيه

وذه اسم إشارة في محل نصب على المفعوليا اتساعاً (القرية) بدل من اسم الإشارة (فكلوا) الفاء حرف عطف وكلوا عطف على ادخلوا (منها) الجار والمجرور متعلقان بكلوا (حيث) ظرف مكان مبنى على الضم متعلق بمحذوف حال أي متقلين (شئتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (رغداً) مفعول مطلق أو حال (وادخلوا) عطف على ادخلوا (الباب) مفعول به على السعة (سجداً) حال أي متواضعين متظامين كحال الساجد (وقولوا) عطف على وادخلوا (حطة) خبر لمبتدأ محذوف أي سألتنا حطة أو أمرنا حطة والجملة الاسمية مقول القول والأصل فيها النصب لأن معناها حط عنا ذنوبنا ولكنه عدل الى الرفع للدلالة على ديمومة الحط والثبات عليه (نفقر) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (لكم) الجار والمجرور متعلقان بنفقر (خطاياكم) مفعول به (وسنزيد) الواو استئنافية وزيد فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن (المحسنين) مفعول به .

الفوائد :

كل ما كان من ظروف المكان محدوداً غير مشتق لا يجوز نصبه على الظرفية بل يجب جرّه بفي نحو جلست في الدار وأقمت في البلد وصليت في المسجد ، إلا إذا وقع بعد دخل ونزل وسكن فيجوز نصبه على الظرفية أو على نزع الخافض والصحيح أنه منصوب على المفعولية اتساعاً .

﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ

ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾

اللفظة :

(الرجز) بكسر الراء وسكون الجيم : العذاب .

الاعراب :

(فبدل) الفاء استئنافية وبدل فعل ماض (الذين) اسم موصول فاعل وجملة (ظلموا) لا محل لها لأنها صلة الموصول (قولاً) مفعول به (غير) صفة لقولاً (الذي) اسم موصول مضاف اليه (قيل) فعل ماض مبني للمجهول (لهم) الجار والمجرور متعلقان بقيل (فأنزلنا) الفاء حرف عطف وأنزلنا عطف على الجملة السابقة (على الذين) جار ومجرور متعلقان بأنزلنا (ظلموا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (رجزاً) مفعول به (من السماء) جار ومجرور متعلقان بسحذوف صفة لرجزاً أو بأنزلنا (بما) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء أي بسبب فسقهم (كانوا) كان واسمها وجملة (يفسقون) خبرها .

البلاغة :

في هذه الآية ضرب من البلاغة دقيق المسلك وهو وضع الظاهر موضع المضمّر زيادة في تقييح أمرهم وقد رمقه البحرى في مطلع سينيته فقال :

صنت نفسي عما يدتس نفسي وترفعت عن جدا كلّ جيس

فلم يقل يدنسها وإنما وضع الظاهر موضع المضمر لهذا
الغرض الجليل .

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ
فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا
مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾﴾

اللفظة :

(تعشوا) يقال عثا يعشوا وعشي يعشى أي أفسد .

الاعراب :

(وإذ) تقدم القول فيها (استسقى) فعل ماض (موسى) فاعل
(لقومه) جار ومجرور متعلقان باستسقى (فقلنا) الفاء عاطفة وقلنا :
فعل وفاعل (اضرب) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة
في محل نصب مقول القول (بعصاك) الجار والمجرور متعلقان باضرب
(الحجر) مفعول به (فانفجرت) الفاء هي الفصيحة وسيأتي الحديث
عنها في الفوائد وانفجرت فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة أي
فامتثل الأمر فضرب أو فإن ضربت فقد انفجرت (منه) الجار والمجرور
متعلقان بانفجرت (اثنتا عشرة) فاعل انفجرت وعلامة رفعه الألف لأنه
ملحق بالثنى وعشرة جزء العدد المركب مبني على الفتح دائماً (عينا)
تمييز ملفوظ (قد) حرف تحقيق (علم) فعل ماض مبني على الفتح

(كل أفاس) فاعل (مشربهم) مفعول به والجملة لا محل لها لأنها مستأنفة (كلوا واشربوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل واشربوا عطف على كلوا (من رزق الله) الجار والمجرور متعلقان بأي الفعلين شئت (ولا تعثوا) الواو عاطفة ولا ناهية وتعثوا فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون والواو فاعل (في الأرض) جار ومجرور متعلقان بتعثوا وجملة كلوا واشربوا : مقول قول محذوف وقد تقدم نظيره (مفسدين) حال وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم .

الفوائد :

الفاء الفصيحة : سميت بذلك لأنها أفصحت عن مقدر ذلك لأنه لما ذكر عقب الأمر بالضرب الاتجار دل على أن المطلوب بالأمر الاتجار فلذا حذف الضرب على تقدير فضره دلالة على أن المأمور التزم الأمر أي أن المحذوف قد يكون جملة هي السبب المذكور فسميت فصيحة من باب المجاز العقلي .

وَإِذْ قُلْتُمْ يٰمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا
قَالَ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا
سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

اللغة :

(البقل) : كل ما تنبته الأرض من النّجم مما لا ساق له
وجمعه بقول •

(القثاء) : معروف والواحدة قثاء بكسر القاف وضمها والهمزة
أصلية لأن الفعل اقثأت الأرض أي كثر قثاؤها •

(الفوم) : الحنطة وقيل الثوم ولعله أرجح بدليل قراءة
ابن مسعود « وثومها » •

(المسكنة) مصدر ميمي من السكون والخزي لأن المسكين
قليل الحركة والنهوض لما به من الفقر والمسكين مفعيل مبالغة منه قالوا :
ولا يوجد يهودي غني النفس •

(باءوا) : رجعوا •

الاعراب :

(وإذ قلتم يا موسى) تقدم اعرابها قريباً (لن نصبر) لن حرف
تهي ونصب واستقبال ونصبر فعل مضارع منصوب بـلن وفاعله ضمير
مستتر وجوباً تقديره نحن (على طعام) الجار والمجرور متعلقان بنصبر
(واحد) صفة لطعام (فادع) الفاء استئنافية وادع فعل أمر مبني على

حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (لنا) جار ومجرور متعلقان بادع (ربك) مفعول به (يخرج) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (لنا) جار ومجرور متعلقان بيخرج (مما) جار ومجرور متعلقان بيخرج (تنبت) فعل مضارع (الأرض) فاعل وجملة تنبت الأرض لا محل لها لأنها صلة الموصول (من بقلها) الجار والمجرور بدل بإعادة الجار أو بمحذوف خال من الضمير المحذوف وهو العائد على الموصول أي تنبت (وقتائها وفومها وعدسها وبصلها) أسماء معطوفة على بقلها (قال) فعل ماض مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة استئنافية (أتستبدلون) الهمزة للاستفهام الانكاري مع التوبيخ وجملة أتستبدلون مقول القول (الذي) اسم موصول مفعول به (هو) مبتدأ (أدنى) خبر والجملة الاسمية لا محل لها من الأعراب لأنها صلة (بالذي) الجار والمجرور متعلقان بتستبدلون (هو) مبتدأ (خير) خبر (اهبطوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف أي قلنا (مصرأ) مفعول به بمعنى انزلوا (فإن) الفاء تعليلية وإن حرف مشبه بالفعل (لكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم (ما) اسم موصول في محل نصب اسم إن وجملة (سألتهم) لا محل لها من الإعراب لأنها صلة (وضربت) الواو استئنافية وضربت فعل ماض مبني للمجهول والتاء تاء التأنيث الساكنة (عليهم) جار ومجرور متعلقان بضربت (الذلة) نائب فاعل وضربت (والمسكنة) عطف على الذلة (وباءوا) عطف على وضربت (بغضب) جار ومجرور متعلقان بباءوا (من الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لغضب (ذلك) اسم إشارة مبتدأ

(بأنهم) الباء حرف جر وان واسمها ، وان ما في حيزها في محل جر بالباء أي ذلك كله بسبب كفرهم والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة استئنافية لا محل لها (كانوا) كان واسمها والجملة خبر ان (يكفرون) الجملة الفعلية خبر كانوا (بآيات الله) الجار والمجرور متعلقان بيكفرون (ويقتلون) عطف على يكفرون (النبيين) مفعول به (بنفي الحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خال أي حالة كونهم ظالمين متكررين للحق في اعتقادهم ولو أنصفوا لا عترفوا بالواقع (ذلك) اسم الإشارة مبتدأ (بما عصوا) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع الفعل بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ذلك (وكانوا) عطف على عصوا وكان واسمها (يعتدون) جملة فعلية في محل نصب خبر كانوا .

البلاغة :

الكناية في ضرب الذلة والمسكنة وهي كناية عن نسبة أراد أن يثبت ديمومة الذلة والمسكنة عليهم فكنى بضربها عليهم كما يضرب البناء وقد رمق الشعراء سماء هذه الكناية فقال الفرزدق يهجو جرير :

ضربت عليك العنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

الفوائد :

الباء مع الابدال تدخل على المتروك لا على المأتي به .

هُوَ إِنْ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيحِينَ مَنْ ءَامَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلْ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢٧﴾

اللفظة :

(هادوا) تهوّدوا يقال : هاد يهود وتهوّد ويتهوّد إذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود •

(النصارى) جمع نصران ونصرانيّ ، يقال : رجل نصران ونصرانيّ وامرأة نصراثة ونصرايّة والياء في نصرانيّ للمبالغة سوّا بذلك لأنهم نصروا السيد المسيح أو لأنهم كانوا معه في قرية يقال لها : نصران أو ناصرة فسموا باسمها قال سيويه : لا يستعمل في الكلام إلا مع ياء النسب •

(الصّابّين) : جمع صابىء من صبا فلان إذا خرج من الدين والصابئة قوم كانوا يعبدون النجوم ومنهم أبو اسحق الصابىء الكاتب الشاعر المشهور •

الاعراب :

(إن) حرف مشبه بالفعل (الذين) اسم موصول اسمها (آمنوا) الجملة الفعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (والذين) عطف على الذين الأولى وجملة (هادوا) لا محل لها وجملة إن وماتلاها مستأنفة (والنصارى والصابّين) عطف على اسم ان (من) اسم موصول بدل من اسم إن وجملة (آمن) صلة الموصول لك أن تجعلها شرطية في محل رفع مبتدأ (بالله) الجار والمجرور متعلقان بآمن (واليوم الآخر) عطف على الله (وعمل) عطف على آمن (صالحاً) مفعول به لعمل أو مفعول مطلق

أي عمل عملاً صالحاً (فلهم) الفاء جيء بها لتضمن الموصول معنى الشرط أو رابطة لجواب الشرط ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (أجرهم) مبتدأ مؤخر والجملة خبر إن إذا جعلنا من موصولة أو في محل جزم جواب الشرط إذا جعلناها شرطية والجملة بكاملها في محل رفع خبر إن (عند ربهم) الظرف متعلق بمحذوف حال أي مستحقاً أو مستقراً (ولا خوف) الواو عاطفة ولا نافية وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه (عليهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر خوف (ولا هم يحزنون) عطف على ما تقدم وقد تقدم إعراب نظيرها تماماً .

﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آيَاتِنَا بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

اللغة :

(الطور) : من جبال فلسطين ويطلق على كل جبل كما في القاموس .

الاعراب :

(وإذا أخذنا) تقدم اعراب ظائرها وجملة أخذنا في محل جر بإضافة الظرف اليها (ميثاقكم) مفعول به (ورفعنا) عطف على أخذنا (فوقكم) الظرف متعلق برفعنا (الطور) مفعول به (خذوا) فعل

أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف أي قلنا : خذوا وجملة القول حالية والتقدير قائلين خذوا (ما) اسم موصول مفعول خذوا وجملة (آتيناكم) لا محل لها من الاعراب لأنها صلة ما (بقوة) الجار والمجرور في محل نصب حال والمعنى خذوا ما آتيناكم حال كونكم عازمين على الجد والعمل (واذكروا) عطف على خذوا (ما) اسم موصول مفعول اذكروا (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (لعلكم) لعل واسمها وجملة (تتقون) خبرها (ثم توليتم) عطف يفيد التراخي إشعاراً بأن هناك امتثالا للأمر ثم إعراضاً عنه (من بعد ذلك) الجار والمجرور متعلقان بتوليتم (فلولا) الفاء عاطفة ولولا حرف امتناع لوجود متضمن معنى الشرط (فضل الله) مبتدأ خبره محذوف تقديره موجود (عليكم) جار ومجرور متعلقان بفضل (ورحمته) عطف على فضل (لكنتم) اللام واقعة في جواب لولا وكان واسمها (من الخاسرين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم .

الفوائد :

(لولا) حرف امتناع لوجود وتختص بالجملة الاسمية والاسم الواقع بعدها مبتدأ خبره واجب الحذف لدلالة الكلام عليه وسدّ جواب لولا مسده في حصول الفائدة وحكم اللام في جوابها أن الكلام إن كان مثبتاً فالكثير دخول اللام كما في هذه الآية وظائرها وإن كان منفيّاً فإن كان حرف النفي ما فالكثير فيه حذف اللام ويقلّ الاتيان بها .

قال المتنبّي :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أراوحنا سبلا

وإن كان حرف النفي غير ما فترك اللام واجب .

قال عمر بن أبي ربيعة :

عوجي علينا ربة الهودج لولاك في ذا العام لم أحجج

لئلا يتوالى لآمان ومثل لولا في جميع أحكامها لوما .

﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ﴿٦٥﴾ فَعَلَّانَهَا نِكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ ﴿

اللفظة :

(السبت) : في الأصل مصدر سبت أي قطع العمل وهو إما مأخوذ من السبوت الذي هو الراحة والدعة وإما من السَّبْت وهو القطع لأن الأشياء فيه سبتت وتمّ خلقها ثم سمي به هذا اليوم من الأسبوع

(خاسئين) : مبعدين مطرودين من الخسوء وهو الصغار والطرود .

(نكالاً) : النكال : المنع والنكل اسم للقيّد من الحديد وسمي العقاب نكالاً لأنه يمنع غير المعاقب أن يفعل فعله ويمنع المعاقب أن يعود إلى فعله الأول .

الاعراب :

(ولقد) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (علمتم) فعل وفاعل (الذين) اسم موصول مفعول به (اعتدوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (منكم) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف حال من الضمير في اعتدوا (في السبت) والجار والمجرور متعلقان باعتدوا لأنه ظرف الاعتداء وقيامهم بصيد السمك وقد نهوا عنه (فقلنا) الفاء عاطفة وقلنا : فعل وفاعل والجملة معطوفة على جملة اعتدوا (لهم) جار ومجرور متعلقان بقلنا (كونوا) فعل أمر ناقص مبني على حذف النون والواو اسمها (قردة) خبرها (خاسئين) خبر ثان ولا مانع من جعلها صفة وقيل كلاهما خبر وانهما نزلا منزلة الكلمة الواحدة وهو قول جيد (فجعلناها) الجملة معطوفة على ما تقدم (نكالاً) مفعول جعلنا الثاني وانما أتى الضمير في جعلناها لأنه يعود على المسخة المفهومة من مطاوي الكلام (لما) اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور صفة لنكالاً (بين يديها) الظرف معلق بسحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وما) عطف على ما (خلفها) ظرف متعلق بسحذوف صلة ما الثانية (وموعظة) عطف على نكالاً (للمتقين) الجار والمجرور صفة لموعظة .

الفوائد :

للمفسرين كلام طويل في قصة هذا الاعتداء وخلاصتها أنه تعالى حرّم العمل عليهم وصيد الحيتان في يوم السبت ، فكان يكثر ظهورها فيه وتذهب بذهابه فتحيلوا في صيده بأنواع الحيل كحفر حفيرة أو

ربط الحيتان فإذا مضى السبت أخذوه ثم كثر ذلك حتى صار ديدنا لهم إلى آخر تلك القصة الممتعة التي تصور طبيعة اليهود وتشنهم في الكيد .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾

الاعراب :

(وإذ قال موسى لقومه) : تكرر إعراب ظائرها (إن الله) إن واسمها وجملة (يأمركم) خبرها (أن) حرف مصدري ونصب (تذبحوا) فعل مضارع منصوب بأن ، وإن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن تذبحوا بقرة (بقرة) مفعول به (قالوا) : فعل وفاعل (اتخذنا) الهمزة للاستفهام الاستنكاري وتتخذنا : فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول (هزوا) مفعول به ثان والجملة الفعلية مقول القول (قال) فعل ماض وفاعله هو وجملة (أعوذ بالله) مقول القول (أن أكون) أن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي من أن أكون واسم أكون مستتر تقديره أنا (من الجاهلين) خبرها .

﴿قَالُوا آدَعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا مَا تُمَرُونِ ﴿٦٨﴾﴾

اللفظة :

(الفارض) : المسنة لأنها فرضت سنّها أي قطعها وبلغت آخرها •

(البكر) الفتية الصغيرة •

(العوان) النصف في السنّ والجسع عون بضم العين وسكون الواو وقال الكسائي . العوان : التي قد كان لها زوج ومنه قيل : حرب عوان •

الاعراب :

(قالوا) فعل وفاعل (ادع) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة مقول القول (لنا) جار ومجرور متعلقان بادع (ربك) مفعول به (يبين) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب (لنا) جار ومجرور متعلقان بيبين (ما) اسم استفهام في محل رفع مبتدأ (هي) ضمير منفصل في محل رفع خبر والجملة الاسمية في محل نصب مفعول يبين (قال) فعل ماضٍ (إنه) ان واسمها وكسرت همزة إن لسبقها بالقول وجملة (يقول إنها بقرة) خبر إن وجملة ان وما في حيزها مقول القول (لا) نافية (فارض) صفة بقرة (ولا بكر) عطف على ما تقدم وإذا وصفت النكرة بما دخل عليه لا كررت وكذلك الخبر والحال (عوان) صفة أيضاً لبقرة (بين ذلك) الظرف متعلق بمحذوف صفة لعوان وذلك مضاف إليه وقد نابت الإشارة عن الشيتين حيث وقعت مشأراً بها الى الفارض والبكر معاً ومثله قول عبد الله بن الزبعرى يوم أحد قبل إسلامه :

إن للخير وللشر مدى وكلا ذلك وجه وقبل

(فافعلوا) الفاء هي الفصيحة وافعلوا فعل وفاعل (ما) اسم موصول مفعول به وجملة (تؤمرون) صلة الموصول والعائد محذوف أي به وأجاز بعضهم أن تكون ما مصدرية أي فافعلوا أمركم ويكون المصدر بمعنى المفعول أي مأموركم .

﴿ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ ﴿١٩﴾ قَالُوا أَدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٢٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِئَةَ فِيهَا قَالُوا آلَيْنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ ﴿٢١﴾

اللغة :

(فاقع) : شديد الصفرة يقال في التوكيد أصفر فاقع كما يقال : أسود حالك وأبيض يقق وأحمر قان وأخضر ناضر .

(لا ذلول) لم تذلل للحراثة وإثارة الأرض .

(الشية) بكسر الشين : العلامة والمراد لا لمعة فيها من لون آخر سوى الصفرة .

الاعراب :

(قالوا) فعل وفاعل (ادع) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مقول القول (لنا) جار ومجرور متعلقان بادع (ربك) مفعول به (يبين) جواب الطلب (لنا) متعلقان بيبين (ما) اسم استفهام مبتدأ (لونها) خبر والجملة في محل نصب مفعول (قال) فعل ماض (انه) ان واسمها وجملة (يقول) خبرها (إنها بقرة) ان واسمها وخبرها والجملة مقول القول (صفراء) نعت لبقرة (فاقع) صفة ثانية (لونها) فاعل فاقع ويجوز أن يكون فاقع خبراً مقدماً ولونها مبتدأ مؤخر والجملة صفة ثانية لبقرة وكلاهما جيد (تر الناظرين) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة صفة ثالثة لبقرة (قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي) تقدم إعرابها بحروفه فجدد به عهداً (إن) حرف مشبه بالفعل (البقر) اسمها والجملة تعليل للسؤال لا محل لها (تشابه) فعل ماض وفاعله هو والجملة خبر إن (علينا) جار ومجرور متعلقان بتشابه (وإنا) الواو حرف عطف وان واسمها (إن) حرف شرط جازم (شاء) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (الله) فاعل وجواب إن محذوف تقديره اهتدينا (لمهتدون) اللام المرحقة ومهتدون خبر إن (قال) فعل ماض (انه يقول) ان واسمها وجملة يقول خبرها (انها بقرة) تقدم إعراب نظيرها تماماً (لا) نافية (ذلول) صفة بقرة (تثير الأرض) الجملة الفعلية في محل رفع صفة ثانية والمقصود هي اثارها للأرض (ولا) الواو حرف عطف ولا مزيدة لتأكيد الأولى لأن المعنى لا ذلول تثير وتسقي على أن الفعلين صفتان لذلول فكأنه قيل لا ذلول صفتها انها مثيرة وساقية فالنفي مسلط على الموصوف وصفته

وفرجىء القول في هذا التركيب العجيب الى باب الفوائد (تسقى
الحرث) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به (مسلمة) صفة ثالثة
أي سلمها الله من العيوب (لا) نافية للجنس من أخوات إن (شية) اسمها
المبني على الفتح (فيها) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة صفة
رابعة (قالوا) فعل وفاعل (الآن) ظرف زمان متعلق بجئت (جئت)
جملة جئت مقول القول (بالحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف
حال أي متلبساً بالحق (فذبحوها) معطوف على محذوف يتطلبه
السياق أي فطلبوها فوجدوها وذبحوها ولك أن تجعل الفاء فصيحة
أي فلما حصلت لهم هذه البقرة الجامعة لأشتات هذا الوصف ذبحوها
(وما) الواو عاطفة وما نافية (كادوا) كاد واسمها لأنها من أفعال
المقاربة العاملة عمل كان وجملة (يفعلون) خبر كادوا •

البلاغة :

١ - في هذه الآيات المتقدمة فن التكرير وهو داخل في باب
الاطناب كأنهم يكررون السؤال استكناهاً لحقيقة البقرة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم : « لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن
شدّدوا فشدّد الله عليهم » •

٢ - أسرار كاد في العربية كثيرة فهي تدخل على الفعل لإفادة
معنى المقاربة في الخبر فإذا دخلت عليها النفي لم تكن إلا لنفي الخبر
كأنك قلت : إذا أخرج يده يكاد لا يراها فكاد هذه إذا استعملت بلفظ
الايجاب كان الفعل غير واقع وإذا اقترن بها حرف النفي كان الفعل
بعدها قد وقع ولهذا اختلف في معنى الكيدودة هنا وعلى كل حال هي

صورة مجسدة لطبائع اليهود ولجوئهم الى اللجاج والمكابرة ، فقد فعلوا الذبح بعد لجاج طويل وتعنت ما عليه مزيد .

الفوائد :

١ - احتدم الخلاف بين المعريين حول قوله ولاتسقي الحرث فقد شجر الخلاف بين أبي حاتم وأبي البقاء من جهة وبين الزمخشري وأبي حيان من جهة ثانية وقد اخترنا في الاعراب أسهل الأوجه وأقربها الى المنطق .

٢ - الآن : ظرف زمان يقتضي الحال ويخلص المضارع وهو لازم للظرفية لا يتصرف وبني لتضمنه معنى الاشارة كأنك قلت : هذا الوقت ، واختلف في حرف التعريف الداخل عليه فقل هو لمحض التعريف الحضورى وقيل : هو حرف زائد لازم .

﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾
﴿ قُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَلِكَ يُخَيِّ اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ ۚ

لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾

اللفظة :

(ادَّارَءْتُمْ) : تدافعتم لأن المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضاً أي يدفعه ويترحمه والمعنى . اتهم بعضكم بعضاً لطيس معالم الجريمة ودرء الشبهة عنه .

الاعراب :

(وإذ) عطف على القصة الآتية ونزولها على ترتيب وجودها
 فيكون أنه تعالى قد أمرهم بذبح البقرة فذبحوها وهم لا يعلمون
 ما وراء ذلك الأمر ثم وقع بعد ذلك أمر القتل فأظهر لهم سبحانه ما كان
 قد أخفاه من الحكمة (قتلتم) الجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها
 (نفساً) مفعول به (فادّارأتم) عطف على قتلتم (فيها) جار ومجرور
 متعلقان بادارأتم (والله) الواو اعتراضية والله مبتدأ (مخرج) خبر
 والجملة لا محل لها لأنها اعتراضية (ما) اسم موصول مفعول به
 لمخرج لأنه اسم فاعل (كنتم) كان واسمها (تكتُمون) جملة فعلية في
 محل نصب خبر كنتم والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (فقلنا) عطف
 (اضربوه) فعل أمر مبني على حذف النون وواو الجماعة فاعل والهاء
 مفعول به والجملة مقول القول (ببعضها) جار ومجرور متعلقان
 باضربوه (كذلك يحيي الله الموتى) جار ومجرور في محل نصب مفعول
 مطلق مقدم لأنه في الأصل وصف للمصدر والتقدير يحيي الله الموتى إحياء
 مثل ذلك الإحياء (ويريكُم) عطف على يحيي والكاف مفعول به أول
 (آياته) مفعول به ثان (لعلكم) لعل واسمها (تعقلون) الجملة في
 محل رفع خبر لعل .

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً
 وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقُّ فَيَخْرُجُ

مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَلْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾

الاعراب :

(ثم) حرف عطف للتراخي واستبعاد القسوة من بعد ما ذكر من موجبات الليونة للقلوب (قست) فعل ما ض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والتاء تاء التأنيث الساكنة (قلوبهم) فاعل (من بعد ذلك) جار ومجرور متعلقان بقست وذلك مضاف إليه (فهي) الفاء عاطفة وهي مبتدأ (كالحجارة) الكاف اسم بمعنى مثل خبر والحجارة مضاف إليه ولك أن تجعلها جارة والجار والمجرور خبر هي (أو) حرف عطف للتخيير أو للابهام أو للتنويع (أشد) معطوف على الكاف إذا كانت اسماً أو على كالحجارة لأن الجار والمجرور في موضع رفع (قسوة) تمييز وكان القياس أن يقول : أقسى لأن اسم التفضيل يأتي من الثلاثي المستوفي شروطه ولكنه عدل عن ذلك لأن سياق القصة يقتضي العدول إلى الإسهاب وزيادة التهويل بذكر لفظ الشدة (وإن) الواو استئنافية وإن حرف مشبه (من الحجارة) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم (لما) اللام هي المرحقة وما اسم موصول في محل نصب اسمها المؤخر (يتفجر) فعل مضارع مرفوع والجملة صلة لا محل لها (منه) جار ومجرور متعلقان بـ يتفجر (الأنهار) فاعل يتفجر (وان) عطف على أن الأولى (منها) جار ومجرور خبر مقدم (لما) اللام المرحقة وما اسم موصول اسم أن المؤخر (يشقق) فعل مضارع مرفوع (فيخرج) عطف على يشقق (وإن منها لما يلبط) عطف على ما تقدم (من خشية الله) الجار

والمجرور متعلقان يهبط بمثابة التعليل له (وما) الواو استئنافية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (الله) اسمها المرفوع (بغافل) الباء حرف جر زائد وغافل مجرور لفظاً بالباء منصوب محلاً على أنه خبر ما (عما) جار ومجرور متعلقان بغافل (تعملون) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول .

البلاغة :

١ - التشبيه المرسل فقد شبه قلوبهم في نبوّها عن الحق ، وتجافيها مع أحكامه بالحجارة القاسية ثم ترقى في التشبيه ، فجعل الحجارة أكثر لنا من قلوبهم .

٢ - الاستعارة المكنية التبعية في قوله تعالى: «ثم قست قلوبكم» تشبيهاً لحال القلوب في عدم الاعتبار والاتعاظ بما هو ماثل أمامها ، ناطق بلسان الحال ، بالحجارة النائية التي من خصائصها القسوة والصلابة .

٣ - المجاز العقلي في إسناد الخشية إلى الحجارة وهو كثير في السنة العرب .

الفوائد :

(ما الحجازية) سميت حجازية لأنها تعمل عمل ليس في لغة أهل الحجاز ، وهي نافية مهيمة في لغة تميم ويشترط لأعمالها أربعة شروط :

آ - أن لا يتقدم خبرها على اسمها وإلا أهملت وفي أمثالهم :
ما مستيء من أعتب .

ب - أن لا يتقدم معمول خبرها على اسمها وإلا أهملت نحو :
ما بك أنا منتصر .

ج - أن لا تتراد بعدها إن وإلا بطل عملها كقوله :

بني غدانة ما إن أتمم ذهب ولا صريف ولكن أتمم الخزف

د - أن لا ينتقض فيها إلا وإلا بطل عملها نحو : « وما محمد
إلا رسول » .

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ
اللَّهِ ثُمَّ يَحْرِفُونَهَا مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥)

انلغة :

(الطمع) تعلق النفس بإدراك أمر تعلقاً قوياً فهو أشد من الرجاء
يقال : طمع يطمع طمعا وطماعة وطماعية . قال المتنبي :

إلام طماعية العاذل ولا رأي في الحب للعاقل

الاعراب :

(أفطمعون) الهمزة للاستفهام والمراد به النهي أو الاستنكار
وقد تقدم بحث دخول الهمزة على حروف العطف والمعنى : لا تطمعوا
في إقناع هؤلاء العتاة الجفاة القاسية قلوبهم (أن يؤمنوا) أن وما بعدها

في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض (لكم) جار ومجرور متعلق
 يؤمنوا على تضمين يؤمنوا معنى الاتقياد (وقد) الواو حالية وقد
 حرف تحقيق (كان) فعل ماض ناقص (فريق) اسمها (منهم) جار
 ومجرور صفة لفريق (يسمعون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل
 وجملة يسمعون خبر كان (كلام الله) مفعول به (ثم) حرف عطف
 للتراخي (يحرفونه) عطف على يسمعون (من بعد) الجار والمجرور متعلقان
 يحرفونه (ما) مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالاضافة
 (عقلوه) فعل وفاعل ومفعول به (وهم) الواو حالية وهم مبتدأ
 (يعلمون) الجملة في موضع رفع خبرهم والجملة الاسمية في موضع
 نصب على الحال أي والحال أنهم عالمون بكفرهم وعنادهم واقترائهم .

وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بِعَضُّهُمْ إِلَى
 بَعْضٍ قَالُوا اتَّخَذُوا آلَهُمُ الْبَاطِلَ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية أو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من
 الزمان خافض لشرطه متعلق بجوابه (لقوا) فعل ماض مبني على
 الفتح والواو فاعل وجملة لقوا فعلية لا محل لها من الاعراب لإضافة
 الظرف اليها (الذين) اسم موصول مفعول به (آمنوا) فعل وفاعل

والجملة لامحل لها لأنها صلة الموصول (قالوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (آمنا) فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول (وإذا) عطف على وإذا الأولى (خلا بعضهم) فعل وفاعل والجملة في محل جر باضافة الظرف اليها (الى بعض) جار ومجرور متعلقان بخلا (قالوا) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أتحدثونهم) الهزة للاستفهام الانكاري وتحدثونهم فعل وفاعل ومفعول به والجملة في محل نصب مقول القول (بما) جار ومجرور متعلقان بتحدثونهم (فتح الله) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عليكم) جار ومجرور متعلقان بفتح (ليحاجوكم) اللام عي لام العاقبة أو الصيرورة لا للتعليل في المعنى لأنهم لم يقصدوا ذلك وإنما كان المال والعاقبة له ولكنها مثل لام التعليل في العمل ويحاجوكم فعل مضارع منصوب بأن مفسرة جوازاً بعد لام العاقبة أو الصيرورة واللام ومجرورها متعلقان بتحدثونهم (به) الجار والمجرور متعلقان بيحاجوكم (عند ربكم) الظرف متعلق بمحذوف حال (أفلا تعقلون) تقدم حكم همزة الاستفهام إذا دخلت على حرف العطف كثيراً (أولا) الهزة للاستفهام التقريري ومعناه حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف ولا يخلو من التوبيخ والواو عاطفة وهي بنية التقديم على الهمزة وإنما أخرت لقوة الهمزة ولا نافية (يعلمون) معطوف على فعل محذوف والمعنى أيلومونهم على التحدث بما ذكر ولا يعلمون (أن الله) ان واسمها وما بعدها سدت مسد مفعولي يعلمون ولذلك فتحت همزتها (يعلم) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة في محل رفع خبر أن (ما) اسم موصول أو مصدرية وهي على كل مع مدخولها مفعول يعلم (يسيرون) الجملة لا محل لها على كل حال (وما يعلنون) عطف عليها .

﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ ٧٨ ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ ٧٩ ﴿

اللفة :

(أميون) : لا يحسنون الكتابة والقراءة والمفرد أمي نسبة الى الأم لأنه ليس من شغل النساء عندهم أو إلى الأمة وهي القائمة والخلقة كأن الذي لا يكتب ولا يقرأ قائم على الفطرة والجبلة أو الى الأمة لأنها ساذجة قبل أن تعرف المعارف .

(أمانى) جمع أمنية بتشديد الياء وتخفيفها وهي في الأصل ما يقدره الانسان في نفسه ويحدث به ولذلك تطلق على الكذب والمراد أنهم لا يعلمون الكتاب إلا كما حدسوه أو تخيلوه في هواجسهم من أنهم شعب الله المختار وأن الله يعفو عنهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما ذلك كله إلا أكاذيب منمقة لفقها لهم أحبارهم فتناقلوها من دون تحييص أو روية .

(الويل) مصدر لا فعل له من لفظه ولم يجيء من هذه المادة التي فاؤها واو وعينها ياء إلا ويل وويح وويس وويب ولا يشنى ولا يجمع وقيل : يجمع على ويلات قال امرؤ القيس :

ويوم دخلت الخدر خدر عذرة فقالت : لك الويلات إنك مرجلي

وإذا أضيف فالأحسن فيه النصب على المفعولية المطلقة لأنه مصدر لفعل أماته العرب وإذا لم يضيف فالأحسن فيه الرفع على الابتداء وساغ الابتداء لتضمنه معنى خاصاً والويل معناه الفضيحة والحسرة وقال الخليل : شدة الشر ، وقال غيره الويل : الهلكة .

الاعراب :

(ومنهم) الواو حرف عطف ومنهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (أميون) مبتدأ مؤخر (لا) نافية (يعلمون) فعل مضارع والواو فاعل (الكتاب) مفعول به وجملة لا يعلمون صفة أميون (إلا) أداة استثناء (أمانى) مستثنى بإلا وهو استثناء منقطع لأن الأمانى ليست مندرجة تحت مدلول الكتاب ولهذا وجب نصبه رغم تقدم النفي وإنما يكون ذلك كذلك في كل موضع حسن أن يوضع فيه مكان إلا لكن فيعلم حينئذ انقطاع معنى الثاني عن معنى الاول (وإن) الواو حالية وإن نافية (هم) مبتدأ (إلا) أداة حصر لتقدم النفي ، (يظنون) فعل مضارع وفاعل والجملة فعلية خبرهم (فويل) الفاء استئنافية وويل مبتدأ ساغ الابتداء به لتضمنه معنى الدعاء والتهويل (للذين) الجار والمجرور خبر ويل (يكتبون) فعل مضارع وفاعل والجملة صلة الموصول (الكتاب) مفعول به (بأيديهم) الجار والمجرور متعلقان يكتبون (ثم يقولون) عطف على يكتبون (هذا) مبتدأ (من عند الله) الجار والمجرور خبر والجملة الاسمية مقول القول (ليشتروا) اللام لام التعليل ويشتروا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل والواو فاعل (به) الجار

والمجرور متعلقان يشتروا (ثمنًا) مفعول به (قليلا) صفة (فويل) تقدم إعرابها وكررها للتأكيد (لهم) الجار والمجرور خبر ويل (مما) الجار والمجرور متعلقان بويل (كتبت أيديهم) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (وويل لهم مما يكسبون) عطف على ما تقدم وقد سبق إعرابها .

البلاغة :

(الاطناب) بذكر أيديهم فقد ذكرها والكتابة لا تكون إلا بها لتصوير الحالة في النفس كما وقعت ، وتجسيدها أمام السامع حتى يكاد يكون مشاهدا لها وتسجيل الأمر عليهم كما تقول لمن ينكر معرفته ما كتب ووقع : أنت كتبه يمينك .

﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥٥﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيعَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾

الاعراب :

(وقالوا) الواو استئنافية قالوا : فعل وفاعل (لن) حرف نهي ونصب واستقبال (تمسنا) فعل مضارع منصوب بـ لن ونا ضمير متصل

في محل نصب مفعول به (النار) فاعل والجملة فعلية في محل نصب مقول القول (إلا) أداة حصر (أياماً) نصب على الظرفية الزمانية متعلق بتسنا (معدودة) صفة لأياماً (قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والجملة استئنافية (أتخذتم) حذفت همزة الوصل المتصلة بالماضي الخماسي لاجتماع همزتين والجملة في محل نصب مقول القول (عند الله) ظرف متعلق باتخذتم (عهداً) مفعول به (فلن) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدّر والتقدير ان اتخذتم عند الله عهداً فلن (يخلف) فعل مضارع منصوب بلن (الله) فاعل (عهده) مفعول به (أم) حرف عطف معادل للاستفهام فهي متصلة ويحتمل أن تكون منقطعة بمعنى بل وكلاهما يفيد معنى التقرير والتوبيخ (تقولون) عطف على ما قبله (على الله) الجار والمجرور متعلقان بتقولون (ما) اسم موصول مفعول تقولون (لا) نافية (تعلمون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (بلى) حرف جواب يثبت ما بعد حرف النفي (من) اسم شرط جازم مبتدأ (كسب) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو (سيئة) مفعول به (وأحاطت) عطف على كسب (به) الجار والمجرور متعلقان بأحاطت (خطيئته) فاعل أحاطت (فأولئك) الفاء رابطة لجواب الشرط واسم الإشارة مبتدأ (أصحاب النار) خبره (هم) مبتدأ (فيها) متعلق بخالدون (خالدون) خبر هم والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط الجازم (والذين) الواو عاطفة والذين اسم موصول مبتدأ (آمنوا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول (وعملوا الصالحات) عطف على آمنوا (أولئك) مبتدأ أيضاً

(أصحاب الجنة) خبر أولئك والجملة الاسمية خبر الذين (هم) مبتدأ
(فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدون (خالدون) خبرهم والجملة
الاسمية خبر ثانٍ لاسم الموصول .

الفوائد :

(بلى) حرف جواب مثل نعم والفرق بينهما أن بلى تختص
بوقوعها بعد النفي لتجعله إثباتاً أما نعم ومثلها أجل فإن الجواب بهما
يتبع ما قبلهما في اثباته وتثبيته فإن قلت لرجل : أليس لي عليك ألف
درهم ؟ فإن قال : بلى ، لزمه ذلك وإن قال : نعم لم يلزمه ومن أحرف
الجواب إي وجير .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾ (٨٢)

الاعراب :

(وإذ أخذنا) تقدم اعرابه كثيراً (ميثاق) مفعول به (بني) مضاف
إليه مجرور وعلامة جرّه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم
(إسرائيل) مضاف إليه وعلامة جرّه الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه علم
أعجمي (لا) نافية (تعبدون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل

(إلا) أداة حصر (الله) مفعول به والجملة لا محل لها لأنها مفسرة والخبر بمعنى النهي أي (وبالوالدين) الواو حرف عطف على موضع ان المحذوفة في لا تعبدون إلا الله فكان معنى الكلام وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل بأن لا تعبدوا إلا الله وأحسنوا بالوالدين بالوالدين الجار والمجرور متعلقان بفعل المصدر أي وأحسنوا بالوالدين (إحساناً) مفعول مطلق لفعل محذوف (وذو القربى واليتامى والمساكين) عطف على الوالدين (وقولوا) عطف ولكن لا بد من تقدير محذوف أي وقلنا قولوا (للناس) متعلق بالفعل المحذوف (حسناً) صفة لمفعول مطلق محذوف أو قولاً حسناً (وأقيموا) عطف أيضاً على ما تقدم (الصلاة) مفعول به (وآتوا الزكاة) عطف على أقيموا الصلاة (ثم) حرف عطف عطفت على محذوف أي فقبلتم الميثاق (توليتهم) فعل وفاعل (إلا) أداة استثناء لأن الكلام تام موجب (قليلاً) مستثنى بالـ (منكم) الجار والمجرور صفة لقليل (وأنتم) الواو حالية وأنتم مبتدأ (معرضون) خبر والجملة الاسمية في محل نصب على الحال .

البلاغة :

١- جملة لا تعبدون خبر معناه النهي وهو أبلغ من التصريح به .

٢- الالتفات : من الغيبة الى الخطاب في قوله : « لا تعبدون » ومن خطاب بني إسرائيل القدامى الى خطاب الحاضرين منهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكَ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ أَنْتُمْ هُنَا لَا تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ

وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمُ اسْرَىٰ تَفْذَرُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِّنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾

اللفظة :

(تظاهرون) تتعاونون وحذفت إحدى التائين وأصل المظاهرة المعاونة مشتقة من الظهر لأن بعضهم يقوي بعضاً فيكون له كالظهر

(تفادوهم) تنقذوهم من الأسر بالمال .
الاعراب :

(وإذا أخذنا ميثاقكم) تقدم إعراب هذه الجملة قريباً (لا تسفكون دماءكم) خبر معناه النهي أيضاً وقد تقدم إعراب هذه الجملة (ولا تخرجون أنفسكم من دياركم) عطف على ما تقدم أي اعترفتم على أنفسكم بعد التراخي وطول الأمد (ثم أقررتم) ثم حرف عطف وأقررتم فعل وفاعل (وأنتم تشهدون) تقدم إعرابها (ثم) حرف عطف للتراخي (أنتم) مبتدأ (هؤلاء) اسم إشارة في محل نصب على الذم بفعل محذوف تقديره أذمّ وقيل في محل نصب منادى محذوف منه حرف النداء (تقتلون)

فعل مضارع والواو فاعل وجملة تقتلون خبر أقيم (أنفسيكم) مفعول به وقيل : اسم الإشارة هو الخبر وجملة تقتلون حال وقد قالت العرب : ها أنت ذا قائماً وإنما أخبر عن الضمير باسم الإشارة في اللفظ وكأنه قال : أنت الحاضر (وتخرجون) عطف على تقتلون (فريقاً) مفعول به منكم (الجار والمجرور متعلقان بحذوف صفة لفريقاً (من ديارهم) متعلقان بتخرجون (تظاهرون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة في محل نصب حال من الواو أي متعاونين عليهم (عليهم) جار ومجرور متعلقان بتظاهرون (بالاثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال والمعنى تظاهرون عليهم حال كونهم ملتبسين بالاثم (والعدوان) عطف على الاثم وهذه الآية عجب في صدق تصويرها لحقيقة هؤلاء الذين شاهد اليوم مصداقاً لها (وإن) الواو استئنافية وإن شرطية (يأتوكم) فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به (أسارى) حال (تفادوهم) جواب الشرط مجزوم (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ وهو المسمى بضمير الشأن وسيأتي الحديث عنه (محرم) خبر مقدم (عليكم) جار ومجرور متعلقان بمحرم (إخراجهم) مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل رفع خبر لضمير الشأن ويجوز أن يعرب قوله محرم خبر هو وإخراجهم نائب فاعل لمحرم لأنه اسم مفعول (أفئذمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض) تقدم إعراب ظيها (فما) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر كأنه قيل إن شئتم أن تعرفوا جزاء من يفعل وما نافية (جزاء) مبتدأ (من) اسم موصول في محل جر بالاضافة (يفعل) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو والجملة صلة الموصول (ذلك) اسم الإشارة مفعول به

(منكم) الجار والمجرور متعلقان بحذوف حال أي حال كونه منكم
 (إلا) أداة حصر (خزي) خبر جزاء لأنه استثناء مفرع (في الحياة)
 الجار والمجرور صفة لخزي (الدنيا) صفة للحياة (ويوم القيامة)
 الواو استئنافية والظرف معلق يردون (يردون) الجملة الفعلية لا محل
 لها من الإعراب لأنها مستأنفة (إلى أشد العذاب) الجار والمجرور
 متعلقان يردون (وما) الواو استئنافية وما نافية حجازية تعمل عمل
 ليس (الله) اسمها المرفوع (بغافل) الباء حرف جر زائد وغافل خبر
 ما محلاً (عما) الجار والمجرور متعلقان بتعملون (تعملون) الجملة
 الفعلية صلة الموصول .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ ۚ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ
 الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ ﴾ (٨٦)

الإعراب :

(أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (الذين) اسم موصول خبر
 (اشتروا) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (الحياة)
 مفعول به (الدنيا) صفة للحياة (بالآخرة) الجار والمجرور متعلقان
 باشتروا (فلا) الفاء الفصيحة ولا نافية (يخفف) فعل مضارع مبني
 للمجهول والجملة خبر ثان لاسم الإشارة (عنهم) الجار والمجرور
 متعلقان يخفف (العذاب) نائب فاعل (ولا هم ينصرون) الواو
 عاطفة على ما تقدم ولا نافية وهم مبتدأ وجملة ينصرون خبر .

البلاغة :

الاستعارة المكنية التبعية في شراء الحياة الدنيا بالآخرة وقد تقدم نظيرها .

﴿ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۚ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۖ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِّقُوا بَيْنَ كَذِبِهِمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ (٨٧)

اللمغة :

(قفينا) اتبعنا والمادة كلها تدل على التبعية ، والقفا كل تابع وهو مؤخر العنق ومنه قافية الشعر لأنها تتبع البيت (عيسى) : علم أعجمي وهو بالسريانية ايشوع وليس مشتقاً من العيس وهو يياض يخالطه شقرة .

(مريم) علم أعجمي ولهذا منع من الصرف ، والمريم في اللغة العربية من النساء كالزير من الرجال والزير هو الذي يخالط النساء ويمازهن بغير شراؤ به .

الاعراب :

(ولقد) الواو حرف عطف واللام جواب قسم محذوف وقد :

حرف تحقيق (آتينا) فعل وفاعل (موسى) مفعول به أول (الكتاب) مفعول به ثان (وقينا) عطف على آتينا (من بعده) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (بالرسول) جار ومجرور متعلقان ببقينا (وآتينا) عطف على ما تقدم (عيسى) مفعول به أول (بن) بدل أو صفة (مريم) مضاف إليه (البيئات) مفعول به ثان وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (وأيدناه) عطف على ما تقدم (بروح القدس) الجار والمجرور متعلقان بأيدناه (أفكلما) الهمزة للاستفهام والفاء عاطفة وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط (جاءكم) فعل ماض ومفعول به مقدم (رسول) فاعل جاء والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (بما) الباء حرف جر وما اسم موصول مجرور بالباء محلاً والجار والمجرور متعلقان بجاءكم (لا) نافية (تهوى) فعل مضارع (أنفسكم) فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة (استكبرتم) فعل ماض وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ففريقاً) الفاء عاطفة وفريقاً مفعول به مقدم (كذبتهم) فعل (وفريقاً) الواو عاطفة وفريقاً مفعول مقدم لتقتلون (تقتلون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل .

﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾



اللفظة :

(غلف) : جمع أغلف وهو في الأصل الذي لم يختن أي لا يمي ولا يفهم والمعنى هي مغشاة بأغطية لا يدري أحد ما وراءها .

الاعراب :

(وقالوا) الواو استئنافية وقالوا فعل ماض وفاعل (قلوبنا) مبتدأ ونا مضاف اليه (غلف) خبر قلوبنا والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (بل) حرف عطف واضراب (لعنهم الله) فعل ماض ومفعول به مقدم وفاعل (بكفرهم) الجار والمجرور متعلقان بلعنهم أي بسبب كفرهم (فقليلًا) الفاء استئنافية وقليلًا نعت لمصدر محذوف أي يؤمنون إيمانًا قليلًا (ما) نكرة مبهمة صفة لقليلًا (يؤمنون) فعل مضارع مرفوع •

﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا أَشْتَرُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾

اللمغة :

(يستفتحون) : يستنصرون وفتح الله على نبيّه نصره وهنا ناحية طريفة من وصف اليهود ، فقد كانوا يستنصرون الكافرين إذا قاتلوهم قائلين : اللهم انصرنا بالنبي المذكور عندنا في التوراة •

الاعراب :

(ولما) الواو استئنافية ولما ظرفية بمعنى حين أو هي حرف لمجرد الربط وهي متضمنة معنى الشرط (جاءهم) فعل ومنفعل به (كتاب) فاعل (من عند الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لكتاب والجملة في محل جر بإضافة الظروف اليها إذا أعربنا لما ظرفية أو لا محل لها إذا كانت رابطة وجواب لما محذوف تقديره كذبوا أو نحوه (مصدق) نعت لكتاب أيضاً (لما) اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدق (معهم) مفعول به ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة (وكانوا) الواو حرف عطف والمعطوف هو الجواب المحذوف وكان واسمها (من قبل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يستفتحون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة فعلية في محل نصب خبر كانوا (على الذين) جار ومجرور متعلقان يستفتحون (كفروا) فعل وفاعل والجملة لا محل لأنها صلة الموصول (فلما) الفاء عاطفة ولما حينية أو رابطة (جاءهم) تقدم اعرابها (ما) اسم موصول فاعل (عرفوا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول (كفروا به) جملة فعلية لا محل لها من الاعراب لأنها جواب لما (فلعنة) الفاء للتعليل ولعنة مبتدأ والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها في حكم الاستئنافية (الله) مضاف إليه (على الكافرين) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لعنة والمعنى أن لعنة الله متسببة عما تقدم (بثما) بثس فعل ماض لانشاء الذم وما نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز وهي مفسرة لفاعل بثس بمعنى بثس شيئاً (اشتروا) فعل وفاعل والجملة صفة لما (به) الجار والمجرور

متعلقان باشتروا (أنفسهم) مفعول به (أن يكفروا) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ لأنه المخصوص بالذم وجملة بثس هي الخبر المقدم (بما) الباء حرف جر وما اسم موصول في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بيكفروا (أنزل الله) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول (بغيًا) مفعول لأجله وهو علة اشتروا أو علة يكفروا (أن ينزل الله) أن وما بعدها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي بغوا لانزال الله (من فضله) الجار والمجرور متعلقان ينزل أيضًا (على من يشاء) جار ومجرور متعلقان ينزل ويشاء فعل وفاعله مستتر (من عباده) الجار والمجرور متعلقان بمنحذوف حال مبنية لمن يشاء (فباءوا بغضب) الفاء حرف عطف وباءوا فعل وفاعل والجار والمجرور متعلقان بباءوا (على غضب) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف صفة لغضب أو مترادف (وللكافرين) الواو استئنافية وللكافرين جار ومجرور متعلقان بسحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (مهين) صفة لعذاب .

الفوائد :

١ - (ما) المتصلة بنعم وبئس من أفعال المدح والذم تختلف فيها النحاة والأكثر أنها نكرة تامة بمعنى شيء فتكون موضع نصب على التمييز وقيل هي موصولة فتكون هي الفاعل .

٢ - المخصوص بالمدح والذم يعرب مبتدأ والجملة الفعلية قبله خبر ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف واجب الحذف .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا

وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ
 اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

الاعراب :

(وإذا قيل لهم آمنوا) تقدم اعراب ظائرها وجملة آمنوا في محل نصب مقول القول (بما أنزل الله) الباء حرف جر وما اسم موصول في محل جر بالباء وجملة أنزل الله لا محل لها (قالوا) الجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (تؤمن) الجملة في محل نصب مقول القول (بما أنزل) الجار والمجرور متعلقان بتؤمن (علينا) جار ومجرور متعلقان بأنزل (ويكفرون) الواو حالية (بما) الجار والمجرور متعلقان يكفرون (ورائه) ظرف متعلق بسحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وهو الحق) الواو حالية وهو مبتدأ والحق خبره وجملة المبتدأ والخبر في محل نصب على الحال (مصدقا) حال مؤكدة لأن تصديق القرآن لازم لا ينتقل (لما) الجار والمجرور متعلقان بمصدقاً (معهم) ظرف مكان متعلق بسحذوف صلة ما (قل) فعل أمر (فلم) الفاء هي الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي إن كانت دعواكم صحيحة فلم تقتلون واللام حرف جر وما اسم استفهام في محل جر باللام أي لأي شيء وحذفت الألف من ما فرقا بينها وبين ما الخبرية والجار والمجرور متعلقان بتقتلون (تقتلون) فعل مضارع (أنبياء الله) مفعول به (من قبل) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف حال (إن كنتم مؤمنين) ان شرطية وكنتم كان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وجملة تقتلون خبرها وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه أي فلم تقتلون .

الفوائد :

- ١ - (وراء) من الظروف المتوسطة التصرف وهو ظرف مكان والمشهور أنه بمعنى خلف وقد يكون بمعنى أمام فهو من الأضداد .
- ٢ - إذا سبق ما الاستفهامية حرف جر حذفت ألفها ونزلت الكلمتان منزلة الكلمة الواحدة فتقول : إلام ، علام ، حتام ، لم . بم ، حتام ، عم ، فيم ، مم .

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ يَسْمَا يَا مُرُّكُمْ بِهِ ۖ لِمَ تَكْفُرُونَ ۖ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾

الاعراب :

(ولقد) الواو استئنافية واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (جاءكم موسى) فعل ومفعول به مقدم وفاعل الكلام مستأنف مسوق للاعتراض عليهم بقتل الانبياء مع ادعائهم بأنهم يؤمنون بالتوراة والتوراة لا تسوغ ذلك بحال (بالبينات) جار ومجرور

متعلقان بجاءكم (ثم اتخذتم العجل) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي واتخذتم فعل وفاعل والعجل مفعول به (من بعده) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وأتم ظالمون) الواو حالية وأتم مبتدأ وظالمون خبره والجملة نصب على الحال (وإذ) تقدم إعرابها (أخذنا ميثاقكم) فعل ماض وفاعل ومفعول به والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (ورفعنا) عطف على أخذنا ولك أن تعربها حالية (فوقكم) ظرف مكان متعلق برفعنا (الطور) مفعول به (خذوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول قول محذوف وجملة القول نصب على الحال أي قائلين لكم (ما) اسم موصول مفعول به (آتيناكم) فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة (بقوة) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (واسمعوا) عطف على ما تقدم (قالوا) فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة لذكر سماعهم وعصيانهم في وقت واحد وتلك طبيعة مركوزة في اليهود (سمعنا وعصينا) الجملتان مقول للقول (واشربوا) الواو حالية أو عاطفة واشربوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل (في قلوبهم) جار ومجرور متعلقان بأشربوا (العجل) مفعول به ثان على تقدير مضاف أي حب العجل (بكفرهم) جار ومجرور متعلقان بأشربوا والباء للسببية أي بسبب كفرهم (قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر والجملة مستأنفة (بثما) تقدم إعرابها قريباً (يأمركم) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به والجملة لا محل لها (به) جار ومجرور متعلقان بيأمركم (إيمانكم) فاعل (إن كنتم مؤمنين) شرط وفعله والجواب محذوف فلم فعلتم ذلك وكان واسمها ومؤمنين خبرها .

البلاغة :

(التشبيه البليغ) أي جعلت قلوبهم لتسكن حب العجل منها
كأنها تشرب ومثله قول زهير :

فصحوت عنها بعد حبّ داخل والحبّ يشربه فؤادك دائماً

وانما عبر عن حبّ العجل بالشرب دون الأكل لأن شرب الماء
يتغلغل في الأعضاء حتى يصل الى باطنها والطعام لا يتغلغل فيها .

﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ
فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿١٤٠﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ
أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾

الاعراب :

(قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة
مسوقة للدخول في فن آخر من أراجيفهم التي يحكيونها (إن) شرطية
تجزم فعلين (كانت) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط (لكم)
جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كانت لمقدم (الدار) اسمها
المؤخر (الآخرة) نعت للدار (عند الله) ظرف مكان متعلق بخالصة
(خالصة) حال من الدار أي سالمة (من دون الناس) الجار والمجرور
متعلقان بمحذوف حال مؤكدة للحال لأن دون تستعمل للاختصاص

يقال : هذا لي دونك أو من دونك أي لا حق لك فيه (فتمنوا) الفاء واقعة في جواب الشرط لأن الكلام طلبي وتمنوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (الموت) مفعول به (إن كنتم صادقين) تكرر اعرابها وجواب الشرط محذوف أي فتمنوا الموت (ولن) الواو استئنافية ولن حرف نهي ونصب واستقبال (يتمنوه) فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (أبداً) ظرف زمان متعلق بـ يتمنوه (بما) الجار والمجرور متعلقان بـ يتمنوه أيضاً (قدمت أيديهم) جملة فعلية لا محل لها من الاعراب لأنها صلة ما والعائد محذوف أي قدمته أيديهم (والله عليم) الواو استئنافية والجملة مستأنفة (بالظالمين) الجار والمجرور متعلقان بعليم .

البلاغة :

في قوله : « فتمنوا الموت » خروج الأمر عن معناه الأصلي الى معنى التعجيز لأن ذلك ليس من سماتهم ولا من ظواهرهم المألوفة وتسنى الموت من شأن المقربين الأبرار لأن من أيقن بالشهادة اشتاق إليها ، وبكى حنيئاً إليها وقد روي عن علي بن أبي طالب أنه كان يطوف بين الصفيين في غلالة فقال ابنه الحسن : ما هذا بزي المحاربين فقال : يا بني لا يبالي أبوك سقط أم سقط عليه الموت ، ولما احتضر خالد بن الوليد بكى فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : والله ما أبالي اشفاقاً من الموت ولكن لأنني حضرت كذا وكذا معركة ثم أموت هكذا كما تموت العنز

فلا نامت أعين الجبناء ، وعن حذيفة أنه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب : جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعني على التمني . وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تمنّوا الموت لفصّ كل انسان بريقه فسات مكانه وما بقي على وجه الأرض يهودي » .

﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أُحْرِصَ عَلَىٰ حَيٰوةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ ۚ إِنَّ يُعَمَّرُ وَاللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١١)

اللفظة :

(زحزح) : يستعمل متعدياً ولازماً وتكرار الحروف بشابة
تكرار العمل .

الاعراب :

(ولتجدنهم) الواو عاطفة واللام جواب لقسم محذوف وتجدنهم فعل مضارع مبني على الفتح وفاعله ضمير مستتر فيه وجوباً تقديره أنت والهاء مفعوله الأول (أحرص الناس) مفعوله الثاني (على حياة) الجار والمجرور متعلقان بأحرص (ومن الذين أشركوا) الواو عاطفة والعطف هنا محمول على المعنى والتقدير أحرص من الذين أشركوا ولكنه حذف «أحرص» للتخصيص بعد التعميم (يود أحدهم) فعل مضارع وفاعل

والجملة حالية أو استئنافية لا محل لها (لو يعمر) لو مصدرية غير عاملة أي يود التعمير وهي خاصة بفعل الودادة وهي والفعل بعدها في تأويل مصدر مفعول يود أي يود التعمير ويعمر فعل مضارع مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر فيه جوازاً تقديره هو (ألف سنة) ظرف زمان متعلق بـيعمر (وما هو) الواو حالية وما نافية حجازية وهو اسمها (بمزحزحه) الباء حرف جر زائد ومزحزحه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما (من العذاب) الجار والمجرور متعلقان بمزحزحه (ان يعمر) ان وما في حيزها في تأويل مصدر في محل رفع فاعل لمزحزحه لأنه اسم فاعل والضمير في قوله وما هو راجع الى أحدهم وقيل هو لما دل عليه يعمر من مصدر أي وما التعمير بمزحزحه ويكون قوله أن يعمر بدلاً منه وكلاهما جيد (والله بصير بما يعملون) الواو استئنافية ويجوز في ما أن تكون موصولة أو مصدرية .

البلاغة :

١ - الأيجاز في الآية ففي تنكير حياة فائدة عجيبة فحواها أن " الحريص لا بد أن يكون حياً ، وحرصه لا يكون على الحياة الماضية والراهنة فانهما حاصلتان بل على الحياة المستقبلية ولما لم يكن الحرص متعلقاً بالحياة على الإطلاق بل بالحياة في بعض الأحوال وجب التنكير وفي الحذف توبيخ عظيم لليهود لأن الذين لا يؤمنون بالمعاد ولا يعرفون الا الحياة الدنيا لا يستبعد حرصهم عليها فإذا زاد أهل الكتاب عليهم في الحرص وهم مقرون بالبعث والجزاء كانوا أخرى باللوم والتوبيخ .

٢ - الكناية في قوله (ألف سنة) وهي كناية عن الكثرة فليس المراد خصوص الألف .

﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا
لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٧٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَلَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (٧٨)

الاعراب :

(قل) فعل أمر وفاعله أنت (من) اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وجملة قل مستأنفة مسوقة لبيان نمط آخر من أنماط لجاجهم وعنادهم (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسمها يعود على من (عدواً) خبرها (لجبريل) اللام حرف جر وجبريل اسم مجرور باللام وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه علم أعجمي والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لعدواً (فإنه) الفاء عاطفة على جواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له والتقدير فليمت غيظاً أو فلا موجب لعداوته ولا يصح أن يكون قوله فإنه هو الجواب لأن جواب الشرط لا بد أن يكون فيه ضمير يعود عليه فلا يصح أن تقول من يكرمني فزيد قائم وان واسمها ولأن فعل التنزيل متحقق المعنى والجزاء لا يكون الا مستقبلاً (نزله) فعل وفاعل مستتر ومفعول به والضمير يعود على القرآن وفي اضمارها على ما لم يسبق ذكره تفخيم لشأن صاحبه كأنه يدل على نفسه وجملة نزله خبر كأن

(على قلبك) الجار والمجرور متعلقان بنزله (بإذن الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (مصداقاً) حال ثانية (لما) الجار والمجرور متعلقان بمصداقاً (بين يديه) الظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (وهدي وبشرى) معطوفان على مصداقاً (للمؤمنين) الجار والمجرور متعلقان ببشرى أو بمحذوف صفة وخبر من فعل الشرط والجواب المحذوف (من) اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص واسمها مستتر يعود على من (عدواً) خبر كان (الله) متعلقان بمحذوف صفة لعدو (وملائكته ورسله وجبريل وميكال) عطف (فإن الله عدو للكافرين) الجملة معطوفة على جواب الشرط وقد تقدم تقرير ذلك .

الفوائد :

العرب إذا فطقت بالأعجبى تصرفت فيه وجبر معناه عبد ، وإيل هو الله فهو بمنزلة عبد الله ومعنى ميكال أو ميكائيل عبيد الله فكأنه أصغر منزلة من جبريل .

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ
 ﴿١٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
 ﴿٢٠﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَأَوْا ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

اللفظة :

(نَبَذَ) : لهذا الفعل خصائص عجيبة فهو في الأصل بمعنى الطرح يقال : نبذ الشيء من يده أي طرحه ورمى به ، وصبي منبوذ ونهي عن المنابذة في البيع وهي أن تقول : انبذ إليّ المتاع أو أنبذه إليك ، ومن مجاز هذا الفعل قولهم : نبذ أمرى وراء ظهره إذا لم يعمل به ومنه قوله تعالى : « نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم » قالوا : ويتعيّن أن يكون نبذ من أفعال التحويل أو التصيير لدلالاتها على الانتقال من حالة الى حالة أخرى وعلى هذا فكتاب الله مفعول به أول ووراء ظهورهم مفعول به ثان ويبعد بل يتعذر جعله ظرفاً لنبذ لأن الظرف لابد أن يكون حاوياً لفاعل العامل فيه والنابذون غير كائنين وراء ظهورهم على أن بعض النحاة لا يشترطون وجود الفاعل والمفعول في الظرف وقال ابن حجر في شرح المنهاج : ولك أن تقول : إن للقاعدة وجهاً وجيهاً لأن ظرف المكان من الحسيات فإذا جعل ظرفاً لفعل حسي متعدد لزم كون الفاعل والمفعول فيه لأن الفعل المذكور لا يتحقق إلا بوجودهما بخلاف الفعل المعنوي فانه أجنبي من الظرف الحسي فاكتفى بما هو لازم له لكل تقدير وهو الفاعل فقط وللفقهاء أحكام في التشريع مستندة الى هذا الخلاف الطويل ، فتدبر هذا الفصل فانه وإن طال بعض الطول فهو كالحسن غير مسلول .

الاعراب :

(ولقد) الواو استئنافية واللام جواب لقسم محذوف وقد حرف تحقيق (أنزلنا إليك) فعل وفاعل والجار والمجرور متعلقان بأنزلنا (آيات) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث

سالم (بينات) صفة (وما) الواو عاطفة وما نافية (يكفر بها) فعل مضارع مرفوع والجار والمجرور متعلقان به (إلا) أداة حصر (الفاسقون) فاعل يكفر (أوكلما) الهزة للاستفهام الانكاري والواو عاطفة على محذوف تقديره اكفروا بالآيات البينات أو أن الأصل تقديم العاطف على حرف الاستفهام وإنما قدمت الهزة لأن لها صدر الكلام وكلما ظرف زمان متضمن معنى الشرط وقد تقدم اعرابها (عاهدوا) فعل وفاعل (عهداً) مفعول به وعاهدوا بمعنى أعطوا والمفعول الأول محذوف أي أعطوا الله عهداً ويجوز أن نعرب عهداً مفعولاً مطلقاً (نبذه) فعل ومفعول به مقدم (فريق) فاعل (منهم) الجار والمجرور صفة لفريق (بل) حرف اضراب وعطف (أكثرهم) مبتدأ (لا يؤمنون) لا نافية وجملة لا يؤمنون خبر أكثرهم والجملة الاسمية عطف على الجملة السابقة (ولما) الواو عاطفة ولما ظرفية حينية أو رابطة (جاءهم) فعل ومفعول به (رسول) فاعل وجملة جاءهم في محل جر باضافة الظرف إليها أو لا محل لها (من عند الله) الجار والمجرور صفة لرسول (مصدق) صفة ثانية (لما) جار ومجرور متعلقان بمصدق (معهم) ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة للموصول (نبذ فريق) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من الذين) الجار والمجرور صفة لفريق (أوتوا الكتاب) فعل ماضٍ ونائب فاعل ومفعول به ثان (كتاب الله) مفعول نبذ (وراء ظهورهم) مفعول ثان لنبذ لتضمنه معنى جعل أو ظرف مكان متعلق بمحذوف هو المفعول الثاني وقد تقدم القول فيه (كأنهم لا يعلمون) كأن واسمها وجملة لا يعلمون خبرها وجملة كأنهم حالية .

وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سَلِيمٍ وَمَا كَفَرَ سَلِيمٌ
وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ

يَبَايِلْ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ
 فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا
 هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ
 وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبَّسَ مَا شَرَوْا بِهِ
 أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

اللفظة :

(هاروت وماروت) : علمان أعجيبان بدليل منع الصرف ولو
 كانا من الهوت والمرت أي الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقد نسجت
 حولهما أساطير طريفة يرجع إليها في المطولات •

(خلاق) : بفتح الخاء أي نصيب •

(بابل) : مدينة قديمة والمنع من الصرف للعلمية والعجمة وتقع
 أنقاضها على الفرات قرب الحلة شرقي بغداد •

الاعراب :

(واتبعوا) الواو عاطفة واتبعوا فعل ماضٍ وفاعل (ما) اسم
 موصول مفعول اتبعوا (تتلو الشياطين) فعل مضارع وفاعل والجملة
 صلة الموصول (على ملك سليمان) الجار والمجرور متعلقان بتتلو

وسليمان مضاف اليه وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف
 للعسقية والعجبة وزيادة الألف والنون موقوفة على معرفة الاشتقاق (وما كهر)
 الواو حالية أو استئنافية وما نافية (سليمان) فاعل كهر (ولكن) الواو
 عاطفة ولكن حرف استدراك مشبه بالفعل (الشياطين) اسم لكن
 (كفروا) الجملة الفعلية خبر لكن (يعلسون) فعل مضارع والواو
 فاعل والجملة حالية أو خبر ثان (الناس) مفعول به أول (السحر)
 مفعول به ثان (وما أنزل على الملكين) الواو حرف عطف وما اسم
 موصول معطوف على السحر وجملة أنزل صلة ما والجار والمجرور
 متعلقان بأنزل (بيابل) جار ومجرور متعلقان بسحذوق حال (هاروت
 وماروت) بدل من الملكين (وما) الواو استئنافية وما نافية (يعلسان)
 فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والألف فاعل (من أحد)
 من حرف جر زائد وأحد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول يعلسان
 (حتى) حرف غاية وجير ومن الغريب أن يزعم أبو البقاء أنها تأتي بمعنى
 إلا ولم ترد في اللغة بهذا المعنى (يقولا) فعل مضارع منصوب بأن
 مضمرة بعد حتى (إنما) كافة ومكفوفة (نحن) مبتدأ (فتنة) خبر
 والجملة الاسمية في محل نصب مقول للقول (فلا تكفر) الفاء هي
 الفصيحة ولا ناهية وتكفر فعل مضارع مجزوم بلاء أي إذا شئت اتباع
 الطريق السوي فلا تكفر بتعلمه (فيتعلسون) الفاء استئنافية وقال
 سيويه هي عاطفة (منهما) جار ومجرور متعلقان يتعلمون (ما) اسم
 موصول مفعول به (يفرقون) الجملة صلة ما (به) جار ومجرور
 متعلقان يفرقون (بين المرء وزوجه) الظرف متعلق يفرقون أيضاً
 (وما) الواو حالية وما حجازية (هم) اسمها (بضارين) الباء حرف جر
 زائد وضارين مجرور لفظاً خبر ما محلاً (به) جار ومجرور متعلقان

بضارين (من أحد) من حرف جر زائد ، أحد مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول ضارين وهو اسم فاعل (إلا) أداة حصر (ياذن الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المستتر الفاعل لضارين أو من المفعول به الذي هو أحد (ويتعلمون) عطف على ما سبق (ما) اسم موصول مفعول به (يضرهم) الجملة صلة ما (ولا ينفعهم) عطف على الصلة (ولقد) الواو استئنافية مسوقة للشروع في بيان حالهم بعد تعلم السحر واللام جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (علموا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم (لمن) اللام لام الابتداء وتفيد التأكيد ومن اسم موصول مبتدأ وجملة (اشتراه) لا محل لها (ما) فافية أو حجازية (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم أو خبر ما (في الآخرة) الجار والمجرور في محل نصب حال (من) حرف جر زائد (خلاق) اسم مجرور بمن لفظاً مبتدأ مؤخر أو اسم ما والجملة في محل رفع خبر من والجملة كلها في حيز النصب وقد سدت مفعولي علموا المعلقة عن العمل (ولبس) الواو عاطفة واللام موطئة للقسم ولبس فعل ماض جامد لانشاء الذم (ما) نكرة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز مفسرة لفاعل لبس أي شيئاً (شروا) فعل وفاعل والجملة صفة (به) جار ومجرور متعلقان بشروا (أنفسهم) مفعول به (لو) شرطية (كانوا) كان واسمها وجملة (يعلمون) خبرها وجواب لو محذوف أي لما أقدموا على ما اجترحوه من عمل مغاير .

البلاغة :

في هذه الآية فن رفيع من فنون البلاغة وهو تنزيل العالم منزلة الجاهل فإن صدر الآية يدل على ثبوت العلم في أنه لا تقع لهم في اشتراء

كتب السحر والشعوذة واختيارها على كتب الله وآخر الآية ينفي عنهم العلم فإن لو تدل على امتناع الثاني لامتناع الأول إلا أن بقي العلم عنهم لأمر خطابي ظراً إلى أنهم لا يعملون على مقتضى العلم ولكن في ذلك مبالغة من حيث الإشارة إلى أن علمهم بعدم الثواب كاف في الامتناع فكيف العلم بالذم والرداءة .

﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْكَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١٥٦﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥٧﴾

اللمة :

(راعنا) : راقبنا وتأن بنا حتى نفهمه ، روي أن المسلمين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ألقى عليهم شيئاً من العلم راعنا ، وكانت لليهود كلمة عبرانية يتسابتون بها وهي « راعنا » قيل : معناها : اسمع لا سمعت فلما سمعوا قول المؤمنين راعنا افترصوا ذلك وخطبوا الرسول ، ولما سمعها سعد بن معاذ منهم وكان يعرف العبرية قال : يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها من رجل منكم يقولها لرسول الله لأضربن عنقه فقالوا : أولستم تقولونها فنزلت الآية .

(انظرونا) أنسنا وأمهنا .

الاعراب :

(ولو) الواو استئنافية أو عاطفة ولو شرطية ولسيويه في تسميتها اسم طريف وهو حرف لما كان سيقع لوقوع غيره (أنهم) أن واسمها (آمنوا) فعل ماض وفاعل والجملة الفعلية خبر أن وإن واسمها وخبرها في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف أي لو أن إيمانهم ثابت وقيل في محل رفع فاعل لفعل محذوف أي لو ثبت إيمانهم (واتقوا) عطف على آمنوا (لمثوبة) اللام للابتداء وقيل هي واقعة في جواب لو وقد أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو للدلالة على الثبوت والديمومة للمثوبة ومثوبة مبتدأ أو ساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت (من عند الله) الجار والمجرور صفة لمثوبة (خير) خبر مثوبة (لو كانوا يعلمون) تقدم إعرابها وجواب لو محذوف دل عليه ما قبله أي لأثيبوا (يا أيها) يا حرف نداء وأي منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه (الذين) بدل من أيها (آمنوا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول (لا) ناهية (تقولوا) فعل مضارع مجزوم بلا (راعنا) فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت ونا مفعول به وذلك في الأصل والمراد بها هنا الحكاية فتعرب كلمة أريد بها لفظها دون معناها في محل نصب مفعول به (وقولوا) عطف على لا تقولوا (انظرونا) في الأصل فعل أمر ونا مفعوله والمراد بها هنا الحكاية (واسمعوا) الواو عاطفة واسمعوا معطوفة على لو والمفعول به محذوف أي اسمعوا ما يكلسكم به الرسول ويلقي عليكم من المسائل المؤدية الى فلاحكم (وللكافرين) الواو استئنافية مسوقة للاجمال بعد التفصيل والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) نعت لعذاب .

البلاغة :

ألمت الآية الى فن من أجل فنون البلاغة وأكثرها استقطاباً للمقاصد السامية والمثل الرفيعة وهو فن التهذيب أي ترداد النظر فيما يكتبه الكاتب وينظمه الشاعر ، فقد خلصت من الايهام ودلت على آداب المخاطبة ليكون الكلام بريئاً من المطاعن ، بعيداً عن الملاحن . .

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

اللفظة :

(اختص) فعل متعدٍ يقال خصته بكذا واختصته وخصّصه وأخصّته فاخصّ به جميع ما فاؤه خاء وعينه صاد يدل على الاجتماع والتكاثر والانقسام كخصب المكان وأخصب أي وقع فيه الخصب وهو اجتماع النبات وتكاثره وخاصر المرأة قبض على خاصرتها قال عبد الرحمن بن حسان بن ثابت :

ثم خاصرتها الى القبة الخضراء
اء تمشي في مرمر مسنون

وخصف الأوراق : اتبع بعضها ببعض وهم خصوم وخصاء
ولا يكون ذلك إلا في اجتماع .

الاعراب :

(ما) نافية (يود) فعل مضارع مرفوع (الذين كفروا) فاعل
يود وجملة كفروا صلة (من) حرف جر (أهل الكتاب) مجرور بمن
والجار والمجرور في محل نصب على الحال (ولا المشركين) عطف على
أهل الكتاب ودخلت لا للتأكيد ولو كانت في غير القرآن لجاز حذفها
(أن ينزل) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول يود وينزل مبني
للمجهول (عليكم) جار ومجرور متعلقان ينزل (من) حرف جر زائد
(خير) مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه نائب فاعل (من ربكم)
صفة لخير (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يختص) فعل مضارع
مرفوع وفاعله مستتر تقديره هو والجملة خبر الله (برحمته) جار
ومجرور متعلقان يختص (من) اسم موصول مفعول به (يشاء)
الجملة صلة الموصول (والله) الواو عاطفة والله مبتدأ (ذو الفضل) خبر
وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة (العظيم) نعت للفضل •

﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ ﴿

اللفظة :

(النسخ) الإزالة والنقل يقال : نسخت الريح الأثر أي أزالته
ونسخت الكتاب أي نقلته وتفيد معنى طروء حال أحسن وجميع مافأؤه

تون وعينه سين يدل على التجدد والتبدل وطروء الأحسن أو الذهاب والانتقال فمن ذلك نسا الشيء والأمر : أخره وأنسا الله أهلك أخره وأطاله ونسب : تغزل ووصف المرأة بأوصاف ملائمة لمفاتها وهذا من أعاجيب لغتنا العربية فتأمله فإنه مما ابتدعناه لأول مرة ومعنى الآية عجيب أيضاً أي أن كل آية نذهب بها على ما تقتضيه الحكمة من إزالة لفظها أو حكمها أو كليهما معاً تأتي بخير منها .

الاعراب :

(ما) اسم شرط جازم في محل مفعول به مقدم لنسخ (نسخ) فعل الشرط مجزوم (من آية) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لاسم الشرط واسم الشرط ليس معرفة فلا يجوز أن يكون الجار والمجرور حالاً منه والمعنى أي شيء نسخ من الآيات فهو مفرد وقع موقع الجمع وهذا مطرد بعد الشرط لما فيه من معنى العموم وعلى هذا يخرج كل ما جاء من هذا التركيب كقوله : ما يفتح الله للناس من رحمة ، وما بكم من نعمة فمن الله ، وأجاز بعضهم أن تكون من آية في موضع نصب على التمييز والمميز ما وليس ببعيد أيضاً وأعربها ابن هشام في موضع نصب على الحال وليس ببعيد أيضاً (أو) حرف عطف (نسها) معطوف على نسخ وقد سهلت الهمزة فلم يظهر السكون والأصل نسها أي نرجئها والهاء مفعول به (نأت) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة (بخير) الجار والمجرور متعلقان بنأت (منها) جار ومجرور متعلقان بخير لأنها اسم تفضيل (أو مثلها) عطف على بآية (ألم) الهمزة للاستفهام التقديرية ولم حرف نفي وقلب وجزم (تعلم) فعل مضارع مجزوم بلم (أن الله) أن واسمها (على كل شيء) الجار

والمجرور متعلقان بقدير (قدير) خبر أن وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي تعلم (ألم تعلم) تقرير ثان (أن الله) أن واسمها (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (ملك السموات) مبتدأ مؤخر (والأرض) عطف على السموات (وما لكم) الواو عاطفة وما نافية ولكم خبر مقدم (من دون الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (من ولي) من حرف جر زائد وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر (ولا نصير) عطف على ولي .

﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١٨)

الاعراب :

(أم) عاطفة منقطعة بمعنى بل (تريدون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل (أن تسألوا) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول تريدون (رسولكم) مفعول به لتسألوا (كما سئل موسى) الكاف حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مفعول مطلق أو حال وموسى نائب فاعل سئل (من قبل) جار ومجرور متعلقان بسئل (ومن) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (يتبدل) فعل الشرط (الكفر) مفعول به (بالإيمان) جار ومجرور متعلقان بيتبدل وهو المتروك (فقد) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق (ضل) فعل ماض وفاعله هو (سواء السبيل) مفعوله ؛ والجملة في محل جزم جواب الشرط .

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا
حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٦﴾﴾

الاعراب :

(ودّ كثير من أهل الكتاب) فعل وفاعل والجار والمجرور صفة لكثير (لو يردونكم) لو مصدرية وهي مؤولة مع ما بعدها بمصدر مفعول ود ، يردونكم فعل وفاعل ومفعول أول (من بعد إيمانكم) جار ومجرور متعلقان يردون وإيمانكم مضاف إليه (كفاراً) مفعول ثان ليردونكم (حسداً) مفعول لأجله (من عند أنفسهم) الجار والمجرور متعلقان بود على معنى أنهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند أنفسهم لا من قبل الجنوح الى الحق لأنهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم أنكم على الحق ويؤكد قوله فيما بعد « تلك أمانيتهم » (من بعد ما تبين لهم الحق) الجار والمجرور متعلقان بود وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف لبعده والحق فاعل تبين (فاعفوا) الفاء هي الفصيحة واعفوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (واصفحوا) عطف على فاعفوا (حتى يأتي الله بأمره) حتى حرف غاية وجر ويأتي فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والله فاعل وبأمره الجار والمجرور متعلقان يأتي (إن الله على كل شيء قدير) إن واسمها وقدير خبرها والجار والمجرور متعلقان بقدير وجملة إن الله استئنافية أو بمثابة التعليل .

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ

تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ^ع إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ ﴿

الاعراب :

(وأقيموا الصلاة) الواو استئنافية وأقيموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والصلاة مفعول به (وآتوا الزكاة) عطف على ما تقدم (وما تقدموا) الواو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم وتقدموا فعل الشرط والواو فاعل (لأنفسكم) الجار والمجرور متعلقان بتقدموا (من خير) الجار والمجرور صفة لاسم الشرط أو تمييز كما تقدم (تجدوه) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (عند الله) الظرف متعلق بتجدوه أو بمحذوف حال (إن الله) إن واسمها (بما تعملون) الجار والمجرور متعلقان ببصير (بصير) خبر إن وجملة إن وما تلاها مستأنفة أو تعليلية .

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ^ع قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۖ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾

الاعراب :

(وقالوا) عطف على ود والضمير لأهل الكتاب من اليهود

والنصاري (لن) حرف تقي ونصب واستقبال (يدخل) فعل مضارع منصوب بـ (لن) (الجنة) مفعول به على السعة (إلا) أداة حصر (من) اسم موصول فاعل (كان) فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو (هوداً) خبرها (أو نصارى) عطف على هوداً (تلك) اسم إشارة مبتدأ (أمانهم) خبر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها اعتراض بين قوله وقالوا وبين قوله قل هاتوا برهانكم (قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (هاتوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (برهانكم) مفعول به (إن كنتم صادقين) شرط وفعله والجواب محذوف والتقدير فهاتوا برهانكم (بلى) حرف جواب لاثبات ما تنوه من دخول غيرهم الجنة (من) اسم شرط جازم مبتدأ (أسلم وجهه) فعل الشرط (لله) الجار والمجرور متعلقان بأسلم (وهو) الواو للحال وهو مبتدأ (محسن) خبره والجملة في محل نصب على الحال (فله أجره) الفاء رابطة والجار والمجرور خبر مقدم وأجره مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (عند ربه) الظرف متعلق بسحذوف حال (ولا خوف) الواو عاطفة ولا نافية وخوف مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه (عليهم) الجار والمجرور خبر خوف (ولا هم يحزنون) عطف على ما تقدم .

الفوائد :

اختلف اللغويون في نون البرهان فقال قوم : زائدة لأنه مشتق من البره وهو القطع وذلك لأنه دليل يفيد العلم القطعي ومنه البرهنة للقطعة الطويلة من الزمن فوزه فعلا وقال آخرون : أنها أصلية لأنه من برهن يبرهن برهنة والبرهنة البيان فوزه فعلا وعلى هذا فبرهان إذا كان علماً لرجل يجوز صرفه ومنعه حسب الاعتبارين الآتين .

البلاغة :

(جمع الأمانى) في حين ما تمتّوه لا يعدو كونه أمنية واحدة وهي دخول الجنة لسرٍّ عجيب في صناعة البيان وهو انها لشدة تمنّهم لهذه الأمنية وتأصلها في قوسهم جعلت وأنها بمثابة أمان توزعت في كل قلب فلم تترك فراغاً لغيرها .

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ ۖ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ۚ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۖ ﴾

الاعراب :

(وقالت اليهود) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حالة من حالات الجهالة المتأصلة في قوسهم ، روي أن وفد نجران لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم وضلل كل فريق صاحبه (ليست النصارى على شيء) ليس فعل ماض ناقص ووزنها فعل بكسر العين وهو بناء نادر في الثلاثي اليائي العين والنصارى اسمها وعلى شيء خبرها والجملة مقول القول (وقالت النصارى ليست اليهود على شيء) عطف على الجملة الأولى (وهم) الواو حالية وهم مبتدأ (يتلون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبرهم والجملة الاسمية في محل نصب على الحال

(الكتاب) مفعول به (كذلك) الجار والمجرور في محل نصب نعت
 لمفعول مطلق محذوف أي قالوا قولاً مثل ذلك ولك أن تعرب الجار
 والمجرور في محل نصب على الحال (قال الذين) فعل وفاعل
 (لا يعلمون) لا نافية ويعلمون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل
 والجملة لا محل لها لأنها صلة (مثل قولهم) صفة لمصدر محذوف
 والمعنى مثل قول اليهود والنصارى (فآله) الفاء استئنافية والله مبتدأ
 (يحكم) فعل مضارع وفاعله هو والجملة خبر الله (بينهم) ظرف متعلق
 يحكم (يوم القيامة) الظرف متعلق بمحذوف حال (فيما) جار
 ومجرور متعلقان يحكم (كانوا) كان واسمها والجملة صلة الموصول
 (فيه) جار ومجرور متعلقان يختلفون (يختلفون) الجملة الفعلية
 خبر كانوا .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي
 خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا
 نَحْزِيٌّ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٤ ﴾ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ
 فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَمُوجُهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ١١٥ ﴾

اللفظة :

(المساجد) : جمع مسجد وهو اسم مكان للسجود وكان من
 حقه أن يأتي على مقفّل بفتح العين لأن عين مضارعه مضمومة ولكنه

سَمِعَ بِالْكَسْرِ شَذُوذًا كَمَا شَذَّتْ أَلْفَاظُ "جاءت بالكسر مع أنها مصوغة من مضسوم العين في المضارع وهي المَطْلَع والمغرب والمشرق والمسجد والمنسِك والمجزِر والمنبت والمسقِط والمفرق والمسكن ويجوز فيها الفتح ولكن السماع أفصح •

الاعراب :

(ومن) الواو استئنافية ومن اسم استفهام في محل رفع مبتدأ ومعناه النفي (أظلم) خبر من (من) جار ومجرور متعلقان بأظلم (منع مساجد الله) فعل ماض وفاعل مستتر يعود على من ومساجد الله مفعول به والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (أن يذكر) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول ثانٍ لمنع ولك أن تعرب المصدر مفعولاً لأجله أي كراهة أن يذكر فيها اسمه (فيها) جار ومجرور متعلقان بيذكر (اسمه) نائب فاعل ولك أن تعرب المصدر بدل اشتمال من مساجد الله لأنها تشتمل على الذكر (وسعى) عطف على منع (في خرابها) الجار والمجرور متعلقان بسعى (أولئك) اسم إشارة مبتدأ والجملة مستأنفة (ما) نافية (كان) فعل ماض ناقص (لهم) خبر مقدم لكان (أن يدخلوها) المصدر المؤول من أن وما في حيزها اسم كان المؤخر (إلا) أداة حصر (خائفين) حال من فاعل يدخلوها (لهم) الجار والمجرور خبر مقدم (في الدنيا) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (خزي) مبتدأ مؤخر والجملة لا محل لها لأنها استئنافية (ولهم) الواو عاطفة لهم خبر مقدم (في الآخرة) الجار والمجرور في محل نصب حال (عذاب) مبتدأ مؤخر (عظيم) نعت لعذاب (والله) الواو عاطفة والجار والمجرور خبر مقدم (المشرق) مبتدأ مؤخر (والمغرب) عطف على

المشرق (فأینما) الفاء استئنافية وأینما اسم شرط جازم في محل نصب ظرف مكان متعلق بما بعده (تولوا) فعل الشرط (فثم) الفاء رابطة لجواب الشرط وثم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر مقدم (وجه الله) مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط (إن الله واسع عليم) إن واسمها وخبرها .

الفوائد :

(ثم) : بفتح التاء ويقال للمؤنث ثمة إشارة للمكان البعيد ولا يجزان الا بمن والى .

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قَانُونٌ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ ﴾

اللمغة :

(اتخذ) : من أفعال التحويل التي تنصب مفعولين وأخواتها اتخذ وصير وردّ وترك وجعل وهب وقد أثّرت معركة طريفة حول اتخذ فقد استدرك ابن هشام على الجوهري صاحب الصحاح فقال : « وقول الجوهري في اتخذ أنه افتعل من الأخذ وهم » وإنما التاء أصل وهو من اتخذ كاتبع من تبع » ويعتمد ابن هشام في تخطيطه للجوهري على أنه لو كان من أخذ لوجب أن يقال : أيتخذ لأن الضابط في ذلك أنك

تقول في افتعل من الإزار ايتزر بإبدال الهمزة ياء تحتانية ولا يجوز ابدال هذه الياء التحتانية تاء فوقانية وإدغامها في التاء لأن هذه الياء بدل من همزة وليست أصلية ، وقد استدرك آخرون على ابن هشام فقالوا : إن الإقدام على تغليب الجوهري ليس بالهين فيجوز أن يكون ذلك مذهباً له ، ولا يقال : الجوهري ليس من أرباب المذاهب مع أن الظاهر يساعده فما قاله الجوهري وجه والوجه الثاني ما ذكره ابن هشام .

الاعراب :

(وقالوا) الواو حرف عطف وقالوا فعل وفاعل (اتخذ الله ولدا) فعل وفاعل ومفعول به والجملة مقول القول (سبحانه) مفعول مطلق لفعل محذوف والجملة معترضة للتنزيه (بل) حرف عطف واضراب (له) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (ما) اسم موصول مبتدأ مؤخر (في السموات والأرض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول (كل) مبتدأ ساغ الابتداء به لما فيه من معنى العموم والتنوين في كل عوض عن كلمة أي كل فرد من أفراد المخلوقات (له) جار ومجرور متعلقان بقائتون أي خاضعون منقادون وقد غلب في الملكية ما لا يعقل فقال ما في السموات لأن المراد تسخيرها له التسخير الطبيعي الذي لا يشترط فيه الاختيار ولا التسخير الشرعي المعبر عنه بالتكليف الذي يفعله الكاسب باختياره ويستوي في التسخير الطبيعي العاقل وغيره ولكنه في غير العاقل أظهر ولما ذكر القنوت له تعالى جمعه جمعاً مذكراً سالماً فغلب فيه العقل لأن من شأن القنوت أن يكون من العاقل الذي يشعر بموجبه ويفعله باختياره وإن كان لغير العاقل قنوت يليق به (قاتنون)

خبر كل (بديع السموات) خبر لمبتدأ محذوف وهو من باب إضافة الصفة المشبهة الى فاعلها والأصل بديع سواته (والأرض) عطف على السموات (وإذا) ظرف لما يستقبل من الزمن خافض لشرطه منصوب بجوابه (قضى أمراً) الجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (فإنما) الفاء رابطة وإنما كافة (يقول له) الجار والمجرور متعلقان يقول والجملة لا محل لها (كن) فعل أمر من كان التامة بمعنى حدث (فيكون) الفاء استئنافية ويكون فعل مضارع تام مرفوع أي فهو يحدث وجملة كن مقول القول .

البلاغة :

(المجاز العقلي) في إسناد الفعل أو مافي معناه الى غير ما هو له لعلاقة مع قرينة مانعة من الإسناد وهو يدرك بالعقل ومن أمثله البديعة في الشعر قول المتنبي :

كلنا أثبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

وقد يلتبس بالاستعارة والفرق بينها قصد التشبيه أو عدمه كما هو مقرر في كتب البلاغة .

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَنْزِيلًا ؕ آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَبِهْتَ قُلُوبِهِمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾

الاعراب :

(وقال الذين لا يعلمون) الواو استئنافية وقال فعل ماض
والذين فاعل وجسلة لا يعلمون صلة الموصول (لولا يكلمنا الله) لولا
حرف تحضيض بسعنى هلاّ ويكلمنا الله فعل ومفعول به مقدم وفاعل
(أو) حرف عطف (تأتينا) عطف على يكلمنا (آية) فاعل (كذلك)
الجار والمجرور صفة لمفعول مطلق محذوف أو حال وقد تقدم بحثه
(قال الذين من قبلهم) فعل وفاعل ومن قبلهم صلة الموصول (مثل قولهم)
بدل من كذلك (تشابهت قلوبهم) فعل وفاعل (قد) حرف تحقيق
(بينا الآيات) فعل وفاعل والآيات مفعول به وعلامة نصبه الكسرة
(لقوم) الجار والمجرور متعلقان ببينا (يوقنون) الجسلة صفة لقوم
(إنا) إن واسمها (أرسلناك) فعل وفاعل ومفعول به (بالحق) الجار
والمجرور متعلقان بسحذوف حال ملتبساً به ومصاحباً له وجسلة أرسلناك
خبرها (بشيراً) حال أيضاً (ونذيراً) عطف على بشيراً (ولا تسأل)
الواو استئنافية على الأرجح ولا نافية وتسال فعل مضارع مبني للسجوهول
ونائب الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت (عن أصحاب الجحيم)
جار ومجرور متعلقان بتسال .

﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ
هُدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ (١٢٠) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ

حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ ۖ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٦﴾

الاعراب :

(ولن) الواو استئنافية ولن حرف نهي ونصب واستقبال
(تَرْضَى) فعل مضارع منصوب بـ (عنك) الجار والمجرور متعلقان
بـ (يَرْضَى) (اليهود) فاعل (ولا النصارى) عطف على اليهود (حتى)
حرف غاية وجر (تتبع) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد
حتى (ملتهم) مفعول به والفاعل مستتر تقديره أنت (قل) فعل أمر
مبني على السكون والجملة مستأنفة (إن) حرف مشبه بالفعل (هدى الله)
اسمها والجملة في محل نصب مقول القول (هو) مبتدأ (الهدى) خبره
والجملة الاسمية خبر إن (ولئن) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم
وإن حرف شرط جازم (اتبعت) فعل ماض مبني على السكون في محل
جزم فعل الشرط والتاء فاعل (أهواءهم) مفعول به وجواب الشرط
محذوف دل عليه جواب القسم (بعد) ظرف (الذي) اسم موصول
في محل جر بالاضافة والظرف متعلق باتبعت وجملة (جاءك من العلم)
لا محل لها لأنها صلة الموصول ومن العلم في محل نصب حال (مالك)
ما نافية ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من الله)
جاز ومجرور متعلقان بولي (من ولي) من حرف جر زائد
وولي مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر (ولا نصير) عطف
على ولي (الذين) اسم موصول مبتدأ (آتيناهم الكتاب) فعل وفاعل
ومفعولا آتينا وجملة آتيناهم لا محل لها لأنها صلة الموصول (يتلونه)
فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعله والهاء مفعول به والجملة

خبر الذين (حق تلاوته) مفعول مطلق (أولئك) اسم إشارة مبتدأ (يؤمنون به) الجملة خبر أولئك ، وجملة أولئك يؤمنون به خبر بعد خبر (ومن) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ (يكفر) فعل الشرط (به) جار ومجرور متعلقان بيكفر (فأولئك) الفاء رابطة واسم الإشارة مبتدأ (هم) مبتدأ ثان (الخاسرون) خبر هم والجملة الاسمية خبر أولئك ويحتمل أن يكون هم ضمير فصل أو عماد لا محل له .

الفوائد :

إذا اجتمع شرط وقسم استغني بجواب المتقدم منهما عن جواب المتأخر لشدة الاعتناء بالمتقدم ما لم يتقدم عليهما مبتدأ فحينئذ يترجح جانب الشرط .

﴿ يٰٓبَنِي إِسْرَءِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٢١ ﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفْعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ١٢٢ ﴾

الاعراب :

(يا بني إسرائيل) يا حرف نداء للمتوسط وبني منادى مضاف وإسرائيل مضاف اليه وقد تقدم اعراب نظيره (اذكروا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (نعمتي) مفعول به والجملة مستأنفة

مسوقة للتذكير بالنعم التي أسبغها الله على بني إسرائيل وجحدوا بها (التي) اسم موصول صفة (أنعمت عليكم) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (وأني) اني وما بعدها عطف على نعمتي أي وتفضيلي إياكم على عالمي زمانكم (فضلتكم) فعل وفاعل ومفعول والجملة خبر اني (على العالمين) جار ومجرور متعلقان بفضلكم (واتقوا) الواو حرف عطف واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (يوماً) مفعول به على حذف مضاف أي خافوا عذابه (لا تجزي) لا نافية وتجزى فعل مضارع مرفوع (نفس) فاعل (عن نفس) الجار والمجرور متعلقان بتجزي (شيئاً) مفعول به أو مفعول مطلق والجملة الفعلية صفة ليوماً (ولا يقبل منها عدل) عطف على ما تقدم وعدل نائب فاعل (ولا تنفعها شفاعة) عطف أيضاً (ولا هم ينصرون) عطف أيضاً وهم مبتدأ وجملة ينصرون خبر والواو نائب فاعل .

﴿ وَإِذْ أَتَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۚ قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ۝١٢٤﴾

اللغة :

(إبراهيم) : معناه في السريانية أب رحيم .

الاعراب :

(وإذ) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتأسي بما جرى للماضين مما يدل الى التوحيد ويزع عن الشرك وإذ ظرف لما

مضى من الزمان في محل نصب بفعل محذوف تقديره اذكر (ابتلى)
 فعل ماض (إبراهيم) مفعول به مقدم (ربه) فاعل مؤخر وجملة ابتلى
 في محل جر باضافة الظرف اليها (بكلمات) جار ومجرور متعلقان بابتلى
 (فأتتهن) معطوف على ابتلى ومعنى الاتمام أداؤهن أحسن تأدية من
 غير تفريط أو توان والمراد بالكلمات ما أوحى اليه من أوامر ونواه
 (قال) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والجملة مفسرة
 لا محل لها (إني) ان واسمها (جاعلك) خبرها والجملة مقول القول
 (للناس) جار ومجرور متعلقان بجاعلك ولك أن تعلقه بسحذوف في
 محل نصب حال لأن كان في الاصل صفة لإماماً (إماماً) مفعول جاعلك
 الثاني ، أما المفعول الثاني فهو الكاف لأنه من إضافة اسم الفاعل الى
 مفعوله (قال) فعل ماض وفاعله هو (ومن ذريتي) الواو عاطفة والجار
 والمجرور عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك
 سأكرمك فتقول : وأخي ؛ هذا ما أعربه الكثيرون . وفي النفس منه
 شيء فالأولى في رأينا أن يتعلقا بسحذوف والتقدير : واجعل من ذريتي
 إماماً (قال : لا ينال عهدي الظالمين) عهدي فاعل والظالمين مفعول به .

البلاغة :

في هذه الآية فن طريف من فنونهم يقال له : فنّ المراجعة وهو
 أن يحكي المتكلم مراجعة في القول جرت بينه وبين محاور في الحديث
 أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة ، وأبلغ إشارة ، وأرشق محاورة ، مع
 عذوبة اللفظ وجزالته ، وسهولة السبك ، انظر الى هذه القطعة من
 الكلام التي عدة ألفاظها ثلاث عشرة لفظة كيف جمعت معاني الكلام
 من الخبر والاستخبار ، والأمر والنهي والوعيد والوعيد وهذا هو
 التفصيل :

١ - الخبر في قوله : « إني جاعلك » وهو في الحقيقة وعد باستخلافه على الناس .

ب - الاستخبار في ضمن الخبر لأنه فرع عليه إذ الخبر يصير استخباراً بتصدير ما يدل على الاستفهام .

ج - الأمر في قوله : « ومن ذريتي » فإن معناه الطلب لذريته ما وعد به من الاستخلاف ، فكأنه قال : رب وافعل ذلك لبعض ذريتي وكل طلب أمر لكنه إذا كان من الله سبحانه أوجب حسن الأدب أن يسمى دعاء ولا يطلق عليه لفظ الأمر وإن كان أمراً في أصل الوعد .

د - النهي وهو في ضمن الأمر لأن الأمر بالشيء نهى عن ضده فكان معناه ولا تحرم بعض ذريتي ذلك .

هـ - الوعد تقدم بيانه في الخبر .

و - الوعيد في قوله : « لا ينال عهدي الظالمين » فإن حاصل ذلك أن الظالمين من ذريتك لا ينالهم استخلافي وحرمان ذلك غاية الوعيد .

ومن شواهد هذا الفن الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

بينسا ينعتني ابصرنتي	دون قيد الميل يعدو بي الأغر
قالت الكبرى: ترى من ذا الفتى؟	قالت الوسطى لها : هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها	قد عرفناه وهل يخفى القمر؟

وفي هذه الأبيات نكتتان بليغتان تدلان على قوة عارضة الشاعر

صاحب الفستق المقشر ، كما يسمون شعره ، ومعرفته بوضع الكلام مواضعهما :

١ - أن قوافي الايات لو أطلقت لكات كلها مرفوعة .

٢ - انه جعل التي عرفته من جملة البنات وعرفت به وشبهته تشبيهاً يدل على شغفها بحبه هي الصغرى منه ليدل على أنه فتى السن بدليل الالتزام إذ الفتية من النساء لا تميل إلا الى الفتى من الرجال غالباً ليدمج في ذلك عذره بالصبوة وأنه إنما كان منه ذلك في أيام الشبية .

٣ - وفكته ثالثة تربو على جميع ما تقدم وهي في التذييل الذي أخرجه مخرج المثل السائر حيث قال في الحكاية عنها : وهل يخفى القمر ولا يحسب أحد أن الصغرى مالت إليه لفرارتها وضعف عقلها وتقاصره عن التمييز وقلة التجربة ، ذلك أنه أخبر عن الكبرى أنها ما كانت تعرفه وقد راقها وشغفها حباً حين رآته حتى لم تتمالك عن التساؤل عنه ، أو أنها عارفة به وإنما سألت عنه تغطية لأمرها وتعمية فيه من باب تجاهل العارف ، إما إظهاراً لفرط التوكل والتدلل في الحب أو لأنها كانت تنتظر أن تجاب باسمه فتلتذ بسمعه ، أما الوسطى فقد صرحت باسمه لأن منزلتها في رجاحة العقل وحصافته ورصانة اللب ونزاهته دون منزلة الكبرى فلما سترت الكبرى نفسها بالسؤال عنه لما يقتضيه عقلها صرحت الوسطى باسمه ومعرفته بالنسبة وأبانت الصغرى عما في نفسها منه بوصفها له بصفة تدل على عظم مكاتته من قلبها لمكان سنّها من الأختين وهذا من عجائب ما يسمع في هذا الباب ولا نحب أن نختم بحث هذا الفن قبل أن نورد بعض الشواهد فمن شواهد قول ديك الجن واسمه عبد السلام بن رغبان :

مرّت فقلت لها : تحية مفرم
 ماذا عليك من السلام ؟ فسلي
 قالت : بمن تعني ؟ فطرفك شاهد
 بنحول جسم قلت : بالمتكلم
 فتضاحكت ، فبكيت قالت : لا ترع
 فلربّ مثل هواك بالمتبسم
 قلت : اتقنا في الهوى فزياة
 أو موعداً قبل الزيارة قدّمي
 فتبست خجلاً وقالت : يا فتى
 لو لم ادعك تنام بي لم تعلم
 وللبحثري واسمه الوليد :
 ونديم حلو الشائل كالد
 ينار محض النّجار عذب المصفى
 بتّ أسقيه صفوة الراح حتى
 وضع الكأس مائلاً يتكفّأ
 قلت : عبد العزيز تفديك نفسي
 قال : ليك قلت : ليك ألفا

هاكها قال : هاتها قلت : خذها

قال : لا أستطيعها ثم أغفى

وحسبنا ما تقدم •

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ
مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (١٢٥)

اللفظة :

(مَثَابَةٌ) : مَبَاءَةٌ ومرجعاً للحجاج يتفرقون عنه ثم يشوبون إليه
فهو من ثاب يشوب أي رجع وقيل : هو من الثواب الذي هو الجزاء
ويجوز أن يكون مصدراً ميمياً أو اسم مكان والهاء فيه إما للمبالغة
كعلامة ونسابة لكثرة من يشوب إليه أو لتأنيث المصدر كمقامة أو
لتأنيث البقعة •

الاعراب :

(وإِذْ) تقدم كثيراً اعراب ظائره (جعلنا) فعل وفاعل
والجسلة في محل جر باضافة الظرف اليها (البيت) مفعول جعلنا الاول
(مَثَابَةٌ) مفعول جعلنا الثاني (للناس) متعلق بمحذوف صفة لمَثَابَةٌ
(وأَمْنًا) عطف على مَثَابَةٌ (واتخذوا) الواو عاطفة واتخذوا فعل أمر

مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة مقول القول محذوف معطوف على جعلنا (من مقام) الجار والمجرور متعلقان باتخذوا (إبراهيم) مضاف اليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (مصلى) مفعول اتخذوا ومن للابتداء كأنه قيل : اتخذوا مصلّى بادئين من هذا المكان ولا داعي لما تكلفه العربون من أوجه لا يستقيم واحد منها (وعهدنا) فعل وفاعل (الى إبراهيم) متعلق بعهدنا (وإسماعيل) عطف على إبراهيم وهو علم أعجمي أيضاً وفيه لغتان اللام والنون (أن) الأظهر فيها أنها تفسيرية بمعنى أي لأنها واقعة بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (طهرا) فعل أمر مبني على حذف النون والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها مفسرة ويجوز أن تكون مصدرية والمصدر المثول في موضع نصب بنزع الخافض (بيتي) مفعول به (للطائفين) متعلق بطهرا (والعاكفين والركع السجود) عطف على الطائفين ولما كان الركع والسجود بمثابة واحدة لأن الركوع والسجود يؤلفان الصلاة أسقط حرف العطف ونزلها منزلة الكلمة الواحدة ولو عطف السجود بالواو لأوهم أنها عبادتان منفصلتان .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الشَّرَاةِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ١٢٦ ﴾

الاعراب :

(وإذ قال إبراهيم) تقدم اعرابها (رب) منادى محذوف منه حرف النداء وهو مضاف الى ياء المتكلم المحذوفة (اجعل) فعل أمر

وفاعله أنت (هذا) اسم إشارة مفعول به أول (بلداً) مفعول به ثان (آمناً) صفة (وارضق أهله) عطف على اجعل وأهله مفعول به (من الثمرات) متعلق بارضق (من) اسم موصول بدل من أهله (آمن) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (منهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (بالله) متعلقان بآمن (واليوم الآخر) عطف على الله (قال) فعل ماض والجملة استئنافية لا محل لها (ومن) اسم موصول معطوف على من الأولى (كهر) الجملة لا محل لها لأنها صلة (فأمته) الفاء رابطة لتضمن الموصول معنى الشرط وأمته فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به (فليلاً) مفعول مطلق (ثم) حرف عطف (أضطره) عطف على أمته (الى عذاب النار) متعلق بأضطره (وبئس) الواو استئنافية وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم (المصير) فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره مصيره •

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

الاهراب :

(وإذ) الواو عاطفة على ما تقدم وإذ ظرف لما مضى من الزمن وقد تقدم بحثها (يرفع إبراهيم) فعل مضارع وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف اليها (القواعد) مفعول به (من البيت) الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ومعنى الرفع هنا البناء (إسماعيل) عطف على إبراهيم (ربنا) منادى مضاف محذوف منه حرف النداء ولا بد من تقدير قول محذوف أي يقولان ربنا ويكثر حذف الحال إذا كان

قولا أغنى عنه المقول (تقبل) فعل أمر معناه الدعاء (منا) النجار
والمجرور متعلقان بتقبل (انك) إن واسمها (أنت) ضمير متصل
لا محل له من الاعراب أو مبتدأ (السميع العليم) خبران لأن أو لأنت
والجمله الاسمية خبر إن .

﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا
مَنَاسِكًا وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٢٨) رَبَّنَا وَآبَعَثْ فِيهِمْ
رُسُلًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ
إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

اللفظة :

(يزكّيه) : يطهرهم ويصفي نفوسهم من الحوبات والآثام .

الاعراب :

(ربنا) منادى مضاف وقد تقدم اعرابه (واجعلنا) عطف على
ما تقدم (مسلمين) مفعول به ثان (لك) النجار والمجرور متعلقان
بمحذوف نعت مسلمين (ومن ذريتنا) الواو عاطفة والجار والمجرور
متعلقان بمحذوف دلّ عليه المذكور أي واجعل من ذريتنا (أمة)
مفعول به أول للفعل المحذوف ومن ذريتنا هو المفعول الثاني (مسلمة)
نعت (لك) نعت ثان لأمة (وأرنا) الواو عاطفة وأر فعل أمر مبني

على حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول (مناسكنا) مفعول به ثان (وتب علينا) عطف أيضاً (إنك) ان واسمها (أنت) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (التواب) خبر أول (الرحيم) خبر ثان والجملة الاسمية خبر إن ولك أن تعرب الضمير ضمير فصل لا محل له من الاعراب والتواب الرحيم خبران لأن (ربنا) منادى مضاف (وابعث) عطف على ما تقدم (فيهم) متعلقان بابعث (رسولا) مفعول به (منهم) صفة لرسولا (يتلو) الجملة إما صفة ثانية وإما حال لأن رسولا وصف بقوله منهم (عليهم) متعلقان بيتلو (آياتك) مفعول يتلو (ويعلمهم) عطف على يتلو والهاء مفعول به أول (الكتاب) مفعول به ثان (والحكمة) عطف على الكتاب (ويزكيهم) عطف على يعلمهم (إنك أنت العزيز الحكيم) تقدم اعرابها قبل قليل .

﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٢٩)

اللفظة :

رغب عن الشيء : مال عنه وكرهه . ورغب فيه : أرادته ومال اليه وأحبه . السفه : الخفة والمراد به هنا امتهان النفس .

الاعراب :

(ومن يرغب) الواو استئنافية ومن : اسم استفهام معناه النفي

والانكار في محل رفع مبتدأ وجملة يرغب خبره (عن ملة) الجار
 والمجرور متعلقان يرغب (ابراهيم) مضاف اليه وعلامة جره الفتحة
 لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (إلا) أداة حصر (من) اسم
 موصول في محل رفع بدل من الضمير في يرغب لأن الكلام غير موجب
 أو نصب على الاستثناء (سفه نفسه) سفه فعل ماض وفاعله مستتر
 تقديره هو والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ونفسه منصوب
 بنزع الخافض أي سفه في نفسه وقيل : إن سفه يتعدى بنفسه كما
 حكى ثعلب والمبرد فهو مفعول سفه يقال سفه نفسه : أي امتنها
 وقيل : هي نصب على التمييز ولكن فيه تعريف التمييز وهو لا يكون
 إلا شذوذاً فلا يجوز حمل القرآن عليه (ولقد) الواو استئنافية واللام
 جواب قسم محذوف وقد حرف تحقيق (اصطفيناه) فعل ماض وفاعل
 ومفعول به (في الدنيا) الجار والمجرور متعلقان باصطفيناه
 (وانه) الواو حالية وان واسمها (في الآخرة) الجار والمجرور
 متعلقان بمحذوف حال (لمن الصالحين) اللام المرحقة والجار والمجرور
 متعلقان بمحذوف خبر ان .

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٢١﴾ وَوَصَّى
 بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يٰبَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ
 إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٢٢﴾

الاعراب :

(إذ) إن أضفنا الآيات بعضها الى بعض فالظرف متعلق باصطفيناه
 والأسهل أن نجري على النسق المتبع في القرآن وقد ألفناه فيها وهو

تعليقه بمضمر أي اذكر (قال) الجملة الفعلية في محل جر باضافة الظرف اليها (له) الجار والمجرور متعلقان بقال (ربه) فاعل قال والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (أسلم) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (قال) فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (أسلمت) الجملة الفعلية في محل نصب مقول القول (لرب) جار ومجرور متعلقان بأسلمت (العالمين) مضاف اليه وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (ووصى) الواو عاطفة ووصى فعل ماض (بها) الجار والمجرور متعلقان بوصى (ابراهيم) فاعل وصى (بنيه) مفعول به منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والهاء ضمير متصل في محل جر بالاضافة (ويعقوب) معطوف على ابراهيم داخل في حكمه (يا بني) منادى مضاف على اضرار القول أي قائلين فالجملة حالية (إن الله) إن واسمها (اصطفى) الجملة الفعلية في محل رفع خبر إن وفاعل اصطفى مستتر تقديره هو (لكم) الجار والمجرور متعلقان باصطفى (الدين) مفعول به (فلا تموتن) الفاء الفصيحة وسيأتي معناها أي إذا عرفتم هذا ولا تاهية وتموتن : فعل مضارع مجزوم بلا الناهية وعلامة جزمه حذف النون والنون المشددة للتوكيد وواو الجماعة المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والاصل تموتونن (إلا) أداة حصر (وأتم) الواو حالية وأتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (مسلمون) خبر والجملة الاسمية في محل نصب حال .

الفوائد :

١ - يلحق بجمع المذكر السالم في إعرابه ما ورد عن العرب مجبوعاً جمع المذكر السالم غير مستوف لشروطه نحو : أولي وأهلين

وعالمين ووابلين وأرضين وبنين وعشرين الى تسعين وسنين وبابه وهو كل ثلاثي حذفت لامه وعوض عنها هاء التأنيث نحو عضين وعزين وثبين ومثين وظبين ونحوها ومفردها سنة وعضة وعزة وثبة ومائة وظبة ويلحق به ما سمي من الاسماء المجموعة جمع المذكر السالم مثل عليّين وسجّين وغيرها .

٢ - كيفية اجراء الفعل المؤكد الذي تتوالى فيه النونات إذا جزم أن يقال فيه : أصل تموتن "تموتو نن" النون الأولى علامة الرفع والثانية والثالثة نون التوكيد الثقيلة فاجتمعت ثلاثة أمثال فحذفت نون الرفع للجزم لأن نون التوكيد الثقيلة أولى بالبقاء باعتبارها دالة على معنى مستقبل فالتقى ساكنان : الواو والنون الأولى المدغمة فحذفت الواو لالتقاء الساكنين وبقيت الضمة تدل عليها وهكذا كل ما جاء من قطائره .

البلاغة :

في النهي عن الموت أو الأمر به نكتة بلاغية رائعة فهو في حد ذاته ليس بمنهي عنه ولا مأمور به لأنه من الأمور التي لا تدخل في الإرادة الانسانية ولكنه نهى عنه هنا لإظهار أن الموت على خلاف الاسلام هو موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وكذلك الأمر بالموت تقول مت وأنت شهيد لا تريد الأمر بموته ولكن مت الميتة التي تورثك خلود الذكر في الدنيا والجنة والحياة الراغبة في الآخرة وقد تشبث أبو الطيب المتنبي بهذه النكتة فقال :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم بين طعن القنا وخفق البنود

﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ رَسُولُونَ ﴾ (١٣١)

الاعراب :

(أم) يجوز فيها أن تكون متصلة عاطفة على محذوف مقدر كأنه قيل :
أتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء وحضوراً ؟ ويجوز أن
تكون منقطعة بمعنى بل أي لم تكونوا حاضرين عندما حضر يعقوب
الموت والشهداء الحضور جمع شاهد ويجوز أن تكون لمجرد
الاستفهام بمعنى الهزة (كنتم) كان واسمها (شهداء) خبرها (إذ)
ظرف لما مضى متعلق بشهداء (حضر) فعل ماض والجملة في محل جر
بإضافة الظرف اليها (يعقوب) مفعول به مقدم (الموت) فاعل مؤخر
(إذ) ظرف بدل من إذ الاولى (قال) فعل ماض وفاعله مستتر والجملة
فعلية في محل جر بإضافة الظرف اليها (لبنيه) جار ومجرور متعلقان
بقال (ما تعبدون) ما اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم
لتعبدون وتعبدون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون
والواو فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (من بعدي) الجار
والمجرور متعلقان بمحذوف حال (قالوا) فعل وفاعل والجملة
استئنافية (نعبد إلهك) الجملة في محل نصب مقول القول (وإله
آبائك) عطف على إلهك (إبراهيم) بدل من آباءك (وإسماعيل
وإسحاق) عطف على إبراهيم (إلهها) بدل من إلهك أو حال موطئة

أو نصب على الاختصاص لنفي ما قد يخطر على البال من تعدد الإله فأتى به لدفع التوهم (واحدًا) صفة (ونحن) الواو اما عاطفة وما بعدها وهو جزء الجواب معطوف على الجزء الاول ومن الجزأين يتألف الجواب وإما اعتراضية وإما حالية نحن مبتدأ (له) جار ومجرور متعلقان بمسلمون (مسلمون) خبر نحن .

البلاغة :

في قوله تعالى : (نعبد إلهك وإله آبائك) الآية ، فنّ من فنون البلاغة يسمى الامتراد وهو أن يطرد للمتكلم أسماء الآباء المخاطب مرتبة على حكم ترتيبها في الميلاد فقد تجاوز جدهم الأدنى الى جدهم الأعلى لكونه المبتدأ بالملة المتبعة وفيه أيضاً فنّ المساواة لأن ألفاظ هذا المعنى لا فضل فيها عنه ولا تقصير وفيه أيضاً حسن البيان لأن فيها بياناً عن الدين بأحسن بيان لا يتوقف أحد في فهمه وفيها أيضاً فن الاحتراس لأنه لو وقف عند آبائك لاختلت صحة المعنى لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى الى آدم وفي آباء يعقوب عليه السلام من لا يجب اتباع ملته فاحترس بذكر البديل عما يرد على المبدل منه لو كان وقع الاختصار عليه فتأمل واعجب .

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَنْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ١٧٧ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٧٨﴾

اللفظة :

(حنيفاً) من الحنف بفتحين وهو الميل وأصله في القدمين وقد تستعمل في اليدين والحاء والنون إذا وقعتا في أول الفعل دلّ على الميل والانعطاف ومنه الحنين إلى الوطن أي الميل إليه والنزوع نحوه وحنا عليه أي أعطف ومال وحنق عليه : التصق بطنه بظهره من الألم .

الاعراب :

(تلك أمة) مبتدأ وخبر (قد خلت) الجملة صفة لأمة (لها) الجار والمجرور خبر مقدم (ما) مبتدأ مؤخر (كسبت) الجملة لا محل لها لأنها صلة ما الموصولية ، (ولكم ما كسبتم) عطف على الجملة السابقة (ولا تسألون) الواو استئنافية وتسالون فعل مضارع مبني للسجھول والواو نائب فاعل والجملة مستأنفة (عما) الجار والمجرور متعلقان بتسالون (كانوا) الجملة صلة ما (يعملون) الجملة الفعلية خبر كانوا (وقالوا) الواو استئنافية وقالوا فعل وفاعل (كونوا هوداً) كان واسمها وخبرها والجملة في محل نصب مقول القول (أو) حرف عطف ومعنى أو هنا التفصيل وهذا من اللف والنشر والسامع يرد إلى كل فريق قوله (نصارى) عطف على هوداً (تهتدوا) فعل مضارع مجزوم لوقوعه جواباً للطلب (قل) فعل أمر والجملة مستأنفة (بل) حرف اضراب وعطف (ملة) مفعول به لفعل محذوف أي تتبع أو منصوب على الإغراء بتقدير إلزموا (ابراهيم) مضاف إليه (حنيفاً) جال من ابراهيم (وما) الواو عاطفة وما نافية (كان) فعل ماض ناقص

واسمها خسير مستتر تقديره هو (من المشركين) جار ومجرور متعلقان
بمحذوف خبرها .

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ بَرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٢٦)

اللفظة :

(الأسباط) : جمع سبط بكسر السين وهو ولد البنت مقابل
الحفيد الذي هو ولد الابن .

الاعراب :

(قولوا) فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال
الخمسة والواو فاعل (آمنا) فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول
القول (بالله) جار ومجرور متعلقان بآمنا (وما أنزل إلينا) عطف على
الله وجملة أنزل إلينا صلة ما الموصولية (وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل
واسحق ويعقوب والأسباط) عطف أيضاً (وما) عطف أيضاً (أوتي)
الجملة صلة ما (موسى) نائب فاعل (وعيسى) عطف على موسى
(وما أوتي النبيون من ربهم) عطف أيضاً (لا نفرق بين أحد منهم)
الجملة الفعلية حالية ومنهم صفة لأحد (ونحن) الواو حالية ونحن

مبتدأ (له) جار ومجرور متعلقان بمسلمون (مسلمون) خبر فحن
والجمله في محل نصب على الحال •

البلاغة :

النكرة الواقعة في سياق النفي تفيد العموم لفظاً حتى ينزل
المفرد منها بمنزلة الجمع في تناوله الآحاد ، ولذلك صح دخول بين عليه
وهي لا تكون إلا بين شيئين •

﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَآءِ امْتَنُ بِهِ ۚ فَقَدِ اهْتَدَوْا ۖ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي
شِقَاقٍ ۖ فَسَبِّحْهُمْ اللَّهُ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١٢٧)

اللفظة :

(الشقاق) بكسر الشين : الخلاف لأن كل واحد من المتشاقين
يكون في شق غير شق صاحبه وله في اللغة ثلاثة معان لا تخرج عن
المفهوم الأول والثاني العداوة وهي وليدة الخلاف والثالث الضلال
وهو سمة المتنازعين والمتشاقين لأنهم يذهبون مع أهوائهم ومن غريب
أمر الشين والقاف أنهما إذا وقعتا فاء للكلمة وعينا لها دلتا على هذا المعنى
أو ما يقرب منه فالشَّقَّ : الصدع والاشتقاق شق الكلمة من الكلمة
وهذا مما لم نسبق الى استخراجِه •

الاعراب :

(فَإِنْ آمَنُوا) الفاء استئنافية وإن حرف شرط جازم وآمنوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط (بمثل) جار ومجرور متعلقان بآمنوا (ما) اسم موصول في محل جر بالاضافة (آمنتم) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (فقد) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق (اهتدوا) فعل ماض وفاعل والجملة الفعلية في محل جزم جواب الشرط (وإن تولوا) عطف على فَإِنْ آمَنُوا (فإنما) الفاء رابطة وإنما كافة ومكفوفة (هم) مبتدأ (في شقاق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرهم (فسيكفيكمهم) الفاء عاطفة للتعقيب وفائدة التعقيب الاشعار بأن الكفاية تأتي عقيب شقاقهم والسين حرف استقبال وهي أقرب في التنفيس من سوف أي في المستقبل القريب ويكفي فعل مضارع مرفوع والكاف مفعول به أول والهاء مفعول به ثان (الله) فاعل (وهو) الواو استئنافية وهو مبتدأ (السميع العليم) خبران وتعدد الخبر جائز .

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾ ١٢٨
قُلْ أَنَحْنُ جُودُنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿ ١٢٩ ﴾

اللفظة :

(صبغة) : بكسر الصاد مصدر هيئة من صبغ والمراد بها هنا الدين وسبتي صبغة لظهور أثره على معتنقه .

الاهراب :

(صبغة الله) مصدر مؤكد فهو مفعول مطلق لفعل محذوف ، وفيها إشارة الى ما أوجده الله في الناس من بدائه العقول (ومن) الواو عاطفة ومن اسم استفهام وقد خرج الاستفهام هنا الى معنى النفي في محل رفع مبتدأ (أحسن) خبر (من الله) الجار والمجرور متعلقان بأحسن (صبغة) تمييز (ونحن) الواو عاطفة ونحن مبتدأ (له) الجار والمجرور متعلقان بعابدون (عابدون) خبر نحن (قل) فعل أمر وفاعله أنت (أتحتاجوننا) الهمزة للاستفهام الانكاري وتحتاجون فعل مضارع والواو فاعل والضمير المشترك في محل نصب مفعول (في الله) الجار والمجرور متعلقان بتحتاجوننا (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (ربنا) خبر والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (وربكم) عطف على ربنا (ولنا) الواو عاطفة ولنا الجار والمجرور خبر مقدم (أعمالنا) مبتدأ مؤخر والجملة حالية (ولكم أعمالكم) عطف على الجملة السابقة (ونحن) الواو حالية ونحن مبتدأ (له) الجار والمجرور متعلقان بمخلصون (مخلصون) خبر نحن والجملة حالية أيضاً .

البلاغة :

في قوله : صبغة الله استعارة تصريحية شبه الدين الاسلامي بالصبغة وحذف المشبه وأبقى المشبه به وقد تشبث بالمعنى واللفظ أعشى همدان حيث قال :

وكل أناس لهم صبغة وصبغة همدان خير الصبغ
صبغنا على ذاك أولادنا فأكرم بصبغتنا في الصبغ

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً
عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

الاعراب :

(أم) عاطفة متصلة معادلة للهمزة أو منقطعة بمعنى بل (تقولون)
فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل
(إن إبراهيم) إن واسمها (وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط)
أسماء منسوقة على إبراهيم والجملة في محل نصب مقول القول
(كانوا) كان واسمها (هوداً) خبر كان (أو) عاطفة (نصارى)
معطوف على هوداً والجملة الفعلية في محل رفع خبر إن (قل) فعل أمر
وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (أنتم) الهمزة للاستفهام الانكاري
وأنتم مبتدأ (أعلم) خبر (أم الله) عطف على أنتم (ومن) الواو
استئنافية ومن اسم استفهام مبتدأ (أظلم) خبر (ممن) الجار والمجرور
متعلقان بأظلم والجملة مستأنفة مسوقة للتعريض بكتمانهم شهادة الله
وهذا ديدن اليهود دائماً (كتم) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو
والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها صلة الموصول (شهادة) مفعول
به (عنده) الظرف متعلق بمحذوف صفة لشهادة (من الله) الجار
والمجرور متعلقان بمحذوف صفة ثانية لشهادة تقول : هذه شهادة مني

لفلان إذا شهدت له ولك أن تعلقها بكنتم ولا بدّ لك حينئذ من تقدير مضاف أي من كنتم من عباد الله شهادة عنده (وما) الواو عاطفة أو استئنافية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (الله) اسمها (بغافل) الباء حرف جر زائد وغافل مجرور بالباء لفظاً في محل نصب خبر ما (عما) الجار والمجرور متعلقان بغافل (تعملون) فعل مضارع وفاعل والجملة صلة ما .

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿١٢٤﴾ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمْ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا ۚ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢٥﴾ ﴿

الاعراب :

(تلك) اسم إشارة في محل رفع مبتدأ (أمة) خبر (قد) حرف تحقيق (خلت) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والتاء تاء التأنيث الساكنة والفاعل مستتر تقديره هي

والجملة الفعلية صفة لأمة (لها) الجار والمجرور متعلقان بحذوف خبر مقدم (ما) اسم موصول مبتدأ مؤخر (كسبت) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما (ولكم ما كسبتم) عطف على الجملة قبلها (ولا) الواو عاطفة ولا نافية (تسألون) فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل (عما) الجار والمجرور متعلقان بتسألون (كانوا) كان واسمها (يعملون) الجملة الفعلية خبر كانوا والجملة معطوفة على ما قبلها (سيقول) السين حرف استقبال ويقول فعل مضارع مرفوع (السفهاء) فاعل (من الناس) الجار والمجرور متعلقان بحذوف حال من السفهاء والقائلون هم اليهود الموسومون بخفة الاحلام والجملة مستأنفة مسوقة للدلالة على استمرار غيهم وسفهم (ما) اسم استفهام مبتدأ (ولا هم) فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة خبر ما والجملة كلها مقول القول (عن قبلتهم) متعلقان بولاهم (التي) اسم موصول في محل جر صفة لقبيلتهم (كانوا) كان واسمها والجملة صلة التي (عليها) الجار والمجرور متعلقان بحذوف خبر كانوا ، أي عاكفين عليها في الصلاة وهي بيت المقدس (قل) فعل أمر ، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (الله) الجار والمجرور متعلقان بحذوف خبر مقدم (المشرق) مبتدأ مؤخر (والمغرب) عطف على المشرق (يهدي) فعل مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر يعود على الله تعالى (من) اسم موصول مفعول يهدي ، والجملة الاسمية في محل نصب مقول القول (يشاء) فعل مضارع ، والفاعل مستتر تقديره هو ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (إلى صراط) الجار والمجرور متعلقان يهدي (مستقيم) صفة لصراط .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ
الرُّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۚ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ
يَتَّبِعُ الرُّسُولَ ۚ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ ۚ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ
هَدَى اللَّهُ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَّا يَتَذَكَّرُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾

اللفظة :

(وسطاً) : خياراً عدولاً مزكّين بالعلم والعمل ، ويستوي فيه
المذكر والمؤنث ، وإنما كان الخيار وسطاً لأن الخلل إنما يتسرب الى
الاطراف وتبقى الأوساط محمية . وقد رفق أبو تمام سماء هذا المعنى
فقال :

كَانَتْ هِيَ الْوَسْطَ الْمُحْمِيَّ فَكَثِنَتْ

بِهَا الْحَوَادِثُ حَتَّى أَصْبَحَتْ طَرَفَا

الاعراب :

(وكذلك) الواو استئنافية والكاف حرف جر ، واسم الإشارة
في محل جر بالكاف ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر
محذوف أي مثل ذلك انجعل جعلناكم (جعلناكم) : فعل وفاعل ومفعول
به أول لجعلنا (أمة) : مفعول جعلنا الثاني (وسطاً) صفة لأمة
(لتكونوا) : اللام لام التعليل ، وتكونوا فعل مضارع ناقص منصوب

بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله ، والواو اسمها (شهداء) خبرها (على الناس) الجار والمجرور متعلقان بشهداء (ويكون) عطف على تكوفوا (الرسول) اسم يكون (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بشهداء (شهيداً) خبر يكون (وما) الواو عاطفة ، وما نافية (جعلنا) فعل وفاعل (القبلة) مفعول جعلنا الاول (التي) اسم موصول في محل نصب مفعول جعلنا الثاني (كنت) كان واسمها (عليها) الجار والمجرور خبر كنت ، والجملة لا محل لها لأنها صلة التي ، وسيأتي مزيد من اعراب هذه الآية في باب الفوائد . (إلا) أداة حصر (لنعلم) اللام لام التعليل ، ونعلم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن ، وموضع لتعلم مفعول لأجله فهو استثناء مفرغ من أعمّ العلل (من) اسم موصول في موضع نصب مفعول نعلم (يتبع الرسول) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والرسول مفعول به (ممن) الجار والمجرور متعلقان بنعلم المضمنة معنى نبيّز (ينقلب) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (على عقبيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي مرتداً على عقبيه (وإن) الواو حالية ، وإن مخففة من الثقيلة ، واسمها محذوف ، أي والحال أنها (كانت) فعل ماض ناقص ، واسمها ضمير مستتر تقديره التولية اليها ، والجملة الفعلية خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها في موضع نصب على الحال (لكبيرة) اللام هي الفارقة ، وكبيرة : خبر كانت (إلا) أداة استثناء (على الذين) الجار والمجرور في موضع نصب على الاستثناء ، والمستثنى منه محذوف تقديره : وإن كانت لكبيرة على الناس إلا على الناس الذين هداهم الله ، ولك أن تجعل « إلا » أداة حصر لأن الكلام غير تام أو لتضمنه معنى النفي فيتعلق الجار والمجرور بكبيرة (هدى الله) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة

الذين (وما) الواو عاطفة ، وما نافية (كان الله) كان واسمها (ليضيع) اللام لام الجحود وهي مسبقة بكون منفي ، ويضيع فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوبا بعد لام الجحود ، وخبر كان محذوف تقديره مريداً ، والجار والمجرور متعلقان بالخبر المحذوف (ايسانكم) مفعول به (إن الله) ان واسمها (بالناس) الجار والمجرور متعلقان برؤوف أو رحيم (لرؤوف) اللام هي المرحلة ، ورؤوف خبر إن الأول (رحيم) خبر إن الثاني ، وجسلة إن وما في حيزها لا محل لها لأنها تعليلية .

البلاغة :

١ - التورية في قوله : « وسطاً » فالمعنى القريب الظاهر للوسط هو التوسط مع ما يعضده من توسط قبة المسلمين ، ومعناه البعيد المراد هو الخيار كما تقدم في باب اللغة .

٢ - الكناية في الوسط أيضاً عن غاية العدالة كآله الميزان الذي لا يحابي ولا يميل مع أحد .

٣ - المجاز المرسل في قوله : « على عقبيه » والعلاقة هي المصير والمآل ، فليس ثمة أسمع ولا أقبح من رؤية الانسان معكوس الخلقة ، مخالفاً للمألوف المعتاد .

٤ - التقديم والتأخير : فقد قدم « شهداء » على صلته وهي « على الناس » ، وآخر « شهيداً » عن صلته وهي « عليكم » لأن المنّة عليهم في الجانبين ففي الاول بثبت كونهم شهداء ، وفي الثاني بثبت كونهم مشهوداً لهم بالتزكية ، والمقدم دائماً هو الأهم .

الفوائد :

١ - لا مندوحة لنا عن ايراد بعض الاقوال الجديرة بالاهتمام ، فقد أورد العلماء خمسة أعاريب لهذه الآية يضيق المجال عن ايرادها وقد أوردنا ما اخترناه منها واختاره الزمخشري ، واختار الجلال أن تكون « القبلة » المفعول الثاني مقدماً و « التي كنت عليها » هو المفعول الأول محتجاً بأن التصيير هو الانتقال من حال الى حال ، فالمتلبس بالحالة الثانية هو المفعول الثاني ، ألا ترى أنك تقول : جعلت الطين خزفاً . واختاره أبو حيان . وقيل « القبلة » هي المفعول الأول و « التي كنت عليها » صفة ، أما المفعول الثاني فهو محذوف تقديره منسوخاً أو نحوه .

لمعة تاريخية :

فقد اتفق الجميع على أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الى صخرة بيد المقدس بعد الهجرة مدة ، ثم أمر بالصلاة إلى الكعبة ، وإنما اختلفوا في قبلته بمكة هل كانت الكعبة أو بيت المقدس ، والمروى عن أئمة أهل البيت أنها كانت بيت المقدس ، ثم لا يخفى أن الجعل في الآية مركب لا بسيط ، وقوله تعالى : « التي كنت عليها » ثاني مفعوليه كما نص عليه أكثر المفسرين ، وأما القائلون بأنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ، فالجعل عندهم يحتمل أن يكون منسوخاً باعتبار الصلاة بالمدينة مدة الى بيت المقدس ، وأن يكون جعلاً ناسخاً باعتبار الصلاة بمكة ، وقال الرازي : إن قوله تعالى « التي كنت عليها » ليس نعتاً للقبلة وإنما هو ثاني مفعولي جعلنا ، هذا وسميت الكعبة كعبة لتربيعها وسيأتي مزيد بحث بذلك .

٢ - إذا خفت « إن » دخلت على الجسنتين الفعلية والاسمية ،
فان دخلت على الاسمية جاز إعمالها وإعمالها ، والاكثر الاهمال . وإن
دخلت على الفعلية وجب إعمالها ، والاكثر أن يكون الفعل ماضياً ناسخاً ،
لأن العرب لما أخرجوها عن وضعها الاصلي بدخولها على الفعل أرادوا
أن يكون ذلك الفعل من أفعال المبتدأ والخبر لثلا يزول عنها وضعها
كلياً كما ترى في الآية ، ولا بد من دخول « لام » بعدها تسمى اللام
الفارقة للفرق بينها وبين « إن » النافية .

٣ - لام الجحود أي لام الانكار ، هي الواقعة بعد كون ماض
منفي ، وخبر كان مختلف فيه فقيل : هو محذوف يقدر بحسب المقام
وتتعلق به لام الجحود مع المصدر المجرور بها ، لأن « أن » المصدرية
تضمر بعدها وجوباً ، وقيل الجار والمجرور في محل الخبر ، وهذا أسهل
ولكن الاول أشهر وأضبط لاستقامة الخبر .

﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ^ط
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ^ع وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ ^ط
شَطْرَهُ ^ط وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا ^ط
اللَّهُ بِغَفِيلٍ ^ط عَمَّا يَعْمَلُونَ ^ط ﴾

اللفظة :

(شطر) للشطر في كلام العرب وجهان : فأحدهما النصف ،
ومن ذلك قولهم « شاطرتك مالي » . والوجه الآخر : القصد ، يقال :
« خذ شطر زيد » أي قصده ، وهو المراد هنا ، ومنه قولهم : « حلبت

الدهر أشطره « أي مرّ بي خيره وشره ، وأنه سميّ الشاطر وهو من
أعيا أهله خبثاً .

الاعراب :

(قد) هنا للتكثير بقرينة ذكر التقلب ، والتكثير بالنسبة الى
النبي صلى الله عليه وسلم ، وإلا فهو محال على الله تعالى (نرى) فعل
مضارع مرفوع ، وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن (تقلب) مفعول به
(وجهك) مضاف اليه (في السماء) الجار والمجرور متعلقان بتقلب
لأنه مصدر (فلنولينك) الفاء عاطفة للتعليل ، واللام موطئة للقسم ،
ونولينك : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة
والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن ، والكاف مفعول به أول
(قبله) مفعول به ثان ويجوز نصبها على نزع الخافض (ترضاها)
فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، و « ها » مفعول
به . والجملة صفة لقبله ، وجملة فلنولينك لا محل لها لأنها تعليلية
(فولّ) الفاء هي الفصيحة ، وول فعل أمر مبني على حذف حرف
العلة . وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت (وجهك) مفعول به ، والكاف
ضمير متصل في محل جر بالاضافة (شطر المسجد) مفعول فيه ظرف
مكان متعلق بولّ ، والمسجد مضاف اليه (الحرام) صفة للمسجد
وجملة فولّ لا محل لها . (وحيثما) الواو استئنافية ، وحيثما
اسم شرط جازم في محل نصب على الظرفية متعلق بمحذوف خير كنتم
المقدم (كنتم) كان فعل ماض ناقص واسمها ، والجملة في محل جزم
فعل الشرط ، وكان القياس أن تكون في محل جر بالاضافة لولا المانع
وهو كونها من عوامل الافعال (فولوا) الفاء رابطة للجواب لأنه طلبي ،
وولوا : فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة

والواو فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (وجوهكم) مفعول به (شطره) ظرف مكان متعلق بولوا (وإن الذين) الواو استئنافية ، وإن واسمها (أوتوا الكتاب) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والكتاب مفعول ثان لأوتوا ، والأول هو النائب للفاعل وهو الواو (ليعلمون) اللام هي المرحقة ، وجملة يعلمون خبر إن (أنه الحق) أن واسمها وخبرها ، وقد سدت مسد مفعولي يعلمون (من ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وما) الواو استئنافية ، وما نافية حجازية تعمل عمل ليس (الله) اسم ما (بغافل) الباء حرف جر زائد ، وغافل مجرور نفعاً منصوب محلاً على أنه خبر ما (عما) الجار والمجرور متعلقان بغافل (يعملون) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما .

الفوائد :

١ - (حيثما) اسم شرط جازم محله النصب على الظرفية المكانية ، وأصله حيث ، وزيدت ما فكان اسماً جازماً ، و « حيث » ظرف مكان مبني على الضم ، وهو مضاف الى الجمل ، فهو يقتضي جر ما بعده ، وما اقتضى الجر لا يقتضي الجزم فلما وصلت بـ (ما) زال عنها معنى الاضافة كما تقدم .

٢ - لمحة تاريخية :

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً ثم توجه الى الكعبة وكان ذلك في رجب قبل موقعة بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد سلمة ، وقد صلى بأصحابه ركعتين من صلاة الظهر أو العصر فتحول في الصلاة

واستقبل القبلة ، وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال ، فسمي المسجد مسجد القبلتين ، والحكمة في ذلك واضحة بل هي أروع ما تصل اليه المعاملة الانسانية التي تستهدف قبل كل شيء استمالة القلوب وتليين المعواف ، بيد أن ذلك لم يجد شيئاً في ازالة التحجر الذي ران على قلوب اليهود ، وقد علل القرآن هذا التحجر بالآية التالية :

﴿ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ أَتَيْتَ أَهْرَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١١٥)

الاعراب :

(ولئن) الواو استئنافية ، واللام موطئة للقسم ، وإن شرطية (أتيت) فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط ، والتاء فاعل (الذين) اسم موصول في محل نصب مفعول به (أوتوا الكتاب) فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، والكتاب مفعول أوتوا الثاني (بكل آية) الجار والمجرور متعلقان بأتيت (ما) نافية (تبعوا) فعل ماض وفاعل (قبلتك) مفعول به ، والجملة لا محل لها لأنها جواب القسم ، وقد أغنت عن جواب الشرط لتقدم القسم ، وإذا اجتمع شرط وقسم فالجواب للمتقدم منهما (وما) الواو عاطفة ، وما نافية حجازية (أنت) اسم ما (بتابع) الباء حرف جر زائد ، وتابع مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ما (قبلتهم) مفعول به لاسم

الفاعل تابع ، وهذه الجملة معطوفة على ما سبق (وما بعضهم بتابع قبله بعض) الجملة عطف على سابقتها (ولئن) الواو استئنافية ، ولئن تقدم إعرابها (اتبعت) فعل وفاعل (أهواءهم) مفعول به (من بعد) الجار والمجرور متعلقان باتبعت (ما) اسم موصول في محل جر بالاضافة (جاءك) الجملة لا محل لها لأنها صلة ما (من العلم) الجار والمجرور في موضع نصب على الحال (إنك) ان واسمها (إذن) حرف جواب وجزاء ، وهي مهملة جيء بها لتوكيد القسم (لمن الظالمين) اللام هي المرحلة ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها لا محل لها لأنها جواب القسم ولذلك لم ترتبط بالفاء .

﴿ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١١٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٧﴾ ﴿١١٧﴾

اللفظة :

(الامتراء) : الشك ، وقد يساور الغافلين سؤال وهو : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يشك في أن الحق من ربه حتى نهى عن الشك ؟ والجواب : إن ذلك هو الكلام الذي تخرجه العرب مخرج الامر أو النهي للمخاطب والمراد به غيره .

الاعراب :

(الذين) اسم موصول مبتدأ (آتيناهم الكتاب) فعل وفاعل ومفعول به ، والكتاب مفعول به ثان لآتيناهم والجملة الفعلية لا محل

لها لأنها صلة الذين (يعرفونه) فعل مضارع وفاعله ومفعوله ، وجملة يعرفونه خبر الذين (كما) الكاف حرف جر ، وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمصدر محذوف هو المفعول المطلق (يعرفون) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي وهو ما المصدرية (أبناءهم) مفعول به (وإن فريقياً) الواو حالية ، وإن واسمها ، والجملة نصب على الحال ، ولك أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لتقرير حالتهم (منهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفريقياً (ليكتُمون) اللام هي المزحقة ، ويكتُمون فعل وفاعل (الحق) مفعول به ، والجملة في محل رفع خبر إن (وهم) الواو حالية ، وهم مبتدأ (يعلمون) الجملة الفعلية خبر هم ، والجملة بعد الواو في محل نصب على الحال (الحق) مبتدأ (من ربك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة استئنافية ، (فلا) الفاء استئنافية ولا فاهية (تكونن) جملة تكونن فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة في محل جزم بلا الناهية ، واسم تكونن ضمير مستتر تقديره أنت (من المترين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر .

﴿ وَلِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّيًا ۖ فَاسْتَغِثُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِنْ مَا تَكُونُوا
يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ بِجَمِيعٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١١٨﴾

اللفظة :

(وجهة) بضم الواو وكسرها وهي الجهة التي تتجه إليها ، يقال : ضلّ وجهة أمره أي جهته ، والجهة مثلثة الجيم والكسر أشهر .

الاعراب :

(ولكل) الواو استئنافية ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (وجهة) مبتدأ مؤخر (هو) مبتدأ (موليها) خبر ، والجملة الاسمية صفة لوجهة (فاستبقوا) النفاء هي الفصيحة ، أي إذا أردتم معرفة الأصوب فاستبقوا ، واستبقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الخيرات) منصوب بنزع الخافض لأن استبق لازم ، أي الى الخيرات ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر (أينسا) اسم شرط جازم منصوب على الظرفية المكانية ، وهو متعلق بمحذوف خبر تكونوا المقدم (تكونوا) فعل مضارع مجزوم لأنه فعل الشرط والواو اسمها وجملة تكونوا استئنافية (يأت) جواب الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة (بكم) جار ومجرور متعلقان بيأت (الله) فاعل (جميعاً) حال (إن الله) ان واسمها (على كل شيء) الجار والمجرور متعلقان بقدير (قدير) خبر إن ، والجملة تعليلية لا محل لها .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٢٩)

الاعراب :

(ومن حيث) : الواو استئنافية ، والجار والمجرور ظاهرهما أنهما متعلقان بول ، ولكن فيه إعمال ما بعد النفاء فيما قبلها وهو ممتنع ، غير أن المعنى متوقف على هذا الظاهر ، فالأولى تعليقهما بفعل

محذوف يفسره قولٌ أي ولَّ وجهك من حيث خرجت (خرجت) فعل وفاعل ، والجملة الفعلية في محل جر بالاضافة (قولٌ) الفاء رابطة لما في « حيث » من رائحة الشرط ، وولَّ فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، والجملة لا محل لها لأنها مفسرة (وجهك) مفعول به (شطر المسجد) ظرف مكان متعلق بولَّ ، والمسجد مضاف اليه (الحرام) صفة (وإياه) الواو عاطفة أو حالية ، وان واسمها (للحق) اللام هي المرحلة ، والحق خبر إن (من ربك) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف حال (وما الله بغافل عما تعملون) تقدم اعرابه .

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ

مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ

ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمْنَعْنِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿ ١٥٠ ﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿ ١٥١ ﴾

الاعراب :

(ومن حيث خرجت قولٌ وجهك شطر المسجد الحرام) تقدم اعرابها وهي تأكيد ثان ، وكرر الكلام لتشديد أمر القبلة وإمالة الشبهة بعد أن طرأ النسخ على القبلة التي هي بيت المقدس (وحيشا

كنتم فولوا وجوهكم شطره) تأكيد ثالث لثلاثي لتبقى للسعائدين حجة في نظرهم ينفذون منها أو ثغرة يتسربون الى الارجاف عن طريقها (لثلاث) اللام هي لام التعليل وأن المدغمة بلا النافية حرف مصدري ونصب (يكون) فعل مضارع ناقص منصوب بأن والجار والمجرور « اللام والمصدر المؤول » متعلقان بولوا (للناس) جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر يكون المقدم . (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف حال لأنه كان في الاصل صفة لحجة فلما تقدمت الصفة على الموصوف أعربت حالا كما هي القاعدة (حجة) اسم يكون المرفوع المؤخر (إلا) أداة استثناء (الذين) مستثنى متصل من الناس (ظللوا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (منهم) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف حال (فلا) الفاء هي الفصيحة أي إذا عرفت ذلك ورسخت حقيقته في نفوسكم ولا ناهية (تخشوهم) فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (واخشوني) الواو عاطفة واخشوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الافعال الخمسة والنون للوقاية والواو فاعل والياء مفعول به (ولأتم) عطف على لثلاثي يكون فهو علة ثانية (نعمتي) مفعول به والياء مضاف إليه (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بأتتم (ولعلكم تهتدون) الواو عاطفة ولعل واسمها . وجملة تهتدون خبرها (كما أرسلنا) الكاف حرف جر وما مصدرية وأرسلنا فعل وفاعل والكاف ومجرورها المصدر المؤول في موضع نصب على المفعول المطلق وأعربه سيبويه حالا (فيكم) الجار والمجرور متعلقان بأرسلنا (رسولا) مفعول به (منكم) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف صفة (يتلو) الجملة الفعلية صفة ثانية لرسولا (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بيتلو (آياتنا) مفعول به ونا مضاف اليه (ويزكيكم ويعلمكم)

الفعلان المضارعان معطوفان على يتلوا (الكتاب) مفعول به (والحكمة) عطف على الكتاب (ويعلمكم) معطوف على ما تقدم والكاف مفعول به أول (ما) اسم موصول مفعول به ثان (لم) حرف هي وقلب وجزم (تكونوا) فعل مضارع ناقص مجزوم بلم والواو اسمها والجملة الفعلية صلة ما (تعلمون) الجملة الفعلية خبر تكونوا .

﴿ فَاذْكُرُونِيْ اَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوْا لِيْ وَلَا تَكْفُرُوْنَ ﴾ (١٥٢) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (١٥٤) ﴿

الاعراب :

(فاذكروني) الفاء هي النصيحة أي إذا شئتم الاهتداء الى مَحَجَّة الصواب فاذكروني ، واذكروني : فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به (أذكركم) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به (واشكروا) عطف على اذكروني ، وشكر يتعدى بنفسه تارة وتارة بحرف الجر على حد سواء (لي) جار ومجرور متعلقان باشكروا (ولا) الواو حرف عطف ولا ناهية (تكفرون) فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية والياء المحذوفة لمناسبة فواصل الآي مفعول به والكسرة دليل عليها (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (استعينوا) فعل أمر مبني

على حذف النون والواو فاعل (بالصبر) الجار والمجرور متعلقان باستعينوا (والصلاة) عطف على الصبر (إن الله) ان واسمها (مع الصابرين) مع ظرف مكان متعلق بسحذوف خبر والصابرين مضاف اليه . وجملة ان وما في حيزها اسمية لا محل لها لأنها تعليلية (ولا تقولوا) الواو عاطفة على ما تقدم ولا ناهية وتقولوا فعل مضارع مجزوم بلا (لمن) الجار والمجرور متعلقان بتقولوا وجملة (يقتل) صلة الموصول لا محل لها (في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بيقتل (أموات) خبر لمبتدأ محذوف أي هم أموات والجملة الاسمية مقول القول (بل) حرف اضراب وعطف (أحياء) خبر لمبتدأ محذوف والجملة معطوفة على جملة هم أموات (ولكن) الواو حالية ولكن مخففة من الثقيلة فهي لمجرد الاستدراك (لا) نافية (تشعرون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والجملة نصب على الحال .

البلاغة :

١ - الإيجاز في الآية الأخيرة وهو إيجاز الحذف فقد حذف المبتدأ لأهمية ذكر الخبر لأنهم ما كانوا يتصورون أنهم أحياء ففند سبحانه هذه البدائية العجيبة تصويراً رشيقاً .

٢ - الطباق بين أموات وأحياء في الآية هو طباق رشيق لا تكلف فيه .

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ شَيْئًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالْثَّمَرَاتِ ۚ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٩٩﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ

قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾

اللفة :

(البلاء) : الاختبار والامتحان .

الاعراب :

(ولنبلونكم) الواو استئنافية واللام موطئة للقسم ونبلون فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والفاعل مستتر وجوباً تقديره نحن والكاف مفعول به (بشيء) الجار والمجرور متعلقان بنبلونكم (من الخوف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء ، وجملة نبلونكم لا محل لها لأنها جواب قسم محذوف وطأت له اللام وقد اقترنت بنون التوكيد الثقيلة لأنه مضارع مثبت مستقبل متصل بلامه (والجوع) عطف على الخوف (ونقص) عطف أيضاً (من الاموال) الجار والمجرور متعلقان بنقص لأنه مصدر نقص ، أو محذوف صفة لنقص لأنه نكرة (والأتقى والشرات) معطوفان على الاموال وجملة القسم وجوابه مستأنفة مسوقة لاختبار أحوالهم ومدى صبرهم على البلاء واستسلامهم للقضاء بشيء من الخوف والجوع (وبشر) الواو عاطفة وبشر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت (الصابرين) مفعول به وجملة بشر معطوفة على ولنبلونكم ولا تقل إنه فعل طلبي فكلاهما مضمومة طلبي ، فهو من باب عطف المضمون على المضمون أي أن الابتلاء حاصل وقت البلاء ووقت البشارة (الذين)صفة

للمصابرين (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بجوابه وهو قالوا (أصابتهم)
 الجملة في محل جر بالاضافة (مصيبة) فاعل وجملة الشرط وجوابه
 لا محل لها لأنها صلة الموصول (قالوا) الجملة لا محل لها لأنها جواب
 شرط غير جازم (إنا) ان واسمها (الله) الجار والمجرور متعلقان
 براجعون (وإنا إليه) عطف على جملة انا الله (راجعون) خبر إن
 (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (عليهم) الجار والمجرور متعلقان
 بسحذوف خبر مقدم (صلوات) مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر
 اسم الإشارة (من ربهم) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف صفة
 لصلوات (ورحمة) عطف على صلوات وجملة الإشارة وما بعدها
 مستأنفة مسوقة لبيان ما بشروا به (وأولئك) الواو عاطفة وأولئك
 مبتدأ (هم) مبتدأ ثان أو ضمير فصل لا محل له (المهتدون) خبر
 « هم » أو خبر أولئك والجملة خبر أولئك .

﴿ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۚ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا
 جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾

اللفظة :

(الصفا) : جبل بسكة ، وأصل معنى الصفا أنه جمع صفاة أي
 الصخرة الملساء . وألفها منقلبة عن واو (المروة) جبل بسكة أيضاً .
 وأصل معنى المروة الحجارة الرخوة وقيل : التي فيها صلابة .

قال أبو ذؤيب :

حتى كأني للحوادث مروءة بصفا المشقّر كل يوم تفرع

(الشعائر) : جمع شعيرة وهي العلامة •

(حج) : قصد •

(اعتمر) : زار البيت المعظم على الوجه المشروع •

ثم صار الحج والعمرة علمين لقصد البيت وزيارته •

(لا جناح) الجناح : الميل الى المأثم ، ثم أطلق على الإثم ، يقال : جناح الى الشيء أي مال اليه ، ومنه جناح الليل أي ميله بظلمته ، وجناح الطائر وجناحه •

الاعراب :

(إن الصفا) إن واسمها (والمروءة) عطف على الصفا (من شعائر الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن والجملة ابتدائية لا محل لها (فمن) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (حج البيت) حج فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر يعود على من والبيت مفعول به (أو اعتمر) أو حرف عطف واعتمر فعل ماض معطوف على حج (فلا جناح) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ولا نافية للجنس وجناح اسمها المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (أن يطوف) أن المصدرية وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض أي في أن يطوف (بهما) الجار والمجرور متعلقان بيطوف • وجملة فلا جناح عليه في

محل جزم جواب الشرط وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (ومن تطوع) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وتطوع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو (خيراً) صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق أي يتطوع تطوعاً خيراً . ولك أن تعربه منصوباً بنزع الخافض أي بخير ، واختار سيبويه أن يعرب حالا من المصدر المقدر معرفة ، ولو لم يكن سيبويه قائله لخطأته (فإن الله) الناء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها (شاكر عليم) خبران لأن وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ١٥٩ ﴾
إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾

الاعراب :

(إن الذين) إن واسمها (يكتُمون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل ، والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وجملة إن وما في حيزها مستأنفة مسوقة لبيان حكم من كتم شيئاً من أحكام الدين بصورة عامة، وقد نزلت في حق اليهود الذين يجمعون حباً للجدل والمكابرة ، وخصوص السبب لا يمنع من عموم الحكم (ما) مفعول يكتُمون (أنزلنا) فعل وفاعل والعائد محذوف أي أنزلناه ، والجملة

لا محل لها لأنها صلة الموصول (من البيئات) الجار والمجرور متعلقان
 بمحذوف حال ، أي حالة كونها مبينة شاهدة بالحقائق . وقد ألغت
 الآية الى محاولة اليهود إخفاء بعض الآيات الدالة على نبوة محمد
 صلى الله عليه وسلم أو التي تصوّر عيوبهم وآثامهم التي يرتكبونها
 (والهدى) عطف على البيئات (من بعد) الجار والمجرور متعلقان
 يكتسبون (ما بيناه) ما مصدرية وبيناه فعل وفاعل ومفعول . والمصدر
 المؤول في محل جر بالاضافة أي من بعد تبيانه (للناس) الجار
 والمجرور متعلقان بيناه (في الكتاب) الجار والمجرور متعلقان بيناه
 أيضاً . وتعلق جار بفعل واحد عند اختلاف المعنى واللفظ جائز .
 ولك أن تعلق « في الكتاب » بمحذوف حال من المفعول به أي كائناً
 في الكتاب (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (يلعنهم) فعل مضارع والهاء
 مفعوله (الله) فاعله والجملة الفعلية خبر اسم الإشارة (ويلعنهم
 اللاعنون) عطف على الجملة السابقة ، وجملة الإشارة الاسمية في محل
 رفع خبر إن (إلا) أداة استثناء (الذين) مستثنى من المفعول به أي
 الهاء في يلعنهم (تابوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة
 (وأصلحوا وبينوا) عطف على تابوا (فأولئك) الفاء رابطة ، لأن في
 الموصول رائحة الشرط ، واسم الإشارة مبتدأ (أتوب) فعل مضارع
 وفاعله مستتر تقديره أنا ، وجملة أتوب خبر اسم الإشارة وجملة
 الإشارة استئنافية (عليهم) متعلقان بأتوب (وأنا) الواو عاطفة وأنا
 مبتدأ (التواب الرحيم) خبران وأنا والجملة معطوفة .

البلاغة :

- ١ - التكرير في ذكر اللعن ، والغاية منه التأكيد في الذم .
- ٢ - الالتفات في قوله « يلعنهم الله » وكان السياق يقتضي بأن

يقول نلعنهم ، ولكنه التفت الى الغائب للدلالة على إظهار السخط عليهم ، وليكون الكلام أوغل في إنزال اللعن عليهم ، وإلحاق الطرد بهم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾

الاعراب :

(إن الذين) إن واسمها (كفروا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها (وماتوا) الواو عاطفة ، وجملة ماتوا عطف على جملة كفروا (وهم) الواو حالية وهم مبتدأ (كفار) خبر « هم » والجملة في محل نصب على الحال (أولئك) اسم إشارة مبني على الكسر في محل رفع مبتدأ (عليهم) الجار والمجرور متعلقان بسحذوف خبر مقدم (لعنة الله) مبتدأ مؤخر (والملائكة والناس) عطف على الله، والجملة الاسمية خبر أولئك وجملة أولئك وما في حيزها خبر إن وجملة إن وما في حيزها مستأنفة مسوقة لبيان مصير القسم الثاني من الكافرين، وقد بين مصير من تاب في الاستثناء (أجمعين) تأكيد (خالدين) حال من الضمير في عليهم (فيها) الجار والمجرور متعلقان بخالدين ، والضمير يعود على النار التي أضمرت للتخويف والتهويل . ويجوز أن يعود على اللعنة مجازاً ، والعلاقة المحلية (لا يخفف) لا نافية ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول (عنهم) جار ومجرور متعلقان

يخفف (العذاب) نائب فاعل ، والجملة الفعلية في محل نصب حال ثانية للذين كهروا من الضمير المستكن في خالدٍ في حال متداخلة (ولا) الواو عاطفة ولا نافية (هم) مبتدأ (ينظرون) فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، أي لا يسهلون ولا يؤجلون ، والجملة الفعلية خبر « هم » والجملة الاسمية عطف على جملة لا يخفف (وإلهكم) الواو استئنافية وما بعدها جملة مستأنفة لا محل لها مسوقة للرد على كفار قريش الذين قالوا : يا محمد صف لنا ربك ، وإلهكم مبتدأ (إله) خبر (واحد) صفة لإله (لا) نافية للجنس (إله) اسمها مبني على النتح في محل نصب (إلا) أداة حصر (هو) بدل من محل لا واسمها لأن محلها الرفع على الابتداء ، أو بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف . وسيأتي مزيد من أقوال النحاة والمفسرين في إعراب كلمة الشهادة ترويضاً للذهن (الرحمن الرحيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو .

الفوائد :

خاض علماء النحو والمفسرون كثيراً في إعراب « لا إله إلا الله » وهي كلمة الشهادة واففقوا على أن خبر لا محذوف أي لنا ، أو في الوجود ، أو نحو ذلك . وسنورد لك خلاصة مفيدة لما قالوه لأهميته :

الزمخشري :

صنف جزءاً لطيفاً في إعراب كلمة الشهادة، فبعد أن أورد ما اتفقوا عليه من حذف خبر لا قال : « هكذا قالوا ، والصواب أنه كلام تام ولا حذف ، وأن الأصل : الله إله » مبتدأ وخبر ، كما تقول : زيد

منطلق ، ثم جيء بأداة الحصر وقدّم الخبر على الاسم وركب مع لا كما ركب المبتدأ معها في نحو لا رجل في الدار ، ويكون « الله » مبتدأ مؤخراً و « وإله » خبراً مقدماً ، وعلى هذا تخريج قطائره نحو : لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ » .

الزمخشري أيضاً :

وقال الزمخشري في المفصل بصدد كلامه عن خبر لا النافية للجنس : « وقد يحذفه الحجازيون كثيراً فيقولون : لا أهل ولا مال ولا بأس ولا فتى إلا عليّ ولا سيف إلا ذو الفقار ، ومنه كلمة الشهادة ، ومعناها : لا إله في الوجود إلا الله ، وبنو تميم لا يثبتونه في كلامهم أصلاً » .

ابن يعيش :

وقال شارح المفصل موفق الدين بن يعيش : « اعلم أنهم يحذفون خبر لا من : لا رجل ولا غلام ولا حول ولا قوة وفي كلمة الشهادة نحو : لا إله إلا الله ، والمعنى : لا رجل ولا غلام ولا حول ولا قوة لنا ، وكذلك لا إله في الوجود إلا الله ، ولا أهل لك ولا مال لك ولا بأس عليك ، ولا فتى في الوجود إلا عليّ ولا سيف في الوجود إلا ذو الفقار ، فالخبر الجار مع المجرور وهو محذوف ، ولا يصح أن يكون الخبر « الله » في قولك لا إله إلا الله ، وذلك لأمرين :

أ - أنه معرفة و « لا » لا تعمل في معرفة .

ب - أن اسم « لا » هنا غام وقولك إلا الله خاص ، والخاص لا يكون خبراً عن العام .

وتظيره : الحيوان انسان ، فانه ممتنع لأن في الحيوان ما ليس
 بإنسان ، وقولك : الانسان حيوان ، جائز لأن الانسان حيوان حقيقة
 وليس في الانسان ما ليس بحيوان ، ويجوز اظهار الخبر نحو :
 لا رجل أفضل منك ولا أحد خير منك ، هذا مذهب أهل الحجاز وأما
 بنو تميم فلا يجيزون تقديم خبر « لا » البتة ويقولون : هو من
 الأصول المرفوضة ، ويتأولون ما ورد من ذلك ، فيقولون في قولهم :
 لا رجل أفضل منك : ان « أفضل » نعت لرجل على الموضع ، وكذلك
 « خير منك » نعت لأحد على الموضع .

البدر الدماميني :

وتعقب البدر الدماميني الزمخشري في حاشيته على المغني
 فقال : « ولا يخفى ضعف هذا القول ، يعني قول الزمخشري ،
 وانه يلزم منه ان الخبر يبنى مع لا ، ولا يبنى معها إلا المبتدأ . ثم لو
 كان كذلك لم يجز نصب الاسم العظيم وقد جوزوه » .

الصلاح الصفدي :

وأورد الصلاح الصفدي في الغيث المسجم بحثاً طريفاً قال
 فيه : « ومن حذف الخبر قولك : لا إله إلا الله ، « فإله » اسمها والخبر
 محذوف قدره النحاة في الوجود أولاً ، هكذا أعربوه » .

الرازي :

وأورد الامام فخر الدين الرازي إشكالا على إعراب الصفدي
 فقال : هذا النفي عام متفرق وتقييده بالوجود تخصيص له ، ونا أكثر

تخصيصاً • وإذا كان كذلك لم يبق النفي عاماً ، وحيث لا يكون هذا القول إقراراً بالوحدانية على الإطلاق •

الصلاح الصفدي أيضاً :

وأجاب الصلاح الصفدي بقوله : « إنا لا نسلّم تقييده بالوجود إذا كان تخصيصاً لا يبقى على العموم المراد من النفي ، لأن المراد هي الآلهة في الخارج إلا الله تعالى ، على معنى أن هي وجودها مستلزم لنفي ذاتها ، كأنه قال : لا إله يوجد إلا الله • وعلى هذا يبقى النفي عاماً بالمعنى المراد منه » •

السمين :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسمين : « قوله : إلا هو رفع على أنه بدل من اسم لا على المحل ، إذ محله الرفع على الابتداء أو هو بدل من لا وما عملت فيه ، لأنها وما بعدها في محل رفع بالابتداء » •

أبو حيّان :

ومضى السمين يقول : واستشكل أبو حيّان كونه بدلاً من إله ، لأنه لا يمكن تكرير العامل ، لا تقول : لا رجل إلا زيد والذي يظهر لي أنه ليس بدلاً من إله ، ولا من رجل في قولك لا رجل إلا زيد ، إنما هو بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف • فإذا قلنا : لا رجل إلا زيد ، والتقدير لا رجل كائن أو موجود إلا زيد • فزيد بدل من الضمير المستكن في الخبر لا من رجل ، وليس بدلاً من موضع

اسم لا ، وإنما هو بدل مرفوع من ضمير مرفوع ، تقدير ذلك الضمير هو عائد على اسم لا .

ابن هشام :

وقال ابن هشام : « وقول بعضهم في « لا إله إلا الله » : إن اسم الله سبحانه خبر لا التبرئة أي النافية للجنس يردّه أنها لا تعمل إلا في فكرة منفية ، واسم الله تعالى معرفة موجبة ، نعم يصح أن يقال : إنه خبر لـ « لا » مع اسمها فانهما في موضع رفع بالابتداء عند سيبويه » . ثم أطال ابن هشام في الرد على الزمخشري مما لا يتسع له صدر هذا الكتاب .

الشيخ مصطفى الغلاييني :

وقال الشيخ مصطفى الغلاييني من أدباء بيروت المحدثين : « قوله تعالى : لا إله إلا الله ، أي : لا إله موجود ، والله إما بدل من الضمير المستتر في الخبر المحذوف ، وإما بدل من محل لا واسمها . ويجوز في غير الآية نصبه على الاستثناء » .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ
فَأَخْبَاهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ
الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾﴾

اللفظة :

(الفلك) : السفن • ويكون واحداً كقوله تعالى : « في الفلك المشحون » ، وهو حينئذ مذكر • ويكون جمعاً كما في الآية بدليل قوله : « التي تجري في البحر » ، وكل ذلك بلفظ واحد • وقد خبط فيه صاحب المنجد خطاً عجيباً ، فجعله يذكّر ويؤنث • وعبارته : « الفلك : السفينة تؤنث وتذكر » • ومنشأ الخط أنه لم يتأمل — وهو ينقل عبارة القاموس «قلاً عشوائياً — أن التذكير خاص بالمفرد ، أما التأنيث فطاريء عليه لجمعه جمع تكسير • ونصّ عبارة القاموس : « والفلك بالضم السفينة ، ويذكر ، وهو للواحد والجميع ، أو الفلك التي هي جمع تكسير للفلك التي هي واحد ، وليست كجثب التي هي واحد وجمع ، وأمثاله ، لأن فَعَلًا وفَعَلًا يشتركان في الشيء الواحد كالعَرَب والعَرَب » • فإن قيل : ان جمع التكسير لا بد فيه من تغيير ، فالجواب أن تغييره مقدّر ، فالضمة في حال كونه جمعاً كالضمة في حُرّ وبُدن ، وفي حال كونه مفرداً كالضمة في قُتل • على أن ابن بري استدرك فقال : « إنك إذا جعلت الفلك واحداً فهو مذكر لا غير ، وإن جعلته جمعاً فهو مؤنث لا غير » فتأمل هذا الفصل ، فله على كل الفصول الفضل •

(الرياح) : جمع ريح • وياء الريح والرياح من واو ، والأصل روح ورواح ، وانما قلبت ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، وهو ابدال مطّرد ولذلك لما زال موجب قلبها رجعت الى أصلها ، فقليل : أرواح •

قالت ميسون بنت بحدل :

ليست تخفق الأرواح فيه أحبّ إليّ من قصر مَنيفٍ

ويغلب عليها الخير في الجمع ، والشر في المفرد .

وقد لحن في هذه اللفظة عبارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، فاستعمل الأرياح في شعره ، وقال أبو حاتم له : إن الأرياح لا يجوز . فقال عبارة : ألا تسمع قولهم : رياح ؟ فقال له أبو حاتم : هذا خلاف ذلك . فقال له : صدقت ورجع . قلنا : ولكن ورد جمع الأرياح في القاموس للفيروزبادي ونص عبارة : « والريح مؤنثة وجمعها أرياح وأرواح ورياح وريح كعنب وجمع الجمع أرواح وأرايح » . ونقل صاحب المنجد عبارة بنصها تقريباً .

الاعراب :

(إن) حرف مشبه بالفعل (في خلق السموات والارض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم (واختلاف الليل والنهار) عطف على خلق السموات (والفلك) عطف أيضاً (التي) صفة للفلك (تجري في البحر) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (بما) الباء حرف جر وما اسم موصول في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، ولك أن تجعل ما مصدرية ، فتعلق مع المصدر المؤول المجرور بها بتجري بأسباب تقع الناس (ينفع الناس) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما على كل حال (وما) عطف على ما الاولى (أنزل الله) الجملة صلة ما (من السماء) الجار والمجرور متعلقان بأنزل (من ماء) الجار والمجرور بدل من قوله من السماء بدل اشتمال ولا يرد عليه تطبيق حرفين متعدين بعامل واحد فإن الممنوع من ذلك أن يتحداً معاً من غير عطف ولا ابدال (فأحيا) عطف على فأنزل (به) الجار والمجرور متعلقان بأحيا (الارض) مفعول به (بعد موتها) الظرف متعلق بمحذوف حال (وبث) عطف على أنزل

أو أحيا (فيها) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (من كل دابة)
 الجار والمجرور متعلقان بيث (وتصريف الرياح) عطف على « خلق »
 (والسحاب) عطف أيضاً (المسخر) صفة للسحاب (بين السماء
 والارض) الظرف متعلق بمسخر لأنه اسم مفعول (لآيات) اللام هي
 المرحلة وآيات اسم ان المؤخر (لقوم) الجار والمجرور متعلقان
 بمحذوف صفة لآيات (يعقلون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل
 والجملة الفعلية صفة لقوم . وهذه الآية حث صريح على وجوب التأمل
 والتدبر وعن النبي صلى الله عليه وسلم : « ويل لمن قرأ هذه الآية
 فمجّ بها » أي لم يعتبر بها .

فالآية جملة مستأنفة مسوقة للحث على النظر والاعتبار
 بياهر الحكمة .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (١٦٩)

اللفظة :

(أنداداً) النّدّ : المثل ، والمراد هنا الاصنام أو كل ما سولت
 لهم أنفسهم عبادته .

الاعراب :

(ومن الناس) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان أن بعض الناس لم يعتقد الوجدانية بعد أن ثبت بالدليل القاطع ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر أو لكثرة موصوفة في محل رفع مبتدأ مؤخر (يتخذ) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول أو صفة لـ « مَنْ » وفاعل يتخذ ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ مَنْ (من دون الله) جار ومجرور متعلقان بـ يتخذ (أنداداً) مفعول به (يحبونهم) فعل مضارع مرفوع وفاعل ومفعول به والجملة الفعلية صفة لأنداداً أو حال من الضمير المستكن في يتخذ (كحب الله) الكاف ومجرورها في موضع نصب صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق ، ويجوز إعرابه حالاً وقد روجه سيبويه والمصدر مضاف الى مفعوله (والذين) الواو استئنافية أو حالية واسم الموصول مبتدأ (آمنوا) فعل وفاعله . والجملة صلة الموصول (أشد) خبر الموصول (حباً) تمييز (الله) الجار والمجرور متعلقان بحباً (ولو) الواو استئنافية ولو شرطية غير جازمة (يرى) فعل مضارع (الذين) فاعل (ظلموا) الجملة الفعلية صلة الموصول لا محل لها (إذ) ظرف لما مضى من الزمن متعلق بـ يرى (يرون) الجملة الفعلية في محل جر بإضافة الظرف اليه والواو فاعل (العذاب) مفعول به أول والمفعول الثاني محذوف تقديره نازلاً بهم وقت رؤيتهم (ان القوة) ان واسمها (الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر . وان وما بعدها سدت مسد مفعولي يرى (جميعاً) حال (وأن الله شديد العذاب) عطف على ما تقدم ، وجواب لو محذوف أي لرأيت عجباً ولكان منهم مالا يدخل تحت الوصف من الندامة والحسرة .

البلاغة :

الايجاز في الآية وذلك بحذف جواب لو كما تقدم وهو كثير شائع في كلامهم وورد في القرآن كثيراً ، وقد تعلق بأهداب هذه البلاغة أبو تمام الطائي حين قال في قصيدته « فتح عمورية » :

لو يعلم الكفر كم من أعصر كمنت
له المنيّة بين السّمر والقضب

وتقديره لو يعلم الكفر ذلك لأخذ أهبطه واحتاط لنفسه وهيئات .

الفوائد :

(دون) ظرف للمكان وهو تقيض فوق ، نحو هو دونه أي أحط منه رتبة أو منزلة ، ويأتي بمعنى أمام نحو : الشيء دونك أي أمامك ، وبمعنى وراء نحو : قعد دون الصف ، أي وراءه ، وقد يأتي بمعنى رديء وخسيس فلا يكون ظرفاً ، نحو : هذا شيء دون ، وهو حينئذ يتصرف في وجوه الاعراب . ويأتي بمعنى غير كما في الآية ، وأكثر ما يستعمل حينئذ مجروراً بمن .

﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ

وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ

مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يَرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلْتُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا

هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٧﴾

الاعراب :

(إذ) ظرف لما مضى من الزمن وهي مع مدخولها بدل من إذ المتقدمة في الآية السابقة (تبرأ الذين) فعل ماض وفاعل (اتبعوا) فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل ، والجملة صلة الموصول ، وجملة تبرأ في محل جر باضافة الظرف اليها وهم الرؤساء (من الذين اتبعوا) الجار والمجرور متعلقان بتبرأ واتبعوا فعل ماض مبني للمعلوم والواو فاعل وهم الاتباع والجملة صلة (ورأوا) الواو حالية أو عاطفة ورأوا فعل وفاعل (العذاب) مفعول به والجملة حالية بتقدير قد ، أي تبرءوا منهم في حال رؤيتهم العذاب ، أو معطوفة على جملة تبرأ (وتقطعت بهم الأسباب) عطف على ما تقدم (وقال) الواو عاطفة وقال فعل ماض (الذين) فاعل (اتبعوا) الجملة صلة الموصول واتبعوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل (لو) شرطية غير جازمة متضمنة معنى التمني (أن لنا كرة) ان وخبرها المقدم واسمها المؤخر وان وما في حيزها مقول القول (فنتبرأ) الفاء هي السببية وتبرأ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة يعد فاء السببية المسبوقة بالتمني الذي تضمنته لو وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن (منهم) الجار والمجرور متعلقان بتبرأ (كما) الكاف مع مجرورها في موضع نصب مفعول مطلق وما مصدرية (تبرءوا) فعل ماض وفاعل (منا) جار ومجرور متعلقان بتبرؤا (كذلك) الجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أي اراءة مثل تلك الإراءة . واختار سيويه النصب على الحال وهو صحيح (يريهم) فعل مضارع والرؤية هنا تحتمل أن تكون بصرية فتتعدى

لمفعولين أولهما الضمير والثاني أعمالهم وتحتل أن تكون قلبية ولعله أرجح فتتعدى لثلاثة (الله) فاعل (أعمالهم) مفعول به ثان (حشرات) مفعول به ثالث أو حال (عليهم) متعلقان بمحذوف صفة لحشرات (وما) الواو عاطفة وما حجازية (هم) اسم ما الحجازية (بخارجين) الباء حرف جر زائد وخارجين مجرور لفظاً منصوب خبر ما محلاً (من النار) الجار والمجرور متعلقان بخارجين .

البلاغة :

١ - في الآية فن اللف والنشر المشوش ، وهو ذكر متعدد على وجه التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد وردّه الى ما هو له ، فتبرؤ بعضهم من بعض راجع لقوله : إذ تبرأ ، وإراءتهم شدة العذاب راجع لقوله : ورأوا العذاب ، والمراد أنه أراهم هذين الأمرين عقوبة لهم على اتخاذهم الأنداد لله ، فكما عاقبهم على عقائدهم عاقبهم على أعمالهم . ولهذا الفن فروع متعددة ميسوطة في كتب البلاغة ، ومنه في الشعر قول أبي فراس الحمداني :

وشادنٍ قال لي لما رأى سقمي

وضعف جسمي والدّمع الذي انسجما

أخذت دمعك من خدّي وجسمك من

خصري وسقمك من طرفي الذي سقما

٢ - في قوله : إذ تبرأ الذين اتبعوا . الآية ، فنّ يقال له فنّ الترصيع ، وهو أن يكون الكلام مسجوعاً ، وهو في الآية في موضعين ، وقد كثر في القرآن ، وأما في الشعر فمنه قول أبي الطيب المتنبي :

في تاجه قمر في ثوبه بشر في درعه أسد تدمي أظافره

وقال أبو تمام :

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتغب في الله مرتقب

٣ - في قوله : « وتقطعت بهم الأسباب » مجاز مرسل علاقته السببية ، فإن السبب في الأصل الحبل الذي يرتقى به إلى ما هو عالٍ ثم أطلق على كل ما يتوصل به إلى شيء ، مادة كان أم معنى . ولك أن تجعله من باب الاستعارة التصريحية ، فقد شبه الأعمال التي كانوا يمارسونها في الدنيا بالأسباب التي يتشبث بها الإنسان للنجاة ، ثم حذف المشبه وأبقى المشبه به . قال زهير بن أبي سلمى :

ومن هاب أسباب المنايا يئله وإن يرق أسباب النساء بسلم

٤ - فن الحذف ، فقد حذف جواب لو الشرطية وهو مقدر في الآية تقديره - لكان منهم مالا يدخل تحت الوصف .

الفوائد :

كل اسم كان واحده على وزن « فَعْلَة » مفتوح الاول ساكن الثاني ، فإن جمعه على فعلات بفتح الفاء والعين ، مثل شهوة وتمريرة وجمعهما شهوات وتمريرات ، متحركة الثواني من حروفها . فأما إذا كان وصفاً فإنك تدع ثانيه ساكناً مثل ضخصة وعبلة ، فتجمعها على ضخضات وعبلات ، باسكان الثواني .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا

خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ

وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

اللفظة :

(الخطوات) بضمتين : جمع خطوة ، وهي ما بين يدي الخاطي .
ومن غريب أمر الخاء والطاء أنهما إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة دلّ ذلك
على الاثر ، فأثر الخطوة معروف ، ولهذا قالوا : اتبع خطواته ، كأنما
أثر عليه فتبعه . والخطأ في الرأي والمسألة واضح الاثر ، ومن
أمثالهم : « مع الخواطيء سهم صائب » . والخطب : المصاب وهو
بيّن الاثر ، وقل مثل هذا في الخطل أي السفاهة ، وهو استرخاء
الاذنين أو السفاهة ، وسمي الشاعر الأموي الأخطل . وهذا كله
اكتشفناه بعد التقصي والتمعن فتدبره .

الاعراب :

(يا أيها الناس) يا حرف نداء للمتوسط ، وأي منادى نكرة مقصودة
مبني على الضم في محل نصب والهاء للتنبيه ، والناس بدل من أي
(كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (ما) الجار
والمجرور متعلقان بكلوا (في الارض) الجار والمجرور متعلقان
بمحذوف صلة الموصول (حالاً) مفعول به لكلوا أو حال من « ما »
(طيباً) صفة . وسيأتي بحث طريف عنها (ولا) الواو عاطفة ولا فاهية
(تتبعوا) فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (خطوات) مفعول به
وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (الشيطان) مضاف

اليه (إنه) إن واسمها (لكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، لأنه في الاصل صفة لعدو وقد تقدمت (عدو) خبر إن المرفوع (مبين) صفة لعدو وجملة النداء وما تلاه مستأنفة مسوقة لبيان مواطن الحل والحرمة ، وإن ذلك منوط بالله تعالى . وجملة إنه وما تلاها لا محل لها لأنها تعليل للنهي عن اتباع خطوات الشيطان في ذلك (إنما) كافة ومكفوفة ملغاة (يأمركم) فعل وفاعل مستتر يعود على الشيطان ومفعول به (بالسوء) الجار والمجرور متعلقان بيأمركم والجملة مستأنفة مسوقة لبيان عداوة الشيطان وفضح أهدافها (والنحشاء) عطف على قوله بالسوء (وأن تقولوا) المصدر المنسبك من أن وما في حيزها معطوف على السوء أيضاً (على الله) الجار والمجرور متعلقان بتقولوا (ما) اسم موصول مفعول تقولوا (لا) نافية (تعلقون) فعل مضارع مرفوع وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة ما .

البلاغة :

الاستعارة التبعية في أمر الشيطان رداً على سؤال قد يرد على الخاطر ، وهو : كيف يكون الشيطان آمراً والله تعالى يقول : إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ؟ فقد شبه تزوين الشيطان لهم وتحريضه إياهم على الشر ، وتأريث نار الشهوات في النفوس بأمر الأمر فهي استعارة تصريحية تبعية ، والواقع أن أمر الشيطان هو عبارة عن الخوارج التي تساورنا وتحدونا الى اجتراح السيئات .

الفوائد :

اختلف العربون والفقهاء في معنى هذه الصفة أي طيباً فقال :

بعضهم هي صفة مؤكدة ، لأن معنى طيباً وحلالاً واحد ، وأخذ مالك به وقال آخرون هي صفة مخصصة ، لأن معناه مغاير لمعنى الحلال ، وهو المستلذ ، وبه أخذ الشافعي . ولذلك يمنع أكل الحيوان القذر وكل ما هو خبيث .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ

ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بقالوا (قيل) فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو والجملة مستأنفة مسوقة لبيان رسوخهم في الغي وإمعانهم في الضلال (لهم) الجار والمجرور متعلقان بقيل (اتبعوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة الفعلية مقول القول (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (أنزل الله) الجملة لا محل لها لأنها صلة ما (قالوا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (بل) حرف اضراب وعطف وكل اضراب في القرآن يراد به الانتقال من قصة الى قصة إلا في هذه الآية وفي آية أخرى ستأتي (تتبع) فعل مضارع وفاعله نحن ، والجملة معطوفة على جملة مقدرة أي لا تتبع ما أنزل الله بل تتبع (ما) اسم موصول مفعول به (ألفينا) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عليه) جار ومجرور في موضع نصب مفعول ألفينا الثاني (آباءنا) مفعول

الفينا الأول. ومعنى ألفينا وجدنا (أولو) البعزة للاستفهام الانكاري، والواو حالية والجملة حالية مسوقة لاستنكار اتباع آبائهم في كل حالة حتى في الحالة التي لا مساغ للعاقل أن يتسعا ويجنح اليها وهي عدم تلبسهم بعدم العقول واقتفاء الهداية. ولو شرطية لا تحتاج الى جواب في مثل هذا التركيب لأن القصد منها تعميم الاحوال، ولذلك لا يجوز حذف الواو الداخلة عليها تنبيهاً على أن ما بعدها ليس مناسباً لما قبلها (كان آباؤهم) كان واسمها (لا) نافية (يعقلون) فعل مضارع وفاعله والجملة المنفية خبر كان (شيئاً) مفعول به أو مفعول مطلق (ولا يهتدون) الجملة معطوفة على جملة لا يعقلون.

البلاغة :

الالتفات في قوله : لهم .. من الخطاب الى الغيبة تسجيلاً للنداء على ضلالهم ، لأنه ليس ثمة أضلّ من المقلد تقليداً أعمى ، يتبع غيره في المواطن التي توبقه وتمرديه ، وينساق من غير تفكير ولا روية .

﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً

وَنِدَاءً ۖ صَمٌّ بَكْرٌ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾

اللفة :

(ينعق) التعميق : هو التصويت مطلقاً . قال الأخطل :

فانق بضائك يا جرير فإنما منتك أمك في الخلاء ضللاً

ويقال : نعق المؤذن وسمعت نعقة المؤذن ، وأما صوت الغراب فهو النقيق بالغين المعجمة •

الاعراب :

(ومثل) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لضرب المثل للكافرين في عبادتهم للأصنام ، وقد شغلت هذه الآية العربيين والمفسرين ، واختلفوا فيها اختلافاً كثيراً وتبلغ الأوجه التي أوردوها أربعة نختار منها واحداً ونورد في باب البلاغة تفصيلها لأنها تكاد تكون متساوية الرجحان ، ومثل مبتدأ (الذين) مضاف إليه (كهروا) فعل وفاعل والجملة صلة الموصول ، ولا بد من تقدير مضاف قبل الموصول أي مثل داعيهم إلى الإيمان أي مثل داعي الذين كهروا ، بمعنى أن من يحاول هدايتهم بثابة من يخاطب ما لا يسمع ، وإن سَمِع فهو لا يعقل شيئاً مما يسمعه (كمثل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (الذي) اسم موصول مضاف إليه (ينطق) فعل مضارع وفاعله هو ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (بما) الجار والمجرور متعلقان بـينطق (لا يسمع) لا نافية ويسمع فعل مضارع والجملة الفعلية صلة ما (إلا) أداة حصر (دعاء) مفعول به (ونداء) عطف على دعاء (صم بكم عمي) أخبار ثلاثة لمبتدأ محذوف أي هم (فهم) الفاء عاطفة وهم مبتدأ (لا يعقلون) الجملة الفعلية المنفية خبرهم •

البلاغة :

في هذه الآية فنون عديدة منها :

١ - التشبيه التمثيلي فقد شبه من يدعو الكافرين إلى الإيمان

رغم لجاجتهم ومكابرتهم بمن ينطق بالبهائم التي لا تسمع إلا التصويت بها والزجر لها ، فهو تشبيه صورة بصورة أو تشبيه متعدد بمتعدد ، ويمكن اختصار الاوجه التي أوردها علماء البيان والنحو بما يلي :

أ - ان المثل مضروب لتشبيه الداعي والكافر بالناثق والمنعوق به .

ب - ان المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم له بالغنم المنعوق بها .

ج - ان المثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه الاصنام بالناثق على الغنم .

٢ - الاستعارة التصريحية في تشبيه الكافرين بالصم البكم العمي وحذف المشبه وإبقاء المشبه به .

٣ - الايجاز في حذف مضاف تقديره : مثل داعي الذين كفروا ، ولم يصرح بالداعي وهو الرسول تمشياً مع الأدب الرفيع في حسن التلطف بالخطاب ، والتهذيب الذي يجب أن يتسم به الشعراء والكتاب .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ

إِن كُنْتُمْ ءِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (١٧٧) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ

وَمَا أَهْلٌ بِهِ لِمُغَيِّرِ اللَّهِ فَمَنْ أَضْطَرُّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ
 إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾
 اللفظة :

(الاهلال) : سبق القول إنه رفع الصوت عند مباشرة أمر من الأمور ، وقد كان ديدنهم في جاهليتهم أن يرفعوا أصواتهم عند مباشرتهم هذه الامور كالذبح وغيره فيقولون : باسم اللات والعزى •

(باغ) : ظالم •

(عاد) : معتد على غيره •

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها فجدد به عهداً ، وجسلة النداء وءابعدہ مستأنفة تمهيداً للشروع في بيان أنواع من المحرمات بعد ما أمر سبحانه بأكل الطيبات (كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (من طيبات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للمفعول المحذوف ليذهب السامع في تقديره أي مذهب تصبو اليه نفسه ومعنى من الجارة هنا التبعيض أي كلوا بعضها فما أكثر الطيبات المتاحة لنا (ما) اسم موصول في محل جر بالاضافة (رزقناكم) فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة الموصول (واشكروا لله) معطوف على كلوا ، والله جار ومجرور متعلقان باشكروا ، وسيأتي بحث عنه في باب الفوائد (إن) شرطية تجزم فعلين (كنتم) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها (إياه) ضمير منفصل مفعول

مقدم لتعبدون (تعبدون) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم
 وجملة جواب الشرط محذوفة دل عليها ما قبلها أي فاشكروا (إنما)
 كافة ومكفوفة (حرم) فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود
 على الله تعالى (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بحرم (الميتة) مفعول
 به (والدم ولحم الخنزير) معطوفان على الميتة (وما) الواو حرف
 عطف وما اسم موصول منصوب عطفاً على ما تقدم (أهل) فعل ماض
 مبني للمجهول (به) جار ومجرور قام مقام نائب الفاعل (لغير الله)
 الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال والجملة صلة الموصول (فمن)
 الفاء الفصيحة أي إذا كانت هناك حالات اضطرار ألجأته إلى أكل شيء
 مما حرم ، والجملة بعدها لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم ،
 ومن اسم شرط جازم مبتدأ (اضطر) فعل ماض مبني للمجهول في محل
 جزم فعل الشرط ونائب الفاعل مستتر تقديره هو يعود على المضطر
 (غير) حال من « مَنْ » فكأنه قيل : اضطر لا باغياً ولا عادياً فهو
 له حلال (باغ) مضاف إليه وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء
 المحذوفة لالتقاء الساكنين (ولا عاد) عطف على غير باغ (فلا) الفاء
 رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ولا نافية للجنس (إثم) اسمها
 المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها ،
 والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط
 وجوابه خبر من على الأصح (إن الله) إن واسمها (غفور رحيم)
 خبران لإن وجملة إن وما في حيزها لا محل لها لأنها تعليلية .

البلاغة :

١ - اشتملت هاتان الآيتان على إيجازين جميلين بالحذف ، وهما

حذف مفعول كلوا كما تقدم ، وحذف جواب إن الشرطية أي فاشكروه
وحذف جواب الشرط شائع في كلام العرب .

٢ - التقديم في تقديم إياه لإفادة الاختصاص ، لأنه سبحانه
مختص بأن يعبدوه .

٣ - الالتفات من ضمير المتكلم الى الغيبة ، وسياق الكلام
يقتضي أن يقول : واشكرونا ، ولكنه التفت الى الغيبة لعظم الاهتمام
به سبحانه . وفيه تلميح الى الحديث النبوي وهو : « يقول الله تعالى :
إني والجن والإنس في نأ عظيم ، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر
غيري » . وقد درج علماء البلاغة على تعريف الالتفات بأنه إنما
يستعمل في الكلام للتفنن والانتقال من أسلوب الى أسلوب تطرية
لنشاط السامع ، وهو تعريف جميل ، لأن النفس تسأم الكلام الجاري
على نسق رتيب . ولكن يرد على هذا التعريف أن التطرية لا تكون
إلا بعد حدوث الملل ، ولا ملل في تلاوة القرآن ، فلا بد أن يكون
هناك أمر وراء الانتقال من أسلوب الى أسلوب ، بيد أن ذلك لا يمكن
تحديده ، لأن الفنّ جمال ، وسر الجمال في عدم تحديده ، لأنه بعيد
المنال ، وقد أريناك عند الكلام على الفاتحة أسراراً تكمن وراء السطور ،
وهنا عدل عن التكلم الى الغيبة كما تقدم ، وليصرح باسم الله ، وفي
ذلك من حوافز الشكر ما فيه .

نموذج شعري :

وما دمنّا في صدد أسرار الالتفات يحسن بنا أن نورد للقارىء
مثالاً شعرياً لأبي تمام الطائي ليقيس طلابنا ومتأدّبونا على منواله ،
قال يمدح أبا دلف العجليّ ويصف فيها ركباً يسرون في المهامه البعيد

ليتخلص الى التنويه بجود المدوح ، ولا يفوتك ما فيها من تشخيص
وتجسيد :

وركبٍ يساقون الركابَ زجاجةً
من الستير لم تقصِد لها كفٌّ قاطبٍ
فقد أكلوا منها الغواربَ بالشرى
وصارت لهم أشباحهم كالغوارب
يصرف سراها جَذيلٌ مشارق
إذا أبه هم عَذيق مغارب
يرى بالكعب الرجودِ طلعة نائر
وبالعِرمس الوجناء غرة آيب
كانَ بها ضِغناً على كلِّ جانب
من الأرض أو شوقاً الى كلِّ جانب
إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد
تَقَطَّعَ ما بيني وبين النوائب

فقال في الأول : يصرف سراها ، مخاطبة للغائب جرياً على
الأسلوب المتقدم في وصف الركب ، ثم قال بعد ذلك : إذا العيس
لاقت بي ، فعدل الى خطاب نفسه لأنه لما صار الى مشافهة المدوح

والتصريح باسمه خاطب عند ذلك نفسه مبشراً لها بالبعد عن المكاره والقرب من الرغائب، وهذا من السحر الحلال وان من البيان لسحراً ..

الفوائد :

(شكر) فعل متعد ولكنه قد يستعمل كاللازم فيكتفي بالفاعل إذا أريد به مجرد حدوث الفعل ، ويستعمل متعدياً مباشرة الى مفعول به واحد ، قال تعالى : « ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك » ، ويتعدى الى مفعولين كقول عبد الله بن الزبير :

سأشكر عمراً ما تراخت منيتي

أيادي لم تشن وإن هي جلت

والمفعولان هما : عمراً وأيادي ، جمع يد وهي النعمة . وقد يتعدى باللام الى مفعول به واحد كما في الآية هنا .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيُسْتَرُونَ بِهِ تَمَنَّا قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكْلَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١٧٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ﴿

الاعراب :

(إن الذين) إن واسمها ، والجملة مستأنفة مسوقة لسرد قصة رؤساء اليهود وأخبارهم الذين كانوا يصيبون من عامتهم الهدايا والمآكل ، وكانوا يمنون أنفسهم بأن يكون النبي المنتظر الموصوف عندهم في التوراة منهم ، أشفقوا على ذهاب ما كان يترادف عليهم من نساء ، مما يؤدي بالتالي الى زوال رئاستهم فعمدوا الى كتمان أمره (يكتمون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (ما) اسم موصول مفعول به ليكتمون (أنزل الله) فعل وفاعل والجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة ما (من الكتاب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الضمير المحذوف العائد على الموصول تقديره : ما أنزله الله حال كونه من الكتاب (ويشترون) الواو عاطفة ويشترون جملة معطوفة على جملة أنزل الله (به) الجار والمجرور متعلقان يشترون (ثمناً) مفعول به (قليلاً) صفة (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (ما) نافية (يأكلون) فعل مضارع مرفوع والجملة خبر اسم الإشارة (في بطونهم) الجار والمجرور متعلقان بيأكلون لأنها ظروف للأكل (إلا) أداة حصر (النار) مفعول به . وجملة أولئك ما يأكلون خبر إن (ولا يكلمهم الله) الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة ما يأكلون (يوم القيامة) الظرف متعلق بيكلمهم (ولا يزكيهم) الجملة عطف على جملة لا يكلمهم الله (ولهم) الواو حرف عطف والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) صفة (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (الذين) اسم موصول خبر (اشتروا الضلالة بالهدى) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وقد تقدمت بحروفها (والعذاب بالمغفرة) عطف على الضلالة بالهدى ، والمتروك ما دخلت

عليه الباء (فما) الفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن مصيرهم العجيب ، وما فكرة تامة بمعنى شيء للتعجب في محل رفع مبتدأ على الأصح ، وإنما قلنا على الأصح دفعا لما تخط به النحاة من أوجه لا طائل تحتها إلا التكلف ، (أصبرهم) فعل ماض جامد لإنشاء التعجب وفاعله ضمير مستتر وجوبا هنا خاصة والهاء مفعول به ، والجملة الفعلية خبر ما (على النار) الجار والمجرور متعلقان بأصبرهم (ذلك) اسم الإشارة مبتدأ (بأن الله) الباء حرف جر ، وأن وما في حيزها في محل جر بالباء والجار ومجروره خبر اسم الإشارة ، ومعنى الباء السببية ، وأن واسمها (نزل الكتاب) فعل ماض وفاعل مستتر يعود على الله تعالى والكتاب مفعول به والجملة الفعلية خبر أن ، أي ذلك العذاب بسبب أن الله نزل الكتاب (بالحق) الجار والمجرور متعلقان بنزل أو بمحذوف حال (وإن الذين) الواو عاطفة أو حالية وإن واسمها (اختلفوا) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول (في الكتاب) الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (لفي شقاق) اللام هي المزلحقة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر إن (بعيد) صفة .

البلاغة :

١ - الاستعارة التصريحية في اشتراء الضلالة بالهدى ، وقد تقدمت الآية بحروفها .

٢ - المجاز المرسل في أكل النار ، والعلاقة هي السببية ، فقد جعل ما هو سبب للنار تاراً .

٣ - التعريض : في عدم تكليم الله إياهم يحرماتهم حال أهل الجنة وتركيتهم بكلامه تعالى . والتعريض ضرب من الكناية ، لأن

الكناية إذا كانت عرضية مسوقة لأجل موصوف غير مذكور كان المناسب أن يطلق عليها اسم التعريض • ومن طريف هذا الفن قول أبي الطيب المتنبي وهو يرمق سماء القرآن العالية :

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله

فإني أغني منذ حين وتشرب

يخاطب كافوراً الأخشيدي فيقول : مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب ، فقد جان أن تسقيني من فضل كأسك •

٤ — المقابلة في المطابقة بين الضلالة والهدى وبين العذاب والمغفرة •

والمقابلة فن دقيق المسلك لا يسلكه إلا خير بأساليب الكلام ، وإلا كان تكلفاً مقوّتاً • وقد بلغ أبو الطيب فيه الغاية بقوله :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي

وأثني وبياض الصبح يفري بي

فقد طابق بين أزور وأثني وبين سواد وبياض وبين الليل والصبح وبين يشفع ويفري وبين لي وبي • ومنه قول ابن زيدون :

سرّان في خاطر الظلماء يكتمنا

حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ

وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ
أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

اللغة :

(ابن السبيل) : المسافر وإنما قيل له : ابن السبيل لملازمته الطريق ، كما يقال لطبر الماء ابن الماء لملازمته إياه ، وللرجل الذي أتت عليه الدهور ابن الأيام والليالي .

الاعراب :

(ليس) فعل ماض جامد ناقص ، وإنما جمّدت لأن لفظها لفظ الماضي ، ومعناها نفي الحال ، فلم يتكلف لها بناء آخر ، فاستعملت على لفظ واحد، ولأنها خالفت بقية الأفعال في أنها وضعت سالبة للمعنى. والأفعال ليس من أصلها أن توضع لسلب المعنى ، وإنما توضع لإيجابه ، فتنزّلت منزلة الحرف فجمّدت ولم تتصرف . والدليل على أنها فعل اتصال الضمائر المرفوعة بها كاتصالها ببقية الأفعال . وأصلها في الوزن ليسَ على وزن فعل بكسر العين ، ولولا إلزام ياء ليس السكون حتى صارت في حكم ياء ليت لوجب في حكم التصريف قلبها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فيكون اللفظ بها

يصير « لاس » كما تقول هاب في الماضي من لفظ الهيبة (البر) خبر ليس المقدم (أن تولوا) أن حرف مصدري ونصب ، وتولوا فعل مضارع منصوب بأن والمصدر المنسبك من أن وما في حيزها اسم ليس المؤخر ، وقرئ برفع البر على أنه اسم ليس وإن تولوا خبرها (وجوهكم) مفعول به (قبل) ظرف مكان متعلق بتولوا (المشرق) مضاف إليه (والمغرب) عطف على المشرق (ولكن) الواو حرف عطف ولكن حرف مشبه بالفعل (البر) اسمها (من آمن) من اسم موصول خبر لكن ، ولا بد من تأويل حذف المضاف ، أي بر من آمن ، ويسكن أن يقال : لا حذف وإنما جعل البر نفس من آمن للمبالغة ، وجسلة آمن صلة لامحل لها (بالله) الجار والمجرور متعلقان بآمن (واليوم) عطف على الله (الآخر) صفة (والملائكة والكتاب والنبين) عطف أيضاً على الله (وآتى) فعل ماض معطوف على آمن داخل في حيز الصلة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (المال) مفعول به (على حيه) الجار والمجرور في موضع نصب على الحال ، والمصدر مضاف الى مفعوله ، أي مع حبه (ذوي القربى) مفعول آتى وعلامة نصبه الياء لأنه جمع ذي بمعنى صاحب ، والقربى مضاف إليه ، (واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين) كلها معطوفة على ذوي (وفي الرقاب) الجار والمجرور معطوف أيضاً ، أي وآتى المال في فكها من الأسر أو إعتاقها (وأقام الصلاة وآتى الزكاة) عطف على آتى المال (والموفون) عطف على « من آمن » ولك أن تعربه خبراً لمبتدأ محذوف لبعده ، أي هم الموفون (بعهدهم) الجار والمجرور متعلقان بالموفون لأنه جمع موفي وهو اسم فاعل من أوفى (إذا) ظرف متعلق بالموفون (عاهدوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية في محل جر بالاضافة لوقوعها بعد الظرف (والصابرين) كان سياق الكلام أن يكون منسوقاً على ما تقدم ، ولكنه قطعه عن العطف ونصبه على المدح بفعل محذوف تقديره أمدح

إشعاراً بفضل الصبر وتنوياً بذلك الفضل (في البأساء والضراء)
 الجار والمجرور متعلقان بالصابرين وهما مصدران جاءا على وزن فعلاء
 وليس لهما أفعل ، أو هما اسمان للمصدر بمعنى اليأس والضر ،
 يقعان على المذكر والمؤنث ، ومثلها أشأم من قول زهير بن أبي سلمى
 يصف الحرب :

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

يعني : فتنتج لكم غلمان شؤم (وحين البأس) ظرف زمان متعلق
 بالصابرين والبأس مضاف إليه ، وهو شدة القتال في سبيل الله
 (أولئك) اسم إشارة مبتدأ (الذين) اسم موصول خبر (صدقوا)
 الجسلة من الفعل والفاعل لا محل لها لأنها صلة الموصول (وأولئك)
 الواو استئنافية أو عاطفة وأولئك مبتدأ (هم) ضمير فصل أو عباد
 لا محل له أو مبتدأ ثان (المتقون) خبر أولئك ، أو هم ، والجسلة
 الاسمية خبر أولئك .

البلاغة :

في هذه الآية فنون شتى من البلاغة منها :

١ - فنّ الإيجاز بحذف المضاف في قوله :

ولكن البر من آمن ، أو فنّ المبالغة إذا جعلناه نفس البر .

٢ - المجاز المرسل في قوله :

« وفي الرقاب » والعلاقة الجزئية بذكر الجزء وإرادة الكل .

٣ - قطع التابع عن المتبوع وضابطه أنه إذا ذكرت صفات

للمدح أو الذم خولف في الإعراب تفنناً في الكلام واجتلاباً للاقتباه بأن ما وصف به الموصوف أو ما أسند إليه من صفات جدير بأن يستوجب الاهتمام ، لأن تغيير المألوف المعتاد يدل على زيادة ترغيب في استماع المذكور ومزيد اهتمام بشأنه • والآية مثال لقطع التابع عن المتبوع في حال المدح ، وأما مثاله في حال الذم فهو قوله تعالى في سورة تہمت (وامراته حمالة الحطب) فقد نصب حمالة على الذم وهي في الحقيقة وصف لامراته وسيأتي •

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ
بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَنِ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ
فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي
الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾

اللفظة :

(كتب) : فرض ، ومنه قول عمر بن أبي ربيعة :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جِرٌّ الذَّيُولِ

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (كتب) فعل ماض مبني

للمجهول (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بكتب (القصاص)
 نائب فاعل (في القتل) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، ولك
 أن تعلقهما بالقصاص . وجملة النداء وما تلاه مستأنفة مسوقة لبيان
 حكم القصاص في عرف الشرع (الحر) مبتدأ (بالحر) متعلقان
 بمحذوف خبر (والعبد بالعبد) عطف على ما تقدم والجملة الاسمية
 لا محل لها لأنها مفسرة (والاثني بالاثني) عطف أيضاً (فمن) الفاء
 الفصيحة لأنها أفصحت عن بعض التفاصيل التي تخطر على البال ،
 ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (غفي) فعل ماض مبني
 للمجهول في محل جزم فعل الشرط (له) الجار والمجرور متعلقان
 بعفي (من أخيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي حالة
 كونه من دم أخيه (شيء) نائب فاعل عفي (فاتباع) الفاء رابطة
 لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ، واتباع مبتدأ خبره محذوف مقدم
 عليه ، أي فعله اتباع . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل
 الشرط وجوابه خبر من (بالمعروف) الجار والمجرور متعلقان باتباع
 (وأداء) عطف على إتياع (إليه) متعلقان بأداء (بإحسان) متعلقان
 بمحذوف حال (ذلك) اسم الإشارة مبتدأ (تخفيف) خبر (من ريكتم)
 الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة والجملة مستأنفة (ورحمة)
 عطف على تخفيف (فمن) الفاء الفصيحة ومن شرطية مبتدأ (اعتدى)
 فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (بعد ذلك) الظرف متعلق باعتدى
 (فله) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ، والجار والمجرور
 متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر (أليم) صفة
 لعذاب ، والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل
 الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (ولكم) الواو استئنافية
 وما بعدها جملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في مشروعية القصاص ،
 والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (في القصاص) الجار والمجرور

متعلقان بمحذوف حال (حياة) مبتدأ مؤخر (يا) حرف نداء (أولي الألباب) متادى مضاف منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والألباب مضاف إليه (لعلكم) لعل واسمها (تتقون) فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والجملة في محل رفع خبر لعل وجملة الرجاء حال .

البلاغة :

في آية القصاص سموّ بياني منقطع النظير لأنها تنطوي على فنون عديدة ندرجها فيما يلي :

١ - الإيجاز : فقد كان العرب يتباهون بقولهم : « القتل أتى للقتل » فجاءت آية القرآن وهي « في القصاص حياة » أكثر إيجازاً وأرشق تعبيراً لأنها أربع كلمات وهي « في ، ال ، قصاص ، حياة » وقول العرب ست وهي « ال ، قتل ، أتى ، وضميره لأنه اسم مشتق ، اللام ، قتل » ولأن حروفها الملفوطة الثابتة وقفاً ووصلاً أحد عشر حرفاً وحروف قول العرب أربعة عشر حرفاً .

٢ - المجاز المرسل في قوله : « في القصاص حياة » فقد جعل ما هو تهويت للحياة وذهاب بها ظرفاً لها إذ القصاص مزجرة قوية عن إقدام الناس على القتل ، فارتفع بسببه القتل عن الناس ، وارتفع سبب الموت ديمومة للحياة السابقة .

٣ - تعريف القصاص وتنكير الحياة ، أي انه كان لكم في هذا الجنس من القصاص حياة عظيمة لا تدركون كنهها ، لأن القاتل يرتدع عن القتل فتصان بذلك حياة الأبرياء ، ويزدجر البغاة ، ومن ركزت في نفوسهم طبيعة الاجرام .

٤ - تعجيل الترغيب والتشويق بذكر الحياة وبها يتنسم السامع رائحة الحياة وطيبها وحلاوتها لأنها أتت نتيجة حتمية للقصاص بعكس كلمة العرب التي تبتدىء بذكر الموت وقد رمق أبو الطيب سماء هذا المعنى بيته الخالد :

إلفٌ هذا الهواء أوقع في الأنفس أنّ الحمام مرّ المذاق

٥ - الطباق بين الحياة والموت للمفارقة بين الضدّين ولا يظهر حسن الضدّ إلا الضد على حد قول صاحب اليتيمة متغزلاً :

فالوجه مثل الصّبح مبيضٌ والفرع مثل الليل مسودٌ

ضدّان لما استجمعا حسناً والضدّ يظهر حسنه الضدّ

وقد جاء القصاص في الآية ، وهو في الاصل تعبير عن الموت محلاً لضده وهو الحياة •

٦ - التنكير في الحياة يدل على أن في هذا الجنس البشري نوعاً من الحياة يتميز عن غيره ولا يستطيع الوصف أن يبلغه ، لأنهم كانوا يقتلون الجماعة بالواحد فتهيج الفتنة وتستشري بينهم ، ففي شرع القصاص سلامة ومنجاة من هذا كله •

٧ - التعميم الذي يتجاوز التخصيص ، فليس القتل وحده سبب القصاص ولكن ينتظم فيه جميع الجروح والشّجاج ، لأن الجراح إذا علم أنه إذا جرحَ جرحَ صار ذلك سبباً لبقاء الجراح والمجروح ، وربما أفضت الجراحة الى الموت ، فيقتص من الجراح •

٨ - ليس في قول العرب كلمة يجتمع فيها حرفان متحركان إلا في موضع واحد ، بل كلها أسباب خفيفة أكثرها متوالية ، وذلك ينقص من سلامة الكلمة وجريانها على اللسان ، بخلاف آية القرآن

٩ - المقصود الاصل الذي هو الحياة مصرح به في الآية ، ومدلول " عليه بالالتزام في كلمة العرب •

١٠ - الاطراد في الآية دون قولهم إذ يوجد قتل لا ينفي القتل بل يكون ادعى له ، كالقتل ظلماً • وإنما يطرد اذا كان على وجه القصاص وهو مشتق من اطراد الماء وهو جريه من غير توقف •

١١ - خلو الآية مما يكره من لفظ القتل وما يجسده من سيل الدماء وتمزق الاشلاء •

١٢ - خلو الآية من التكرار مع التقارب واتحاد المعنى والتثامه •

١٣ - خلو الآية من تكرار قلقة القاف •

١٤ - شمول الآية لحكم الجرح في الأطراف •

١٥ - المبالغة في القصاص ظرف للحياة ، ففيه جعل تقيض الشيء منبجاً له ، فكأنه يحيط به تهادياً لفواته •

كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ
وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ
فَأَيْمًا بِإِثْمِهِ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ

مِنْ مُوْصٍ جَنَفًا أَوْ أَثَمًا فَاصْلَحْ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

اللفظة :

(الجنف) بفتحين : مصدر جنف كفرح أي مال عن الحق وانحرف به .

الاعراب :

(كتب) : فعل ماض مبني للمجهول (عليكم) الجار والمجرور متعلقان بكتب والجملة مستأنهة لا محل لها (إذا) ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف أي فليوص (حضر) فعل ماض مبني على الفتح (أحدكم) مفعول به مقدم (الموت) فاعل مؤخر والجملة الفعلية في محل جر بإضافة (إن) حرف شرط جازم يجزم فعلين (ترك) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (خيراً) مفعول به أي مالا ، وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب إذا المحذوف أي فليوص (الوصية) نائب فاعل لكتب وجاز تذكير الفعل لأن الوصية مؤنث مجازي ولوجود الفاصل بينهما (للوالدين) جار ومجرور متعلقان بالوصية (والأقربين) عطف على قوله للوالدين (بالمعروف) أي بالعدل والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي عادلاً غير جائر فلا يوصي للبغي ويدع الفقير (حقاً) مصدر مفعول مطلق يؤكد لمضمون الجملة قبله ، وهي كتب عليكم الوصية . وقيل : هو مصدر مبين للتنوع بدليل قوله

(على المتقين) الجار والمجرور متعلقان بحقاً والمصدر المؤكد لا يعمل ولا يزيد على ما قبله معنى (فمن) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر حكم يتعلق بالأوصياء والشهود ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (بدله) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (بعد ما سمعه) بعد ظرف زمان ، وما مصدرية منسبكة مع الفعل بعدها بمصدر مضاف إليه أي بعد سماعه إياه وتحققه منه ، والضمير يعود على الحكم (فإنما) الفاء رابطة لجواب الشرط وانما كافة ومكفوفة (إثم) مبتدأ (على الذين يبدلونه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة يبدلونه لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (إن الله) ان واسمها (سميع عليم) خبران لأن ، والجملة مستأنفة مسوقة لوعيد المبدل (فمن) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لوعيد المنحرف عن الحق ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (خاف) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله هو يعود على من ، ومعنى الخوف هنا التوقع ، كقولك : أخاف أن ترسل السماء مطرها ، تريد التوقع والظن الذي يقوم مقام العلم (من موص) الجار والمجرور متعلقان بقوله : جنفاً لأنه مصدر (جنفاً) مفعول به (أو) حرف عطف (إثماً) عطف على قوله جنفاً (فأصلح) الفاء حرف عطف وأصلح فعل ماضٍ معطوف على خاف ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هو (بينهم) ظرف مكان متعلق بأصلح أي بين الموصي والموصى إليهم (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط ولا فافية للجنس (إثم) اسم لا المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ، والجملة المرتبطة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر من (إن الله غفور رحيم) ان واسمها وخبرها ، والجملة تعليل لرفع الإثم لا محل لها .

البلاغة :

١ - إقامة الظاهر مقام المضمر لزيادة الاهتمام بشأنه ، ولو جرى على نسق الكلام السابق لقال : فإنما إثمه عليه وعلى من يبدله . وذلك للتشهير والمناداة بفضائح المبدلين .

٢ - المجاز المرسل في قوله : خاف . فقد جاءت بمعنى الظن والتوقع ، والعلاقة في هذا المجاز السببية ، لأنه تعبير عن السبب بالمسبب .

﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ۖ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ۚ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَيْتُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (١٨٥)

اللفظة :

(الصيام) في اللفظة الإمساك عن الطعام والشراب والكلام والنكاح والسير ، وله مصدران : صَوَمَ وصِيَّام ، وصامت الريح : ركبت ، وصامت الشمس : كبنت أي كانت في كبد السماء ، وصامت الدابة : أمسكت عن الجري ، قال النابغة الذبياني :

خيل " صيام وخيل غير صائمة تحت العجاج وأخرى تعلقك اللجما

أي مسكة عن الجري ثم خصّصه الاسلام بالمعنى المعروف له .

(رمضان) : في الأصل مصدر رمض إذا احترق من الرمضاء ، فأضيف إليه وجعل علماً ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون ، والمناسبة بين معناه وعبادة الصائم واضحة والعرب يضيفون لفظ شهر الى كل من أسماء الشهر المبتدئة براء كربيعة ورمضان ولم يستثن من ذلك سوى رجب فلا يضيفون اليه لفظ شهر وقد نظم بعضهم ذلك فقال :

ولا تضاف شهراً الى اسم شهر إلا لما أولاه الرّا فادر

واستثن منه رجباً فيمتنع لأنه فيما روي قد سمع

والمسألة على كل حال خلافية فعليك بالأحوط .

الأعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها (كتب) فعل ماض مبني على الفتح وهو مبني للمجهول أي فرض (عليكم) الجار والمجرور

متعلقان بكتب (الصيام) نائب فاعل كتب (كما كتب) تقدم إعرابها ،
والجار والمجرور صفة لمصدر محذوف أو حال كما اختاره سيبويه
(على الذين) الجار والمجرور متعلقان بكتب (من قبلكم) الجار
والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول وجملة
النداء وما تلاها مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية الصيام (لعلمكم
تتقون) جملة الرجاء حالية وجملة تتقون خبر لعل (أياماً) ظرف متعلق
بالصيام في الظاهر ولكن فيه فصلاً بين المصدر وصلته ، وقد منع
التحاة ذلك ، ولهذا نرجح نصبه بفعل محذوف يدل عليه ما قبله
والتقدير صوموا أياماً (معدودات) صفة للأيام وعلامة نصبه الكسرة
لأنه جمع مؤنث سالم ، والتنوين يفيد القلة تسهلاً على المكلفين
(فمن) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ (كان) فعل ماض
ناقص في محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر تقديره هو
(منكم) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (مريضاً) خبر كان (أو)
حرف عطف (على سفر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف معطوف على
« مريضاً » والاستعلاء جميل هنا أي مستعلياً على السفر ملئاً به ، فهو
حال أيضاً (فعدة) الفاء رابطة لجواب الشرط وعدة مبتدأ خبره
محذوف أي فعلية عدة ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره
فالحكم عدة ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم
جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (من أيام) الجار
والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لعدة (آخر) صفة لا يام وعلامة جره
الفتحة لأنه ممنوع من الصرف ، وسيأتي حكمه في باب الفوائد (وعلى
الذين) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم
(يطيقونه) فعل مضارع والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محل
لها لأنها صلة الموصول أي يتكلفونه بجهد ومشقة (فدية) مبتدأ
مؤخر (طعام مسكين) بدل مطابق من فدية ومسكين مضاف إليه (فمن)

الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (تطوع) فعل ماض وهو فعل الشرط وقاعله مستتر تقديره هو (خيراً) منصوب بنزع الخافض أي بالزيادة على القدر المذكور في الهدية ، ولك أن تعربه صفة لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق ثابت عنه صفته أي تطوعاً خيراً (فهو) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه جملة اسمية ، وهو مبتدأ (خير) خبر (له) الجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل ورد على غير القياس ، والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (وأن تصوموا) الواو استئنافية مسوقة لتقرير الافضلية ، وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مبتدأ (خير) خبره (لكم) الجار والمجرور متعلقان بخير (أن) شرطية (كنتم) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها (تعلمون) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كنتم ، وجواب الشرط محذوف ، وقد تقدمت نماذج له ، والجملة الشرطية تفسيرية للخبرية كأنه قال : شرع لكم هذه الاحكام جميعها إيثارا لخيركم ، فإن شئتم الخير فافعلوها ولا تخلوا بها (شهر رمضان) خبر لمبتدأ محذوف ورمضان مضاف اليه (الذي) صفة لشهر (أنزل فيه القرآن) الجملة الفعلية لا محل لها لأنها صلة الموصول ، والقرآن فاعل (هدى) حال أي هادياً (للناس) الجار والمجرور متعلقان بهدى أوصفة لهدى (وبينات) عطف على هدى فهو حال أيضا (من الهدى) صفة لبينات (والفرقان) عطف على الهدى ، أي الفارق بين الحق والباطل (فمن) الفاء الفصيحة أي اذا شئتم معرفة حكم التشريع فيه ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ (شهد) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وقاعله مستتر يعود على من (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (الشهر) منصوب على الظرفية ولا يكون مفعولا به لأنه المقيم والمسافر كلاهما شاهد للشهر (فليصمه) الفاء رابطة لجواب الشرط لان الجملة طلبية واللام لام الامر ويصم فعل

مضارع مجزوم باللام والهاء ضمير الظرف ولا ينصب على الظرفية ولا يجوز أن يكون مفعولا به فهو منصوب بنزع الخافض أي فليصم فيه والجملة الطلبية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن) الواو عاطفة من اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط واسمها ضمير مستتر تقديره هو (مريضا) خبر كان (أو على سفر) عطف على « مريضا » وقد تقدم القول به فجدد به عهداً (فعلة) الفاء رابطة لجواب الشرط وعللة مبتدأ خبره محذوف أي فعله عدة، والجملة في محل جزم جواب الشرط (من أيام) متعلقان بمحذوف صفة لعدة (آخر) صفة لا يام مجرور بالفتح لانه ممنوع من الصرف وسيأتي حكمه (يريد الله) فعل مضارع وفاعله والجملة لا محل لها لأنها تعليل كما سيأتي في باب البلاغة (بكم) الجار والمجرور متعلقان بيريد (اليسر) مفعول به (ولا يريد بكم اليسر) الجملة عطف على سابقتها (ولتكملوا) الواو عاطفة واللام لام التعليل ، تكلموا فعل مضارع منصوب بأن المضمرة بعدها واللام ومجرورها متعلقان بفعل محذوف أي شرع (العدة) مفعول به (ولتكبروا) عطف على قواه لتكملوا (الله) نصب لفظ الجلالة على نزع الخافض أي لله ولك أن تعربه مفعولا به على تضمين تكبروا معنى تحمدوا والدليل عليه قوله (على ما هداكم) فالتعدي بالاستعلاء لا يكون إلا للحمد وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بعلى ، والجار والمجرور متعلقان بتكبروا أي على هدايته إياكم (ولعلكم) عطف على ما تقدم ولعل واسمها (تشكرون) الجملة خبر لعل .

البلاغة :

الف والنشر ، في قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر » الخ ..

وهو يبدو هنا كأخذة السحر لا يملك معه البليغ أن يأخذ أو يدع وقلّ من ينتبه له ، فقلوه : « لتكبلوا العدة » علة للأمر بمراعاة العدة ، وقلوه : « ولتكبروا الله » علة للأمر بإثضاء ، وقلوه : « ولعلكم تشكرون » علة للترخيص والتيسير ، وقد تقدم القول فيه ، وتزيده بسطاً فنقول : انه ضربان : أولهما أن يكون النشر على ترتيب اللف ، وثانيهما أن يكون على غير ترتيب اللف ، ويعتمد فيه على ذكاء السامع وذوقه ، وسيأتي منه ما يخلب العقول •

الفوائد :

(آخر) تكون على نوعين :

— جمع أخرى تأتي آخر وهي اسم تفضيل لا ينصرف لعلتين هما الوصفية والعدل ، ومعنى العدل أنه عدل عن الالف واللام ، وذلك أنها اسم تفضيل ولاسم التفضيل ثلاث حالات :

آ — مقترن بال •

ب — مقترن بمن الجارة •

ج — مضاف •

ولما كانت آخر لم تقترن بشيء وليست مضافة قدر عدلها عن الالف واللام •

— جمع أخرى بمعنى آخره وهي منصرفة لفقدان علة العدل •

مناقشة لا بد منها :

اختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه »
 الخ اختلافًا شديدًا لا يتسع المجال للأسهاب فيه ، فتقتبس ما قالوه
 بطريق الإلماع ، ثم ندلي بما عن لنا والله الملهم الى السداد .

القول بالنسخ :

فسنهم من قال : ان الحكم فيها منسوخ بالآية بعدها « فمن شهد
 منكم الشهر فليصمه » والرخصة فيها للمريض والمسافر ، وهو ما
 اختاره الامام الطبري في تفسيره الكبير ، ونقله الزمخشري في كشافه
 وأبو حيان في البحر ، مع التصريح بأن هذا قول أكثر المفسرين ، على
 أن الامام الطبري نقل كذلك قول من قالوا ، لم ينسخ ذلك وهو حكم
 مثبت من لدن نزلت هذه الآية الى قيام الساعة .

رأي ابن كثير :

واحترز ابن كثير فقال بعد تلخيص أقوال المفسرين قبله : فحاصل
 الامر أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم بإيجاب الصيام عليه ، وأما
 الشيخ الفاني الهرم الذي لا يستطيع الصيام فله أن يفطر ولا قضاء عليه
 لأنه ليست له حال يصير اليها ويتمكن من القضاء .

الزمخشري متردد :

وتردد الزمخشري بين القول بالنسخ وبين أن يكون تأويل الآية
 على تقدير : « ومن يتكلفونه على جهد منهم وعسر ، وهم الشيوخ

والمعائن ، وحكم هؤلاء الافطار والفدية « وهو على هذا الوجه غير مسوخ .

ومشكلة زيادة لا :

على أن القائلين بعدم النسخ ذهبوا في تأويل الآية مذاهب شتى ، فمنهم من صرح بأنها على تقدير حذف « لا » النافية ، وهي مرادة ، ونقلوا عن ابن عباس قوله : « لارخصة الا للمذي لا يطيق الصوم » ، وعن عطاء : « هو الكبير الذي لا يستطيع يجهد ولا بشيء من الجهد ، وأما من استطاع بجهد فليصم ولا عذر له في تركه » ، وقال ابو حيان في البحر : « وجوز بعضهم أن تكون « لا » محذوفة فيكون الفعل متفياً وتقديره : « وعلى الذين لا يطيقونه » حذف « لا » وهي مرادة .

أبو حيان يخطئ القائلين بالحذف :

واستطرد أبو حيان معقبا فقال : « وتقدير « لا » خطأ . لانه مكان اليأس ، وعلى ذلك درج الجلال » .

الفقهاء لا يختلفون في جواز الفطر للشيخ والمريض :

ولا نعلم خلافا بين الفقهاء في جواز الفطر والفدية للشيخ الهرم والمريض الذي لا يرجى برؤه ، لكنهم اختلفوا في المرضع والحامل قياسا على الشيخ الهرم فالإمام الشافعي قال بالفدية قياسا على الشيخ الهرم ، وأوجب عليهما القضاء مع الفدية أما الامام أبو حنيفة فأوجب على الحامل والمرضع - اذا خافتا على الوليد - القضاء لا الفدية ، وأبطل القياس على الشيخ الهرم لانه لا يجب عليه القضاء .

نستبعد حذف لا :

على أننا نستبعد أن تكون لا محذوفة هنا وهي مرادة ، فالآية من آيات التشريع والأحكام ، والفعل فيها مثبت ، وتأويلها على تقدير «لا» محذوفة ينقض الاثبات بالنفي ولو كانت الفدية على من لا يطيقونه لأخذ حرف النفي مكانه في نص الحكم الشرعي ، ولم يدع لنا مجالاً للاختلاف على تأويله بين النقيضين من اثبات ونفي أما الطاقة فهي في العربية أقصى الجهد ونهاية الاحتمال واستعمال القرآن الطاقة اسماً وفعلاً يؤذن بأنها مما يستنفد الجهد وطاقة الاحتمال ، كما تشهد بذلك آياتها الثلاث ، وكلها من سورة البقرة .

١ - « قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده » .

٢ - « ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به » .

٣ - « وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين » .

فندرك أن الامر في احتمال الصوم اذا جاوز الطاقة ، وخرج الى ما لا يطاق سقط التكليف لانه لا تكليف شرعاً بما لا يطاق ، والله سبحانه لا يكلف نفساً الا وسعها .

٣ - قد يشرب العرب لفظاً معنى لفظ ، فيعطى حكمه ويسى ذلك تضييماً ، كما ضمن « لتكبدوا » معنى « تحملوا » ومنه قول الفرزدق :

كيف تراني قالاً مجني ؟ قد قتل الله زياداً عنِّي

فضمن « قتل » معنى « صرف » « الصرف » وذلك كثير في كلامهم .

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (١٨٦) أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ هُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَجِدِ ۚ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (١٨٧)

اللفظة :

(الرفث) بفتحين : كلام يقع وقت الجماع بين الرجال والنساء ، يستقبح ذكره في وقت آخر ، وأطلق على الجماع للزومه له غالباً ، وفي المصباح : « رفث في منطقه رفثاً من باب طلب ، ويرفث بالكسر لغة . والرفث : التكاح لقوله تعالى : أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم » . وفي الأساس واللسان : وقيل : الرفث بالفرج الجماع ، وباللسان المواءمة للجماع ، وبالعين الغمز للجماع . والاصل في تعدية الرفث بالباء ، وإنما جاءت تعدية في الآية بإلى لتضمينه معنى الافضاء .

(تختانون أنفسكم) : تخونون أنفسكم وتنقصونها حظها من الخير ، واشتقاق الاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب وفيه زيادة وشدة .

الاعراب :

(وإذا) الواو استئنافية والجملة استئنافية مسوقة لبيان أنه سبحانه يجب كل من دعاه (سألك) فعل ماض والكاف مفعوله (عبادي) فاعل والجملة في محل جر بالاضافة (عني) الجار والمجرور متعلقان بسألك (فإني) الفاء رابطة لجواب وان واسمها (قريب) خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (أجب) فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره أنا والجملة الفعلية خبر ثان (دعوة) مفعول به (الداع) مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة المقدرة على الياء المحذوفة ، وقد جرت عادة القراء على إسقاط الياء من الداع ودعائي لأنها لم تثبت لها صورة عندهم في المصحف ، فمن القراء من أسقطها تبعاً للرسم وفقاً ووصلاً ، ومنهم من أثبتها في الحزب ومنهم من أثبتها وصلاً وحذفها وفقاً (إذا) الظرف متعلق بأجب (دعان) الجملة في محل جر بالاضافة (فليستجيبوا) الفاء الفصيحة واللام لام الأمر ويستجيبوا فعل مضارع مجزوم بلام الأمر أي فليطلبوا إجابتي لأن السين والتاء في استفعل للطلب ، والمعنى فليستجيبوا إلي بالطاعة ، يقال منه : استجبت له واستجيبته بمعنى أجبه قال :

وداعٍ دعا يا من يجب إلى الندي

فلم يستجبه عند ذاك مجيب

(لي) الجار والمجرور متعلقان بـ يستجيبوا (وليؤمنوا بي) عطف على قوله فليستجيبوا لي (لعلهم يرشدون) لعل واسمها ، وجملة الرجاء حالية (أحل) فعل ماض مبني للمجهول (لكم) الجار والمجرور متعلقان بأحل (ليلة الصيام) الظرف ظاهر الكلام أنه متعلق بأحل ، وقد أعربه الكثيرون كذلك ، وفيه أن الإحلال ثابت قبل ذلك الوقت ، فالأولى تقديره بمحذوف مدلول عليه بلفظ الرفت ، أي أن ترفثوا ، ولم نعلقه بالرفت لأن فيه تقديم معمول الصلة المفهومة من ال على الموصول (الرفت) نائب فاعل لأحل (إلى نسائكم) الجار والمجرور متعلقان بالرفت وجملة أحل وما تلاها مستأنفة مسبوقة لإزالة اللبس . وإيضاح ذلك أنه كان في مستهل الأمر إذا أفطر الرجل حلّ له الطعام والشراب والجماع إلى أن يصلي العشاء الآخرة أو يرقد قبلها . فإذا صلاها أو رقد حرم عليه ذلك إلى الليلة القابلة . ثم إن عمر بن الخطاب واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة ، فلما اغتسل أخذ يبكي ويلوم نفسه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال : يا رسول الله إني أعتذر إلى الله وإليك من قسسي هذه الخاطئة ، وأخبره بما فعل ، فقال عليه الصلاة والسلام : ما كنت جديراً بذلك يا عمر . فنزات (هن) ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ (لباس) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لباس والجملة مفسرة لا محل لها لبيان سبب الإحلال (وأتم لباس لهن) عطف على سابقتها (علم الله) الجملة تعليل لسبب نزول الآية (أنكم) أن واسمها (كنتم) فعل ماض ناقص والتاء اسمها (تختافون أنفسكم) الجملة الفعلية خبر كنتم . وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي علم (وعفا عنكم) عطف على جملة علم الله (فالآن) عطف على محذوف مقدر أي فتيتم فتاب عليكم والآن ظرف زمان متعلق بإشروهن (بإشروهن) فعل أمر وفاعل ومفعول به (وابتغوا) عطف على بإشروهن (ما) اسم موصول في محل نصب

مفعول به (كتب الله نكحكم) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (وكلوا واشربوا) الواو استئنافية مسوقة لتعميم الحكم ، نزلت في صرمة بن قيس ، وذلك أنه كان يعمل في أرض له وهو صائم ، فلما أمسى رجع الى أهله فقال : هل عندك من طعام ؟ فقالت : لا ، وأخذت تصنع له طعاماً ، فأخذته النوم من التعب ، فكره أن يأكل خوفاً من الله ، فأصبح صائماً مجهوداً في عمله مكثوداً ، فلم يكد ينتصف النهار حتى غشي عليه ، فلما أفاق أتى الى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما وقع ، فنزلت الآية (حتى) حرف غاية وجر (يتبين) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، والمصدر المنسبك من أن والفعل متعلقان بكلوا (لكم) الجار والمجرور متعلقان بـ يتبين (الخيط) فاعل (الأبيض) صفة ، وهو أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق كالخيط الممدود (من الخيط) الجار والمجرور متعلقان بـ يتبين ، وجاز تعليق الحرفين بفعل واحد وإن اتحد لفظاهما لاختلاف معنييهما (الأسود) صفة (من الفجر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي حال كون الأبيض هو الفجر . روى البخاري ومسلم عن عدي ابن حاتم قال : لما نزلت عمدت الى عقال أسود وعقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتي ، وجعلت أقظر في الليل فلا يستين لي ، فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فقال : إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار . وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب البلاغة .

(ثم أتموا) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي ، وأتموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الصيام) مفعول به (إلى الليل) الجار والمجرور متعلقان بأتموا (ولا تباشروهن) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتباشروهن فعل مضارع مجزوم بلا (وأتم) الواو للحال ، وأتم مبتدأ (عاكفون) خبر (في المساجد) جار ومجرور متعلقان

بعاكفون والجملة الاسمية خالية (تلك) اسم إشارة مبتدأ (حدود الله) خبر ومضاف إليه جملة تلك استثنائية (فلا تقربوها) الفاء القصيحة ، ولا ناهية ، وتقربوها فعل مضارع مجزوم بلا ، أي إذا شتمت السلامة بأهسكم فانتهاوا ولا تقربوها ، فقد كان بعضهم يخرج وهو معتكف ويجامع امرأته ويعود والجملة استثنائية (كذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال (يبين الله) فعل مضارع وفاعله (آياته) مفعول به والجملة استثنائية (للناس) الجار والمجرور متعلقان بيبين (لعلهم يتقون) لعل واسمها ، وجملة يتقون خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

١ - الكناية في قوله : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » لأن اللباس ما يكون بجسم الإنسان ، والرجل والمرأة إذ يشتمل كل واحد منهما على الآخر ويعتقان يشبهان اللباس المشتل عليهما . قال النابغة الجعدي :

إذا ما الضجيع ثنى عطفها تثت عليه فكانت لباسا

نماذج من الكناية :

وقد تقدم ذكر الكناية ونزيد هنا الموضوع بسطاً فنقول : إن الغرض من الكناية تنزيه اللسان عما لا يليق ذكره ، والكناية عنه بأرشق لفظ ، ولكل كناية غرض ، والأغراض لا عداد لها ، ولهذا كان غور الكناية لا يسير فمن أمتعها قول الشريف الرضي :

برد الستوار لها فأحسيت القلائد بالعناق

أي أنه لما برد سوارها ، آخر الليل ، علمت أن نسمة الفجر طلعت ، فأحيت قلائدها بالعناق كي تصير القلائد مكذبة لما أشار إليه السوار من طلوع الفجر المؤذن بالفراق ، فعدل عن التصريح بذلك الى برد السوار لينقل الذهن الى هبوب نسمة الفجر المؤذنة بالفراق والمداعبة له ، وقد اشتهرت الكناية في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام تصوراً منه وترفعاً ، فما جاء من هذا الديباج قوله : « إن امرأة كانت فيمن كان قبلنا ، وكان لها ابن عمّ يحبها فراودها عن نفسها ، فامتنعت عليه ، حتى إذا أصابها شدة فجاءت إليه تسأله فراودها ، فمكنته من نفسها ، فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة قالت له : لا يحلّ لك أن تفرض الخاتم إلا بحقه ، فقام عنها وتركها » وهذه كناية واقعة موقعها • ومن ذلك أيضاً قول النبي صلى الله عليه وسلم : « رويدك سوقك بالقوارير » يريد بذلك النساء فكنتى عنهن بالقوارير ، وذلك أنه كان في بعض أسفاره ، و غلام أسود اسمه أنجشة يحدو فقال له : يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير •

ومن الكناية أيضاً في هذه الآية قوله : « فالآن باشروهن » والمباشرة في قول الجمهور الجماع ، وقيل الجماع فما دونه • وهو مشتق من تلاصق البشريتين ، فيدخل فيه المعاقبة والملازمة •

٢ - التشبيه اليلين فقد شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض في الأفق بالخيط الأبيض الممدود ، وما يمتد من غبش الليل بالخيط الاسود الممدود ، وهو تشبيه مألوف كثيراً • ولو لم يذكر من الفجر لكان استعارة تصريحية ، ولكن ذكر المشبه أعاده الى التشبيه البليغ المحذوف الأداة •

٣ - الطباق لأنه طابق بين الأبيض والأسود ، أما ذكر بقية الألوان فيسمى تديجاً كقول أبي تمام :

تردّي ثياب الموت حمراً فما دجا
لها الليل إلا وهي من سندس خضر

الفوائد :

« حتى » في الكلام على ثلاثة أنواع :

١ - تكون لاقتهاء الغاية ، فتجر الاسماء على معنى ، كقوله تعالى :
سلام هي حتى مطلع الفجر » وتنصب الأفعال بأن مضمرة
بعدها كالأية .

٢ - وتكون عاطفة .

٣ - وتكون حرف ابتداء يبتدأ بها الكلام كقول المتنبي :

هو الجد حتى تفضل العين أختها
وحتى يكون اليوم لليوم سيد

فرفع الفعلين بعدها لأنها ابتدائية . وسيأتي مزيد من أبحاث
(حتى) التي لا تنتهي ، فقد كان الفراء يقول عند احتضاره : أموت
وفي قلبي شيء من حتى .

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ

لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾

اللفظة :

(تدلوا بها) تلقوا بها ، وأدلى الدلو أرسلها في البئر ، وسقى أرضه بالدالية وبالدوالي وهي النواعير ، ودلتى شيئاً في مهواة وتدلتى هو بنفسه ودلتى برجليه من السرير ودلاه بحبل من سطح أو جبل . قال الفرزدق :

هما دلتاني من ثمانين ظمة

كما انقضّ بازّ أقتمّ الرّيش كاسره

والدوالي : عنب أسود غير حالك ، ولا أدري علام استند صاحب المنجد في زعمه : إنها مولدة . هذا وقد تقصيت كل ما فاؤه دال وعينه لام فاذا به يفيد معنى التدلتي والانفلاس ، ومنه الدلج وهو الشرى بالليل ، ولا يخفى ما فيه من الانفلاس ، ودلف الشيخ مشى فوق الدّيب كأنه يتدلى من مكان عال . وهذا من العجب بمكان .

الاعراب :

(ولا تأكلوا) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير حكم آخر يتعلق بالأموال وطرق اكتسابها ، ولا فاهية ، وتأكلوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (أموالكم) مفعول به (بينكم) ظرف متعلق بمحذوف حال من أموالكم ، أي لا تأكلوها كائنة بينكم

(بالباطل) الجار والمجرور متعلقان بتأكلرا أي لا تتناولوها بسبب باطل (وتداولوا) الواو عاطفة ، وتداولوا فعل مضارع معطوف على تأكلوا داخل في حيز النهي ، ولك أن تجعلها للمغية ، وتداولوا منصوب بأن مضمرة بعدها (بها) الجار والمجرور متعلقان بتداولوا (إلى الحكام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي لاجئين متحاكين (لتأكلوا) اللام للتعليل ، وتأكلوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، والواو فاعل والجار والمجرور في محل نصب مفعول لأجله (فريقتا) مفعول به (من أموال الناس) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة (بالإثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي متشبثين بما يستوجب الإثم من شهادة الزور واليمين الكاذبة (وأتم) الواو حالية ، وأتم ضمير منفصل مبتدأ (تعلمون) فعل مضارع مرفوع، وفاعل ، والجملة خبر، والجملة بعد واو الحال حالية.

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١٨٩)

اللفظة :

(مواقيت) : جمع ميقات ، وأصله مِوَقَات قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها ، وهي معالم يوقت الناس بها شئون معاشهم .

الاعراب :

(يسألونك) فعل مضارع مرفوع ، وفاعل ، ومفعول به ،
والجمله مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في اختلاف الأهلة ، بعد أن
أحفوا في السؤال عن ذلك . روي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم
الأنصاريّ قالّا : يا رسول الله ، ما بال الهلال يبدو دقيقاً ثم يزيد حتى
يمتلئ ويستوي ، ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ ، لا يكون
على حال واحدة ؟ فجاءت الآية بالحكم الشامل الحاسم . والحكمة
المتوخاة من تطور الهلال لتوقيت المعاش واتساقها على نمط واحد
باهر ، والهلال مفرد وجمع ، باختلاف زمانه ، ويجمع قياساً على أهلة ،
وهو مقيس في فعال المضعف ، نحو : عنان وأعنة ، وزمام وأزمة ،
وسنان وأسنة . (عن الأهلة) الجار والمجرور متعلقان يسألونك
(قل) فعل أمر ، وفاغله مستتر تقديره أنت والجمله استئنافية (هي
مواقيت) جملة اسمية من مبتدأ وخبر في محل نصب مقول القول
(للناس) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لمواقيت (والحج)
عطف على الناس (وليس) الواو استئنافية ، والجمله مستأنفة مسوقة
للاستطراد ، وسيأتي ذكره ، أو كأنه تعكيس في سؤالهم ، وإن مثلهم
فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره ، وليس فعل ماض
ناقص (البر) اسم ليس (بأن تأتوا البيوت) الباء حرف جر زائد
في خبر ليس ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر خبر ليس ، والبيوت
مفعول به (من ظهورها) الجار والمجرور متعلقان بتأتوا (ولكن)
الواو عاطفة ، ولكن حرف للاستدراك مشبه بالفعل (البر) اسمها
المنصوب ، ولا بد من تقدير محذوف ليتسق الكلام ، كأنه قيل :
إن ما تفعلونه من استقصاء في السؤال ليس براً ، ولكن البر (من)
اسم موصول خبر لكن ، ولا من حذف مضاف ، أي برّ من (اتقى)

الجملة صلة الموصول لا محل لها (وأتوا) الواو عاطفة ، وعطف الإنشاء على الخبر جائز ، فقد تقدمت جملتان خبريتان وهما : ليس البر ، ولكن البر من اتقى ، وعطف عليها جملتان إنشائيتان وهما : وأتوا البيوت ، واتقوا الله (البيوت) مفعول به (من أبوابها) الجار والمجرور متعلقان بأتوا (واتقوا الله) الجملة عطف على الجملة الأمرية (لعلكم تفلحون) لعل واسمها ، وجملة تفلحون خبرها ، وجملة الرجاء حالية .

البلاغة :

« الاستطراد » وهو فن دقيق متشعب ، يجنح اليه المتكلم في غرض من أغراض القول يخيل إليك انه مستمر فيه ، ثم يخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ، ثم يرجع الى الاول ، فقد ذكر عن الأهله واختلافها أنها مواقيت للحج ، وأن مثلهم في السؤال كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره ، فقد كان ناس من الانصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطاً — أي بستاناً — ولا داراً ولا فسطاطاً من باب ، فاذا كان من أهل المدر تقب تقباً في ظهر بيته ، منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلباً فيه يصعد ، وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء ، فقليل لهم ذلك . ومن جميل هذا الفن قول عبد المطلب :

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة فان تسلت أسلناها على الأسل
لا ينزل المجد إلا في منازلنا كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

الفوائد :

اختلف علماء البلاغة في السؤال : أهو سؤال عن السبب أم عن

الحكمة ؟ واختار الزمخشري والراغب والقاضي البيضاوي أنه سؤال عن الحكمة كما يدل عليه الجواب إخراجاً للكلام على مقتضى الظاهر لأنه الأصل ، واختار السكاكي أنه سؤال عن السبب ، لأن الحكمة ظاهرة لا تستحق السؤال عنها ، والجواب من الأسلوب الحكيم . وقد أطال كل فريق في الاحتجاج لما يدعيه ، و انتهى بهم الأمر الى التراشق بقوارص الكلام ، مما لا يتسع له المقام فله در رجال التراث عندنا ، ما أشد تقصّيهم وأكثر تنقيبهم .

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١٩١) وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩٢﴾ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٣﴾

اللفظة :

« ثَقِفْتُمُوهُمْ » : وجدتموهم ، وثقف الشيء : أخذه أو ظفر به أو أدركه ، وثقفت العلم والصناعة في أوحى مدة إذا أسرعت أخذه ، و غلام ثقف لقف ، وقد ثقف ثقافة بفتح الثاء ، والثاء والقاف تدلان على معنى الأخذ على وجه الغلبة إذا اجتمعتا في أول الكلمة ، فالثقل

معروف ينوء به صاحبه لأنه يظبه ويثوءه ، وأثقله المرض غلبه ،
والثقال يفتح الثاء : المرأة العظيمة الكفل ، الثقيلة التصرف .
قال الراعي :

ثقال إذا راد النساء فريدة صناع فقد صادت لدى الغوانيا

وثقب الشيء بالثقب، وثقب التلال الدرق وثقبن البراقع لعيونهن .
قال المثقب العبدى :

أرين محاسناً وكنن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

الاعراب :

(وقاتلوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان
أحكام القتال ، وهي أول آية نزلت في المقاتلة في المدينة لإعلاء كلمة
الله . وقاتلوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل (في سبيل
الله) الجار والمجرور متعلقان بقاتلوا (الذين يقاتلونكم) اسم
الموصول مفعول به ، وجملة يقاتلونكم صلة (ولا تعتدوا) الواو
عاطفة ، ولا نافية ، وتعتدوا فعل مضارع مجزوم بلا ، والواو فاعل
(إن الله) إن واسمها (لا يحب المعتدين) لا نافية ، ويحب فعل
مضارع مرفوع ، والفاعل مستتر يعود على الله ، والمعتدين مفعول به ،
وجملة لا يحب المعتدين خبر إن ، وجملة إن وماتلاها تعليلية (واقتلوهم)
عطف أيضاً ، وكرر الأمر بقتلهم للتأكيد (حيث) ظرف مكان مبني
على الضم متعلق باقتلوهم (ثققتموهم) فعل وفاعل ومفعول به ، والميم
علامة جمع الذكور وقد أشبعت بالواو الزائدة ، والجملة الفعلية في محل
جر بالاضافة (وأخرجوهم) عطف على اقتلوهم (من حيث) أدخل

حرف الجر على حيث ، ولا يجر إلا بها وبالباء ، والجار والمجرور متعلقان بأخرجوهم (أخرجوكم) فعل وفاعل ومفعول به ، والجملة في محل جر بالإضافة (والفتنة) الواو اعتراضية والفتنة مبتدأ (أشد) خبر (من القتل) الجار والمجرور متعلقان بأشد ، والجملة اعتراضية لا محل لها جارية مجرى المثل كما سيأتي (فإن) الفاء استئنافية، وإن شرطية (قاتلوكم) فعل ماض مبني على الضم ، والواو فاعل ، والكاف مفعول به ، والفعل في محل جزم فعل الشرط (فاقتلوهم) الفاء رابطة لجواب الشرط ، واقتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به ، وجملة فاقتلوهم في محل جزم جواب الشرط (كذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (جزاء الكافرين) متبداً مؤخر والجملة استئنافية (فإن) الفاء استئنافية ، وإن شرطية (اقتهوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (فإن) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وإن حرف مشبه بالفعل (الله) اسم إن (غفور رحيم) خبر إن لأن •

البلاغة :

في قوله تعالى : « والفتنة أشد من القتل » فن ارسال المثل ، فهي جملة مسوقة مساق المثل ، لأن الإخراج من الوطن هو الفتنة التي ما بعدها فتنة ، وقيل لبعضهم : ما أشد من الموت ؟ قال : الذي يثمنى معه الموت ، والإخراج من الوطن بمثابة إخراج الروح من الجسم • قال ابن الرومي :

فقد أفتته النفس حتى كأنه لها جسد إن بان غودر هالكا

ولعل زعيم الشعراء المبدعين فيه أبو الطيب المتنبي •

ولو أردنا الاقتباس لضاق بنا المجال وحسبك أن ترجع الى ديوانه لتجد ما يستهويك •

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ آنْتَهُوا فَلَا
عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَتُ
فِصَاصٌ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾

الاعراب :

(وقاتلوهم) الواو حرف عطف ، وقاتلوهم فعل أمر وفاعل ومفعول به • أمرهم بالقتال تقادياً لطروء الفتنة ، وهي الإخراج من الوطن (حتى) حرف غاية وجر ، والمراد به هنا التعليل (لا) نافية (تكون) فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى ، وهي هنا تامة ، والجار والمجرور متعلقان بقاتلوهم ، و (فتنة) فاعل تكون (ويكون) عطف على تكون وهي هنا ناقصة (الدين) اسمها (الله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، ولا يبعد أن تكون تامة أيضاً ، فيكون الدين فاعلاً والجار والمجرور متعلقين بمحذوف حال ، أي خالصة لله (فإن) الفاء استئنافية ، وإن شرطية (انتهوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (فلا) الفاء رابطة لجواب الشرط ، ولا نافية للجنس (عدوان) اسمها المبنى على الفتح (إلا) أداة حصر (على الظالمين)

الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا والجملة في محل جزم جواب الشرط (الشهر الحرام) الشهر مبتدأ ، والحرام صفة (بالشهر) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، ولا بد من حذف مضاف ، أي هتك حرمة الشهر الحرام ، وهو ذو القعدة من السنة السابعة للهجرة وبهتك حرمة الشهر الحرام وهو ذو القعدة من السنة السادسة فقد قاتلوكم عام الحديبية ، فقليل لهم عند خروجهم لعمره القضاء في ذي القعدة من السنة السابعة وكراهيتهم القتال فيه : هذا الشهر مقابل بهذا الشهر وهتك بهتكه وجزاء كل شرّ شرّ مثله (الحرام) صفة والجملة استئنافية (والحرمان قصاص) الواو عاطفة ، والحرمان مبتدأ ، وقصاص خبر (فمن) الفاء الفصيحة ، ومن شرطية مبتدأ (اعتدى) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (عليكم) الجار والمجرور متعلقان باعتدى (فاعتدوا) الفاء رابطة لجواب الشرط واعتدوا فعل أمر مبني على حذف النون ، والواو فاعل ، والجملة في محل جزم جواب الشرط ، والجملة الواقعة بعد الفاء الفصيحة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (عليه) الجار والمجرور متعلقان بقوله فاعتدوا (بمثل) الجار والمجرور متعلقان باعتدوا أو بمحذوف حال (ما) مصدرية (اعتدى) فعل ماض ، والمصدر المنسبك من ما واعتدى مضاف إليه أي بمثل اعتدائه (عليكم) الجار والمجرور متعلقان باعتدى (واتقوا الله) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للتحذير من المبالغة في الانتقام ، لأن النفس مفطورة على حب المبالغة في الانتقام ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ، ونفط الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (ان الله) ان واسمها (مع المتقين) مع ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر ،

والمتقين مضاف إليه ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلما •

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

اللفظة :

(التهاكة) : من نواذر المصادر وليس فيما يجري على القياس ،
وفي القاموس : إنه مثلث اللام •

واقصر الجوهري في صحاحه والرازي في مختاره على تثليث
لام مهلك ، وأما التهلكة فهي بضم اللام •

الاعراب :

(وأنفقوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة للأمر
بالجهاد بالمال بعد الأمر به بالنفس ، وأنفقوا فعل أمر مبني على حذف
النون والواو فاعل (في سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا
(ولا تلقوا) الواو عاطفة ، ولا ناهية ، وتلقوا فعل مضارع مجزوم بلا
والواو فاعل (بأيديكم) الباء مزيدة ، مثلها في أعطى بيده للمثاقدة ،
لأن أتى فعل يتعدى بنفسه ، وقيل ضمتن تلقوا معنى فعل يتعدى
بالباء ، أي لا تفضوا بأيديكم ، وقيل : المفعول الثاني محذوف تقديره
ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم (إلى التهلكة) الجار والمجرور متعلقان
بتلقوا (وأحسنوا) الواو عاطفة ، وأحسنوا فعل أمر وفاعل (إن الله)
إن واسمها (يحب المحسنين) فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به ،

وجملة يحب المحسنين خبر إن ، وجملة إن وما في حيزها تعليلية
لا محل لها .

البلاغة :

المجاز المرسل في الأيدي ، والمراد بها الأتقى ، لأن البطش
والحركة يكون بها ، فهي مجاز مرسل علاقته الجزئية ، من إطلاق
الجزء وإرادة الكل ، أو السببية ، لأن اليد سبب الحركة كما تقدم .

لمحة تاريخية :

اختلف المفسرون في معنى إلقاء الأيدي الى التهلكة ، وأقرب
ما يقال فيها : إن رجلاً من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح
به الناس : ألقى بيده الى التهلكة . فقال أبو أيوب الأنصاري : نحن أعلم
بهذه الآية ، إنما أنزلت فينا ، صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه ،
وشهدنا معه المشاهد ، وآثرناه على أهلينا وأموالنا وأولادنا ، فلما وضعت
الحرب أوزارها رجعنا الى أهلينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها ،
فكانت التهلكة ، الإقامة في الأهل والمال وترك الجهاد . وقال آخرون في
تفسير هذه الآية : ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة ، بالإسراف وتضييع
وجه المعاش ، أو بالكف عن الغزو والإتفاق فيه ، فإن ذلك مما يقوي
العدو ويسلطهم عليكم . وعن أسلم أبي عمران قال : غزونا المدينة
— يريد القسطنطينية — وعلى أهل مصر عقبة بن عامر وعلى الجساعة
عبد الرحمن بن خالد بن الوليد قال : فصفنا صفتين لم أر صفتين
قط أعرض ولا أطول منهما ، والثروم ملصقون ظهورهم بحائط المدينة ،

قال : فحمل رجل منا على العدو فقال الناس : مه ، لا إله إلا الله ، يلقي بيده الى التهلكة . قال أبو أيوب الأنصاري : إنما تتأولون هذه الآية هكذا ، إن حمل رجل يقاتل يلتمس الشهادة ، إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار ، إنما لما نصر الله نبيه وأظهر الاسلام قلنا بيننا : إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا أن نقيم فيها ونصلحها ، فأنزل الله الخبر من السماء ، قال أبو عمران : فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى استشهد ودفن بالقسطنطينية ، قلت : وهذه الغزوة غير الغزوة المشهورة التي مات فيها أبو أيوب ، وقد غزاها يزيد بن معاوية بعد ذلك سنة تسع وأربعين للهجرة ، ومعه جماعة من سادات الصحابة . ثم غزاها يزيد سنة اثنين وخمسين ، وهي التي مات فيها أبو أيوب ، وقبره هناك الى الآن وقد شيد عليه مسجد شهير . وإنما أطلعنا في هذا الصدد لأنه يناسب حالتنا الراهنة ، وحالة كل أمة تتخلف عن الجهاد ، وتهمل تعبئة الإمكانيات ، وحشد الطاقات .

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ

ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

اللفظة :

(العمرة) في الحج معروفة ، وقد اعتمر ، وأصله من الزيارة •
قال الزجاج : معنى العمرة في العمل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا
والمروة فقط ، والفرق بين الحج والعمرة أن العمرة تكون للانسان
في السنة كلها ، والحج وقت واحد في السنة ، وأحكامها في علم الفقه ،
والجمع : عمر وعمرات •

(أحصرتم) منعتم ، يقال : أحصر فلان إذا منعه أمر من خوف
أو مرض أو عجز • قال ابن ميادة :

وما هجر ليلى أن تكون تباعدت

عليك ولا أن أحصرتك شغول

(استيسر) تيسر ، يقال : يسر الأمر واستيسر •

(الهدى) : يطلق على الحيوان الذي يسوقه الحاج أو المعتمر
هدية لأهل الحرم • وفي المختار : قرىء « حتى يبلغ الهدى محله »
مخففاً ومشدداً • والواحدة هَدِيَّة وهَدِيَّة ، ويقال : ما أحسن
هَدِيَّته أي سيرته ، وكانوا يقسمون بها في أيمانهم • قال العلاء
ابن حذيفة الغنوي :

يقولون من هذا الغريب بأرضنا

أما والهدايا إني لغريب

(محله) : اسم مكان من حل يحل ، أي صار ذبحه حالاً .
وكسرت الحاء لأن عين مضارعة مكسورة .

الاعراب :

(وأتموا) الواو عاطفة ، وأتموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (الحج) مفعول به (والعمرة) معطوف على الحج (لله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي خالصاً لوجهه ، ولك أن تعلقهما بآتموا فتكون اللام هي لام المفعول لأجله ، وقد اقتبس الشعراء هذا التعبير الجميل وصرفوه الى مناحي انتفل ، فقال ذو الرمة وأبدع :

تمام الحج أن تقف المطايا على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف على خرقاء ، وهي محبوبته من بني عامر ، كبعض مناسك الحج التي لا ندحة عن إتمامها (فإن) الفاء الفصيحة ، وإن شرطية (أحصرتم) فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط (فما) الفاء رابطة ، وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ خبره محذوف ، أي فعليكم ما استيسر والجملة جزم جواب الشرط (استيسر) فعل ماض ، وفاعله مستتر ، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما (من الهدى) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، أي كائناً من الهدى (ولا) الواو حرف عطف ، ولا ناهية (تحلقوا) فعل

مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (رءوسكم) مفعول به (حتى يبلغ) حتى حرف غاية وجر والجار والمجرور متعلقان بتحلّقوا ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة (الهدي) فاعل (محله) مفعول به (فمن) الفاء استئنافية ، ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ (كان) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ، واسمها ضمير مستتر يعود على من (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (مريضاً) خبر كان (أو) حرف عطف (به) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (أذى) مبتدأ مؤخر وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين (من رأسه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لأذى (ففدية) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وفدية مبتدأ محذوف النخير أي فعليه فدية والجملة جواب الشرط (من صيام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفدية (أو) حرف عطف (صدقة) عطف على صيام (أو) حرف عطف (نساك) معطوف على صيام وفعل الشرط وجوابه خبر من (فإذا) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن (أنتم) الجملة الفعلية في محل جر بالإضافة . (فمن تمتع بالعمرة الى الحج) الفاء جواب إذا ومن اسم شرط جازم مبتدأ وتمتع فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ، وبالعمرة متعلقان بتمتع ، والى الحج متعلقان بمحذوف ، أي واستمر تمتعه وارتفاعه بالمحظورات الى الحج (فما) الفاء رابطة لجواب الشرط وما اسم موصول مبتدأ خبره محذوف ، أي فعليه ما (استيسر) فعل ماض ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة فما استيسر في محل جزم جواب الشرط (من الهدي) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (فمن) الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ (لم يجد) لم حرف نفي وقلب وجزم ، ويجد فعل مضارع مجزوم بلم ، والفعل

المجزوم هو فعل الشرط ، وفاعله ضمير مستتر يعود على من ، ومفعوله محذوف لظهور المعنى ، والتقدير فمن لم يجد ما استيسر من الهدي (فصيام) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وصيام مبتدأ محذوف الخبر ، أي فعله فصيام ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (ثلاثة أيام) مضاف إليه (في الحج) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (وسبعة) عطف على ثلاثة (إذا رجعتن) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن ، وجملة رجعتن في محل جر بالإضافة (تلك) اسم الإشارة مبتدأ (عشرة) خير (كاملة) صفة (ذلك) اسم الإشارة مبتدأ (لمن) اللام حرف جر ، ومن اسم موصول في محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (لم يكن) لم حرف نهي وقلب وجزم ، ويكون فعل مضارع ناقص مجزوم بلم (أهله) اسمها ، وجملة لم يكن لا محل لها لأنها صلة اسم الموصول (حاضري) خبر يكن (المسجد) مضاف إليه (الحرام) صفة (واتقوا الله) الواو استئنافية ، واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ، ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (ان الله) ان واسمها (شديد العقاب) خبر أن ، وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا .

البلاغة :

في هذه الآية فنّ بياني رفيع دقيق المأخذ ، ويسميه علماء البلاغة التكرير، وحده هو أن يدل اللفظ على المعنى مردداً، وهو في الآية بقوله تعالى: «تلك عشرة كاملة» بعد ثلاثة وسبعة تنوب مناب قوله ثلاثة وسبعة مرتين، ثم قال كاملة، وذلك تأكيد ثالث، والأمر إذا صدر من الأمر على الأمور بلفظ التكرير ولم يكن موقفاً بوقت معين كان في ذلك إهابة الى المبادرة لامثال الأمر والانصياع للحكم على الفور من غير ريث

ولا إبطاء ، ومن ثم وجب صوم الأيام السبعة عند الرجوع فوراً ،
فتفطن لها فإنها من الأسرار • وسترده للتكرير أمثلة في القرآن الكريم
توضحه تمام الإيضاح وقد رmq الشعراء سماء القرآن فقال
أبو تمام مادحاً :

نهوض بثقل العبء مضطلع به
وإن عظمت فيه الخطوب وجلت

والثقل هو العبء ، وإنما كرهه للسبالغة • وقال البحري متغزلاً :

ويوم تشنت للوداع وسلّمت بعينين موصول بلحظهما السحر
توهمتها ألوى بأجفانها الكرى كرى النوم أو مالت بأعطافها الخمر

فقد أراد تشبيه طرفها لثقتوره بالنائم ، فكرر المعنى فيه على
طريق المضاف والمضاف إليه ، وهو قوله « كرى النوم » تأكيداً له
وزيادة في بيانه ، أو ليزيل كل وهم قد يساور السامع •

قال الميرد وأحسن : « ذكر ذلك ليدل على انقضاء العدد لثلاث
يتوهم متوهم أنه قد بقي بعد ذكر السبعة شيء آخر » •

﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ ۖ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا
فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۚ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۚ وَتَزَوَّدُوا

فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾

اللفظة :

(الفسوق) : يقال فَسَقَ عن أمر الله أي خرج ، وفسقت الرطبة عن قشرها ، والفأرة عن جحرها ، ومن غريب القاء والسين أن اجتماعهما فاءً وعيناً للكلمة يدلّ على استكراه في معنى الكلمة ، وهذا أمر عجيب تميّزت به لغتنا على سائر اللغات . فمن ذلك فسأ الثوب أي شقّه ، وأنت تكره أن يفسأ لك أحد ثوبك ، وفسىء بكسر السين خرج صدره ودخل ظهره ، وتلك صورة مستكرهة منبوّة ، وفسخ العقد نقضه ، وما أحسب أحداً يرضى أن يفسخ له عقد ، والفسل المسترذل المستوخم ، قال الفرزدق :

فلا تقبلوا منهم أباعر تشتري بوكس ولا سوداً تصحّ فسولها

الاعراب :

(الحج أشهر معلومات) مبتدأ وخبر ، ومعلومات صفة لأشهر ، والأشهر المعلومات : شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند أبي حنيفة ، وعند الشافعي : تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر ، وعند مالك : ذو الحجة كله في أحد أقواله ، نزل بعض الشهر منزلة الشهر كله ، تقول : رأيتك سنة كذا وإنما وقعت الرؤية في ساعة من السنة لا كلها ، والجملة مستأنفة لا محل لها (فمن) القاء النصيحة لأنها جاءت بمثابة إجابة بالتفصيل لمن استوضح عن المجلل ، ومن اسم

شرط جازم مبتدأ (فرض) فعل الشرط ، وفاعله هو (فيهن) الجار والمجرور متعلقان بفرض (الحجج) مفعول به ، أي على نفسه (فلا رث) الفاء رابطة لجواب ، ولا نافية للجنس ، ورث اسمها ، وقد تقدم معنى الرث (ولا فسوق) عطف على قوله فلا رث (ولا جدال في الحجج) عطف أيضاً ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (وما) الواو استئنافية ، وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتفعلوا (تفعلوا) فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون (من خير) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يعلمه الله) جواب الشرط ، والهاء مفعول به ، والله فاعل (وتزودوا) الواو استئنافية ، وتزودوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (فإن) الفاء تعليلية ، وإن حرف مشبه بالفعل (خير الزاد) اسم ان ومضاف إليه (التقوى) خبرها ، والجملة لا محل لها (واتقون) الواو عاطفة ، واتقون فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والنون للوقاية ، وياء المتكلم المحذوفة والمدلول عليها بالكسرة مفعول به (يا أولي الألباب) يا أداة نداء ، وأولي الألباب منادى مضاف وعلامة نصبه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والألباب مضاف إليه ، والجملة معطوفة على جملة تزودوا .

البلاغة :

١ - في هذه الآية ضرب من النهي عجيب ، وذلك أن المنهي عنه يتوقف مقياسه على حسب موقعه ، بحيث يعتبر غير مستحق للنهي فيما لو وقع في غير ذلك الموقع ، وتخصيص الحجج بالنهي عن

الرفث والفسوق والجدال فيه يشعر بأن هذه الاعمال في غير الحج ، وإن كانت منهيًا عنها وقيحة ، إلا أن ذلك القبح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة لوقوعها في الحج ، فاجتنابها محتتم على كل حال ، ولكن اجتنابها في الحج أمر فوق الاجتناب . وللهي في لغتنا العربية فروع وشعاب لا يكاد يسبر لها غور ، ومن ذلك أن تنهى عن أمر هو في الحقيقة ممدوح ومحمود ، ولكنه يوبق صاحبه إذا بلغه ، وقد فطن شاعر الخلود المتنبى الى هذه الأسرار عندما نهى صاحبيه أن يبلغا سيف الدولة مديحه فيه فيزداد ادفاعاً ويرمي بنفسه في المخاطر الموبقة ، قال وقد سما ما شاء :

فلا تبُلغاه ما أقول فإنَّه شجاع متى يذكر له الطعن يشتق

فهو لم يقصد من التماسه من صاحبيه أن يكتما عن سيف الدولة ما سمعاه من صفات أعماله ، وطعان فرسانه ، رفقا به وحذراً أن يدفعه الشوق الى التطويح بنفسه في المخاطر . ويشبهه الى حد ما قول كثير صاحب عزة :

فلا تذكراه الحاجية إنَّه متى تذكراه الحاجية يحزن

٢ - التشبيه البليغ ، فقد شبه التقوى بالزاد بجامع التقوية وشد الأسر والامتناع .

٣ - الإطناب في قوله : « يا أولي الألباب » فإن الأمر بالتقوى ليس خاصاً بأولي الألباب وحدهم ، ولا يتوجّه الكلام اليهم دون غيرهم بصدد الحث عليها ، لأن كل إنسان مأمور بالتقوى ، ويسمى

هذا ذكر الخاص بعد العام للتنبيه على فضل الخاص على العام وأرجحيته ، وإنما يتفاضل الناس بالألباب التي هي العقول ، وقد رمق المتنبي سماء هذا المعنى فقال :

لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

٤ - استعمل القرآن الألباب مجموعة فلم يأت بها مفردة لأنها من الألفاظ التي يسمح مفردها ويعذوذب جمعها ، وهذا خاصة كامنة في لغتنا .

﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَدَيْتُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ ﴾

اللفظة :

(أفضتم) : دفعتم أنفسكم وسرتم للخروج منها ، والإفاضة دفع بكثرة من أفضت الماء إذا صببته بكثرة ، وفي المصباح : « وأفاض الناس من عرفات دفعوا منها ، وكل دفعة إفاضة . وأفاضوا من منى إلى مكة يوم النحر رجعوا إليها ، ومنه طواف الإفاضة أي طواف الرجوع من منى إلى مكة » .

(عرفات) : علم للموقف واستدل سيبويه على علميته بقوله :
« هذه عرفات مباركاً فيها » بنصب « مباركاً » على الحال ولو كان
فكرة لجري عليه صفة ، وبأنه لو كان فكرة لدخلت عليه الألف واللام ،
وهي لا تدخل . وسيأتي حكم إعرابه في الفوائد .

(الشعر) : جيل في آخر المزدلفة يقال له قزح وسبي مشعراً
من الشعر وهو العلامة .

الاعراب :

(ليس عليكم جناح) ليس فعل ماض ناقص وعليكم جار
ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها المقدم وجناح اسم ليس المؤخر
(أن) حرف مصدري ونصب (تبتغوا) فعل مضارع منصوب بأن
وعامة نصبه حذف النون والواو فاعل وان وما في حيزها في تأويل
مصدر منصوب بنزع الخافض أي : في أن تبتغوا ، والجار والمجرور
صفة لجناح (فضلاً) مفعول به (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان
بتبتغوا أو بمحذوف صفة لفضلاً (فإذا) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف
لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب (أفضتم) فعل وفاعل والجملة
في محل جر بالإضافة (من عرفات) الجار والمجرور متعلقان بأفضتم
(فاذكروا) الفاء رابطة لجواب الشرط واذكروا فعل أمر وفاعل ،
والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (الله) مفعول به
(عند الشعر) الظرف متعلق بأذكروا (الحرام) صفة للشعر ، ولك
أن تعلق الظرف بمحذوف حال أي : كائنين عند الشعر الحرام
(واذكروه) الواو عاطفة وكررها للتوكيد . واذكروه فعل أمر مبني
على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به (كما هداكم) الكاف

حرف جر وما مصدرية ، وهي مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق أو حال ، أي : اذكروه ذكراً حسناً ، أو اذكروه مثل هدايته إياكم وجيلة هداكم لا محل لها لأنها واقعة بعد موصول حرفي (وإن) الواو حالية وإن مخففة من الثقيلة وقد تقدم حكمها إذا خفت ، وإن الأكثر إهمالها (كنتم) كان الناقصة واسمها (من قبله) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (لمن الضالين) اللام هي الفارقة ، ومن الضالين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كنتم • (ثم) حرف عطف للترتيب مع التراخي (أفيضوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (من حيث) الجار والمجرور متعلقان بأفيضوا وقد تقدم القول في حيث (أفاض الناس) فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (واستغفروا الله) الواو عاطفة واستغفروا الله فعل وفاعل ومفعول به (إن الله غفور رحيم) ان واسمها وخبرها ، والجملة تعليلية لا محل لها •

الفوائد :

يعرب عرفات إعراب الجمع المؤنث السالم ، ومثله جميع ما سمي به كأذرع ، وهذا هو الفصيح فيها • وأجاز بعضهم أن تعرب إعراب مالا ينصرف ، وقيل : يعرب إعراب الجمع المؤنث السالم غير أنه لا ينون • وقد روي قول امرئ القيس بالأوجه الثلاثة :

تنورتها من أذرع وأهلها يثرب أدنى دارها ظر عال

﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ مَسَاجِدُكُمْ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ

ذِكْرًا ۖ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي
 الْآخِرَةِ مِن خَلْقٍ ﴿٢٠١﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي
 الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠٢﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۖ وَاللَّهُ
 سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٣﴾

اللفظة :

(المناسك) : جمع منسك ، بفتح السين وكسرها ، وهو مصدر
 ميمي أو اسم مكان ، والأول أرجح ، أي عبادات حجتكم .

الاعراب :

(فإذا) الفاء استئنافية وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض
 لشرطه منصوب بجوابه (قضيتم) فعل وفاعل والجملة في محل جر
 بالاضافة (مناسككم) مفعول به والكاف ضمير متصل في محل جر
 بالإضافة (فاذكروا الله) الفاء رابطة لجواب الشرط واذكروا الله :
 فعل أمر وفاعل ومفعول ، والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير
 جازم (كذكركم) الكاف مع مجرورها في محل نصب مفعول مطلق
 أي : اذكروا الله ذكراً مماثلاً لذكركم آباءكم ، أو حال (آباءكم)
 مفعول به للمصدر المضاف لفاعله (أو أشد ذكراً) هذا العطف مما
 يشكّل على المعرب ، وفيه أقوال يضيع الطالب في متاهاتها . ولما
 كانت الأقوال التي أوردتها النحاة والمفسرون متساوية الرجحان رأينا
 تلخيصها على وجه مبسط قريب :

١ - « أشدّ » معطوفة على الكاف ، أي كذكركم أو ذكر قوم
أشد منهم ذكراً .

٢ - أشدّ معطوفة على آبائكم فهي منصوبة بمعنى أو أشد
من ذكر آبائكم .

٣ - أشدّ معطوفة على قس الذكر ، ولا بد من حمل الكلام
عندئذ على المجاز العقلي من باب قولهم : شعر شاعر ، وجن جنونه ،
ونحوهما . ويبقى على هذه الأوجه أمر أكثر إشكالا ، وهو أن اسم
التفضيل يضاف الى ما بعده إذا كان من جنس ما قبله ، كقولك :
ذكرك أشدّ ذكر ووجهك أحسن وجه ، وإذا نصب ما بعده على التمييز
كان ما بعده غير الذي قبله ، كقولك : عليّ أجمل وجهاً ، فالجمال
للوجه لا لعلي ولو قلت : زيد أكرم أباً لكان زيد من الأبناء ، ولو قلت :
زيد أكرم أبٍ لكان زيد من الآباء .

٤ - وأخيراً وجه لجأ إليه أبو البقاء العكبري بعد أن أعيته
الحيل فقال : وعندي أن الكلام محمول على المعنى ، والتقدير : أو
كونوا أشد ذكراً لله منكم لأبائكم . ودل على هذا المعنى قوله تعالى :
« فاذكروا الله » . أي كونوا ذاكره .

وبعد أن أورد أبو حيّان هذه الوجوه وصفها كلها بالضعف
وقال : « وقد ساغ لنا حمل الآية على معنى أنهم أمروا بأن يذكروا الله
ذكراً يماثل ذكر آبائهم أو أشد ، وذلك بتوضيح واضح ذهبوا عنه ،
وهو أن يكون « أشدّ » منصوباً على الحال وهو نعت لقوله : « ذكراً »
لو تأخر ، فلما تقدم انتصب على الحال ، كقولهم :

لمية موحشاً طلل يلوح كأنه ظل

فلو تأخر لكان : لمية طلل موحش" ، وكذلك لو تأخر هذا لكان « أو ذكراً أشد » يعني من ذكركم آباءكم ، ويكون إذ ذاك « أو ذكراً أشد » معطوفاً على محل الكاف من كذكركم .

قلنا : ولعله أقرب الى المنطق وأدناه الى الفهم ، وقد اكتفى به بعض المفسرين المتأخرين في حواشيه المطوّلة . (فمن الناس) الفاء استثنائية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (من) اسم موصول مبتدأ مؤخر (يقول) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على من ، وقد روعي لفظ « من » وهو مفرد ، ولو روعي معناه لقال : يقولون ، والجملة المستأنفة لا محل لها وهي مسوقة لبيان حال الكافرين وحال المؤمنين والفرق بين المطلبين وجملة « يقول » صلة من . (ربنا) منادى مضاف منصوب وقد حذف حرف النداء (آتينا) فعل أمر مبني على حذف حرف العلة ، والفاعل مستتر تقديره أنت ، وضمير المتكلم المجموع مفعول آت الأول والمفعول الثاني محذوف أي نصيبنا و (في الدنيا) جار ومجرور متعلقان بآتينا (وما) الواو حالية وما نافية (له) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (في الآخرة) جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (من خلاق) من حرف جر زائد وخلاق مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر (ومنهم من يقول ربنا آتينا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) عطف على الجملة السابقة ، وقد تقدم إعرابها ، وصرح هنا بالمفعول الثاني ترغيباً وتعليماً (وقتنا) الواو عاطفة و « قـ » فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت

وضمير الجمع مفعول « قر » الأول (عذاب النار) مفعول « قر » الثاني (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (لهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خير مقدم (نصيب) مبتدأ مؤخر والجملة خبر اسم الإشارة ، والجملة مستأنفة لبيان حال الفريق الثاني ، لأن حال الفريق الأول تقدم ذكره بقوله « وما له في الآخرة من خلاق » (مما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لنصيب (كسبوا) فعل ماض وفاعل والجملة صلة الموصول « ما » (والله) الواو مستأنفة والله مبتدأ (سريع الحساب) خبره . والجملة المستأنفة مسوقة لبيان قدرته تعالى على محاسبة جميع الخلائق في أقل من لمح البصر .

البلاغة :

وردت في أحد الأعراب لقوله : « أشد ذكراً » إشارة الى المجاز العقلي ، وقد سبق بحثه ، ونزيد هذا المجاز بسطاً فنقول : إسناد الذكر الى الذكر مستحيل ولكته ملابسة له أصبح كأه شخص عاقل أجنبي عنه يقوم به ، وجميل قول أبي تمام :

تكاد عطاياه يجنّ جنونها إذا لم يعوّذها بنعمة طالب

فقد أسند الجنون الى مصدره ، والسرّ فيه ما أوضحناه من الملابسة الشديدة التي تجعل غير العاقل عاقلاً لشدة وقوعه منه، ويكاد الطلاب يلتبس عليهم الفرق بينه وبين الاستعارة المكنية مع أنه ليس فيه مشابهة مقصودة . وقال أبو فراس :

سيدكرني قومي إذا جدّ جدّهم
وفي الليلة الظلماء يفترق البدر
ولأبي الطيب مقطوعة وردت على لفظ المجاز العقلي ، وهي من
جيد الشعر :

سحب الناس قبلنا إذا الزمانا وعناهم من أمره ما عنا
وتولوا بغصّة كلّمهم منسبه وإن سرّ بعضهم أحيانا
ربما تحسن الصنيع ليا ليسه ولكن تكدر الإحسانا
كلما أنبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا

الفوائد :

تزداد « من » الجارة في الفاعل والمفعول به والمبتدأ بشرط
أن تسبق بنفي أو نهي أو استفهام وأن يكون مجرورها نكرة وعندئذ
تطرد الزيادة ، وسيأتي المزيد من أمثلتها .

﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ
عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَآتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ
إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾

اللفظة :

(تحشرون) : تجمعون ، والحاء والشين إذا وقعتا فاء وعينا للكلمة دلّتا على معنى الجمع والامتلاء والحشد ، وهذا ما تقصيناه وحشدنا له كل ما وصلت إليه أيدينا من مظانّ اللغة ومراجعتها المطولة ، ومنه الحشّاش أي جامع الحشيش أو شاري الحشيشة ، وهي نبات تستخرج منه مادة مسكرة ، والحشمة : الحياء ، وهي تدل على أن المرء جمع نفسه كيلا تبدر منه بادرة • ومنه الحشم أي الخدم المجتسمون •

الاعراب :

(واذكروا الله) الواو عاطفة واذكروا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومفعول به (في أيام) الجار والمجرور متعلقان باذكروا (معدودات) صفة لأيام ، وهي أيام التشريق الثلاثة ، وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وهو مذهب الشافعي ، أو يوم النحر ويومان بعده وهو مذهب أبي حنيفة (فمن) الفاء استئنافية ومن شرطية مبتدأ (تعجل) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط (في يومين) الجار والمجرور متعلقان بتعجل (فلا إثم) الفاء رابطة ولا قافية للجنس وإثم اسمها المبني على الفتح (عليه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لا والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن تأخر فلا إثم عليه) تقدم إعرابها والجملة معطوفة (لمن اتقى) اللام حرف جر ومن اسم موصول في محل جرّ باللام والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي ذلك التّخيير • وهي الإثم عن المتعجل والمتأخر كائن لمن اتقى

(واتقوا الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعول به (واعلموا) عطف على اتقوا (أنكم) ان واسمها (إليه) الجار والمجرور متعلقان بتحشرون (تحشرون) فعل مضارع وفاعل والجملة الفعلية خبر أن ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ
 اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ ۖ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَىٰ فِي
 الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ
 ﴿٢٥٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ۖ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ
 الْمِهَادُ ﴿٢٥٦﴾

اللفة :

(ألدّ الخصام) الألدّ : صفة مشبهة ، والتلدّد : شدة الجدل ، وتركت فلاّ يتلدّد أي يتلفّت يمينا وشمالا من حيرته فما يستقرّ على حال ، فهي كلمة متحركة تمثل صورة مركبة ، والخصام : مصدر خاصم ، قاله الخليل ، وقال الزجاج : الخصام : جمع خصم كصعب وصعاب ، وضخم وضخام .

الاعراب :

(ومن الناس) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والجملة منسوقة على جملة فمن الناس الخ (من) اسم موصول مبتدأ مؤخر (يعجبك قوله) فعل مضارع ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (في الحياة) الجار والمجرور متعلقان « بقوله » أو يعجبك ، فعلى الأول يكون القول صادراً في الحياة ، وعلى الثاني يكون الإعجاب صادراً فيها (الدنيا) صفة للحياة (ويشهد) الواو استئنافية أو عاطفة ويشهد فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو (الله) لفظ الجلالة مفعول به (على ما) الجار والمجرور متعلقان يشهد (في قلبه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول أي من مدلول القول (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (ألد الخصام) خبر (وإذا) الواو عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن متعلق بالجواب (تولى) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة في محل جر بالإضافة (سعى) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (في الأرض) الجار والمجرور متعلقان بسعى (ليفسد فيها) اللام للتعليل ويفسد فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بيفسد (ويهلك الحرث والنسل) عطف على ليفسد (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (لا) نافية (يحب الفساد) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو أي الله تعالى والفساد مفعول به ، والجملة الفعلية في محل رفع خبر الله (وإذا قيل) الواو عاطفة على قوله يعجبك ، ولك أن تجعلها استئنافية ، وإذا ظرف لما يستقبل من

الزمن وجملة قيل في محل جر بالإضافة (له) الجار والمجرور متعلقان بقيل (اتق الله) اتق فعل أمر مبني على حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ولفظ الجلالة مفعول به ، والجملة مقول القول (أخذته العزة) فعل ماض وتاء التأنيث الساكنة والهاء مفعول به والعزة فاعله والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (بالإنثم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي ملتبسة ، وتكون الباء للمصاحبة . ويجوز أن يتعلقان بأخذه ، فتكون الباء لمجرد التعدية (فحسبه جهنم) الفاء الفصيحة كأنه أجاب عن مصيره وحسبه خبر مقدم وجهنم مبتدأ مؤخر (ولبئس المهاد) الواو واو القسم واللام واقعة في جواب القسم أي والله ، وبئس فعل ماض جامد لإشياء الذم والمهاد فاعله والمخصوص بالذم محذوف أي هي ، والجملة جواب قسم لا محل لها .

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (٢٠٧) يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُرْءُودٌ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ ﴿

اللفظة :

(يشري) : يبيع .

- (السلم) : الاستسلام وهو بكسر السين وفتحها •
 (كافة) : من الكف كأنهم كفّوا عن أن يشذ واحد منهم •

الاعراب :

(ومن الناس) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف
 خير مقدم (من) مبتدأ مؤخر والجملة معطوفة على قوله : « فمن
 الناس » لاستيفاء أقسامهم (يشري نفسه) فعل مضارع وفاعل مستتر
 ومفعول به والجملة صلة الموصول (ابتغاء مرضاة الله) مفعول لأجله
 وما بعده مضاف إليه (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (رءوف)
 خبر (بالعباد) الجار والمجرور متعلقان برءوف (يا أيها الذين آمنوا)
 تقدم إعراب قطائرها (ادخلوا) فعل أمر مبني على حذف النون والواو
 فاعل (في السلم) الجار والمجرور متعلقان بادخلوا والجملة استئنافية
 (كافة) حال من الواو في ادخلوا ومن السلم لأنه يذكر ويؤنث (ولا)
 الواو عاطفة ولا فاهية (تتبعوا) فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه
 حذف النون والواو فاعل (خطوات الشيطان) مفعول به ومضاف إليه
 (إنه) ان واسمها (لكم) جار ومجرور متعلقان بعدو (عدو) خبر
 (مبين) صفة والجملة تعليلية لا محل لها • (فإن زللتم) الفاء
 استئنافية ، وإن شرطية ، وزللتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم
 فعل الشرط (من بعد ما جاءكم البينات) الجار والمجرور متعلقان
 بزللتم وما مصدرية مؤولة مع الفعل بعدها بمصدر في محل جر
 بالإضافة وجاءكم البينات فعل ومفعول به وفاعل (فاعلموا) الفاء
 رابطة لجواب الشرط واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو

فاعل والجملة في محل جزم جواب الشرط (أن الله عزيز حكيم) أن
واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ
وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴾ ﴿٢١٠﴾ سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّمَ
ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ ﴿

اللفة :

(الظَّلَل) : جمع ظِلَّة بضم الظاء ، وهي كل ما أظلك ، مثل
ظلال جمع ظِلّ .

(الغمام) : السحاب الأبيض الرقيق ، وهو مظنة الرحمة ،
ويغطي السماء ويغيّر لونها . ومن عجيب أمر الغين والميم أنهما إذا
وقعتا فاءً وعينا للكلمة دلّتا على معنى التغطية وحجب الشيء وإخفائه ،
ومنه غمد السيف أي قرابه الذي يخفيه ، وتغمّد الله فلافاً برحمته
ستره ، وغمره الماء غطاه ، وأرض غمقة تغمرها الأنداء ، وعن عمر بن
الخطاب : « إن الأردنّ أرض غمقة وإن الجابية أرض نزهة » ، وغم
الهلال اختفى . وهذا من الأعاجيب .

الاعراب :

(هل) حرف استفهام بمعناه الإنكار والتوبيخ (ينظرون) فعل

مضارع مرفوع والواو فاعل ومعناه ينتظرون ، أو ينظرون من النظر (إلا) أداة حصر (أن يأتيهم) أن حرف مصدري ونصب وهي وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول ينظرون ، والجملة مستأنفة مسوقة لتوبيخ المحجمين عن الإسلام أو الزّالون المخطئون (الله) فاعل يأتيهم (في ظلل) الجار والمجرور متعلقان بيأتيهم (من الغمام) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للظلل (والملائكة) الواو عاطفة والملائكة عطف على الله (وقضي الأمر) عطف على يأتيهم داخل في حيز الانتظار ، ولك أن تجعلها جملة مستأنفة (والى الله) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بترجع (ترجع) فعل مضارع مبني للمجهول (الأمور) نائب فاعل (سل بني إسرائيل) سل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وبني مفعول به منصوب وعلامة نصيه الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم واسرائيل مضاف إليه وعلامة جره الفتحة نيابة عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف والجملة استئنافية (كم آتيناهم) كم اسم استفهام في محل نصب مفعول به ثان لاآتيناهم وآتيناهم فعل وفاعل ومفعول به أول وجملة آتيناهم في موضع المفعول الثاني لسل لأنها معلقة عن العمل عاملة في المعنى . وإنما علقت « سل » وليست من أفعال القلوب لأن السؤال سبب العلم فأجري السبب مجرى السبب في ذلك . وأجاز بعضهم أن تكون كم خبرية وفي ذلك اقتطاع للجملة التي هي فيها (من آية) تمييز كم الاستفهامية وإذا فصل بينها وبين مميزها فالأحسن أن يؤتى بـ « من » . واختلف في « من » فقيل : هي زائدة ، واختاروا في حواشي المعنى أن تكون بيانية والتمييز محذوف . ومن آية : متعلقان بالفعل . وسيرد المزيد من هذا البحث في باب الفوائد (بينة) صفة

وجملة « سل بني إسرائيل » مستأنفة مسوقة للتشديد ببني إسرائيل الذين يكفرون بنعمة الله ويبدلونها (ومن) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لزيادة التقريع وإقامة الحجة عليهم ، ومن شرطية في محل رفع مبتدأ (يبدل) فعل الشرط (نعمة الله) مفعول به (من بعد ما جاءته) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالاضافة ، وجاءته فعل ماض ومفعول به ، وفاعله ضمير مستتر تقديره هي (فإن الله) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها (شديد العقاب) خبرها وجملة إن وما بعدها في محل جزم جواب الشرط الجازم .

البلاغة :

في قوله تعالى « في ظل من الغمام » مجاز مرسل علاقته السببية ، لأن الغمام مظنة الرحمة أو العذاب وسببهما ، فمنه تهطل الأمطار ، وقد تنشأ السيول المتلفة الجارفة ، وتنزل الصواعق المهلكة .

الفوائد :

أورد ابن هشام فصلاً في إعراب هذه الآية تلخصه فيما يلي لأهميته :

« قوله تعالى : « سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية » إن قدرت « من » زائدة ف « كم » مبتدأ أو مفعول لـ « آتينا » مقدراً بعده ، وإن قدرتها بياناً لـ « كم » كما هي بيان لـ « ما » في « ما نسخ من آية » لم يجز واحد من الوجهين لعدم الراجع حيثئذ الى كم ، وإنما هي مفعول ثان مقدم مثل : « عشرين درهماً أعطيتك » وجوز

الزمخشري في : كم أن تكون خبرية ، أي أن ما سبق كله بناء على أن « كم » اسم استفهام . وهذا مقابله ثم قال : « ولم يذكر النحويون أن كم الخبرية تعلق العامل عن العمل ، وجوز بعضهم زيادة « من » وإنما تزداد بعد الاستفهام بـ « هل » خاصة ، وقد يكون تجويزه ذلك على قول من لا يشترط كون الكلام غير موجب مطلقاً ، أو على قول من يشترطه في غير باب التمييز ، ويرى أنها في : « رطل من زيت » و « خاتم من حديد » زائدة لا مثبتة « اهـ » .

هذا وتأتي كم على قسمين : استفهامية وخبرية ، وسيرد الكثير من أبحاثهما في هذا الكتاب .

﴿ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ
حِسَابٍ ﴾ (٢١٢)

الاعراب :

(زين) فعل ماض مبني للمجهول (للذين كفروا) الجار والمجرور متعلقان بزين ، وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (الحياة) فائب فاعل (الدنيا) صفة للحياة والجملة مستأنفة مسوقة للتنديد بمن جعلوا الدنيا وما فيها من متع خلوب هدفهم فيها (ويسخرون) معطوفة على جملة زين ، ويحتمل أن تكون خبراً لمبتدأ محذوف ، أي وهم يسخرون فيكون من عطف الاسمية على الفعلية ، للإشعار

بأنه أتى بالأولى فعلية دلالة على التجدد والحدوث (من الذين) الجار
والمجرور متعلقان بيسخرون (آمنوا) فعل وفاعل والجملة الفعلية
لا محل لها لأنها صلة الذين (والذين) الواو عاطفة والذين مبتدأ
(اتقوا) الجملة صلة الموصول (فوقهم) ظرف مكان متعلق بمحذوف
خبر الذين (يوم القيامة) متعلق بما تعلق به الظرف (والله) الواو
استئنافية والله مبتدأ (يرزق) فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على
الله لفظ الجلالة والجملة خبر لفظ الجلالة الله (من) اسم موصول
مفعول به (يشاء) فعل مضارع والجملة صلة من (بغير حساب)
الجار والمجرور متعلقان بيرزق •

البلاغة :

في هذه الآية مفارقة في الجمل ، فقد عبر عن زينة الحياة الدنيا
في نظر الذين كهروا وعن سخريتهم من المؤمنين بالفعلية إشارة الى
الحدوث ، وإن ذلك أمر طارئ لا يلبث أن يزول بصوارف متعددة •
أما استعلاء الذين اتقوا عليهم فهو أمر ثابت الديمومة لا يطرأ عليه
أي تبديل •

وَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ

بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اَخْتَلَفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۚ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

الاعراب :

(كان الناس أمة) كان واسمها وخبرها (واحدة) صفة (فبعث)
الفاء عاطفة على جملة مقدرة اختصاراً وإيجازاً ، أي كان الناس متفقين
على الحق فاختلفوا فبعث • والكلام مستأنف مسوق للدلالة على
كيفية الاختلاف السائد بين الناس والزيغ المؤدي الى التفريق بينهم ،
وذلك بدلالة ما بعده وبعث فعل ماض (الله) فاعل (النبيين) مفعول
به (مبشرين ومنذرين) حالان والثاني معطوف على الأول (وأنزل)
عطف على فبعث (معهم) ظرف زمان متعلق بمحذوف حال من
« الكتاب » أي وأنزل الكتاب مصاحباً لهم وقت الإنزال (الكتاب)
مفعول به (بالحق) جار ومجرور متعلقان بأنزل والباء للملابسة ، أي
أي أنزله إنزالاً ملتبساً بالحق (ليحكم) اللام للتعليل ويحكم فعل
مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ولام التعليل ومجرورها
المثول متعلقان بأنزل أيضاً (بين الناس) الظرف المكاني متعلق بيحكم،
والناس مضاف إليه (فيما) الجار والمجرور متعلقان بيحكم (اختلفوا)
فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة « ما » الموصولية (فيه)
الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (وما) الواو عاطفة وما نافية
(اختلف) فعل ماض (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلف (إلا)
أداة حصر (الذين) فاعل اختلف (أوتوه) فعل ماض مبني للمجهول
والواو نائب فاعل هو المفعول الاول والهاء مفعول به ثان (من بعد)الجار

والمجرور متعلقان باختلاف (ما) مصدرية مؤولة مع ما بعدها بصدر مضاف إليه ، أي من بعد مجيء البيئات (جاءتهم البيئات) فعل ومفعول به مقدم والبيئات فاعل مؤخر (بغياً) مفعول لأجله ، أي حسداً منهم ، وقيل : حال مؤولة ، وليس ببعيد (بينهم) الظرف المكاني متعلق بمحذوف صفة لبغياً (فهدى الله الذين آمنوا) الفاء عاطفة وهدى فعل ماض والله فاعل والذين وصلتها مفعول به (لما) الجار والمجرور متعلقان بهدى وما موصولية (اختلفوا) فعل وفاعل والجملة صلة ما (فيه) الجار والمجرور متعلقان باختلفوا (من الحق) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من «ما» (بإذنه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من الذين آمنوا ، أي : مأذوناً لهم فهو حال من المفعول به (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (يهدي) فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى ، والجملة في محل رفع خبر الله (من) اسم موصول مفعول به (يشاء) الجملة صلة الموصول لا محل لها (إلى صراط مستقيم) الجار والمجرور متعلقان يهدي ومستقيم صفة .

البلاغة :

في هذه الآية الكريمة فن القلب ، وهو شائع في كلامهم ، ومثل له السكاكي والزمخشري والجوهري بقوله تعالى : « ويوم يعرض الذين كفروا على النار » والأصل فيه : ويوم تعرض النار على الذين كفروا . كما مثلوا في الشعر بقول عروة بن الورد :

فدبت بنفسه نفسي وما لي وما آلوك إلا ما أطيقت

والاصل فديت نفسه بنفسه ، فالمفدي نفس المحبوب ، والمفدي به نفس الشاعر ، لا العكس كما هو ظاهر البيت ، ويقول المتنبي :

وعذلت أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأن أصله كيف لا يموت من يعشق ، والصواب خلاقه . وأن المراد أنه صار يرى أن لا سبب للموت سوى العشق . وفي الآية التي نحن بصدددها قال أبو جعفر الطبري : « وإنما معنى ذلك : فهدى الله الذين آمنوا للحق فيما اختلف فيه من كتاب الله الذين أوتوه ، والله تبارك وتعالى إنما خاطبهم بمنطق العرب ، ومثل له أبو جعفر بقول النابغة الجعدي :

كانت فريضة ما تقول كما كان الزنء فريضة الرجم

وإنما الرجم فريضة الزنا .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢١٤)

اللفظة :

(زلزلوا) أزعجوا إزعاجاً شديداً شبيهاً بالزلزلة بما أصابهم

من الهول والفرع . وتكرير الزاي واللام إشعار بتكرير الإزعاج مرة بعد مرة . وقد ألمع ابن جنّي في كتاب الخصائص الى هذا الباب وسماه قوة اللفظ لقوة المعنى، كما ذكره ابن الأثير في كتاب المثل السائر . وخلاصة ما قرراه أن اللفظ إذا كان على وزن ثم نقل الى وزن آخر أكثر منه فلا بد من أن يتضمن من المعنى أكثر من الذي تضمنته ، فاخشوشن تدل على زيادة الخشونة أكثر من خشن ، واعذوب الماء تدل على زيادة العذوبة أكثر من عذب ، وسيأتي الكثير من الأمثلة في هذا الكتاب .

(حسبتم) حسبت زيدا قائماً أحسبه من باب تعب ، أي بكسر السين في الماضي وفتحها في المضارع ، في لغة جميع العرب ، إلا بني كنانة ، فانهم يكسرون سين المضارع مع كسر سين الماضي أيضاً على غير قياس ، حسبافاً بالكسر ، بمعنى ظنته . وحسبت المال حسباً من باب قتل ، أي بفتح السين في الماضي وضمها في المضارع ، أحصيته عدداً وفي المصدر أيضاً ، وحسبافاً بالضم .

الاعراب :

(أم) عاطفة منقطعة مقدرة بيل ، وهمزة الاستفهام محذوفة ، والمعنى : بل أحسبتم ، والاستفهام للتوبيخ والإنكار (حسبتم) فعل وفاعل (أن تدخلوا) أن حرف مصدري ونصب وتدخلوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل (الجنة) مفعول به على السعة ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر سد مسد مفعولي حسبتم (ولما) الواو حالية ولما حرف تهي جازم (يأتكم) فعل مضارع مجزوم بلما وعلامة جزمه حذف حرف العلة والكاف مفعول

يأتكم (مثل) فاعل يأتكم (الذين) مضاف إليه (خلوا) فعل وفاعل
والجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (من قبلكم) الجار والمجرور
متعلقان بخلوا (مستهم) مس فعل ماض والتاء تاء التأنيث الساكنة
والهاء مفعول به (البأساء) فاعل (والضراء) عطف على البأساء ،
والجملة مستأنفة لا محل لها ، كأن قائلًا قال : كيف كان ذلك المثل
وما هي ما هيته ؟ فقيل : مستهم البأساء ، ولك أن تجعلها تفسيرية ،
وعلى كل حال لا محل لها من الأعراب (وزلزلوا) الواو عاطفة
وزلزلوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة معطوفة
على مستهم (حتى يقول الرسول) حتى حرف غاية وجر ويقول فعل
مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والرسول فاعل (والذين)
عطف على الرسول (آمنوا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الذين
(معه) الظرف المكاني متعلق بآمنوا (متى نصر الله) متى اسم
استفهام في محل نصب ظرف على الظرفية الزمانية والظرف متعلق
بمحذوف خبر مقدم ونصر الله مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب
مقول القول (ألا) أداة استفتاح وتنبيه (إن نصر الله قريب) ان
واسمها وخبرها والجملة مستأنفة .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أُنْفِقُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ
وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ
عَلِيمٌ ۝٢١٥﴾

الاعراب :

(يسألونك) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به (ماذا) تقدّم القول في ماذا فيجوز أن نعربها اسم استفهام في محل نصب مفعول به مقدم لينفقون ، ويجوز إعراب ما اسم استفهام في محل رفع مبتدأ وذا اسم موصول في محل رفع خبر والجملة في محل نصب مفعول مقدم لينفقون ، وجملة يسألونك مستأنفة مسوقة للاستفهام عن المال المنفق ومصرفه .

قالوا : والسائل عمرو بن الجموح ، وكان شيخاً ذا مال ، فسأل النبي صلى الله عليه وسلم ماذا ينفق ؟ وعلى من ينفق ؟ وهذا كله في صدقة التطوع (ينفقون) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مفعول ثان يسألونك (قل) فعل أمر وفاعله والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الجواب عن السؤال ، (ما أتفقتم) ما شرطية في محل نصب مفعول به مقدم لأتفقتم وأتفقتم فعل في محل جزم فعل الشرط وفاعل ، والجملة مقول القول (من خير) الجار والمجرور في محل نصب حال (فلولوالدين) الفاء رابطة لجواب الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف أي فهو الموالدين ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل) كلها معطوفة على الوالدين (وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم) تقدم إعرابها في الآية السابقة .

الفوائد :

قاعدة عامة لإعراب أدوات الشرط :

« من ، ما ، مهما » : إن كان فعل الشرط يطلب مفعولاً به فهي منصوبة محلاً على المفعولية ، وإن كان لازماً أو متعدياً استوفى مفعوله فهي مرفوعة محلاً على الابتداء .

« حيثما » في محل نصب ظرف زمان .

« متى ، أيان ، أين ، أنى » في محل نصب ظرف زمان .

« كيفما » في محل نصب حال من فاعل الشرط .

« أي » بحسب ما تضاف إليه .

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢١٦)

الاعراب :

(كتب عليكم القتال) كتب فعل مبني للمجهول وعليكم متعلقان بكتب ، والقتال فائب فاعل ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان مشروعية القتال . ومعنى كتب فرض ، والفرض إما عين إذا دخل العدو البلاد ، وإما فرض كفاية إذا كان العدو ببلادهم (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (كره) خبر (لكم) الجار والمجرور متعلقان بكره ، والجملة الاسمية بعد واو الحال في محل نصب على الحال (وعسى) الواو

استثنائية وعسى فعل ماض جامد لا إنشاء التّرجّي وهي هنا تامة ،
 وذلك مطرد في عسى واخْلُوق وأَوْشِك إذا وليتها أن (أن تَكْرهوا)
 أن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل عسى (شيئاً) مفعول به
 (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (خير) خبر (لكم) الجار والمجرور
 متعلقان بخير والجملة الاسمية بعد الواو في محل نصب حال . وهنا
 مشكلة نعرض لها في باب الفوائد (وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شرٌّ
 لكم) تقدم إعرابها (والله) الواو استثنائية والله مبتدأ (يعلم) فعل
 مضارع وفاعل مستتر والجملة خبر المبتدأ (وأنتم) الواو عاطفة وأنتم
 مبتدأ (لا تعلمون) لا نافية وتعلمون فعل مضارع والواو فاعل
 والجملة خبر أنتم .

البلاغة :

في الآية الطباق بين الحب والكره وبين كرهه وشره ، ويسمى
 حينئذ مقابلة وقد تقدم بحثها .

الفوائد :

يُشكّل في الآية مجيء الحال من النكرة بغير شرط من شروطها
 المعروفة ، ولذلك جنح بعض المعريين الى إعراب الجملة وهي « وهو
 خير لكم » صفة لشيئاً ، وإنما دخلت الواو على الجملة الواقعة صفة
 لأن صورتها صورة الحال ، فكما تدخل الواو عليها حالية تدخل عليها
 صفة ، وذلك ما أجازوه الزمخشري في قوله تعالى : « وما أهلكنا من
 قرية إلا ولها كتاب معلوم » وسترّد في مكانها .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾﴾

اعراب :

(يسألونك عن الشهر الحرام) جملة مستأنفة لا محل لها من الاعراب مسوقة لبيان حكم القتال في الشهر الحرام ، وهو رجب ، ويسألونك فعل وفاعل ومفعول به ، والجار والمجرور متعلقان بيسألونك ، والحرام صفة (قتال) بدل اشتمال من الشهر (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لقتال ، ووجهه أن السؤال عن الشهر لم يكن إلا باعتبار ما وقع فيه من القتال ، والمعنى يسألونك عن القتال في الشهر الحرام . وأنشد سيويه :

فما كان قيس هلكه هلك واحد ولكنه بنيان قوم تهدّما

(قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت يا محمد والجملة مستأنفة (قتال) مبتدأ ، وساغ الابتداء به وهو نكرة لأله وصف (فيه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر (كبير) صفة للقتال (وصد) عطف على قتال فهو مبتدأ وساغ الابتداء به لأنه مندرج لما عطف عليه من معارف (عن سبيل الله) الجار والمجرور متعلقان بصد (وكفر به) عطف على صد ، والجار والمجرور متعلقان بكفر (والمسجد الحرام) عطف على سبيل الله أي وعن المسجد الحرام (وإخراج أهله) عطف على صد (أكبر) خبر ما تقدم جميعه وجملتها أربعة وأخير عنها بأكبر لأنه اسم تفضيل يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من الألف واللام ومن الإضافة (عند الله) الظرف المكاني متعلق بأكبر (والفتنة) الواو استئنافية والفتنة مبتدأ (أكبر من القتل) خبر والجملة لا محل لها ، ويمكن إعراب الواو حالية فتكون الجملة نصباً على الحال ، ومن القتل الجار والمجرور متعلقان بأكبر (ولا يزالون) الواو عاطفة ولا يزالون فعل مضارع ناقص من أخوات كان والواو اسمها (يقاتلونكم) فعل مضارع وفاعل ومفعول به والجملة خبر يزالون (حتى يردوكم) حتى حرف غاية وجر أو للتعليل ، ويردوكم فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى (عن دينكم) الجار والمجرور متعلقان يردوكم (إن) شرطية (استطاعوا) فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل وجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله ، أي يردوكم (ومن) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ (يرتدد) فعل الشرط (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (عن دينه) الجار والمجرور متعلقان يرتدد (فيمت) الفاء عاطفة ويمت فعل مضارع مجزوم عطفاً

على يرتدد (وهو) الواو حالية وهو مبتدأ (كافر) خبر والجملة الاسمية في محل نصب حال (فأولئك) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ (حبطت أعمالهم) فعل وفاعل والجملة خبر أولئك ، وجملة الإشارة في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (في الدنيا) الجار والمجرور متعلقان بحببت (والآخرة) عطف على الدنيا (وأولئك) الواو عاطفة وأولئك مبتدأ (أصحاب النار) خبر (هم) ضمير منفصل مبتدأ (فيها) الجار والمجرور متعلقان بقوله خالدون (خالدون) خبر وجملة هم فيها خالدون في محل نصب حال (إن الذين) ان واسمها (آمنوا) الجملة لا محل لها لأنها صلة الذين (والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله) عطف على ما تقدم (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (يرجون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر أولئك (رحمة الله) مفعول به ، وجملة الإشارة جملة اسمية في محل رفع خبر إن (والله) الواو استئنافية والله مبتدأ (غفور رحيم) خبر إن لله .

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمَا اكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْغَفْوُ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾ ﴾

اللفة :

(الخمر) : سميت الخمر بالمصدر من خمره خَمَرًا إذا ستره للمبالغة في تضييعها للعقول وسترها وإخفاءها • وقيل : إنما سميت الخمر خمرًا لأنها تركت حتى أدركت ، يقال : اختمر العجين أي بلغ إدراكه ، وقيل : إنما سميت الخمر خمرًا لأنها تخالط العقل ، من المخامرة وهي المخالطة، وهذه المعاني الثلاثة متقاربة موجودة في الخمر، وهذا موجز لبعض أسماء الخمر التي هي صفات :

الشمول : لأنها تشمل القوم بريحها •

المشمولة : التي أبرزت للشمال •

الرحيق : صفوة الخمر التي ليس فيها غش •

الخنديس : القديمة منها •

الحميا : الشديدة منها •

العقار : بضم العين لأنها عاقرت الدّز •

الراح : لأن شاربها يرتاح لها أو التي يستطيب ريحها ، ويقال : بل التي يجد بها روحاً • وقد جمع ابن الرومي معاني الراح بقوله :

والله ما أدري لأية علّة يدعونها في الراح باسم الراح

أريحها أم روحها تحت الحشا أم لارتياح نديهما المرتاح

المدامة : التي أديمت في مكانها حتى سكنت حركتها •

المعتقة : التي أديمت في مكانها حتى عتقت •

القهوة : هي التي تقهي صاحبها ، أي تذهب بشهوة طعامه •

السلاف : التي تحلب عصيرها من غير عصر •

الصهباء : لأنها تترجح بين الحمرة والشفرة •

الكثيت : بضم الكاف لما فيها من سواد وحمرة •

القرقف : لبرودتها • وغير ذلك •

(الميسر) : مصدر ميمي من يسر كالموعد والمرجع ، يقال :

يسرته : إذا قمرته ، وقمره : غلبه بالقمار • قال الشاعر :

قالت : أفا قمرته قلت : اسكتي فهو قمر

واشتقاق الميسر إما من اليسر لأن فيه أخذ المال بيسر من غير

كدّ وتعب ، وإما من اليسار أي الغنى لأنه سبب له • وقد تفتّن

البشر ، الى اليوم ، في ألعاب الميسر المحرمة عقلاً وشرعاً لأنها مفسدة

ما بعدها مفسدة • قال أديب إسحق من شعراء العصر الحديث :

لكل ققيصة في الناس عار وشرّ معايب المرء القمار

(العفو) : الزيادة عن الحاجة •

الاعراب :

(يسألونك عن الخمر والميسر) فعل وفاعل ومفعول به والجار

والمجرور متعلقان يسألونك والميسر معطوف على الخمر والجملة

مستأنفة منسوقة لبيان تحريم الخمر والميسر لما فيهما من مفسد اجتماعية

ضارة (قل) فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة أيضاً (فيهما) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (إثم) مبتدأ مؤخر (كبير) صفة لإثم ، والجملة الاسمية مقول القول (ومنافع للناس) عطف على إثم ، وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (وإثمها) الواو عاطفة وإثم مبتدأ والهاء مضاف إليه ، والميم والألف حرفان دالان على التثنية (أكبر) خبر (من نعمهما) الجار والمجرور متعلقان بأكبر (ويسألونك) عطف على يسألونك (ماذا ينفقون) تكرر إعرابها فجدد به عهداً (قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (العفو) مفعول به لفعل محذوف تقديره أتفقوا والجملة مقول القول (كذلك يبين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو حال ، ويبين فعل مضارع مرفوع (الله) فاعل يبين (لكم) الجار والمجرور متعلقان يبين (الآيات) مفعول به (لعلكم) لعل واسمها (تتفكرون) فعل مضارع وفاعل والجملة خبر لعل وجملة الرجاء حاثية وجملة كذلك يبين الخ مستأنفة (في الدنيا والآخرة) الجار والمجرور متعلقان بتفكرون أو يبين فالمعنى على الأول: فيما هو صلاحكم في الدارين وعلى الثاني يبين لكم الآيات فيما ينفعكم في الدارين (ويسألونك عن النيتامى) تقدم إعرابها (قل) فعل أمر وفاعل مستتر والجملة مستأنفة (إصلاح) مبتدأ وسوغ الابتداء به وصفه بالجار والمجرور (لهم) الجار والمجرور صفة لإصلاح (خير) خبر إصلاح والجملة الاسمية مقول القول (وإن) الواو استئنافية وإن شرطية (تخالطوهم) فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به أي تحسنوا معاشرتهم بالمخالطة والمعاشرة الطيبة (فإخوانكم) الفاء رابطة لجواب الشرط وإخوانكم خبر لمبتدأ محذوف أي فهم إخوانكم ، والجملة الاسمية في محل جزم جواب

الشرط • ولا بد من تقدير محذوف أي فلكم ذلك ثم علل ذلك بقوله :
 فهم إخوانكم (والله) الواو استئنافية والواو مبتدأ (يعلم) الجملة
 خبر المبتدأ وفاعل يعلم ضمير مستتر يعود على الله تعالى (المفسد)
 مفعول به (من المصلح) الجار والمجرور متعلقان يعظم لتضمنه معنى
 يميز (ولو) الواو استئنافية ولو شرطية (شاء الله) فعل وفاعل ،
 ومفعول المشيئة محذوف تقديره إعانتكم (لأعنتكم) اللام واقعة في
 جواب لو وأعنتكم فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة لأعنتكم
 لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (إن الله) إن واسمها
 (عزيز حكيم) خبر إن ، والجملة لا محل لها لأنها بمثابة التعليل •

الفوائد :

لمحة تاريخية أدبية : نزلت في الخمر أربع آيات :

١ - الأولى نزلت في مكة وهي : « ومن ثمرات النخيل والأعناب
 تتخذون منه سكراً » فكان المسلمون يشربونها وهي حلال لهم •

٢ - والثانية نزلت في المدينة فقد أتى عمر بن الخطاب ومعاذ
 ابن جبل وجماعة من الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا :
 يا رسول الله أفتنا في الخمر فإنها مذهب للعقل مسلبة للمال ؟ فتركها
 قوم لقوله : « قل فيهما إثم كبير » •

٣ - والثالثة أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاماً ودعا إليه فاباً
 فشربوا وسكروا ، وحضرت صلاة المغرب ، فقدموا أحدهم لبصلي
 بهم ، فقرأ : « قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون » بحذف « لا »

التأفية ، فأنزل الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأقم
سكاري حتى تعلموا ما تقولون » فقل من يشربها •

٤ - والرابعة أن عتبان بن مالك دعا قوماً فيهم سعد بن أبي
وقاص الى طعام وشراب ، فأكلوا وشربوا الخمر حتى أخذت منهم ،
فلما سكروا افتخروا وتناشدوا الأشعار ، حتى أنشد سعد شعراً فيه
هجاء الأنصار ، فضربه أنصاري بلحي بعير فشجه ، فانطلق سعد الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا إليه الأنصاري ، فقال عمر :
اللهم بسّين لنا في الخمر بيافاً شافياً ، فأنزل الله تعالى : « إنما الخمر
والميسر » الى قوله « فهل أقم منتهون » فقال عمر : اقمنا يا رب •

﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُ ۖ وَلَآئِمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ
مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِيْنَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ
مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ۚ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۚ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللّٰهُ
يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۚ وَبَيِّنُ أٰيٰتِهِ ۚ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ
يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ ﴾

الاعراب :

(ولا) الواو استئنافية ولا فاهية (تنكحوا) بفتح التاء مضارع
نكح مجزوم بلا والواو فاعل (المشركات) مفعول به وعلامة نصبه
الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم (حتى يؤمن) حتى حرف غاية وجر

ويؤمن فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة وهو في محل نصب بأن مضمرة بعد حتى ونون النسوة فاعل والجار والمجرور من حتى والمصدر المؤول متعلقان بتنكحوا (ولأمة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الفرق بين المؤمنة والمشاركة واللام للابتداء وأمة مبتدأ ، وساغ الابتداء بالنكرة لوصفها (مؤمنة) صفة لأمة (خير) خبر (من مشاركة) الجار والمجرور متعلقان بخير (ولو) الواو للحال ولو شرطية بمعنى إن (أعجبتكم) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هي يعود على الأمة والكاف مفعول به ، وجملة أعجبتكم خبر لكان المحذوفة هي واسمها بعد لو ، وجملة لو أعجبتكم حالية والمعنى ولأمة مؤمنة خير من مشاركة حال كونها قد أعجبتكم لجمالها ومالها ، وسيأتي مزيد بيان لذلك في باب الفوائد (ولا) الواو عاطفة ولا ناهية (تنكحوا) بضم التاء مضارع أنكح مجزوم بلا والواو فاعل (المشاركين) مفعول به (حتى يؤمنوا) حتى حرف غاية وجر ويؤمنوا فعل مضارع مجزوم بأن مضمرة بعد حتى (ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) تقدم إعراب مثلتها (أولئك) اسم الإشارة مبتدأ (يدعون الى النار) الجملة خبر اسم الإشارة والجملة مستأنفة مسوقة لبيان الحكمة في ذلك ، ولك أن تجعلها مفسرة . وعلى كل حال لا محل لها (والله يدعو الى الجنة) عطف على ما تقدم (والمغفرة) عطف على الجنة (ياذه) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي آذناً بذلك (ويبين آياته) عطف على يدعو وآياته مفعول به وعلامة نصبه الكسرة نيابة عن الفتحة (للناس) الجار والمجرور متعلقان بيبين (لعلمهم) لعل واسمها (يتذكرون) الجملة الفعلية خبر لعل ، وجملة الرجاء حالية .

الفوائد :

يُطْرَدُ حَذَفُ كَانَ وَاسْمُهَا وَبَقَاءُ خَبَرِهَا بَعْدَ إِنْ وَلَوْ الشَّرْطِيَّتَيْنِ ،
وَسِيرِدُ تَفْصِيلِ ذَلِكَ فِي مَوَاضِعِهِ .

لمحة تاريخية : في هذه الآية تهذيب رفيع وتعاليم إنسانية رائعة
وشجب للتمييز العنصري واللوني ، قيل : نزلت هذه الآية في عبد الله
ابن رواحة ، وقد كانت عنده أمة سوداء فغضب عليها يوماً فلطمها
ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال له النبي : وما هي
يا عبد الله ؟ قال : هي تشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله وتصوم
رمضان وتحسن الوضوء وتصلّي قال : هذه مؤمنة قال عبد الله :
هو الذي بعثك بالحق لأعتقنّها ولأتزوّجنّها ففعل فطعن عليه ناس
من المسلمين فقالوا : أتنكح أمة وعرضوا عليه حرّة مشركة فنزلت .

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي
الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٢٢٢) نِسَاءُ وَكُرَّ
حَرَتْ لَكُمُ فَاتُوا حَرَّتَكُمْ أَنْتُمْ وَقَدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا
أَنَّكُمْ مُلْقَوْنَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢٢٣)

اللفة :

(المحيض) مصدر ميمي أو اسم زمان ، والحيض : سيلان الدم .
والتفصيل فيه مبسوط في كتب الفقه .

الاعراب :

(ويسألونك عن المحيض) كلام معطوف على الأحكام المتقدمة
ويلاحظ أنه صدر السؤال بالواو ثلاث مرات وجاء مجرداً منها أربع
مرات ، لأن ما جاء مقترناً بالواو حدث السؤال عنه في وقت واحد
فحسن عطفه بالواو ، أما حيث تختلف الأزمنة في السؤال فقد جاء
الكلام مجرداً من الواو تنبيهاً على انقطاع المدد وتفاوتها . وهذا من
أسرار القرآن ومعاجزة الالهيعة . وعن المحيض متعلقان يسألونك
(قل) فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة مستأنفة (هو)
مبتدأ (أذى) خبر والجملة الاسمية مقول القول (فاعتزلوا) الفاء
الفصيحة أي إذا شئتم معرفة حكمه فاعتزلوا ، والجملة بعدها لا محل
لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم (النساء) مفعول به
(في المحيض) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبسات
بالمحيض (فإذا) الفاء عاطفة وإذا ظرف لما يستقبل من الزمن خافض
لشرطه منصوب بجوابه (تطهرن) فعل ماض مبني على السكون
لاتصاله بنون النسوة والنون ضمير متصل في محل رفع فاعل وجملة
تطهرن في محل جر بالإضافة (فأتوهن) الفاء رابطة لجواب إذا
وأتوهن فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به
والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من حيث) من حرف

جر وحيث ظرف مكان مبني على الضم أي محل جر بمن والجار والمجرور متعلقان بأتوهن (أمركم الله) فعل ماض ومفعول به وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (إن الله) إن واسمها (يحب) فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى والجملة في محل رفع خبر إن (التوابين) مفعول به وجملة إن وما تلاها تعليلية لا محل لها (ويحب المتطهرين) عطف على جملة يحب التوابين (نساؤكم) مبتدأ (حرث) خبر (لكم) الجار والمجرور صفة لحرث (فأتوا) الفاء استئنافية وأتوا : فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل (حرثكم) مفعول به . والجملتان الاسمية والفعلية مستأثقتان مسوقتان لبيان الحكم في هذه المسألة الاجتماعية، فقد اعتزل المسلمون نساءهم عملاً بظاهر آية المحيض ، فأخرجوهن من البيوت ، فقال ناس من الأعراب: يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هللك سائر أهل البيت ، وإن استأثرنا بها هلكت الحيض ! فقال : إننا أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهم ، ولم تؤمروا بإخراجهن من البيوت كعمل الأعاجم . ثم إن اليهود جرياً على عادتهم في المكابرة واللجاج وإحداث التفرقة والبلبله أخذوا يروجون أقوالاً لا حقيقة لها . منها قولهم : من أتى امرأته في قبلها من جهة دبرها جاء الولد أحول ، فنزلت الآية الثانية والثالثة تسهلاً على العباد وتوفيراً للذتهم ، كما سيأتي في باب البلاغة (أنى شئتم) مفعول فيه ظرف مكان متعلق بأتوا ، وجملة شئتم في محل جر بالإضافة (وقدموا لأنفسكم) عطف على ما تقدم (واتقوا الله) عطف أيضاً (واعلموا أنكم ملاقوه) عطف آخر ، وأن وما في حيزها سدّت مسد مفعولي اعلموا ، وملاقوه خبر أن وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم (وبشر المؤمنين) عطف آخر على ما تقدم .

البلاغة :

١ - التشبيه البليغ : فقد شبه النساء بالحرث أولاً لما بين ما يلقي في أرحامهن من النطف وبين البذور من المشابهة ، ووجه الشبه أن كلاهما مادة ما يحصل منه .

٢ - الكناية ، فقد كنى بإتيان الحرث في أية كيفية عن إتيان المرأة في الكيفية التي يشاؤها المرء من غير حظر ولا حرج ما دام المآتي واحداً وهو موضع الحرث .

﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٢٣) لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

اللفظة :

(عرضة) العرضة بالضم : الشيء الذي ينصب ويعرض ، ويقال : هو عرضة لكذا ، أي قوي عليه ، وهو عرضة للناس ، أي : لا يزالون يقومون فيه ، وجعلته عرضة كذا ، أي نصبته . أي لا تجعلوا الله كالعرض المنسوب للمرأة ، فكلما أردتم الامتناع من شيء - ولو كان خيراً - تتوصلون الى ذلك بالحلف (اللغو) الساقط الذي لا يؤبه له ولا يعتد به من كلام وغيره ، والمراد به هنا ما يسبق اليه اللسان من غير قصد الحلف .

الاعراب :

(ولا تجعلوا) الواو استئنافية مسوقة لمعالجة مشكلة اجتماعية خطيرة ، وهي جعل اسم الله معرضاً لإيمانكم بتبذلونه بكثرة الحلف به . أو لا تجعلوه برزخاً حاجزاً بأن تحلفوا به ، فذلك لأن العرضة إما بمعنى فاعل وإما بمعنى مفعول ، ولا فافية وتجعلوا فعل مضارع مجزوم بها (الله) مفعول به أول لتجعلوا (عرضة) مفعول به ثان (لأيمانكم) الجار والمجرور متعلقان بعرضة (أن تبروا) أن وما في حيزها مصدر مؤول مفعول لأجله أو بدل (وتتقوا وتصلحوا بين الناس) عطف على أن تبروا وبين ظرف متعلق بتصلحوا (والله سميع عليم) جملة مستأنفة لا محل لها من الإعراب ، والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (لا) فافية (يؤاخذكم) فعل مضارع ومفعول به (الله) فاعله والجملة مستأنفة (باللغو) الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم (في أيمانكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (ولكن) الواو عاطفة ولكن مهملة للاستدراك (يؤاخذكم) فعل مضارع ومفعول به (بما كسبت قلوبكم) الجار والمجرور متعلقان بيؤاخذكم وما مصدرية أو اسم موصول وقلوبكم فاعل (والله غفور حلِيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور حلِيم خبراه .

﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ رَبْعٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءٌ وَّ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ

أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ^٤
 وَيَعْمَلُنَّ أَحْسَنَ بَرَدِهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا^٥ وَلَهُنَّ مِثْلُ
 الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ^٦ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ^٧ دَرَجَةٌ^٨ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾
 اللغة :

(يؤلون) : يقسمون ، والإيلاء من المرأة أن يقول : والله
 لأقربك أربعة أشهر فصاعداً وفي هذا الفعل مباحث تتعلق بعلم الفقه
 يرجع إليها في مظاهرها .

(فاءوا) رجعوا .

(التربص) الانتظار والتأني ، قال :

تربص بها ريب المنون لعلها تطلق يوماً أو يموت حليها

(قروء) جمع قراء ، وهو الظهر ، كما ذهب إليه الشافعي . أو
 الحيض كما ذهب إليه أبو حنيفة . وخلاف الفقهاء عند الاحتمال
 اللغوي جميل جداً . فمن إطلاقه على الظهر قول الأعشى :

أفي كل عام أفت جاشم غزوة تشدد لأقصاها عظيم عزائكا

مورثة مالا وفي الحي رفعة لما ضاع فيها من قروء نسائكا

أي أطهارهن • ومن إطلاقه على الحيض قول النبي صلى الله عليه وسلم : « دعي الصلاة أيام أقرائك » •

الاعراب :

(للذين) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم
(يؤاؤون) فعل مضارع والواو فاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة
الموصول (من نسائهم) الجار والمجرور متعلقان بيؤاؤون، وحق تعدية فعل
الإيلاء بـ «على» ولكته ضمنه معنى البعد لأن المقسمين يعدون عن نسائهم
نسائهم (تتربص) مبتدأ مؤخر و (أربعة أشهر) أربعة أشهر مضاف إليه ،
والكلام مستأنف لإتمام التشريع (فإن فاءوا) الفاء استئنافية وإن
شرطية وفاءوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط
(فإن الله غفور رحيم) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها
وخبرها وجملة إن وما تلاها في محل جزم جواب الشرط (وإن عزموا
الطلاق) الواو عاطفة وإن شرطية وعزموا فعل ماض مبني على الضم
في محل جزم فعل الشرط والطلاق منصوب بنزع الخافض لأن عزم
يتعدى بـ « على » وجواب الشرط محذوف تقديره فليوقعوه (فإن الله
سميع عليم) الفاء عاطفة على الجواب المحذوف بمثابة التعليل ، وإن
واسمها وخبرها (والمطلقات) الواو استئنافية والمطلقات مبتدأ
(يتربصن) فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة
والنون فاعل ، وجملة يتربصن خبر المطلقات ، والجملة المستأنفة
لا محل لها مسوقة لبيان أحكام الطلاق (بأنفسهن) الجار والمجرور
متعلقان بيتربصن ، ومعنى الباء السببية أي من أجل أنفسهن ، لأن
نفوس النساء طوامح الى الرجال فمن أدري بقمع شررتها (ثلاثة قروء) قال
المعربون مفعول به ليتربصن، وأرى أن النصب على الظرفية الزمانية أرجح

وريتعلق الظرف بـيتربصن أي : مدة ثلاثة قروء (ولا يحل لهن) الواو عاطفة ولا نافية ويحل فعل مضارع معطوف على يتربصن (أن يكتمن) أن حرف مصدرى ونصب ويكتمن فعل مضارع مبني على السكون في محل نصب بأن وتكون النسوة فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر فاعل يحل (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (خلق الله) فعل وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (في أرحامهن) اتجار والمجرور متعلقان بخلق (إن) شرطية (كن) فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط ونون النسوة ضمير متصل في محل رفع اسم كان (يؤمن) خبر كن وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله أي فلا يجروُن على ذلك (بالله) الجار والمجرور متعلقان بيؤمن (واليوم الآخر) عطف على الله لفظ الجلالة (وبعولتهن) الواو عاطفة وبعولتهن مبتدأ (أحق) خبر (بردهن) الجار والمجرور متعلقان بأحق (في ذلك) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي حالة كون الرّدّ في مدة ذلك التربّص (ان أرادوا اصلاحاً) ان حرف شرط جازم ، أرادوا فعل ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط والجواب محذوف تقديره : فبعولتهن أحق بردهن ، والواو فاعل ، اصلاحاً مفعول به (ولهن) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مثل الذي عليهن بالمعروف) مثل مبتدأ مؤخر واسم الموصول مضاف اليه وعليهن صلة الموصول وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائناً في الوجه الذي لا ينكر في الشرع والعادة . وتفصيل هذه الأحكام في كتب الفقه (وللرجال) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (عليهن) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه تقدم على موصوفه (درجة) مبتدأ مؤخر (والله عزيز حكيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وعزيز حكيم خبراه .

الفوائد :

لوحظ أنه أضاف الثلاثة الى قروء ، وهي من جموع الكثرة ، لأنه لما جمع المطلقات وكان الواجب على كل منهن ثلاثة أقراء جمع القروء جمع كثرة ليتناسق الكلام ، أو أنه من باب الاتساع ، ووضع أحد الجمعين في موضع الآخر ، للنكتة المشار إليها آنفاً .

﴿ الطَّلَقُ مَرَّتَانٍ فِيمَا سَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيجٍ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكَرَّ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ ائْتَمُّوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

الاعراب :

(الطلاق مرتان) مبتدأ وخبر والجملة مستأنفة لبيان عدد الطلاق الجائز (فإمساك) الفاء الفصيحة كأنه قيل : إذا علمتم كيفية التطليق فعليكم أحد الأمرين . وإمساك مبتدأ خبره محذوف أي فعليكم إمساكهن . وإنما قدرنا الخبر قبله لتسوية الابتداء بالانكحة (بمعروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لإمساك (أو تسريح بإحسان) أو حرف عطف وتسريح عطف على إمساك والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لتسريح . والمراد بالإحسان

استمرار إيصال المعروف أو تأدية جميع حقوقها المالية لرأب الصدع الذي أحدثه الطلاق (ولا) الواو استثنائية أو عاطفة ولا نافية (يحل) فعل مضارع مرفوع (لكم) الجار والمجرور متعلقان بيحل (أن تأخذوا) أن وما بعدها في تأويل مصدر فاعل يحل (مما) الجار والمجرور متعلقان بتأخذوا أو بمحذوف حال (آتيتموهن) الجملة صلة الموصولة والواو بعد الميم التي هي لجمع الذكور لإشباع ضمة الميم (شيئاً) مفعول به (إلا أن يخافا) إلا أداة حصر للتقدم النفي أو استثناء ، وأن والفعل بعدها في تأويل مصدر ، وقد اختلف في إعراب هذا المصدر اختلافاً شديداً ، فالظاهر أنه نصب على الحال ، أي إلا خائفين ، ويشكل عليه أن سيبويه منع في كتابه وقوع أن والفعل حملاً ، نصّ على ذلك في آخر باب « هذا باب ما يختار فيه الرفع » . وعلى هذا لا مندوحة عن الرجوع الى الوجه الثاني من أوجه الاستثناء وهو أن يكون الكلام تاماً منفياً فننصبه على الاستثناء من المفعول به ، وهو « شيئاً » . كآله قيل : ولا يحل لكم أن تأخذوا بسبب من الأسباب إلا بسبب خوف عدم إقامة حدود الله ، فذلك هو الذي يبيح لكم الأخذ . ويكون حرف العلة قد حذف مع « أن » وهو جائز في العربية ، فتأمل وتدبر (أن لا يقيما حدود الله) أن وما في حيزها في موضع نصب مفعول يخافا ، وحدود الله مفعول به ولا نافية (فإن خفتم) التاء استثنائية وإن شرطية وخفتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل (أن لا يقيما حدود الله) أن وما بعدها في موضع نصب مفعول به لخفتم (فلا جناح عليهما) التاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليهما جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (فيما افتدت به) الجار والمجرور موضع نصب على الحال وجملة افتدت صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بافتدت

وجملة فلا جناح في محل جزم جواب الشرط (تلك حدود الله) تلك اسم الإشارة مبتدأ وحدود الله خبره (فلا تعتدوها) الفاء الفصيحة أي إذا عرفتكم هذه الأحكام فلا تتجاوزوها ، والجملة بعدها لا محل لها من الإعراب . وجملة « تلك حدود الله » مستأنفة ولا تاهية وتعتدوها فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به (ومن يتعد حدود الله) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لذكر الوعيد بعد النهي عن تعديها ، ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويتعد فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ، وحدود الله مفعول به (فأولئك هم الظالمون) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك مبتدأ وهم مبتدأ ثانٍ والظالمون خبره ، والمبتدأ الثاني وخبره خبر الأول أو هم ضمير فصل لا محل لها والظالمون خبر أولئك . والجملة في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٣) وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمَّا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا

ءَايَاتِ اللَّهِ هُزْأً وَادْذِكْرًا نِعَمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ
وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٢١﴾

اللفظة :

(ضراراً) مصدر بمعنى الاضرار ، كان الرجل يطلق المرأة
ويتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا لرغبة فيها بل ليطول
عليها العدة فتبي عنه والتفاصيل في كتب الفقه .

الاعراب :

(فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ) الفاء استئنافية أو عاطفة وإن شرطية
وطلقها فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والهاء مفعول به والفاء
رابطة لجواب الشرط ولا نافية وتحل فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر
تقديره هي أي المطلقة والجار والمجرور متعلقان بتحل والجملة في محل
جزم جواب الشرط (من بعد) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال
أي كائنة بعد الطلقتين الاثنتين (حتى تنكح زوجاً غيره) حتى حرف
غاية وجر وتنكح فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والجار
والمجرور متعلقان بتحل وزوجاً مفعول به وغيره صفة (فَإِنْ طَلَّقَهَا)
الجملة مستأنفة وقد تقدمت والفاعل مستتر يعود على الزوج الثاني
(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا) الفاء رابطة ولا نافية للجنس وجناح
اسمها المبني على الفتح وعليهما الجار والمجرور متعلقان بمحذوف
خبرها وجملة فلا جناح جواب شرط وأن وما في حيزها مصدر منصوب

بنزع الخافض أي في التراجع والجار والمجرور متعلقان
 بمحذوف حال ، والضمير يعود على الزوجة والزوج
 الأول (إن ظنا) إن شرطية وظنا فعل ماض مبني على الفتح والألف
 فاعل وهو فعل الشرط وجوابه محذوف دل عليه ما قبله (أن يقيما)
 أن وما في حيزها مصدر منصوب مفعوليّ ظناً والألف فاعل (حدود
 الله) مفعول به (وتلك) الواو استئنافية وتلك مبتدأ (حدود الله) خبر
 (نبيها) فعل مضارع وفاعل مستتر يعود على الله تعالى والهاء مفعول
 به والجملة في محل رفع خبر ثان أو حال (لقوم) الجار والمجرور
 متعلقان بنبيها (يعلمون) الجملة صفة لقوم (وإذا طلقتم النساء)
 الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتتمة بيان أحكام الطلاق .
 وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة طلقتم
 النساء في محل جر بالاضافة والنساء مفعول طلقتم (فبلغن أجلهن)
 الفاء عاطفة وبلغن فعل ماض مبني على السكون ونون النسوة فاعل
 وأجلهن مفعول به (فأمسكوهن بمعروف) الفاء رابطة لجواب الشرط
 وأمسكوهن فعل أمر وفاعل ومفعول به والجار والمجرور متعلقان
 بأمسكوهن (أو سرحوهن بمعروف) الجملة معطوفة على سابقتها
 (ولا تمسكوهن ضرارا) الواو عاطفة ولا ناهية وتمسكوهن فعل
 مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف النون والواو فاعل والهاء
 مفعول به والنون علامة التانيث ، وضرارا مفعول لأجله أو مفعول
 مطلق أو مصدر في موضع الحال ، والأوجه الثلاثة متساوية الرجحان
 (لتعتدوا) اللام للتعليل وتعتدوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة
 بعد اللام والجار والمجرور متعلقان بـ « ضرارا » فيكون بمثابة علة
 للعملة كما تقول : « ضربت ابني تأديبا لينتفع » ولا يسوغ جعله علة
 ثانية لثلاث يتعبد المفعول لأجله ، ومعنى الاعتداء الظلم بسجاوزة الحدود

المبينة (ومن يفعل ذلك) الواو استئنافية ومن شرطية مبتدأ ويفعل فعل الشرط والفاعل هو وذلك مفعول به (فقد ظلم نفسه) الفاء رابطة لجواب الشرط ، وقد حرف تحقيق وظلم فعل ماض وفاعله هو وتفسه مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط . وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (ولا تتخذوا آيات الله هزواً) الواو حرف عطف أو استئناف ولا ناهية وتتخذوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وآيات الله مفعول به أول وهزواً مفعول به ثان لتتخذوا أي مهزوءاً بها (واذكروا نعمة الله عليكم) الواو حرف عطف واذكروا فعل أمر وفاعل ونعمة الله مفعول به وعليكم متعلقان بنعمة (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف على نعمة وجملة أنزل صلة « ما » وعليكم متعلقان بأنزل ، ومن الكتاب الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، والحكمة عطف على الكتاب (يعظكم به) فعل مضارع مرفوع والفاعل مستتر تقديره هو والكاف مفعول به والجملة حال ، والجار والمجرور متعلقان بيعظكم (واتقوا الله) الواو حرف عطف ، اتقوا عطف على اذكروا (واعلموا أن الله بكل شيء عليم) عطف على ما تقدم وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا .

﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلِّغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ
أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَظْهَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ ﴾

اللفة :

(تعضلوهن) العضل هو الحبس والتضييق ، ومنه عضلت الدجاجة إذا نشب بيضها فلم يخرج . وقد رمق ابن هرمة سماء القرآن فأخذ اللفظة أخذاً رشيقاً بقوله :

وإن قصائدك لك فاصطنعني عقائل قد عضلن عن النكاح

شبه القصائد بالنساء ورشح ذلك بالعضل وهو المنع من النكاح. واللعين مع الضاد إذا وقعنا فاء وعينا للكلمة سر غريب ، فهما تفيدان عندئذ معنى الحبس والشدة ، ومنه سيف غضب : أي شديد قاطع ، والعضد معروف وهو أشد عضو في الإنسان . وهذا من أغرب ما تميزت به لغتنا العربية .

الاعراب :

(وإذا طلقتم النساء) الواو استئنافية وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة طلقتم النساء : في محل جر بإضافة الظرف إليها . والنساء مفعول به (فبلغن أجلهن) الفاء عاطفة وبلغن فعل ماض مبني على السكون والتون فاعل وأجلهن أي عدتهن مفعول به والجملة عطف على جملة طلقتم (فلا تعضلوهن) الفاء رابطة ولا تاهية وتعضلوهن فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل والهاء مفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب إذا (أن ينكحن أزواجهن) أن وما بعدها مصدر منصوب بنزع الخافض أي من النكاح . وارتأى أبو حيان أن يكون المصدر في موضع نصب على البذل من الضمير ، بدل اشتغال ، ولا بأس بما ارتآه . وأزواجهن مفعول به (إذا تراضوا بينهم بالمعروف) إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق

بتعضلوهن أو ينكحن . وجملة تراضوا في محل جر بالإضافة ،
 وبينهم ظرف متعلق بتراضوا وبالمعروف متعلقان بمحذوف حال من
 فاعل تراضوا أو صفة لمصدر محذوف ، أي تراضيا كائناً بالمعروف ،
 ولا مانع من تعليلهما بتراضوا أي تراضوا بما يحسن في الدين
 والمروءة (ذلك) اسم الإشارة مبتدأ والإشارة لجميع ما فصله من
 الأحكام (يوعظ به) فعل مضارع مبني للمجهول والجار والمجرور
 متعلقان بيوعظ وجملة يوعظ به خبر لاسم الإشارة وجملة الإشارة
 مستأنفة (من كان) من اسم موصول في محل رفع نائب فاعل يوعظ
 وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو والجملة صلة
 (منكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يؤمن بالله واليوم
 الآخر) الجملة الفعلية في محل نصب خبر كان (ذلكم أزكى لكم
 وأطهر) ذلكم : مبتدأ وأزكى خبره ولكم جار ومجرور متعلقان بأزكى
 أو أطهر والجملة استئنافية (والله يعلم) الواو استئنافية والله مبتدأ
 وجملة يعلم خبر (وأتم لا تعلمون) الواو حرف عطف وأتم مبتدأ
 ولا نافية وجملة لا تعلمون خبر أتم .

البلاغة :

في الآية مجاز مرسل طريف وهو قوله تعالى : (أن ينكحن
 أزواجهن) فتسمية المطلقين لهن بالأزواج مجاز مرسل علاقته
 اعتبار ما كان .

وَالْوَلَدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ
 يُنَمِّ الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ

نَفْسٌ إِلَّا وَسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَلِدَةً بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ
 مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ
 عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَزِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ
 مَا أَتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٣٣﴾

اللفظة :

(الحول) السنة لأنها تحول أي تمضي والجمع حُول بضم
 الحاء وأحوال ، وهذه امرأة لا تضع إلا تحاويل ولا تلد إلا تحاويل ،
 أي تلد سنة وسنة لا تلد ، وحوليات زهير أي قصائده المطولة التي
 يستغرق في قلمها حولا كاملا .

(تضار) مضارع ضارّ بتشديد الراء ولذلك فتح آخره
 كما سيأتي .

(الفصال) بكسر الفاء : القطام قبل الحولين ، وفصلت الأم
 رضيعها فطمته ، وهذا زمن فصاله كما يقال زمن فطامه .

الاعراب :

(والوالدات) الواو عاطفة أو استئنافية والجملة معطوفة أو

مستأنفة مسوقة لإتمام هذه الأحكام والوالدات مبتدأ (يرضعن)
 فعل مضارع مبني على السكون والتون فاعل (أولادهن) مفعول به
 والجملة خبر للوالدات (حولين) ظرف زمان متعلق يرضعن (كاملين)
 صفة لأنه مما يتسامح به ، تقول : أقمت عند فلان حولين ولم
 تستكملهما (لمن) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ
 محذوف تقديره ذلك الحكم لمن والجملة مستأنفة (أراد أن يتم
 الرضاعة) جملة أراد لا محل لها لأنها صلة من ، وأن وما في حيزها
 في تأويل مصدر مفعول به فتكون « مَنْ » واقعة على الأم ، كأنه
 قيل : لمن أراد أن يتم الرضاعة من الوالدات • ويجوز أن يعلق الجار
 والمجرور يرضعن ، فتكون واقعة على الأب ، كأنه قيل : لأجل من
 أراد أن يتم الرضاعة من الآباء (وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
 بالمعروف) الواو عاطفة وعلى المولود متعلقان بمحذوف خبر مقدم وله
 جار ومجرور في محل رفع على أنه نائب فاعل للمولود لأنه اسم مفعول •
 ورزقهن مبتدأ مؤخر وكسوتهن عطف عليه • وبالمعروف متعلقان
 بمحذوف حال (لا تكلف نفس إلا وسعها) الجملة تفسيرية لا محل
 لها ولا نافية وتكلف فعل مضارع مبني للمجهول ونفس نائب فاعل
 وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان • وكلف بتشديد اللام فعل
 يتعدى لاثنتين ، قال عروة :

يكلفني عني ثلاثين ناقة ومالي يا غفراء غير ثمان

فالبناء مفعول أول وثلاثين مفعول ثان (لا تضار والدة بولدها)
 لا ناهية وتضار فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه السكون ،
 وابت الفتحة لخفتها في المضعف ، والفعل مبني للمجهول ، وقرىء
 في السبع برفع تضار ، على أن « لا » نافية • والدة نائب فاعل

والجار والمجرور متعلقان بتضار والجملة حالية (ولا مولود له يولده) عطف على ما تقدم والباء فيهما للسببية ، أي وأضيف الولد إليها تارة وإليه تارة أخرى ، بثابة استعطاف لكل من الوالدين ومناشدتهما بأن يتعهداه ويعملا على استصلاحه ، فلا يكون سبباً لإلحاق الضرر بهما ، ولذلك جعلها بعض الحذاق من معربي القرآن زائدة ولا داعي لدعوى الزيادة . (وعلى الوارث مثل ذلك) الواو عاطفة والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومثل ذلك مبتدأ مؤخر (فإن أراداً فصلاً) التاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لاستقصاء الحكم في هذه المسألة الاجتماعية . وإن شرطية وأراداً فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والألف فاعل وفصلاً مفعول به (عن تراض منهما وتشاور) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لفصلاً ومنهما صفة لتراض وتشاور عطف على تراض (فلا جناح عليهما) التاء رابطة لجواب الشرط ولا نافية للجنس وجناح اسمها وعليهما خبرها والجملة جواب الشرط (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم) الواو عاطفة وإن شرطية وأردتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والتاء فاعل وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مفعول به لأردتم وأولادكم مفعول به ثان لتسترضعوا والمفعول الأول محذوف والمعنى أن تسترضعوا المراضع أولادكم ، نصّ على هذا الاعراب سيويه وعلق الشهاب على البيضاوي بأن أرضع يتعدى إلى مفعول واحد ، فإن زيدت فيه السين والتاء صار متعدياً لاثنتين ، وجرى الزمخشري أيضاً على ذلك . وقيل إنما يتعدى للثاني بحرف جر ، فيكون أولادكم منصوباً بنزع الخافض ، ويكون الجار والمجرور موضع المفعول الثاني ، قال الزجاج والتقدير : أن تسترضعوا لأولادكم غير الوائدة . (فلا جناح عليكم) تقدم إعرابها (إذا سلمتم ما آتيتكم بالمعروف) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن

خافض لشرطه منصوب بجوابه المحذوف وجملة سلمتم في محل جر بالإضافة ، وما اسم موصول في محل نصب مفعول به ، وجملة آتيتم لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بسحذوف حال (واتقوا الله) الواو استئنافية . وجملة « اتقوا الله » من الفعل والفاعل والمفعول به مستأنفة مسوقة للمبالغة في المحافظة على ما شرع في أمر الأطفال والمراضع وعدم التفريط بحقوقهم (واعلموا) عطف على واتقوا (أن الله بما تعملون بصير) أن وما بعدها سدت مسد مفعولي اعلموا وجملة تعملون صلة ما ، وبصير خبر أن .

الفوائد :

الفعل المضعف إذا جزم أو بني على النسكون جاز فيه ثلاث لغات:

- ١ - الفتح مطلقاً ، وعندنا أنه الأولى لخفته على اللسان .
- ٢ - الكسر مطلقاً ، كأنهم شبهوه بالتقاء الساكنين .
- ٣ - الاتباع لحركة الفاء وروي قول جرير باللغات الثلاث :

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلاباً

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي

أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٢٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ
 أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا
 وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجْلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ
 عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ
 عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرَهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ
 فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ
 النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا
 تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

اللفظة :

(يتوفون) بالبناء للمجهول أي تقبض أرواحهم بالموت ، وهو
 مأخوذ من توفيت الدين إذا قبضته . والمتوفى هو الله ، والمتوفى

بالفتح هو العبد • ويحكى أن أبا الأسود الدؤليّ كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل : من المتوفي ؟ بكسر الهمزة • فقال : الله تعالى • وكان أحد الأسباب الباعثة لعلي بن أبي طالب على وضع النحو •
(المقتر) الضيّق الرزق •

الاعراب :

(والذين يتوفون منكم) اضطرب كلام المفسرين والمعربين وأئمة اللغة في إعراب هذا التركيب اليلغ ، وأدلى كل واحد منهم بحجة ، وحشد كل ما لديه ، لإثبات ما ارتآه • ولهذا تعذر على المعرب المفاضلة والترجيح ، وسنلخص ما رأيناه أقرب الى الصواب منها :

رأي سيبويه : وهو إعراب « الذين » مبتدأ خبره محذوف ، أي فيما يتلى عليكم حكمهم • وسيرد مثله في القرآن الكريم ، ومنه « والسارق والسارقة » • وجملة « يتربصن » تفسيرية للحكم المتلو لا محل لها •

رأي الزمخشري : وهو « الذين » مبتدأ على تقدير حذف المضاف ، أراد : وأزواج الذين يتوفون منكم ، وخبره جملة يتربصن •

رأي المبرّد : وهو جعل جملة « يتربصن » خبراً لمبتدأ محذوف والتقدير : أزواجهم يتربصن ، والجملة الاسمية خبر « الذين » ، والرابط هو الضمير ، أي التون في « يتربصن » ، والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم آخر •

منكم : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (ويذرون)

عطف على يتوفون (أزواجاً) مفعول به (يتربصن بأنفسهن) فعل مضارع مبني على السكون وقد مر إعراب الجملة فيما تقدم (أربعة أشهر) ظرف زمان متعلق بـ يتربصن (وعشراً) عطف على أربعة . وذكر العدد لأنه أراد عشر ليال ، والأيام داخلة معها ، ولا تراهم أبداً يستعملون التذكير تقول : صمت عشراً وسرت عشراً ، قال :

أشوقاً ولما يمض لي غير ليلة فكيف إذا جدّ المطي بثا عشرا

(فإذا بلغن أجلهن) الفاء استئنافية ، وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب ، وبلغن فعل وفاعل ، وأجلهن مفعول به ، والجملة الفعلية في محل جر بالإضافة (فلا جناح عليكم) الفاء رابطة للجواب ، ولا نافية للجنس وجتاح اسمها ، وعليكم متعلقان بمحذوف خبرها والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فعلن صلة الموصول ، وفي أنفسهن جار ومجرور متعلقان بفعلن وبالمعروف الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال أي متلبسات بالمعروف (والله بما تعملون خير) الواو استئنافية والله مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بخير وجملة تعملون صلة الموصول وخير خبر لفظ الجلالة (ولا جناح عليكم فيما عرضتم به) تقدم إعرابها والواو عاطفة (من خطبة النساء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (أو أكنتم في أنفسكم) أو حرف عطف وجملة أكنتم عطف على عرضتم وفي أنفسكم متعلقان بأكنتم (علم الله أنكم ستذكرونهن) الجملة بمثابة التعليل لا محل لها وأن وما بعدها سدت مسد مفعولي علم ، وجملة ستذكرونهن خبر أن (ولكن لا تواعدوهن سراً) الواو عاطفة على محذوف وقع عليه

الاستدراك ، أي فاذكروهن • و « لكن » مخففة مبهمة ولا ناهية وتواعدوهن فعل مضارع مجزوم بلا الناهية والهاء مفعول أول وسراً مفعوله الثاني ، لأن السر معناه هنا النكاح • ويجوز أن يعرب حالاً مؤولة أي مستخفين عن الناس ، أو منصوباً بنزع الخافض أي في السر ، ويجوز أيضاً أن يعرب مفعولاً مطلقاً أي مواعدة سراً • والوجه هو الأول ، وإنما ألمعنا إلى هذه الوجوه لأن بعضهم قال : إن فعل المواعدة لا يتعدى إلى مفعولين ، والعرب كثيراً ما يستعملون السر بمعنى النكاح قال الأعشى :

ولا تقرين من جارة إن سرها عليك حرام فانكحن أو تأبدا

وتأبدا فعل أمر وألفه منقلبة عن نون التوكيد أي : ائقرو من الأنيس أيها المخاطب (إلا أن تقولوا قولاً معروفاً) إلا أداة استثناء وأن مصدرية وتقولوا فعل مضارع منصوب بأن وأن وما بعدها مصدر في محل نصب على الاستثناء من « سراً » وقولاً مفعول مطلق ومعروفاً صفة (ولا تعزموا عقدة النكاح) الواو حرف عطف ولا ناهية وتعزموا فعل مضارع مجزوم بلا وعقدة النكاح منصوب بنزع الخافض أي : على عقدة النكاح (حتى يبلغ الكتاب أجله) حرف غاية وجر ويبلغ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى والكتاب فاعل وأجله مفعول به والجار والمجرور متعلقان بتعزموا (واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم) الواو عاطفة واعلموا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأن واسمها وجملته يعلم خبر أن ، وأن وما دخلت عليه سدت مسد مفعولي اعلموا ، وما اسم موصول مفعول به ، وفي أنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صلة ما أي استقر في أنفسكم (فاحذروه) الفاء الفصيحة أي إذا علمتم ذلك فاحذروه (واعلموا

أن الله غفور حلِيم) الواو عاطفة واعلموا فعل أمر مبني على حذف
 النون والواو فاعل وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلموا
 (لا جناح عليكم) الجملة استثنائية (إن طلقتم النساء) إن شرطية
 وطلقتم فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وجواب الشرط محذوف
 أي فلا تعطوهن المهر والجملة استثنائية (ما لم تمسوهن) ما مصدرية
 ظرفية زمانية أو شرطية ولم حرف هي وقلب وجزم وتمسوهن فعل
 مضارع مجزوم بلم (أو تفرضوا لهن فريضة) الظاهر أنها عاطفة
 وتفرضوا عطف على تمسوهن ، ولكن يشكل على ذلك أمران ، أولهما
 أن المعنى يصير : لا جناح عليكم فيما يتعلق بشهور النساء إن طلقتموهن
 في مدة انتفاء أحد هذين الأمرين ، مع أنه إذا انتفى الفرض دون
 المسيس لزم مهر المثل ، وإذا انتفى المسيس دون الفرض لزم نصف
 المسمى ، فكيف يصح هي الجناح عند انتفاء أحد الأمرين ؟ وثانيهما
 أن المطلقات المفروض لهن قد ذكرن ثانياً بقوله تعالى : « وإن طلقتموهن »
 الآية ، وترك ذكر المسوسات لما تقدم من المصنوع ، ولو كان تفرضوا
 مجزوماً لكأنت المسوسات والمفروض لهن مستويات في الذكر ، وقد
 تولى ابن الحاجب الجواب على الإشكال الأول بمنع كون المعنى مدة
 انتفاء أحدهما ، بل مدة لم يكن واحد منهما وذلك بنفيهما جميعاً ،
 لأنه نكرة في سياق النفي الصريح بخلاف الأول فإنه لا ينفي إلا
 أحدهما . وأجاب بعضهم عن الثاني بأن ذكر المفروض لهن إنما كان
 لتعيين النصف لهن لا لبيان أن لهن شيئاً في الجملة . وعلى كل حال
 فالأولى جعل أو بمعنى إلى وتفرضوا منصوب بأن التي بمعنى إلا أو
 إلى فتأمل هذا الفصل ، وحاصل ما تقدم أن الجزم عطفاً على تمسوهن
 يؤدي لاختلاف الآيتين نسقاً ، وعدم التخالف أولى ، والجملة معطوفة
 على جواب أن المحذوف . والمعنى إن طلقتم النساء زمان عدم المس

وفرض الفريضة فلا تعطوهن المهر (ومتعهن) عطف على فلا تعطوهن المهر أي أعطوهن ما يتمتعن به (على الموسع قدره) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وقدره مبتدأ مؤخر والجملة حالية (وعلى المقتر قدره) عطف على ما تقدم (متاعاً بالمعروف) متاعاً : مفعول مطلق ومتاعاً اسم مصدر بمعنى المصدر أي تمتيعاً وبالمعروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة (حقاً على المحسنين) مفعول مطلق لفعل محذوف ، وعلى المحسنين الجار والمجرور متعلقان بالمصدر (وإن طلقتموهن) عطف على ما تقدم وقد مر إعرابه (من قبل أن تمسوهن) الجار والمجرور متعلقان بطلقتموهن وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بالإضافة أي من قبل المسيس (وقد فرضتم لهن فريضة) الواو حالية وقد حرف تحقيق وفرضتم فعل وفاعل ولهن الجار والمجرور متعلقان بفرضتم وفريضة إما مفعول به وهي بمعنى المفعول أي شيئاً مفروضاً وإما مفعول مطلق بمعنى فرضاً (فنصف) الفاء رابطة لجواب الشرط ونصف مبتدأ والخبر محذوف أي فعليكم نصف ، أو خبر لمبتدأ محذوف أي فالواجب نصف (ما فرضتم) ما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة فرضتم صلة الموصول والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط (إلا أن يعفون) إلا أداة استثناء وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب على الاستثناء المنقطع ، لأن عفوهن عن النصف وسقوطه ليس من جنس استحقاقهن ، وفي هذا الحكم مباحث فقهية طريفة تؤخذ من مظاهرها . ويعفون فعل مضارع مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة ولا أثر للعامل في لفظه وهو في محل نصب فالنون ضمير وليست علامة إعراب كما في قولك : الرجال يعفوز (أو يعفو) عطف على يعفون وعلامة نصبه الفتحة (الذي) فاعل يعفو (بيده عقدة

(النكاح) بيده الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعقدة النكاح مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صلة الموصول (وأن تعفوا أقرب للتقوى) الواو استئنافية وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مؤول في محل رفع مبتدأ وأقرب خير وللتقوى متعلقان بأقرب (ولا تنسوا) الواو عاطفة ولا ناهية وتنسوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل (الفضل) مفعول به (بينكم) الظرف متعلق بمحذوف حال (إن الله بما تعملون بصير) إن واسمها ، والجار والمجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون صلة ما ، وبصير خبر إن ، والجملة تعليل لما تقدم .

البلاغة :

١ - في هذه الآية فن طريف وهو فن التعريض ، وبعضهم يدخله في باب الكناية ، ونرى أنه فن قائم بنفسه ، وهو هنا في قوله تعالى : « فيما عرضتم به من خطبة النساء » كأنه يقول لمن يريد خطبتها : إنك جملة ، أو من يجد مثلك ؟ أو نحو ذلك . ومن بديع التعريض في الشعر قول أبي الطيب المتنبى معرضاً بكافور :

ومن ركب الثور بعد الجواد در أنكر أظلافه والغيب

يريد أن من ركب الثور وكان من عادته أن يركب الجواد ينكر أظلاف الثور وغيبه أي اللحم المتدلي تحت حنك الثور ، وأما من كان مثل كافور سبق له ركوب الثور فلا ينكر ذلك منه إن ركب بعد الجواد . وله أيضاً فيه يستزيده من الجوائز :

أبا المسك هل في الكأس فضل أقاله

فإني أغني منذ حين وتشرب

يقول مديحي إياك يطربك كما يطرب الغناء الشارب فقد حان
أن تسقيني من فضل كأسك •

﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ
قَانِتِينَ ﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أُمِنْتُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ
مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ تَرَاجَعْنَا فَلَا جُنَاحَ
عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَا فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٤٠﴾

اللفظة :

(الوسطى) : الفضلى من قولهم للأفضل : الأوسط ، وليست
من الوسط الذي معناه التوسط بين شيئين ، لأن فعلى معناها التفضيل ،
ولا يبنى للتفضيل إلا ما يقبل التفاوت أي الزيادة والنقص ، والوسط
بمعنى الخيار يقبلهما بخلاف التوسط بين الشيئين فإنه لا يقبلهما ،
ولذلك لا يجوز أن يبنى منه أفعل التفضيل •

(قانتين) : طائعتين أو ساكتين •

(رجالا) : جمع راجل أي مشاة •

الاعراب :

(حافظوا على الصلوات) كلام مستأنف مسوق لبيان أحكام صلاة الخوف . وحافظوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وعلى الصلاة جار ومجرور متعلقان بحافظوا (والصلاة) عطف على الصلوات (الوسطى) صفة (وقوموا لله قانتين) الواو حرف عطف وقوموا عطف على حافظوا والله جار ومجرور متعلقان بقانتين وقانتين حال من فاعل قوموا (فإن خفتم) الفاء استئنافية وإن شرطية وخفتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط (فرجالاً) الفاء رابطة لجواب الشرط ورجالاً حال والعامل محذوف تقديره فصلوا أو فحافظوا عليها رجالاً والجملة في محل جزم جواب الشرط (أو ركباً) عطف على «رجالاً» (فإذا أمتتم) الفاء استئنافية وإذا ظرف مستقبل متعلق بالجواب وجملة أمتتم في محل جر بالإضافة (فاذكروا الله) الفاء رابطة لجواب إذا واذكروا الله فعل وفاعل ومفعول به والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (كما علمكم) الكاف ومدخولها في محل نصب على المفعولية المطلقة أو على الحال وما مصدرية وجملة علمكم لا محل لها لأنها جواب موصول حربي (ما لم تكونوا تعلمون) ما اسم موصول مفعول ثان لعلمكم وجملة لم تكونوا صلة وجملة تعلمون خبر تكونوا، والمراد ما لم تكونوا تعلمونه من صلاة الخوف وهي مبسطة في كتب الفقه (والذين يتوفون منكم) الواو استئنافية والذين مبتدأ وجملة يتوفون صلة والواو نائب فاعل ومنكم متعلقان بمحذوف حال (ويذرون أزواجاً) عطف على يتوفون وأزواجاً مفعول به (وصية لأزواجهم) وصية مفعول مطلق لفعل محذوف أي يوصون وصية

وهذه الجملة الفعلية خبر الذين والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لوصية (متاعاً الى الحول) يجوز أن تنصب متاعاً على المفعولية المطلقة لفعل محذوف ، أي يتمتعون متاعاً أو على أنها بدل من وصية أو على الحال . وقيل منصوب بوصية ، وقيل بفعل محذوف ، أي يتمتعون متاعاً . وإلى الحول جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع أي مستداً الى الحول (غير إخراج) غير حال ، أي حالة كونهم غير مخرجات من مسكنهم . وقال الأخفش هي صفة لقوله متاعاً ، كأنه قال : لا إخراجاً . واختاره ابن جرير الطبري ، ولا مانع منه . وقيل : منصوب بنزع الخافض . وإنا أوردنا هذه الأوجه لأنها متساوية الرجحان (فإن خرجن) الفاء استئنافية وإن شرطية وخرجن فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط (فلا جناح عليكم) الفاء رابطة لجواب الشرط والجملة في محل جزم جواب الشرط (فيما فعلن في أنفسهن من معروف) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة فعلن صلة الموصول وفي أنفسهن متعلقان بقوله فعلن ، ومن معروف جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (والله عزيز حكيم) الجملة استئنافية والله مبتدأ وعزيز حكيم خبراه .

﴿ وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ ^{نظ} حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (٢٤١)

كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾

الاعراب :

(وللمطلقات متاع بالمعروف) الواو استئنافية والجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومتاع مبتدأ مؤخر وبالمعروف جار
ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمتاع (حقاً على المتقين) حقاً مفعول
مطلق لفعل محذوف وعلى المتقين جار ومجرور متعلقان بـ «حقاً»
(كذلك يبين الله لكم آياته) كذلك في محل نصب مفعول مطلق أو
حال ، والله فاعل يبين ، ولكم متعلقان يبين ، وآياته مفعول به
(لعلكم تعقلون) لعل واسمها وجملة تعقلون خبرها وجملة
الرجاء حالية .

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ
لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ
النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٥﴾ وَقَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ
عَلِيمٌ ﴿٢٤٦﴾

الاعراب :

(ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم) الهمزة للاستفهام
التقريري ، ولم حرف نهي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم
والفاعل مستتر تقديره أنت والجار والمجرور متعلقان بـ «تر» وجملة
خرجوا صلة الموصول ، والرؤية هنا قلبية ولكنها تضمنت معنى
الانتباه فعديت يالى ، والمعنى ألم ينته الى علمك ، والجملة مستأنفة
مسوقة لتقرير حال أولئك القوم . ومن ديارهم متعلقان بخرجوا
(وهم ألو ف) الواو حالية وهم مبتدأ ألو ف خبر والجملة في محل

نصب على الحال (حذر الموت) مفعول لأجله وهم قوم من بني إسرائيل هربوا من الطاعون الذي اجتاح أرضهم (فقال لهم الله موتوا) النفاء عاطفة وقال فعل ماض ولهم متعلقان يقال والله فاعل وجملة موتوا في محل نصب مقول القول (ثم أحياهم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وأحياهم معطوف على محذوف أي فماتوا ثم أحياهم وعطف بهم لإفادة معنى تراخي المدّة بين الإماتة والإحياء (إن الله لذو فضل على الناس) الجملة مستأنفة مسوقة للمفارقة بين فضل الله تعالى على الناس وجحودهم لهذا الفضل بعدم الشكر وإن واسمها واللام المرحلقة وذو فضل خبر إن وعلى الناس متعلقان بمحذوف صفة للفضل (ولكن أكثر الناس لا يشكرون) الواو حالية ولكن حرف استدراك ونصب وأكثر الناس اسمها وجملة لا يشكرون خبرها (وقاتلوا في سبيل الله) الواو عاطفة على مقدر يفهم من سياق الكلام أي لا تفروا أيها المؤمنون كما فر بنو إسرائيل وقاتلوا أعداءكم وفي سبيل الله متعلقان بقاتلوا (واعلموا أن الله سميع عليم) عطف أيضاً وأن وما في حيزها سدت مسد مفعولي اعلموا وسميع عليم خبران لأن .

البلاغة :

١ - المراد بالاستفهام التقرير مشوباً بالعجب والتشويق الى معرفة فحوى القصة واكتناه مفزاها .

٢ - المجاز المرسل في قوله : « حذر الموت » والمراد مرض الطاعون الذي اجتاحهم ، والعلاقة هي اعتبار ما يتول إليه هذا المرض .

٣ - الطباق بين الإمامة والإحياء •

٤ - الإيجاز بالحذف في قوله : « موتوا » وقوله « ثم أحياهم »
فقد حذف فماتوا للاستغناء عن ذكره للتنبيه على أن كل شيء لا يتخلف
عن إرادته تعالى •

﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَعًا
كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣٩٥)

اللمة :

(القرض) : اسم مصدر ، لأن المصدر إقراض ، والقرض هنا
بمعنى الشيء المقرض ، ويظهر أثر ذلك في الإعراب ، كما سيأتي •

(الأضعاف) : جمع ضعف ، ويجوز أن يكون الضعف اسم
مصدر ، ويظهر أثر ذلك في الإعراب أيضاً •

الاعراب :

(من ذا الذي) من استفهامية مبتدأ وذا اسم إشارة خبر والذي
بدل من اسم الإشارة أو نعت له والجملة استئنافية (يقرض الله)
الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (قرضاً حسناً) مفعول مطلق ،
ومحور أن يكون بمعنى الشيء المقرض فيكون مفعولاً به ثانياً ،
وحسناً صفة (فيضاعفه له أضعافاً كثيرة) الفاء للسببية ويضاعفه فعل

مضارع منصوب بأن مضمرة بعد فاء السببية الواقعة جواباً للاستفهام،
والجار والمجرور متعلقان بـيضاغفه، وأضعافاً حال مبينة من الهاء،
وأجاز أبو اليقاء إعرابها مفعولاً به ثانياً، وإذا اعتبرناه اسماً مصدر
فيجوز أن يكون مفعولاً مطلقاً. ومن أمثلة أسماء المصدر: العطاء
بمعنى الإعطاء، قال القطامي:

أكهرأ بعد ردّ الموت عني وبعد عطائك المائة الرتانا

وكثيرة: صفة لأضعاف، ووجود هذه الصفة يرجح إعرابه حالاً
(والله يقبض ويبسط) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يقبض خبر،
ويبسط عطف على يقبض (وإليه ترجعون) الواو عاطفة وإليه جار
ومجرور متعلقان بترجعون، والجملة عطف على سابقتها.

البلاغة:

١ - الاستعارة التصريحية في يقرض، فقد حذف المشبه وهو
العدل الصالح وأبقى المشبه به وهو ما يقترض من مال وغيره، ورشح
للاستعارة بمضاغفتها، كما يحصل في القروض والفوائد المترتبة عليها.

٢ - الطباق بين يقبض ويبسط.

الفوائد:

رجح ابن جرير قراءة الرفع في « فيضاغفه » باثبات الألف ورفع

يضاعفه . وعامل ترجيحه بأن الجزاء إذا دخل في جوابه الفاء لم يكن جوابه بالفاء إلا رفعاً .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَجْرِ
لَهُمْ آبَعَثْ لَنَا مَلِكًا نَقْتُلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَهُ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ
عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ
أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٢٤٦)

(الملائكة) : من القوم : وجوههم وأشرافهم ، وهو اسم للجماعة ،
لا واحد له من لفظه . سموا بذلك لأنهم يملئون القلوب والعيون
حسناً وبهاءً ، والجمع أملاء ، مثل سبب وأسباب ، قال :

وقال لها الأملاء من كل معشر وخير أقاويل الرجال سديدها

ويقال : هو مليء وملي : أي غني مقتدر .

الاعراب :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ) الهمزة للاستفهام التقريري ،
والكلام مستأنف مسوق لتقرير قصة حافلة بالعبر كما سيأتي ، ولم

حرف تقي وقلب وجزم ، و « تر » فعل مضارع مجزوم بلم والرؤية هنا قلبية مضمنة معنى العلم والالتقاء لتصبح التعدية يالى ، وقد تقدم ظيورها . والفاعل مستتر تقديره أنت والى الملا متعلقان بـ « تر » . ومن بني إسرائيل متعلقان بمحذوف حال والجملة الفعلية استئنافية (من بعد موسى) متعلقان بمحذوف حال أي من بعد موته أيضاً (إذ قالوا) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بالقصة المقدرة ، أي الى قصة ملا بني إسرائيل . ولما كانت الذوات لا يتعجب منها صار المعنى : ألم تر الى ما جرى للملا من بني إسرائيل من بعد موت موسى ، وجملة قالوا في محل جر بالإضافة (لنبي) الجار والمجرور متعلقان بقالوا (لهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة . وهو يوشع صاحب قصة وقوف الشمس التي كانت مصدراً رائعاً لافتنان الشعراء وسنورها قريباً (ابعث لنا ملكاً) الجملة مؤلفة من فعل الأمر والفاعل في محل نصب مقول القول ، ولنا متعلقان بابعث ، وملكاً مفعول به أي قائداً (نقاتل في سبيل الله) فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ، وفي سبيل الله متعلقان بنقاتل وجملة نقاتل عطف على أبعث (قال) فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو ، والجملة مستأنفة (هل عسيتم) هل حرف استفهام للتقرير وعسيتم فعل ماض من أفعال الرجاء والتاء اسمها (إن كتب عليكم القتال) إن شرطية وكتب فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط وعليكم متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل . وجواب الشرط محذوف تقديره: فلا تبادرون الى القتال ، وفعل الشرط وجوابه جملة اعتراضية بين اسم عسى وخبرها وهو قوله (أن لا تقاتلوا) وأن حرف مصدري ونصب ولا نافية وتقاتلوا فعل مضارع منصوب بأن وجملة هل عسيتم مقول

القول (قالوا) الجملة مستأنفة وقالوا فعل وفاعل (وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله) الواو عاطفة لمجرد ربط الكلام بما قبله ، وما اسم استفهام مبتدأ ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خير وأن لا نقاتل في سبيل الله : المصدر المنسبك من أن وما في حيزها في موضع نصب بنزع الخافض والتقدير : وما لنا في ترك القتال ؟ (وقد أخرجنا من ديارنا) الواو حالية وقد حرف تحقيق وأخرجنا فعل ماض مبني للمجهول والضمير نائب فاعل ومن ديارنا متعلقان بأخرجنا (وأبنائنا) عطف على « ديارنا » ، ولا بد من تضمين فعل الإخراج معنى البعد ليصح العطف . والجملة في موضع نصب على الحال (فلما كتب عليهم القتال) الفاء استئنافية و « لما » حينية أو رابطة ، وكتب فعل ماض مبني للمجهول وعليهم جار ومجرور متعلقان بكتب ، والقتال نائب فاعل (تولوا إلا قليلا منهم) جملة تولوا لا محل لها لأنها جواب « لما » وهي شرطية غير جازمة ، وتولوا فعل وفاعل وإلا أداة استثناء وقليلا مستثنى متصل لأنهم من جنس القوم ومنهم متعلقان بمحذوف صفة ك « قليلا » . (والله عليهم بالظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وعليهم خبر وبالظالمين الجار والمجرور متعلقان بعليهم .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ

وَالْحَسْمُ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١٧﴾ وَقَالَ
لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ
وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لَّكُم إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢١٨﴾

اللفظة :

(طالوت) ومثله جالوت ، اسمان أعجيبان ولذلك امتنعا من
الصرف للعلمية والعجبة فلا عبرة بمن يقول : إنهما اسمان عرييان .

(التابوت) : من التَّوْب وهو الرجوع والإِثَابَة لأله لا يزال
يرجع إليه ما يخرج منه ، وتاؤه مزيدة لغير التأنيث كملكوت وجبروت،
وقد نسجت حوله أساطير يلعب فيها الخيال دوره .

الاعراب :

(وقال لهم نبيهم) الواو عاطفة وقال فعل ماض ولهم متعلقان
بـ « قال » ونبيهم فاعل (إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً) إن
واسمها وجملة قد بعث خبرها وطلوت مفعول به وملكاً حال من
طلوت وإن وما بعدها جملة اسمية في محل نصب مقول القول ،
(قالوا : أنى يكون له الملك علينا) الجملة مستأنفة وأنى اسم
استفهام بمعنى كيف في محل نصب على الحال ، ويكون : فعل

مضارع ناقص ، وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خير « يكون »
المقدم . والملك اسم يكون المؤخر وعلينا جار ومجرور متعلقان بالملك ،
لأن مادة « ملك » تتعدى بـ « على » . تقول ملك على القوم أمرهم
وجملة الاستفهام وما في حيزه في محل نصب مقول قالوا . أي كيف
يكون وهو ليس من سبط المملكة ! فقد كان أبوه عاملاً بسيطاً .

وهكذا تتأصل في اليهود العنصرية والطبقية منذ أبعد الآمال
(ونحن أحق بالملك منه) الواو حالية ونحن مبتدأ واحق خبره
وبالملك جار ومجرور متعلقان بأحق ، ومنه متعلقان بأحق أيضاً ،
والجملة التالية للواو في محل نصب على الحال (ولم يأت سعة من
المال) الواو عاطفة فقد أضافوا الى العنصرية والطبقية حب المال
والتعويل عليه في الأرجحية ، ولم حرف نهي وقلب وجزم ويؤت فعل
مضارع مبني للمجهول مجزوم بلم ، ونائب الفاعل مستتر تقديره هو ،
وسعة مفعول به ثان . وأصل سعة وسعة ، فحذفت الواو حملاً على
المضارع . ومن المال جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لسعة
(قال : إن الله اصطفاه عليكم) قال : فعل ماض وفاعله مستتر تقديره
هو يعود على النبي ، وإن واسمها ، واصطفاه فعل وفاعل مستتر
ومفعول به والجملة خبر إن وجملة إن وما في حيزها في محل نصب مقول
القول وعليكم جار ومجرور متعلقان باصطفاه (وزاده بسطة في العلم
والجسم) الواو عاطفة وزاده فعل وفاعل مستتر ومفعول به أول
وبسطة مفعول به ثان ويجوز إعراب بسطة تمييزاً إن قلنا إنه يتعدى
لواحد . وفي العنم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبسطة ،

والجسم عطف على العلم (والله يؤتي ملكه من يشاء) الواو عاطفة ،
الله مبتدأ ، وجملة يؤتي خبر ، ملكه : مفعول به أول ، من اسم موصول
في محل نصب مفعول به ثان ، وجملة يشاء صفة (والله واسع عليهم) الواو
استئنافية والله مبتدأ وواسع عليهم خبراه (وقال لهم نبيهم) الواو عاطفة أو
استئنافية مسوقة للتدليل على صحة كلامه ، وقال فعل ماض ولهم متعلقان
بـ « قال » ونبيهم فاعل (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت) إن واسمها
وملكه مضاف إليه ، وأن يأتيكم مصدر مؤول في محل رفع خبر إن ،
وإن وما في حيزها في محل نصب مفعول المقول ، والتابوت فاعل يأتيكم
والكاف مفعول به مقدم (فيه سكينه) الجار والمجرور متعلقان
بمحذوف خبر مقدم وسكينه مبتدأ مؤخر والجملة في محل نصب حال
من التابوت (من ربكم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة
لسكينه (وبقيّة ما ترك آل موسى وآل هارون) بقيّة معطوف على
سكينه ومما جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لبقيّة وترك آل
موسى : الجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول وآل موسى فاعل ترك
وآل هارون عطف على آل موسى (تحمله الملائكة) فعل مضارع
والهاء مفعول به والملائكة فاعله والجملة حال ثانية من التابوت (إن
في ذلك لآية لكم) إن حرف مشبه بالفعل والجملة بمثابة التعليل
لامحل لها ، وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم واللام
المزحلقة وآية اسم إن المؤخر ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية
والجملة تعليلية لامحل لها (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكنتم فعل ماض
فاقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسم كان ، ومؤمنين خبرها .
وجواب الشرط محذوف تقديره فتدبروا الأمر واعتبروا وامثلوا أمر
ربكم وآياته . والجملة الشرطية استئنافية .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۖ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢١٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٢٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٢١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾

اللفظة :

(فصل) بمعنى انفصل ، فهو لازم ويكون متعدياً ، فيكون

مفعوله محذوفاً • وفصل العسكر عن البلد فصلاً •

(غرفة) بضم الغين بمعنى مفعول ، ويجوز فتح الغين على أنه مصدر مرة ، وقد قرئ بها أيضاً •

الاعراب :

(فلما فصل طالوت بالجنود) الفاء عاطفة على جمل محذوفة تقدر بحسب ما يقتضيه سياق الكلام ، والتقدير فأقروا بملكه وتنادوا إلى الجهاد ، فلما ، ولما ظرفية حينية فهي اسم أو رابطة ، فهي حرف متضمنة معنى الشرط على كل حال ، وجملة فصل طالوت بالجنود في محل جر بالإضافة إن كانت ظرفاً ، وبالجنود متعلقان بفصل أو بمحذوف حال أي والجنود مصاحبوه (قال إن الله مبتليكم بنهر) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وإن واسمها ومبتليكم خبرها والجار والمجرور متعلقان بمبتليكم والجملة الاسمية مقول المقول (فمن شرب منه فليس مني) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وشرب فعل ما ض في محل جزم فعل الشرط وفاعله مستتر تقديره هو ، ومنه جار ومجرور متعلقان بشرب والفاء رابطة لجواب الشرط وليس فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو ومني جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة بعد الفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن لم يطعمه فانه مني) الواو عاطفة ومن شرطية مبتدأ ولم حرف نهي وقلب وجزم ويطعمه فعل مضارع مجزوم بلم والفاء رابطة وان واسمها ومني جار

ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها والجملة بعد اللقاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (إلا من اغترف غرفة بيده) إلا أداة استثناء ومن اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من قوله : فمن شرب منه ، وفصل بينهما بالجملة الثانية للعناية بمحتواها ، وجملة اغترف لا محل لها لأنها صلة وغرفة مفعول به أو مفعول مطلق إذا اعتبرنا غرفة مصدر مرة ، وبيده متعلقان بمحذوف صفة لغرفة (فشربوا منه) اللقاء الفصيحة وشربوا فعل وفاعل ومنه متعلقان بشربوا (إلا قليلاً منهم) إلا أداة استثناء وقليلاً مستثنى من قوله : فشربوا منه ، ومنهم متعلقان بمحذوف صفة لـ « قليلاً » (فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه) اللقاء عاطفة أو استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة حرفية متضمنة معنى الشرط على كل حال ، وجملة جاوزه في محل جر بالإضافة إذا اعتبرنا « لما » ظرفية أو لا محل لها من الأعراب ، وهو ضمير منفصل تأكيد للضمير المستكن في « جاوزه » والذين عطف على « هو » وجملة آمنوا صلة الموصول ومعه ظرف مكان متعلق بجاوزه ، والمعنى : فلما جاوزه وجاوز معه الذين آمنوا وهم الذين اقتصرنا على الغرفة ، أو الذين لم ينشقوا الماء أصلاً للإشارة إلى الحكمة من الابتلاء ، وهي أن يرجع المنزل منهم قبل لقاء العدو ، لأن المتزائلين إذا ظلوا فيهم ثم هربوا لكان ذلك سبباً لتخاذل الجنود ، وما أعجب أساليب القرآن !! (قالوا) فعل وفاعل (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده) الجملة في محل نصب مقول القول ، ولا نافية للجنس ، وطاقة اسمها ، ولنا جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها ، واليوم ظرف متعلق بما تعلق به الخبر ، وهو « لنا » وكذلك

قوله بجالوت . ولا يجوز تعليق واحد من هذه الظروف بـ « طاقة »
لثلاثي يلزم تنوينه ، إذ يصبح شبيهاً بالمضاف ، ولم يقرأ به أحد . على
أنه يجوز تهادياً لتعليق الثلاثة بمتعلق واحد أن يعلق الواحد منها
بمحذوف حال ، فيكون بمثابة التبيين لاقتفاء الطاقة (قال الذين) فعل
وفاعل والجملة لا محل لها من الاعراب لأنها جواب شرط غير جازم
(يظنون أنهم ملاقوا الله) جملة يظنون لا محل لها لأنها صلة الذين
والواو فاعل ، وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي
يظنون ، والله مضاف لقوله « ملاقوا » (كم من فئة قليلة)
كم خبرية في محل رفع مبتدأ ومن فئة تمييز كم الخبرية ، وقد تقدم
القول فيها وقليلة صفة لفئة وجملة (غلبت فئة كثيرة بإذن الله) خبر
لـ « كم » وجملة كم وما في حيزها في محل نصب مقول القول (والله
مع الصابرين) الواو استئنافية والله مبتدأ ومع ظرف مكان متعلق
بمحذوف خبر والصابرين مضاف إليه (ولما برزوا لجالوت وجنوده)
الواو استئنافية ولما حينية أو رابطة متضمنة معنى الشرط وقد تقدم
إعرابها ، والجار والمجرور متعلقان ببرزوا ، وجنوده عطف على جالوت
(قالوا) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (ربنا أفرغ
علينا صبراً) ربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء وأفرغ فعل
أمر معناه هنا الدعاء ، وعلينا جار ومجرور متعلقان بأفرغ وصبراً
مفعول به والجملة مقول القول (وثبت أقدامنا) عطف على جملة أفرغ،
(وانصرنا على القوم الكافرين) عطف أيضاً (فهم مومنون بإذن الله)
لك أن تجعل التاء عاطفة على جبل محذوفة يقتضيها سياق الكلام ،

أي فتشبت المعركة والتحم الجيشان فهزمهم • ولك أن تجعلها
فصيحة أي إذا شئت أن تعرف ماذا أسفرت عنه المعركة فقد هزمهم
وهزمهم فعل وفاعل ومفعول به (وقتل داود جالوت) الواو عاطفة
وفعل وفاعل ومفعول به (وآتاه الله الملك والحكمة) الواو عاطفة وآتاه فعل
ماض والنهاء مفعول به أول والله فاعل والمملك مفعول به ثان والحكمة عطف
على الملك (وعلمه مما يشاء) عطف على « آتاه » ومما متعلقان بعلمه وجملة يشاء
صلة والمفعول به محذوف، لأن الصناعات التي تعلمها داود كثيرة منها
صناعة الحديد ، وقد لان في يده وفهم منطق الطير والبهايم (ولولا
دفع الله الناس) الواو استئنافية ولولا حرف امتناع لوجود متضمن
معنى الشرط ودفع مبتدأ محذوف الخبر تقديره موجود ولفظ الجلالة
مضاف إليه والناس مفعول به للمصدر (بعضهم ببعض) بعضهم بدل
من الناس والجار والمجرور متعلقان بدفع (تفسدت الأرض) اللام
واقعة في جواب لولا وجملة فسدت الأرض لا محل لها لأنها جواب
شرط غير جازم ، والمعنى امتنع فساد الأرض لوجود دفع الله الناس
بعضهم ببعض • وهذا مشاهد معاين (ولكن الله ذو فضل على العالمين)
الواو استئنافية ولكن واسمها وذو فضل خبرها والجار والمجرور
متعلقان بمحذوف صفة لفضل (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر والجملة
مفسرة (تلوها عليك بالحق) والجملة في محل نصب حال ، ولك
أن تجعل آيات الله بدلا من اسم الإشارة ، وجملة تلوها هي الخبر
والأول أمكن • وعليك جار ومجرور متعلقان بتلوها وبالحق
متعلقان بمحذوف حال أي مؤيدة بالحق مدعومة باليقين الذي

لا يتسرب إليه الشك (وإنك لمن المرسلين) الواو عاطفة وإن واسمها
واللام المزحلقة والجار والمجرور متعلقان بحذوف خبر إنك .

لمحة تاريخية أدبية : قلنا في مستهل هذه الآيات : إنا سنشير
الى حادثة أدبية تاريخية تتعلق ييوشع خليفة موسى عليهما السلام ،
وبرأ بالوعد نقول : لما قاتل يوشع الجبارين كان اليوم يوم الجمعة ،
فلما جنحت الشمس إلى المغرب خاف أن تغيب عنهم قبل أن يفرغ منهم
ويدخل السبت فلا يحلّ له قتالهم ، فدنا الله تعالى فردّ له الشمس
حتى فرغ من قتالهم ، وقد اتهم أبو تمام الطائي هذه الرواية الشعرية
المجنحة فصاغ منها معنى مبتكراً في الشعر يسمى التلميح ، وهو أن
يشير الشاعر في بيته أو النثر في كتابته الى قصة معلومة على جهة
التمثيل ، وأحسنه فقال :

لحقنا بأخراهم وقد حوّم الهوى

قلوباً عهدنا طيرها وهي وقّع

فرُدّت علينا الشمس والليل راغم

بشس لها من جانب الخدر مطلع

نضا ضوءها صبغ الدجنة واطوى

لبهجتها ثوب السماء المجزّع

فوالله ما أدري أحلامٌ نائمٌ
ألمت بتا أم كان في الركب يوشعُ

وقد رمق شوقي في العصر الحديث هذه السماء العالية ، وقال
في مطلع قصيدة رثى بها الزعيم المصري سعد زغلول :

شيّعوا الشمس ومالوا بضحاها
وانحنى الركب عليها فبكاها

ليتني في الركب لما أفلت
يوشع همت فنادى فثناها

ولكن التكلف ظاهر في مقام الرثاء ، وذلك لا يتلاءم مع حرارة
العاطفة المحتدمة .

لمعة تاريخية ثانية :

كانت هذه القصة مصدراً خصباً للإلتاج والتصوير ، فقد طلب
جالوت زعيم الجبارين قوم يوشع لل مبارزة فهابوه وامتنعوا ، لأنه
كان جناراً عظيماً كبير الجسم جداً ، ولكن داود وكان صغيراً لم يبلغ
الطعم يرعى الغنم برز له بمقلعه الشهير فرماه بحجر ، في قصة شائقة ،
فقتله ثم استقل بالملك . وهكذا تبرز العنصرية في بني إسرائيل منذ
فجر التاريخ حتى اليوم .

﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ^ط
بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ^ج وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ
الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ
الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٢﴾ ﴾

الاعراب :

(تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) جملة اسمية مستأنفة
مسوقة لتقرير حال جماعة الرسل المذكورة قصصها في السورة
واسم الإشارة مبتدأ والرسل خبر، فضلنا فعل ماض مبني على السكون،
و « نا » فاعل وجملة فضلنا حالية ، ويجوز إعراب الرسل بدلا من
اسم الإشارة وجملة فضلنا خبر وبعضهم مفعول به وعلى بعض جار
ومجرور متعلقان بفضلنا (منهم من كلم الله) الجار والمجرور متعلقان
بمحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وكلم الله فعل
وفاعل والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول والعائد محذوف هو
المفعول به والجملة الاسمية مستأنفة لا محل لها . ويجوز إعرابها بدلا
من جملة فضلنا على الحالين المتقدمين أو خبراً ثانياً لاسم الإشارة
(ورفع بعضهم درجات) الواو حرف عطف ورفع فعل ماض وفاعله
مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى وبعضهم مفعول به ودرجات
منصوب بنزع الخافض أي في درجات ، وأعرابها أبو البقاء حالا مؤولة
من « بعضهم » أي : ذا درجات وكلاهما صحيح (وآتيناه عيسى بن

مريم البيّنات) الواو عاطفة وآتيناه فعل وفاعل وعيسى مفعول به وابن بدل من « عيسى » أو صفة له ومريم مضاف إليه والبيّنات مفعول به ثان وعلامة نصبه الكسرة فتابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم (وأيدناه بروح القدس) الواو حرف عطف وأيدناه فعل وفاعل ومفعول به الجار والمجرور متعلقان بأيدناه والقدس مضاف إليه (ولو شاء الله) الواو استئنافية ولو شرطية ، شاء الله فعل وفاعل ، ومفعول المشيئة محذوف تقديره : عدم اقتالهم (ما اقتتل الذين من بعدهم) ما نافية واقتتل الذين فعل وفاعل ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صلة الموصول والجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (من بعد ما جاءتهم البيّنات) الجار والمجرور متعلقان باقتتل أو بدل من قوله : « من بعدهم » بإعادة الجار وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة ، أي : من بعد مجيء البيّنات (ولكن اختلفوا) الواو استئنافية ، والجملة مستأنفة مسوقة لاستدراك ما قبلها ، ولكن حرف استدراك مهمل ، واختلفوا فعل وفاعل (فمنهم من آمن) الفاء تفرعية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن اسم موصول مبتدأ مؤخر وآمن فعل ماض وفاعله هو والجملة صلة (ومنهم من كفر) عطف على الجملة السابقة (ولو شاء الله ما اقتتلوا) تقدم إعرابها وتكررت لتأكيد الكلام (ولكن الله يفعل ما يريد) الواو استئنافية ولكن حرف شبه بالفعل ، واسمها الله ، وجملة يفعل خبرها وما اسم موصول مفعول به ، وجملة يريد صلة الموصول .

البلاغة :

في قوله : « ورفع بعضهم درجات » فن الإيهام وفيه من التفخيم والتنويه بالمنزلة ما لو فُطِقَ به لم يعدل إيهامه لما ينطوي عليه من شهادة

بأنه العلم الذي لا يشتبه به ، والمتميز على غيره ، فهو يريد محمداً صلى الله عليه وسلم ، وحسبه القرآن الذي أنزل عليه ، فهو المعجزة الباقية على وجه الدهر ، فعدم الذكر أبلغ من الذكر ، والإبهام أبلغ من الإيضاح . سئل الحطيئة : من أشعر الناس ؟ فذكر زهيراً والنابعة ، ثم قال : ولو شئت لذكرت الثالث ، أراد نفسه . ولو صرح بذلك لم يكن بهذه المثابة من الفخبة .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفِيعَةٌ ۚ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٢٥٩)

اللفظة :

(الخلّة) بضم الخاء : المودة والصداقة ، سمّيت بذلك لأنها تتخلل الأعضاء ، أي تدخل خلالها . والخليل : الصديق لمداخلته إياك ، وتخلّل مودته جوانحك . ويحتمل أن يكون الخليل بمعنى فاعل أو مفعول .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) يا : حرف نداء ، أي منادى فكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب ، والهاء للتنبيه ، الذين بدل من أيها ، آمنوا : فعل وفاعل وجماعة آمنوا صلة (أنفقوا مما رزقناكم) فعل أمر والواو فاعل ومما جار ومجرور متعلقان بأنفقوا ، ورزقناكم فعل

وفاعل ومفعول ، والجملة لا محل لها لأنها صلة ما ، والجملة كلها مستأنفة (من قبل أن يأتي يوم) الجار والمجرور متعلقان بأثقفوا أيضاً ، ولا مانع من تعليق حرفين بلفظ واحد لاختلافهما معنى ، ف « من » الأولى للتبويض والثانية للابتداء ، وأن وما بعدها في تأويل مصدر في محل جر بالإضافة ، أي : من قبل إتيان ، ويوم فاعل يأتي (لا يبيع فيه ولا خلة) لا النافية للجنس أهملت لتكررها ، وستأتي أحكامها في مكان آخر . وبيع مبتدأ ساغ الابتداء به لتقدم النفي عليه . وفيه جار ومجرور متعلقان بحذوف خبره ولا خلة عطف على « لا يبيع » (ولا شفاعاً) عطف أيضاً (والكافرون هم الظالمون) الواو استئنافية والكافرون مبتدأ وهم مبتدأ ثان والظالمون خبره والجملة الاسمية خبر « الكافرون » أو « هم » ضمير فصل أو عماد ، و « الظالمون » خبر « الكافرون » .

﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

اللفظة :

(القَيُّوم) فيقول : من قام بالأمر إذا دبره أحسن تدبير ،

وأصله « قيوم » اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون
فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فيها فصار « قيوماً » . قال أميَّة
ابن أبي الصلت :

لم تخلق السماء والنجوم والشمس معها قمر " يعوم
قدّره المهيمن القيوم والحشر والجنة والجحيم
إلاّ لأمر شأنه عظيم

(السّنة) بكسر السين : ما يتقدم النوم من الفتور والاسترخاء
مع بقاء الشعور . وهو المسمى بالنعاس ، قال عدي بن الرقاع وأبدع :
وسنان أقصده النعاس فرثقت في عينه سِنّة " وليس بنائم
فلذلك نفي النوم لأنه سلب للحواس وأثبت السّنة في البيت .
(الكرسي) معروف . والياء ليست للنسبة ولو كانت للنسبة
لخرج إلى حيز الصفة وأصله من تركيب الشيء بعضه على بعض
ومنه الكرّاسة . سميت بذلك لتركب بعض أوراقها على بعض .
وفي العرف الدارج ما يجلس عليه . وتكرس فلان الحطب وغيره إذا
جمعه . وكّرّس البناء إذا أسسه .
(يثوده) يثقله ويشق عليه .

الاعراب :

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم) كلام مستأنف فخم مسوق
لجمع أحكام الألوهية وصفات الإله الثبوتية والسلبية . والله مبتدأ

ولا نافية للجئس وإله اسمها المبني على الفتح وإلا أداة حصر و « هو » بدل من محل لا واسمها • وقد تقدم إعراب الشهادة مفصلاً • والجملة الاسمية « لا إله إلا هو » خبر الله والحي خبر ثان والقيوم خبر ثالث • ولك أن تعربهما صفتين لله (لا تأخذه سنة ولا نوم) الجملة خبر رابع للمبتدأ ولا نافية وتأخذه فعل مضارع ومفعول به وسنة فاعل تأخذه ولا نوم عطف على سنة (له ما في السموات وما في الأرض) الجملة خبر خامس وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول في محل رفع مبتدأ مؤخر وفي السموات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول ، وما في الأرض : معطوف على ما في السموات (من ذا الذي يشفع) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على المشركين الذين زعموا أن الأصنام تشفع لهم • ومن اسم استفهام معناه النفي في محل رفع مبتدأ وذا اسم إشارة في محل رفع خبر « من » • والذي اسم موصول بدل أو « من ذا » كلها اسم استفهام مبتدأ « والذي » هو الخبر • واعلم أن « ذا » الواقعة بعد « ما » الاستفهامية يجوز جعلها اسم موصول اتفاقاً ، وأما الواقعة بعد « من » فالأكثر أنها اسم إشارة • ويشفع فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو ، والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول (عنده إلا بإذنه) الظرف متعلق بيشفع أو بمحذوف حال من الضمير في يشفع ، وإلا أداة حصر وإذنه الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) الجملة خبر سادس ويعلم فعل مضارع وفاعله مستتر يعود على الله تعالى وما اسم موصول مفعول به وبين ظرف متعلق بمحذوف صلة الموصول ، وأيديهم مضاف إليه والواو حرف عطف وما عطف على « ما » الأولى والظرف متعلق بالصلة المحذوفة (ولا يحيطون بشيء من علمه) الجملة معطوفة على ما تقدم

ولا نافية ويحيطون فعل مضارع والواو فاعل وبشيء جار ومجرور متعلقان بيحيطون ، من عليه : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء (إلا بما شاء) إلا أداة حصر ، بما : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف بدل من شيء بإعادة الجار ، وجملة شاء لا محل لها لأنها صلة ما ومفعول المشيئة محذوف تقديره : أن يعلمهم به (وسع كرسیه السموات والأرض) الجملة خبر سابع ولك أن تنصبها على الحال ووسع كرسیه فعل ماض وفاعل والسموات مفعول به ، والأرض عطف على السموات (ولا يثوده حفظهما) الواو عاطفة ولا نافية ويثوده فعل مضارع ومفعول به حفظهما : فاعل والهاء مضاف إليه ، والميم والألف حرفان دالان على التثنية (وهو العلي العظيم) الواو عاطفة وهو مبتدأ والعلي خبره والعظيم خبر ثان .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على أهم المسائل المتعلقة بالذات الإلهية .
 روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لكل شيء سنام وإن سنام القرآن البقرة . وفيها آية هي سيدة آي القرآن وهي آية الكرسي .

وتلخص فيما يلي فنون البلاغة المنطوية فيها :

١ - الاستعارة التصريحية في قوله : (وسع كرسیه السموات والأرض) فالكلمة مجاز عن علمه تعالى أو ملكه وتصوير صحيح لعظمته ، حذف المشبه وهو العلم والقسرة والعظمة وما يترتب على الجلوس فوق كرسي الملك من معاني الأبهة والإحاطة الجامعة .

ملاحظة ابن قتيبة :

على أن ابن قتيبة لاحظ في كتابه « مشكل القرآن » أن هذا يخالف نصوص اللغة • ورد على المعتزلة في آرائهم ، قال ما نصه :

« وفسروا القرآن بأعجب تفسير يريدون أن يردّوه الى مذاهبهم ، ويحملوا التأويل على نحلهم ، فقال فريق منهم في « وسع كرسيه السموات والأرض » أي علمه • وجاءوا على ذلك بشاهد لا يعرف وهو قول الشاعر : « ولا يكرسىء علم الله مخلوق » كأنه عندهم : ولا يعلم علم الله مخلوق • والكرسي غير مهموز ، ويكرسىء مهموز ، يستوحشون أن يجعلوا لله كرسيًا » ولكننا لا نوافق ابن قتيبة على رأيه فإن كثيرين من أهل السنة ذهبوا الى ذلك •

رأي التفتازاني :

قال التفتازاني : إنه من باب إطلاق المركب الحسيّ المتوهم على المعنى العقلي المحقق •

رأي القرطبي :

وفي تفسير القرطبي : « وقال ابن عباس : كرسيّه : علمه ، ورجحه الطبري • وقيل كرسيه قدرته التي يمسك بها السموات والأرض ، كما تقول : اجعل لهذا الحائط كرسيًا ، أي ما يعمده » •

وهذا قريب من قول ابن عباس • وهذا بحث طويل يتشعب فيه الجدل ، بين أهل السنة والاعتزال ، فليرجع فيه الى المطولات •

٢ - الإيجاز : فقد تضمنت آية الكرسي من الإيجاز ما لا مطلق فيه لتقليد أو محاكاة ويمكن القول : إن البيان اتحد بالمبين في تصوير الملك الحقيقي الذي لا ينازع فيه بأرشفة عبارة وأدق وصف ، وفيها ما يسمى بالفصل في علم المعاني ، وهو حذف العاطف للدلالة على أن كل صفة من صفات هذا الملك العظيم مستقلة بنفسها ، وذلك على النحو التالي :

أ - الجملة الأولى : « الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم » وقد بين فيها قيامه سبحانه بتدبير الخلق وتنسيق شئوهم ، وإحكام معاشتهم وهميته عليه دون أن يكون ساهياً عنه طرفة عين .

ب - الجملة الثانية : « له ما في السموات وما في الأرض » وقد بين فيها أنه مالك لما يدبره غير منازع في ملكه .

ج - الجملة الثالثة : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقد بين فيها كبرياء شأنه وتضائل الجميع أمام قدرته التي لا تحد .

د - الجملة الرابعة : « ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء » وقد صور فيها إحاطته بأمور الخلق وأحوالهم بحيث لا يغرب عنه شيء .

هـ - الجملة الخامسة : « وسع كرسيه السموات والأرض » إلى آخر الآية ، وقد نوّه فيها بتعلقه بالمعلومات كلها وكل شيء عنده بمقدار .

٣ - إيجاز الإيجاز : فقد اشتملت آية الكرسي على ما لم تشتمل

عليه آية من آيات الله سبحانه ، وذلك أنها مشتملة على سبعة عشر موضعاً فيها اسم الله تعالى ظاهراً في بعضها ومستكنّاً في بعضها الآخر ، وذلك على الترتيب التالي :

١ - الله ، ٢ - هو ، ٣ - الحي ، ٤ - القيوم ، ٥ - ضمير لا تأخذه ، ٦ - ضمير له ، ٧ - ضمير عنده ، ٨ - ضمير يأذنه ، ٩ - ضمير يعلم ، ١٠ - ضمير علمه ، ١١ - ضمير شاء ، ١٢ - ضمير كرسيه ، ١٣ - ضمير يثوده ، ١٤ - وهو ، ١٥ - العلي ، ١٦ - العظيم ، ١٧ - الضمير المستكن الذي اشتمل عليه المصدر وهو « حفظهما » فإنه مصدر مضاف الى المفعول وهو الضمير البارز ولا بد له من فاعل وهو الله ، ويظهر ذلك عند فك المصدر فيقول : ولا يثوده أن يحفظهما هو . وقد حاول أحد الأعلام أن يوصلها الى واحد وعشرين موضعاً ، ويعتبر الأسماء المشتقة الواردة فيها تحتاج الى ضمير كالحي والقيوم والعلي والعظيم ، فيكون كل واحد باثنين وبذلك تضاف أربعة مواضع الى المواضع السبعة عشر ، فيكون المجموع واحداً وعشرين موضعاً . وقد نازعه علم آخر فقال : هذا لطيف جداً ولكن المشتق لا يقع على موصوفه إلا باعتباره محتملاً لضمير ، فلا يمكن أن يتميز بحكم الانفراد عن الضمير ، ولهذا فالاسم المشتق لا يحتمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علماً ، ألا تراك إذا قلت : زيد كريم فإن « كريم » لم يقع على زيد إلا لأنه يتحمل ضميره ، حتى إذا جرّدت النظر اليه لم تجده مختصاً بزيد بل لك أن توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس . وهذا من أدق مباحث علم المعاني ، فتدبره والله يعصمك .

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ

بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا
وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى
النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾

اللفظة :

(الطاغوت) : كل معبود من دون الله ، والجمع طواغٍ وطواغيت
والخلاف حول هذا اللفظ كثير ، وهو يكون واحداً وجمعاً ، ومذكراً
ومؤنثاً ، قال تعالى في الزمر : « والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها » .
وسياأتي مزيد من البحث عنه .

(العروة الوثقى) العروة في الأصل : موضع شد اليد ، وأصل
المادة تدل على التعلق . والعروة من الدلو والبكور : المقبض ، ومن
الثوب : أخت زرّته ، واعتراه الهم : تعلق به ، قال :

وإني لتعروني لذكراك هزّة كما انتفض العصفور بقلته القطر

(الوثقى) : فُعِلَى للتفضيل ، مؤنث الأوثق ، كفضلى تأنيث
الأفضل . وجمعها على وثّقى ، وهي ما يوثق به ويستعصم .

(انفصام) انقطاع ، وأصل انفصم الكسر .

الاعراب :

(لا إكراه في الدين) جملة مستأنفة مسوقة لبيان أن العاقل لا يحتاج للإكراه على الدين ، بل يختار تلقائياً الدين الحق . ولا فافية للجنس وإكراه اسمها في الدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (قد تبين الرشد من الغي) الجملة تعليلية لا محل لها وقد حرف تحقيق وتبين فعل ماض والرشد فاعله ومن الغي جار ومجرور متعلقان بتبين (فمن يكفر بالطاغوت) الفاء الفصيحة ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكفر فعل الشرط المجزوم وفاعله ضمير مستتر يعود على «من» وبالطاغوت جار ومجرور متعلقان بيكفر (ويؤمن بالله) الواو عاطفة ويؤمن عطف على يكفر والجار والمجرور متعلقان بيؤمن (فقد استمسك بالعروة الوثقى) الفاء رابطة لجواب الشرط لأنه مقترن بقد ، واستمسك فعل ماض وفاعله مستتر يعود على من ، وبالعروة متعلقان باستمسك والوثقى صفة للعروة . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من ، وجملة من يكفر لا محل لها لأنها جواب شرط غير حازم (لا انفصام لها) الجملة في محل نصب حال من العروة ولا فافية للجنس وانفصام اسمها المبني على الفتح ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (والله سميع عليم) الجملة إما أن تكون مستأنفة مسوقة لحمل الناس على الإيمان والردع عن الكفر ، وإما أن تكون اعتراضاً تذييلياً للغاية نفسها والله مبتدأ وسميع عليم خبراه (الله ولي الذين آمنوا) الجملة مستأنفة لبيان ما في الإخراج من فضل ، والله مبتدأ وولي خبر والذين مضاف إليه وجملة آمنوا صلة الموصول (يخرجهم من الظلمات إلى النور) الجملة إما حال من الضمير المستكن في « ولي » أو خبر ثان للمبتدأ « الله » ومن الظلمات

متعلقان بيخرجهم والى النور متعلقان بيخرجهم لاختلاف المعنيين ، أي بدءاً من الظلمات و انتهاء الى النور أو حال من الموصول (والذين كفروا) الواو عاطفة والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول (أولياؤهم الطاغوت) مبتدأ وخبر والجملة الاسمية خبر الذين والرابط الضمير (يخرجونهم من النور الى الظلمات) تقدم إعراب شبهها (أولئك أصحاب النار) مبتدأ وخبر والنار مضاف اليه والجملة حالية (هم فيها خالدون) مبتدأ وخبر وفيها متعلقان بخالدون والجملة حال ثانية .

البلاغة :

١ - العروة الوثقى : استعارة تصريحية تمثيلية ، فقد شبه من يسلك سبيل الله بمن أخذ بحبل وثيق مأمون لا ينقطع ، فهو آمن من الانزلاق ، والترددي في مهاوي الخطل والضلال .

٢ - الاستعارة التصريحية في استعارة الظلمات والنور للضلال والهدى .

٣ - في قوله تعالى : « يخرجونهم من النور الى الظلمات » فنفي الشيء بإيجابه وهو فن عجيب فحواه أن المتكلم يثبت شيئاً في كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته . وحاصل ما ذكرناه أن الذين كفروا لم يسبق لهم نور حتى يخرجوا منه ، فقد يوهم ظاهر الكلام أنه كان لهم نور في الأصل ، ثم أخرجوا منه ، والمراد نفي النور عنهم أصلاً . ومثله قول مسلم بن الوليد المعروف بصريح الغواني :

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينه من الكحل

ومثله قول أبي الطيب المتنبي :

أفدي طباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب
ولا برزن من الحمّام مائلة أوراكن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الحالة ، والمراد في باطنه عدم الحمام مطلقاً ، وسيأتي المزيد من بحثه في هذا الكتاب . وقد يجوز أن يكون من باب المشاكلة ، وقد تقدمت . وحاصلها أن ذكر الإخراج الثاني مشاكله للأول على حد قوله : « قلت اطبخوا لي جبة وقميصاً » مع التسليم بأن المراد بالذين كفروا الذين لم يسبق لهم إيمان أصلاً ، فتأمل .

٤ - جمع الظلمات وأفرد النور لسر بلاغيّ عجيب ، وهو ينطوي على الإشارة إلى وحدة الحق وتعدد أنواع الظلمات التي هي الضلالات وما أكثرها ، ولأن طريق الحق واضحة المعالم لا لبس فيها ، ولا تشعب في مسالكها أما طريق الضلال فهي ملتبسة على من يسلكها .

هُوَ الَّذِي تَرَى إِلَى اللَّهِ حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَكَلَّيْكَ مَرَّ

عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا
فَأَمَّا اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثْنَا قَالَ كَمْ لَبِثْتُ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ
وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا
ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

اللفظة :

(حاج) : غالب خصمه بالحجة ومن أقوالهم : كانت بينهما حاجة وملاجة .

(خاوية) : ساقطة أو خالية من أهلها .

(يتسنه) : الهاء أصلية أو للسكت . أي لم تمرّ السنة عليها ،
والشيء عادة يتغير بمرور الزمان . فلام السنة واو أو هاء . وقيل :
أصلها يتسنن ، من الحمأ المسنون . وسيرد في الإعراب تفصيل واف
عن هذه اللفظة .

(نشزها) : نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب .

الاعراب :

(ألم تر الى الذي حاج إبراهيم في ربه) كلام مستأنف مسوق للتعجب من قصة أحد الطوائف ، والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والمراد العموم . فالهمزة للاستفهام التعجبي ولم حرف تهي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والى الذي جار ومجرور متعلقان بتر « تر » ولا بد من حذف مضاف ، أي الى قصة الذي حاج ، وحاج فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وإبراهيم مفعول به وفي ربه جار ومجرور متعلقان بحاج (أن آتاه الله الملك) أن حرف مصدري ونصب ، آتاه فعل ماض في محل نصب بأن والهاء مفعول به والمصدر المنسبك من أن والفعل بعدها في محل نصب مفعول لأجله بتقدير اللام ، لأن شرطاً من شروط المفعول لأجله قد فقد وهو اتحاد الفاعل وحذف اللام قياسي قبل أن وأن . والمراد أقدم على محاجة إبراهيم وملاحاته لبطره وصلفه ، وكان الأجدر به أن يشكر على النعمة ، ويتواضع عند الرفعة . وهذا أولى من جعله ظرفاً بمعنى وقت إتياء النعمة . والمصادر قد تقع ظرفاً مثل خفوق النجم ومقدم الحاج (إذ قال إبراهيم) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بحاج وأجاز الزمخشري والجلال أن يكون بدلاً من « أن آتاه » إذا جعل بمعنى الوقت ، ولكن النحاة نصّوا على أنه لا يقوم مقام ظرف الزمان إلا المصدر المصرح بلفظه ، فلا يجوز : أجيء أن يصيح الديك ، ولا : جئت أن صاح الديك ، وقال إبراهيم فعل وفاعل والجملة في محل جر بالاضافة (ربي الذي يحيي ويميت) ربي مبتدأ والذي خبره وجملة يحيي صلة الموصول لا محل لها ويميت عطف على يحيي وجملة ربي النسخ مقول القول

(قال أنا أحيي وأميت) الجملة مستأنفة وقال فعل ماض وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وأنا مبتدأ وأحيي فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره أنا والجملة خبر أنا وجملة أنا أحيي جملة اسمية في محل نصب مقول القول ، وأميت عطف على أحيي (قال إبراهيم) فعل وفاعل والجملة مستأنفة مسوقة للانتقال من حجة الى حجة أظهر (فإن الله يأتي بالشمس من المشرق) الفاء الفصيحة وهي الواقعة في جواب شرط مقدر . أي إذا كنت قادراً كما تدعي كذباً وافتئاتاً . فإن الله يأتي بالشمس من المشرق . . . ، وإن واسمها ، وجملة يأتي خبرها والجملة بعد الفاء لا محل لها لأنها جواب شرط مقدر غير جازم والجار والمجرور « بالشمس » متعلقان بيأتي ومن المشرق جار ومجرور متعلقان بيأتي أيضاً (فاتربها من المغرب) كرر الفاء الفصيحة للتأكيد وارهاساً بالحجة وآت فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل أنت ، بها متعلقان بآت ، من المغرب متعلقان به أيضاً (فبهت الذي كفر) الفاء عاطفة وبهت من الأفعال التي أتت مبنية للمجهول والذي فائب فاعل أي على اللفظ ويجوز أن يكون فاعلاً باعتبار المعنى ، ولعله أولى . وكفر فعل ماض وفاعل مستتر والجملة صلة الذي (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواو استئنافية ، الله مبتدأ وجملة لا يهدي خبره والقوم مفعول به الظالمين صفة (أو كالذي مرّ على قرية) تقدير الكلام : أو رأيت مثل الذي ، فلو حرف عطف والكاف اسم بمعنى مثل ، فحذف للدلالة « ألم تر » عليه ، ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيراً ، والغرض من ذلك التعجب ، فيقال : ألم تر الى الذي صنع كذا ، بمعنى انظر اليه . وعلى كل حال فالكاف الاسمية معطوفة على « الذي حاج إبراهيم » والذي مضاف اليه وجملة « مر على قرية » صلة الموصول ، والقرية قيل :

أراد بها بيت المقدس حين خربها بختنصر (وهي خاوية على عروشها)
 الواو للحال وهي مبتدأ وخاوية خبر وعلى عروشها جار ومجرور
 متعلقان بخاوية . والمعنى سقطت السقوف أولاً ثم تلتها الأبنية .
 وهذا التصوير تجسيد شعري لفناء المحدثات ، يبدأ الفناء بالعوالم
 والكائنات الحية ثم تتلوها الجمادات ، وقد رمق من طرف خفي
 أبو الطيب المتنبى سماء هذا المعنى البديع فنقله نقلاً دقيقاً أسرع من
 تنقل الطيوف في الأجفان فقال يرثي :

أين الذي الهرمان من بنيانه ؟ ما قومه ؟ ما يومه ؟ ما المصرع ؟

تتخطف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

والبيت الثاني هو المقصود ، ومعناه أن الآثار وهي المباني تبقى
 بعد أربابها لتدلّ على تسكنهم وقوتهم ، ثم ينالها بعدهم ما نالهم من
 الفناء ، وسيدركها الخراب فتسقط متداعية ثم تسقط فوقها العروش ،
 والسقوف المشيدة ، فتذهب الآثار ، وقد ذهب المفسرون في قصة هذا
 المارّ مذاهب طريفة يحلو الرجوع إليها في المطولات ، وهل قال ما قال
 بمعرض الإنكار للبعث ؟ وهل كان كافراً ؟ هذه كلها حدوس تتألف
 منها قصة مجنحة ، فمن لنا بالكاتب المبدع ؟ (قال : أتى يحيى هذه
 الله بعد موتها) قال : فعل وفاعله هو ، وأنى فيها وجهان : أحدهما
 أن تكون بمعنى متى فتكون ظرفاً متعلقاً بيحيى . وثانيهما أن تكون
 بمعنى كيف فتكون حالاً من هذه ، والعامل فيها يحيى . وجملة يحيى
 في محل جر بالاضافة إذا كانت « أنى » ظرفاً . أو مقولا للقول إذا
 كانت بمعنى كيف . ويحيى فعل مضارع وهذه مفعول مقدم والله فاعل
 مؤخر وبعد موتها ظرف زمان متعلق بيحيى أيضاً . وجملة قال مستأنفة
 مسوقة للتلهّف عليها ، والتشوق الى عمارتها مع استشعار اليأس منها

(فأما الله مائة عام) الفاء عاطفة وأما الله فعل ومنفعل به وفاعل ومائة ظرف زمان متعلق بأما الله وعام مضاف إليه (ثم بعثه) عطف على أماته ، وعطف بثم للإشعار بالتراخي وطول المدة (قال : كم لبثت) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال قد يساور خاطر كآته قيل : فماذا قال الله تعالى له حين بعثه بعد الموت ؟ وكم اسم استفهام في محل نصب على الظرفية الزمانية متعلق بلبثت ومميزها محذوف كأنه قيل : كم وقتاً لبثت ؟ ولبثت فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول (قال : لبثت يوماً أو بعض يوم) جملة القول مستأنفة لتكون بمثابة الرد على السؤال وجملة لبثت في محل نصب مقول القول ويوماً ظرف زمان متعلق بلبثت وأو حرف عطف وبعض يوم عطف على يوماً ، منتظم في سلك الظرف الزمني (قال : بل لبثت مائة عام) جملة قال استئنافية ، بل حرف عطف عاطفة على جملة محذوفة ، لا بد من تقديرها ، والتقدير : ما لبثت ؟ يوماً أو بعض يوم ؟ بل لبثت مائة عام ومائة عام ظرف . والجملة مقول القول (فاظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه) الفاء الفصيحة ، وهي هنا جواب لشرط مقدر تقديره : إذا حصل لك ارتياب وعدم طمأنينة في أمر البعث فاظر . واطظر فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت والى طعامك جار ومجرور متعلقان باظر وشرابك عطف على طعامك ولم حرف تهي وقلب وجزم ويتسنه فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه السكون إذا كانت الهاء أصلية ، وإذا كانت الهاء للسكت كان الفعل مجزوماً بحذف حرف العلة ، وعندئذ تثبت هاء السكت في الوقف لا في الوصل وسيأتي حكمها . وإذا كان الفعل من التسنن الذي هو التغير كان مجزوماً بالسكون المقدر على حرف العلة المحذوف الذي أبدات النون الثانية منه وجملة لم يتسنه حال . (واطظر الى حمارك) عطف على ما تقدم ، وإنما خصه بالذكر لأن المارة

كان يركبه ، ولأن العبرة بالكائنات الحية أئسد تأثيراً وقد تقدم إعراب
 مثالها (ولنجعلك آية للناس) الواو عاطفة واللام للتعليل ونجعلك
 فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل ، واللام والمصدر
 المجرور بها متعلقان بفعل محذوف ، أي : فعلنا ذلك كله لنجعلك آية
 والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن والكا فمفعول به أول ، وآية
 مفعول به ثان وللناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية
 (وانظر الى العظام كيف ننشزها) الواو عاطفة وانظر فعل أمر والفاعل
 ضمير مستتر تقديره أنت والى العظام جار ومجرور متعلقان بانظر، وكيف
 اسم استفهام في محل نصب حال وصاحب الحال الضمير المنصوب في
 تنشزها والجملة بدل من العظام وهي في محل جر أونصب لأن نظر البصرية
 تتعدى إلى وهي معلقة عن العمل بسبب الاستفهام فتكون في محل نصب،
 أي الى حال العظام وننشزها فعل مضارع مرفوع والهاء مفعول به
 والفاعل مستتر تقديره نحن (ثم نكسوها لحماً) ثم حرف عطف
 للترتيب مع التراخي ونكسوها فعل مضارع ينصب مفعولين أولهما
 الهاء ولحماً وهو المفعول الثاني (فلما تبين له) الفاء عاطفة على مقدر
 يستوجه السياق كأنه قال : فأنشزها الله وكساها لحماً ، فنظر إليها
 فتبين له كيف يتم الإحياء والبعث . ولما ظرفية غير جازمة متعلقة
 بالجواب ، وتبين فعل ماض مبني على الفتح انظاھر ، وفاعل تبين ضمير
 مستكن يعود على كيفية الإحياء ، وقدره الزمخشري تقديره طريفاً ،
 قال : « فلما تبين له ما أشكل عليه » وقدره الجلال : فلما تبين له ذلك
 بالمشاهدة . والجار والمجرور متعلقان بتبين وجملة تبين في محل جرباً لإضافة
 (قال : أعلم أن الله على كل شيء قدير) قال فعل وفاعله مستتر ، وجملة
 أعلم مقول القول وجملة القول لا محل لها لأنها جواب شرط غير
 جازم وأن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي أعلم .

الفوائد :

١ - ينوب عن الظرف المصدر إذا كان مضافاً إليه وأن يكون معيناً لوقت أو مقدار نحو جئتكَ صلاة العصر ومقدم الحاج .

٢ - هاء السكت : سميت بذلك لأنه يسكت عليها دون آخر الكلمة ، ولها ثلاثة مواضع :

آ - الفعل المَعْلُ بحذف آخره لجزم أو سكون مثل : لم يتسنه ولم يغزه ولم يخشكه ولم يرميه واغزّه واخشكه وارميه ومنه قوله تعالى : « فبهداهم اقتده » وهي في كل هذا جائزة لا واجبة ، إلا في مسألة واحدة ، وهي أن يكون الفعل قد دخله الحذف وبقي على حرف واحد ، كالأمر من وعى يعي ، فإنك تقول : عِهْ ، بحذف فائه ولامه .

ب - ما الاستفهامية المجرورة بالحرف ، وذلك أنه يجب حذف ألفها إذا جرت ، نحو عمّ ومم وبم وفيم . فإذا وقفت عليها ألحقتها الهاء حفظاً للفتحة الدالة على الألف .

ج - كل مبني على حركة بناء ولم يشبه المعرب ، وذلك كياء المتكلم وهو وهي ، فإنك تقف عليها بهاء السكت محافظة على الفتحة ، وفي القرآن : « ماهيه » و « ماليه » و « سلطانيه » ، وقال حسان :

إذا ما ترعرع منا الفـلـام فما إن يقال له : ما هو ؟

وحق هاء السكت أن تكون ساكنة وتحريكها لحن عند البصريين . وكان أبو الطيب المتنبي يراغم النجاة فقال :

واحرّ قلباهُ ممن قلبه شيم ومن جسمي وحالي عنده سقم
وهو — كما تعلم — كوفي ، والكوفيون يجيزون ذلك ، والواقع
أن علماء النحو اضطربوا كثيراً في هذه المسألة ، ووقفوا حائرين أمام
قول عروة في حبيته غفراء :

يا مرحباه بحمار غفرا ويا مرحباه بحمار ناجيه

وقد دافع أبو البقاء العكبري عن أبي الطيب المتنبّي في شرحه
لديوانه في بحث شيق جداً لو رجعت إليه .

٣ — الاستفهام في هذه الآية خرج عن معناه الأصلي ، فالأول
« ألم تر » معناه التعجب ، أي : أعجب يا محمد من هذه القصة ،
والاستفهام الثاني للاستعظام ، وهو « أنى يحيي هذه الله بعد موتها » .

لمحة تاريخية لا بدّ منها :

كان عزيز بن شرخيا من سكان بيت المقدس ، وقد كان في جملة
من سباهم بختنصر ، فلما خلاص من السبي وجاء ورآها على تلك
الحالة ، وكان راكباً على حمار ، دخلها وطاف فيها ، فلم ير أحداً فيها .
وكان أغلب أشجارها حاملاً ، فأكل من الفاكهة ، واعتصر من العنب ،
ثم ربط حماره بحبل ، وجعل فضل الفاكهة في سلة ، وفضل العصير
في زق أو ركوة ، ثم ألقى الله عليه النوم فنام ، ولما نام نزع الله منه
الروح ، وأمات حماره ، وبقي عصيره وتينه عنده ، فلما مضى من وقت
موته سبعون سنة سلط الله ملكاً من ملوك فارس ، فسار بجنوده حتى
أتى بيت المقدس فعمره ، وصار أحسن مما كان ، وعاد أهلها إليها

وأعمى الله العيون عن عزيز هذه المدة . فلما مضت المائة أحياء الله ثم أخذ ينظر الى حماره تدب فيه الروح وتتللم الأوصال ، الى آخر تلك القصة التي تتمنى أن يعتمد اليها كاتب قصصي بارع فيجعل منها قصة فنية . وهي تشجب أقوال اليهود في عزيز أنه ابن الله ، تعالى الله عن ذلك .

ملاحظات هامة :

١ - تحدثنا عن قوله تعالى : « ألم تر » في باب الإعراب ، وقد عثرنا على تقرير هام للتفتازاني خلاصته : تقرير هذا أن كلاً من لفظ « ألم تر » و « رأيت » مستعمل لقصد التعجب ، إلا أن الأول تعلق بالمتعجب منه فيقال : ألم تر الى الذي صنع كذا بمعنى انظر اليه ، فتعجب من حاله . والثاني تعلق بمثل المتعجب منه فيقال : رأيت مثل الذي صنع كذا ؟ بمعنى أنه من الغرابة بحيث لا يرى له مثل . ولا يصح : ألم تر الى مثله ، إذ يصير التقدير : انظر الى المثل وتعجب من الذي صنع . فلذا لم يستقم عطف « كالذي مر » على « الذي حاج » واحتيج الى التأويل في المعطوف بجعله متعلقاً بمحذوف ، أي رأيت الى ، أو في المعطوف عليه ، نظراً الى أنه في معنى : رأيت كالذي حاج ، فيصح العطف عليه حينئذ .

قلت : وهذه دقة نظر وبعد غور لا حدّ لهما ، واستقصاء علمي منقطع النظير ، ولم نصحح إعرابنا كما ارتآه ، واكتفينا بإثبات هذه الملاحظة .

٢ - قال أبو السعود العمادي مفتي التخت العثماني الذي تقلد

الإفتاء الإسلامي مدة ثلاثين سنة ، وصاحب التفسير المسمى « إرشاد السليم الى مزايا الكتاب الكريم » والمتوفى سنة ألف وخمسمائة وأربع وسبعين للميلاد في صدد بحثه عن الكاف في قوله « أو كالذي » : والكاف إما اسمية كما اختاره قوم ، جيء بها للتنبيه على تعدد الشواهد وعدم انحصارها فيما ذكر ، كقولك : الفعل الماضي مثل نصر، وإما زائدة كما ارتضاه آخرون والمعنى : أولم تر الى الذي مر على قرية كيف هداه الله وأخرجه من ظلمة الاشتباه الى نور العيان والشهود، أي قد رأيت ذلك وشاهدته .

٣ - قال ابن هشام في المغني : « ومن الوهم في هذا الباب قول بعضهم في قوله تعالى « واقطر الى العظام كيف تنشرها » أن جملة الاستفهام حالية ، والصواب أن « كيف » وحدها حال من مفعول تنشرها ، وأن الجملة بدل من العظام » .

وأورد الدسوقي في حاشيته على ابن هشام أن هذه الجملة لا تحل محل المبدل منه ، وهو شرط في صحة البدل . وفات الدسوقي أن الالتفات للمعنى أي الى العظام وكيفية نشوزها ، على أن هذه القاعدة أغلبية .

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْخِئُ الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِكَ تُؤْمِنُ ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ ﴾

اللفة :

(فَصْرَهْن) : بضم الصاد ويجوز كسرهما ، فعل أمر من صار يصْثور أو من صار يصير بمعنى ضمّ أو مال ، قال :

وفرع يصير الجيد وحف كأنه على الليت قنوان الكروم الدّوالح

يصف شعر محبوبته بأنه يميل عنقها لنقله عليه ويشبهه بعناقيد الكروم المثقلات بالحمل . وقال في مختار الصحاح : « وصارَهْ أَمالَهْ ، من باب قال وباع ، وقرىء فصرهن إليك بضم الصاد وكسرهما ، وصار الشيء أيضاً من البابين قطعه وفصله ، فمن فصره بهذا جعل في الآية تقدماً وتأخيراً ، أي فخذ إليك أربعة من الطير فصرهن » .

الاعراب :

(وإذ قال إبراهيم) الواو استئنافية والكلام مستأنف مسوق لإيراد دليل آخر على رعاية الله للمؤمنين ، وفيه تنويه بأن الرؤية والعيان لا بد منهما لتدعيم الاعتقاد وترسيخه ، إذ لم يكن إبراهيم شاكاً في إحياء الله للموتى ، وإذ ظرف متعلق بما ذكر مقدراً وقال إبراهيم فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة (رب أرني كيف تحيي الموتى) رب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة ، والجملة في محل نصب مقول القول . وأرني فعل أمر من الإراءة اليصرية المتعدية لواحد ، وبدخول الهمزة صارت متعدية لاثنتين . وأصل أرني أرئيني ، فحذفت الياء الأولى فصار أرئني ، ثم نقلت حركة الهمزة الى الراء وحذفت الهمزة ،

وأرني فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والنون للوقاية وياء المتكلم مفعول به أول ، وكيف استفهام حال وتحيي فعل مضارع وفاعله مستتر والموتى مفعول به وجملة كيف تحيي الموتى في محل نصب مفعول أرني الثاني (قال أولم تؤمن) قال فعل ماض والفاعل هو والجملة مستأنفة بمثابة التقرير للواقع ، أي : أتسأل ولم تؤمن ، والهمزة للاستفهام التقريري ، لأن الاستفهام إنما هو عن أمر متقرر الوجود عند السائل والمسئول على السواء . والواو عاطفة ولم حرف نفي وقلب وجزم وتؤمن فعل مضارع مجزوم بلم والجملة الاستفهامية في محل نصب مفعول القول (قال بلى) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الإيمان ، وأتى بـ « بلى » التي هي حرف جواب لتثبت الإيمان المنفي ، ولو كان الجواب بنعم لكان كهراً (ولكن ليطمئن قلبي) الواو عاطفة على جملة محذوفة تقديرها : « سألتك » ، ولكن حرف استدراك مهمل وليطمئن اللام للتعايل ويطمئن فعل مضارع منصوب بأن مضمرة ولا بد من تقدير محذوف ليصح تعليق اللام ، أي ولكن سألتك كيفية الإحياء ليطمئن قلبي ، وقلبي فاعل مرفوع بالضمة المقدرة على ما قبل ياء المتكلم ، والياء مضاف إليه (قال فخذ أربعة من الطير) جملة مستأنفة مسوقة للتدليل على ولاية الله تعالى للمؤمنين والسير بهم في آفاق الطريق المستقيم ، والفاء هي الفصيحة أي إذا أردت معرفة ذلك عياناً فخذ ، وخذ فعل أمر والفاعل أنت وأربعة مفعول به ومن الطير جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأربعة (فصرهن إليك) الفاء عاطفة وصرهن فعل أمر والفاعل مستتر تقديره أنت والهاء مفعول به والنون علامة النسوة لا محل لها من الإعراب وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي مضمومات إليك (ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً)

ثم حرف عطف للترتيب والتراخي واجعل فعل أمر والفاعل أنت وعلى كل جار ومجرور متعلقان باجعل على أنه مفعول ثانٍ لـ « اجعل » وجبل مضاف اليه ومنهن جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « جزءاً » فلما تقدمت على الموصوف أعربت حالاً وجزءاً هو المفعول الأول (ثم ادعهن يأتينك سعيًا) عطف أيضاً وادعهن فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والفاعل أنت والهاء مفعول به والنون علامة التانيث لا محل لها ويأتينك فعل مضارع مبني على السكون في محل جزم جواب الطلب والنون فاعل والكاف مفعول به والجملة جواب الطلب لا محل لها وسعيًا مفعول مطلق أي شيئاً سريعاً . ولك أن تعربها حالاً ، أي سرعات (واعلم أن الله عزيز حكيم) الواو عاطفة واعلم فعل أمر والفاعل أنت وإن واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي اعلم .

البلاغة :

في هذه الآية إيجاز بالحذف وقد حذف تمة القصة ، إذ حكى سبحانه أوامره ، ولم يتعرض لامثال إبراهيم عليه السلام لها ، لأن ذلك مدرك بالبداهة .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ

مَا أَنْفَقُوا مِّنَّا وَلَا أَذَىٰ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٣١٢﴾

اللفظة :

(السنبلة) معروفة ، وزنها قَسْعَلَةٌ ، فالنون زائدة ، يقال :
أسبل الزرع : أرسل ما فيه • وحكى بعض اللغويين : سنبيل الزرع ،
فتكون النون أصلية ، ووزنه فعال • وقد روى الأساس واللسان :
« وأسبل الزرع وسنبيل : خرج سَبِيلُهُ وسَنَبِيلُهُ » •

(المن) أن يعتدّ على من أحسن إليه بإحسانه •

الاعراب :

(مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) كلام مستأنف مسوق
لضرب المثل لإتقان الأموال في سبيل الله ، ولا بد من حذف مضاف ،
أي : مثل نفقتهم • ومثل مبتدأ والذين مضاف إليه وجملة ينفقون
لا محل لها لأنها صلة الموصول وأموالهم مفعول به وفي سبيل الله جار
ومجرور متعلقان ينفقون (كمثّل حبة أنبتت سبع سنابل) الجار
والمجرور متعلقان بحذوف خبر ، ولا بد من حذف مضاف
أيضاً ، أي كمثّل باذر حبة • وأنبتت فعل ماض والفاعل هي وسبع
مفعول به وسنابل مضاف إليه وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من
الصرف لأنه على صيغة متهمى الجموع وجملة أنبتت صفة لحبة
(في كل سنبلة مائة حبة) في كل الجار والمجرور متعلقان بحذوف

خير مقدم وسنبلة مضاف اليه ، ومائة حبة مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة لسنابل فتكون في محل جر ، أو صفة لسبع فتكون في محل نصب (والله يضاعف لمن يشاء) الواو استئنافية والله مبتدأ ويضاعف فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره هو يعود على الله تعالى وجملة يضاعف في محل رفع خبر للمبتدأ « الله » ولأن الجار والمجرور متعلقان بيضاعف وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة من (والله واسع عليم) الواو عاطفة والله مبتدأ وواسع خبر أول وعليهم خبر ثان (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله) لك أن تجعلها تابعة للجميل السابقة على أنها مبدلة منها ، ولك أن تجعلها مستأنفة مسوقة لذكر الإتيان غير المشوب بالمن • والذين مبتدأ أو بدل من الذين الأولى وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة وفي سبيل الله متعلقان بينفقون (ثم لا يتبعون ما أنفقوا مناً ولا أذى) ثم حرف عطف للترتيب والتراخي في الزمان والرتبة ، ولا نافية ويتبعون فعل مضارع معطوف على ينفقون وما اسم موصول مفعول به أول وجملة أنفقوا صلة ما ومنأ مفعول به ثان ولا أذى عطف على « منأ » (لهم أجرهم عند ربهم) الجار والمجرور خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر والظرف متعلق بمحذوف حال وربهم مضاف اليه والجملة الاسمية في محل رفع خبر الذين إذا كانت مبتدأ ، أما إذا كانت بدلا فالجملة استئنافية (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعراب هذه الآية بحروفها •

البلاغة :

١ - التشبيه التمثيلي : فقد شبه تقية المنفقين في سبيل الله بالحبّة في مضاعفة الأجر ، فهي عندما يفرسها الغارس تثبت ساقاً

يتشعب منه سبع شعب ، لكل واحد سنبله • وفيه تجسيد بديع
بعقد المائلة بين المشبه والمشبه به • والغرض من التشبيه هنا توضيح
المعنى وتقريبه للأذهان أولاً ، ثم تأييده بالدليل المحسوس الذي
لا يكابر فيه المكابر ، ولا يتعنت فيه المتعنت ثانياً ، ثم تزيين المشبه
وتجمله ، وإلهاب الرغبة فيه ، بحيث لا يتردد أحد في الإتيان بعد أن
رأى بعينه سلفاً ما أعد له من جزاء ثالثاً •

٢ - « ثم » في أصل وضعها تشير الى أن ثمة تراخياً بين المعطوف
بها والمعطوف عليه ، وهذا التراخي قد اختلف فيه ، فبعضهم يقول :
إنه تراخي الزمن وبتعد ما بينهما • والزمخشري يرحمه الله يحمله
على التفاوت في الرتبة ، فإلى أيهما يعتري في هذه الآية ؟

لقد أفاض علماء البيان في هذا الباب ، فقال قوم : المراد التراخي
في الزمن نظراً للغالب من أن وقوع المن والأذى يكون بعد الإتيان
حتماً ، بل هما مترتبان عليه ، ولا يمكن تصورهما قبل وقوعه ، وهذا
حسن جميل ، وذهب الزمخشري الى أن التراخي هنا محمول على
التفاوت في المراتب والتباعد بينهما ، حيث لا يمكن حملها على الزمان
لسياق يأبى ذلك في الآية • وحاصله أنها استعيرت من تباعد الأزمنة
لتباعد المرتبة ، وهذا من أبداع ما يصل اليه الفكر الراجح والذكاء
البعيد الغور ، فإن استخراج هذه الاستعارة على هذا الشكل
لا يدركه قصار النظر والابتدائيون ، وعلى هذا يقال : معناها الأصلي
تراخي زمن وقوع الفعل وحدثه ، ومعناها المستعارة اليه دوام وجود
الفعل وتراخي زمان بقاءه •

﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ۖ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾
 ﴿٢١٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ
 مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَنَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ
 عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَا
 كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٣﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا
 وَابِلٌ فَفَاعَتَتْ أَكْطُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطُلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرٌ ﴿٢١٤﴾

اللفظة :

(رثاء) مصدر راءى مرأاة ورثاء ، والأصل : رياءاً ، فالهمزة الأولى بدل من ياء هي عين الكلمة ، والثانية يدل من ياء هي لام الكلمة لأنها وقعت طرفاً بعد ألف زائدة . والمفاعلة على بابها من المشاركة ، لأن المرائي يري الناس أعماله حتى يثروه الثناء عليه والاحترام له .

(صفوان) : حجر كبير أملس .

(الوابل) : المطر الكثير . قال الأصمعي : أخف المطر وأضعفه .
الطلّ ، ثم الرذاذ أقوى منه ، ثم البغش والبدث ، ومثله الرّكّ
والرهمة . وقال النضر بن شميل : أول المطر رش وطش ، ثم طل
ورذاذ ، ثم نضج ونضخ ، ثم هطل وتهتان ، ثم وابل وجود .

(صلد) : صلب أملس أو أجرد نقي من التراب الذي كان عليه .

الاعراب :

(قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى)
قول مبتدأ وساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ، معروف : صفة لقول
ومغفرة عطف على قول ، خير خير ، من صدقة جار ومجرور متعلقان
بخير ، يتبعها فعل مضارع والهاء مفعول به والجملة صفة لصدقة ،
أذى فاعل ، (والله غني حلیم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغني
حلیم خبراه . (يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها كثيراً (لا تبطلوا
صدقاتكم بالمنّ والأذى) كلام مستأنف مسوق لبيان حكم هذه
المسألة ، وهي إبطال الصدقات بالمنّ والأذى . ولا فاهية وتبطلوا فعل
مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وصدقاتكم مفعول به منصوب
بالكسرة نيابة عن الفتحة لأنه جمع مؤنث سالم ، والكاف مضاف إليه
وبالمنّ جار ومجرور متعلقان بتبطلوا والأذى عطف على المنّ (كالذي)
الجار والمجرور متعلقان بمحذوف نعت لمصدر محذوف ، فهو مفعول
مطلق أي لا تبطلوها إبطالا كإبطال الذي ... أو حال من ضمير
المصدر المقدر ، كما نص عليه سيوريه ، أو من فاعل تبطلوا . أي
لا تبطلوا صدقاتكم مشبهين الذي يتفق ماله رءاء الناس والوجهان

جيدان • (ينفق ماله رثاء الناس) جملة ينفق ماله صلة الموصول لا محل لها ورثاء الناس مفعول لأجله وقد استكمل شروط النصب فلا يعدل عنه الى وجه آخر كما زعم بعض المعريين (ولا يؤمن بالله واليوم الآخر) الواو حرف عطف ، لا نافية ، يؤمن فعل مضارع وفاعله هو ، وبالله متعلقان بيؤمن ، واليوم الآخر معطوف على الله (فمثلته كمثله صفوان) الفاء استئنافية جيء بها لمجرد الربط بين الجمل ، ومثله مبتدأ وكمثله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، أو الكاف اسم بمعنى مثل خبر وهو مضاف ومثل مضاف اليه وصفوان مضاف الى مثل (عليه تراب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وتراب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية في محل جر صفة لصفوان (فأصابه وابل) الفاء عاطفة عطفت أصابه على متعلق عليه ، أي : استقر عليه فأصابه ، والهاء مفعول به ووابل فاعل (فتركه صلداً) الفاء عاطفة وترك فعل ماض ينصب مفعولين أولهما الهاء والثاني صلداً (لا يقدرّون على شيء) الجملة مستأنفة مسوقة للرد على سؤال ، كأنه قيل فماذا كان مآلهم ؟ فقيل : لا يقدرّون ، ولا نافية ويقدرّون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو قاعل وعلى شيء جار ومجرور متعلقان بيقدرّون ، وأعاد الضمير مجموعاً وهو في الظاهر مفرد ، لأن «الذي» يراد به الفريق الذي ينفق والجنس الذي ينفق (مما كسبوا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لشيء وجملة كسبوا لا محل لها لأنها صلة الموصول ما (والله لا يهدي القوم الكافرين) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للتعريض بأن المن والأذى من صفات الكفار والله مبتدأ وجملة لا يهدي خير والقوم مفعول به والكافرين صفة للقوم (ومثل الذين ينفقون أموالهم) الواو عاطفة على « فمثلته » ومثل مبتدأ ولا بد من تقدير مضاف تقديره ثقات ، والذين مضاف

اليه وجملة ينفقون أموالهم لا محل لها لأنها صلة الموصول (ابتغاء
 مرضاة الله) مفعول لأجله وشروط النصب متوفرة فيه ومرضاة الله
 مضاف اليه (وتثبيتاً من أنفسهم) عطف على ابتغاء ، ومن أنفسهم
 متعلقان بـ « تثبيتاً » أي منطلقاً من أصل أنفسهم ، وقال ابن عطية :
 « ولا يصح أن يكون ابتغاء مفعولاً من أجله لعطف « تثبيتاً » عليه ،
 ولا يصح « تثبيتاً » أنه مفعول من أجله لأن الاتفاق ليس من أصل
 التثبيت » ، ولهذا رجح أبو حيان أن يكون « ابتغاء » مصدراً في
 موضع الحال ، أي : متغين ، وكذلك « وتثبيتاً » . وفي كلامهما شيء
 غير قليل من بعد الغور وحسن التقدير . ولكن يمكن القول أن
 التثبيت من أفعال القلوب ، لأنه صادر عنها ، وهو يحدو صاحب
 القلب الى التثبيت ، ولهذا نرجح ما أعربناه (كمثل جنة ربوة) الجار
 والمجرور متعلقان بمحذوف خبر للمبتدأ « مثل الذين » وبربوة جار
 ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنة (أصابها وابل) فعل ومفعول
 به وفاعل والجملة صفة لجنة أيضاً (فأتت أكلها ضعفين) الفاء عاطفة
 وآتت فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هي يعود على جنة وأكلها
 مفعول به والهاء مضاف اليه وضعفين حال (فإن لم يصبها وابل فطل)
 الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف قوي وقلب وجزم ويصبها فعل
 مضارع مجزوم بـ « لم » في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة
 للجواب وطل خبر لمبتدأ محذوف أي فالذي يصيبها طل والجملة في
 محل جزم جواب الشرط (والله بما تعملون بصير) الواو استئنافية
 والله مبتدأ والجار والمجرور متعلقان ببصير وجملة تعملون صلة
 الموصول وبصير خبر الله .

البلاغة :

١ - التشبيه التمثيلي الأول : فقد شبه إتيان الأموال رثاء الناس ثم إتيان ذلك بالمنّ والتطاؤل بالإحسان بالتراب الذي يوضع على الصخر الأملس يأتي عليه الواابل من المطر فيذروه ويذهب به ولا يترك له أثراً .

٢ - التشبيه التمثيلي الثاني : فقد شبه إتيان الأموال الخالص من الرياء في سبيل الله وابتغاء مرضاته بالبستان الوريث الضلال فوق ربوة عالية يكفيها القليل من المطر لتربو وتهتز وتمرع وتخصب .

﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنَّ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾

اللفظة :

(نخيل) النخيل : قيل : هو اسم جمع ، واحده نخلة . وقيل : هو جمع فخل ، ونخل اسم جنس .

(الأعناب) : جمع عنب ، أو هو اسم جنس ، واحده عنبَة

(إعصار) : ريح شديدة مرتفعة ، وقيل : هو الريح السوم . سميت بذلك لأنها تلتف كما يلتف الثوب المعصور ، وقيل لأنها تعصر السحاب . ويجمع الإعصار على أعاصير .

الاعراب :

(أيود أحدكم) جملة مستأنفة مسوقة لضرب مثل آخر لنفقة المرائين والمائتين • والهمزة للاستفهام ويود فعل مضارع وأحدكم فاعله والكاف مضاف إليه (أن تكون له جنة) أن وما بعدها مصدر في محل نصب مفعول يود وله الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجنة اسمها المؤخر • (من نخيل وأعناب) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجنة وأعناب عطف على نخيل (تجري من تحتها الأنهار) تجري فعل مضارع ومن تحتها جار ومجرور متعلقان بتجري والهاء مضاف إليه والأنهار فاعل والجملة صفة ثانية لجنة (له فيها من كل الثمرات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وفيها جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ومن كل الثمرات الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة للمبتدأ المؤخر والمحذوف أي له رزق كائن من كل الثمرات حالة كونه فيها ، والجملة صفة ثالثة لجنة (وأصابه الكبر) الواو حالية وجملة أصابه الكبر في محل نصب حال ولا بد من تقدير « قد » (وله ذرية ضعفاء) الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وذرية مبتدأ مؤخر وضعفاء صفة لذرية والجملة في محل نصب على الحال من الهاء في « أصابه » (فأصابها إعصار) الفاء حرف عطف وأصاب فعل ماض والهاء مفعول به وإعصار فاعل والجملة معطوفة على صفة الجنة (فيه نار) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وفار مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية صفة لإعصار (فاحترقت) عطف على أصابها (كذلك يبين الله لكم الآيات) الجار والمجرور « كذلك » متعلقان بمحذوف صفة لمفعول مطلق محذوف أو في محل نصب حال ويبين فعل مضارع مرفوع والله فاعل يبين ولكم متعلقان يبين والآيات مفعول به منصوب

بالكسرة وجملة يبين استثنائية (لعلكم تتفكرون) لعل واسمها وجملة تتفكرون خبرها وجملة الرجاء في محل نصب على الحال .

البلاغة :

في هذه الآية يسمو البيان القرآني الى أعلى ذروة يتصورها العقل البشري ، وجميع آي القرآن من البيان الرفيع السامي . ولكن هذه هذه الآية وآيات كثيرة وردت وسترى في مواطنها استوفت من الناحية البيانية الغاية ، وأربت على النهاية ، وهي بمثابة المثل لنفقة المرائي الذي ينفق للتبجح وإعلان حب النفس ، وإيهام الناس بأنه بالغ أقصى الغايات ، بينما تذهب أعماله سدى . وسنبسط القول فيها بسطاً يتفق مع مراميها البعيدة ، وفيما يلي ما أدركناه منها :

١ - الاستفهام في قوله : أيود ؟ للإنكار والنفي . أما مصب النفي فهو في قوله : « فأصابها إعصار » لأنه مناطه ومثابته . وجميل قول ابن عباس فيها : « هو مثل لرجل عمل بالطاعات ثم زين له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله وطاح بها » .

٢ - وفي هذه الآية فن التميم وقد تقدمت الإشارة إليه . ونزيده هنا بسطاً ، فنقول : هو أن يأتي الشاعر أو الكاتب في كلامه بكلمات لو طرحت لنقص معناه أو صورته مع بقاء الكلام سليماً . وإليك الصور التي اندرجت فيها :

آ - لما ذكر سبحانه الجنة لم يكتف بذكرها مجردة من كل قيد، لأن الجنة في اللغة لفظ يصدق على كل شجر متكاثف ملتف ، يستر من يتفياً بظلاله الوريقة . ومن هذا الشجر ما هو محدود النفع كالأثل والخط وغيرهما من الأشجار التي لا تصلح إلا للحطب ، ومنها

ما يتضاعف ثقله فيؤكل ثمره وتستخرج منه مواد أخرى نافعة ثم يكون حطبه صالحاً للوقود ، فتم ذلك النقص بقوله : « من نخيل وأعناب » ، وفهم بالبداهة أن هذه الجنة تميزت بأن أشجارها من الصنف الثاني المتضاعف النفع أي أن احتراق تلك الجنة — ولو كانت تضم الأثل والخط — ونحوهما مما هو محدود النفع — يشجى صاحبها، فكيف إذا كانت من نخيل وأعناب ؟ ألا يكون الأسف عليها أشد ؟ والشجى باحتراقها أعظم ؟

ب — ثم تم ذلك بذكر الأنهار الجارية للدلالة على ديمومة الخصب . إذ ما الفائدة منها إذا نضبت فيها الأمواه ؟ ألا يكون مآلها إلى اليبس والذبول ؟

ج — ولدفع الإيهام الذي يخيل إلى السامعين أن هذه الجنة قد تكون مقتصرة على هذين الضريين من الثمرات، وهما : النخيل والأعناب تم بقوله « له فيها من كل الثمرات » ، أي أنها تجمع جميع أفانين الثمر ، فالحسرة إذن على احتراقها أشد ، والأسف على فنائها أعم .

د — ولما فرغ من وصف الجنة شرع في وصف الطادث المهلك الذي أدى إلى فناء الجنة بقوله : « فأصابها إعصار » يجتاح الأخضر واليابس ويهلك الحرث والنسل .

ه — على أن الإعصار مهما يبلغ تأثيره فانه ربما كان مؤجلاً للإهلاك ، فدفع هذا الإيهام بقوله : « فيه نار » فأحرقها بعد أن أودى بأشجارها . ولم يكتف بذكر النار لأنها قد تأتي على شيء مما تحرقه ويبقى بعد ذلك شيء آخر منها فدفع هذا الإيهام مرة أخرى بذكر الاحتراق .

البحثري والتتيميم :

ومن التتيميم في الشعر قول البحثري في وصف الإبل التي براها
السير والشري :

كالقسي المعطّفات بل الأسهم مبريّة بل الأوتار

فقد شبه الإبل بالقسي المعطّفات ، وهو تشبيه جميل لما فيه من
تنويه بالنحول ، ولما في خلق الإبل من الحذب والانحناء . ثم جعلها
مبرية على طريق الإضراب الذي يلمح الى الغلط ، ثم ترقى في ذلك
فجعلها كالأوتار . وهذا كله من أوابد البحثري التي أطلق عليها اسم
« سلاسل الذهب » كما كان يسميها النقاد القدامى ، على أني وقت
بعد ذلك على حديث للرسول العربي محمد صلى الله عليه وسلم فعلمت
أن البحثري لم يبتكر هذه المعاني العميقة المصوغة في أجمل بيان ،
وأنه رمق سماء الحديث النبوي ، وأنه أخذه أخذاً يسبق أسهمه المبرية ،
وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « لو صليتم لله حتى تعودوا كالقسي » ،
وصتمتم حتى تعودوا كالأوتار » . وهذا مما أخذ بنصه وفصه .

٣ - وفي هذه الآية أيضاً فن « الطاعة والمصيان » وقد أطلق
هذه التسمية شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبو العلاء المعري
عندما نظر في شعر أبي الطيب المتنبي ، وتحدث عنه في كتابه
« معجز أحمد » ، يعني أحمد المتنبي فأتى على قوله :

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادر ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

وقال : « أراد المتنبي الطّباق فصاه وأطاعه الجناس فانه أراد
أن يقول : يرد يداً عن ثوبها وهو مستيقظ ، فصاه ذلك لامتناع

دخوله في الوزن فقال وهو قادر لأن القادر مستيقظ وزيادة ، ليكون بينها وبين القافية تجانس ، فأطاعه الجناس المقلوب بين قادر وراقد ، وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ .

أقول : هذا ما ذكره أبو العلاء المعري ، وليس في بيت المتنبي شيء من ذلك ، ولو أراد أن يقول : « يردّ يدأ عن ثوبها وهو ساهر » أو « متنبها » بحذف لفظة « وهو » لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن ، وإنما مراده بيان العفاف من القادر لا من غيره ، أي أنه مع قدرته عليها لا يبيع لنفسه مدّ يده إلى إزارها ، كما أنه إذا رأى خيالها في المنام امتنع عنه كما يمتنع عنه في اليقظة . يصف نفسه ببعد الهمة عن مغازلة النساء ، إذن فنن الطاعة والعصيان الذي ابتدعه المعري ولم يوفق في التمثيل له أثبت علماء البيان ومثلوا له بقول ابن النيبه :

بيضاء حجبها الواشون حين سرت
عني فلو لمحت صبغ الدجى لمحت

أراد أن يقول : فلو لمحت سواد الدجى ، ليأتي نوع التدييج بقوله بيضاء وسواد ، فعصاه الوزن فقال : « صبغ الدجى » وهو مرادف للسواد ، فصدق عليه أنه عصاه التدييج وأطاعه فن الإرداف . ومثله قول الأراجاني :

كم رعت هذا الحي إما زائراً فرداً وإما سائراً في جحفل

أراد أن يقول : وإما محارباً ، لتكون المقابلة بين زائر ومحارب ، ولا شك أن الزائر يكرن مسالماً بين قوله « فرداً » وقوله « في جحفل » فعصاه الوزن وأعطاه الجناس اللاحق بين زائر وسائر . أما في الآية

الكريمة التي نحن بصدددها فإنها وقع فيها التتيميم ، وقد تحدثنا عنه قبل قليل فيها . ولما كان المتكلم في الأصل يقصد المساواة في كل ما يتكلم به فإذا عصته المساواة للأغراض الآتية الذكر أطاعه التتيميم فتنبه لهذا فإنه من دقائق الفنون .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِكَافِرِينَ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ؕ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢١٧﴾﴾

اللفظة :

(تغمضوا) الإغماض : غَضَّ اليصر ، وأغمضت العين إغماضاً وغمضتها تغميضاً : أطبقت الأجفان . والمراد به هنا التجاوز والتسامح والمساهلة .

الاعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها ، وجملة النداء وما يليه مستأنفة مسوقة لبيان ما ينفق منه ، أي أنفقوا من حلال ما كسبتم وجيده (أنفقوا من طيبات ما كسبتم) أنفقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل ومن طيبات الجار والمجرور متعلقان بأنفقوا وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة كسبتم صلة الموصول (ومما أخرجنا لكم من الأرض) ومما عطف على من طيبات وجملة أخرجنا لا محل لها لأنها صلة الموصول ولكم جار ومجرور متعلقان بأخرجنا ومن الأرض متعلقان بأخرجنا . ولك أن تملقهما بمحذوف

حال ، أي : ناجياً من الأرض • ويرحم الله الفقهاء ما أثقب أذهانهم فأبو حنيفة أبقاه على عمومته في الزكاة ، والشافعي خصه بما يزرعه الآدميون وكلاهما صحيح (ولا تيمّموا الخبيث منه) الواو عاطفة ولا ناهية وتيمّموا فعل مضارع مجزوم بلا وأصل تيمّموا : تتيّمّموا بتاءين حذفت إحداهما تخفيفاً والواو فاعل والخبيث مفعول به ومنه متعلقان بمحذوف حال من الخبيث (تنفقون) الجملة حالية ومفعول تنفقون محذوف أي تنفقونه (ولستم بأخذيّه) الواو حالية وليس واسمها والباء حرف جر زائد وأخذيّه مجرور لفظاً منصوب محلاً على أنه خبر ليس وحذفت النون للإضافة والهاء مضاف إليه ، والجملة حال من فاعل تنفقون أي الواو (إلا أن تغمضوا فيه) أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض أي بأن تغمضوا ، والجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال ، فهو استثناء من أعم الأحوال ، ولك أن تعلقهما بأخذيّه ، وهو أسهل (واعلموا أن الله غني حميد) الواو استئنافية واعلموا فعل أمر والواو فاعل وأن واسمها وخبرها مدت مسد مفعولي اعلموا •

البلاغة :

في هذه الآية استعارة تصريحية وذلك في قوله : « إلا أن تغمضوا فيه » شبه التجاوز عن الشيء الجدير بالمواخذه بغض العين عما يتفادى المرء رؤيته ما يكره •

﴿ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٢٧) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ

الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ وَمَا
 أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ
 ﴿٢٧٠﴾

اللفظة :

(الفحشاء) : المراد بها هنا البخل ، والفاحش البخيل . قال
 طرفة بن العبد :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى
 عقيلة مال الفاحش المشدد

قال الكلبي : « كل فحشاء في القرآن فالمراد بها الزنى ، الا هذا
 الموضع » .

الاعراب :

(الشيطان يعدكم الفقر) كلام مستأنف مسوق للتحذير من
 الإصاخة للشيطان ووساوسه . والشيطان مبتدأ وجملة يعدكم خبر
 والفقر مفعول به ثان أو منصوب بنزع الخافض (ويأمركم بالفحشاء)
 عطف على : « يعدكم الفقر » والجار والمجرور متعلقان بيامركم
 (والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً) عطف على الجملة المستأنفة : ومغفرة
 مفعول به ثان ومنه : جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لمغفرة ،
 وفضلاً : عطف على مغفرة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله
 مبتدأ . واسع عليم خبران لله (يوتي الحكمة من يشاء) الجملة خبر
 ثالث لله أو جملة مستأنفة ويوتي فعل مضارع مرفوع وقاعله ضمير
 مستتر تقديره هو والحكمة مفعول به أول ومن اسم موصول في محل

نصب مفعول به ثان وجملة يشاء صلة الموصول (ومن يئوت الحكمة) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويئوت فعل الشرط مبني للمجهول وعلامة جزمه حذف حرف العلة ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو والحكمة مفعول به ثان (فقد أوتي خيراً كثيراً) الفاء رابطة لجواب الشرط وقد حرف تحقيق وأوتي فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وخيراً مفعول به ثان وكثيراً صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (وما يذكر إلا أولو الأبواب) الواو عاطفة وما نافية ويذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وأولو فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم ، والأبواب مضاف إليه (وما أتقتم من نفقة) الواو عاطفة وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لأتقتم ومن نفقة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ، وجعلها كثيرون زائدة ، وهو أسهل ، ولكنه غير مقيس (أو نذرتهم من نذر) عطف على ما تقدم (فإن الله يعلمه) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها وجملة يعلمه خبرها والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وما للظالمين من أنصار) الواو استئنافية وما نافية وللظالمين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد وأنصار مبتدأ مؤخر .

﴿ إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ *
لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُنْفِكُ وَلَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ

إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ ﴿٢٢١﴾ الدعاب:

(إن تبدوا الصدقات فنعما هي) كلام مستأنف مسوق لتفصيل ما أجمل في الجملة الشرطية السابقة ولذلك ترك العاطف ، وإن حرف شرط جازم وتبدوا فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والصدقات مفعول به . فنعما : الفاء رابطة لأن الجواب فعل جامد قال بعضهم في مواضع ربط الجواب بالفاء :

اسمية طلبية وبجامد وبما ولن وبقد وبالتنقيس

ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح وما نكرة تامة بمعنى شيء في محل نصب على التمييز وقايل نعم ضمير مستتر مفسر بـ « ما » هي : ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ خبره جملة نعتية لأنه المخصوص بالمدح وجملة نعتية هي جملة اسمية في محل جزم جواب الشرط (وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء) الواو عاطفة وإن شرطية وتخفوها فعل مضارع فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل والياء مفعول به وتؤتوها عطف عليه والهاء مفعول به أول والفقراء مفعول به ثان (فهو خير لكم) الفاء رابطة للجواب وهو ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وخير خبره ولكم جار ومجرور متعلقان بخير والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (ويكفر عنكم من سيئاتكم) الواو استئنافية ويكفر فعل مضارع مرفوع والجملة خبر مبتدأ محذوف أي والله يكفر عنكم وعنكم جار ومجرور متعلقان بيكفر وقرىء بالجزم عطفاً على موضع الفاء في قوله

« فهو خير لكم » لأنه جواب الشرط ومن سيئاتكم متعلقان بمحذوف صفة لمفعول به محذوف أي : شيئاً من سيئاتكم ، نص على ذلك سيبويه ، وهو أولى من جعلها زائدة في الكلام الموجب ، كما صنع العربون كأبي البقاء وغيره (والله بما تعملون خير) الواو استئنافية والله مبتدأ وخير خبره والجار والمجرور متعلقان بخير وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة (ليس عليك هداهم) كلام مستأنف مسوق للتشديد في العقيدة والنهي عن التساهل مع أعداء الله وأعداء دينه ، ومعلوم أنه كانت هنا قرابات ومصاهرات في اليهود ، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصديق عليهم لحملهم على الانضواء إلى الدين القويم . وليس فعل ماض ناقص وعليك خبرها المقدم وهداهم اسمها المؤخر وهو مصدر مضاف لمفعوله (ولكن الله يهدي من يشاء) الواو اعتراضية لا محل لها والجملة لا محل لها ولكن واسمها وجملة يهدي خبرها ومن اسم موصول مفعول يهدي وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما تنفقوا من خير فلا تكسبكم) الواو عاطفة على ما قبلها وما شرطية جازمة في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط ومن خير في محل نصب حال والفاء رابطة لجواب الشرط ولأنفسكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف والتقدير : فهو لأنفسكم ، والجملة في محل جزم جواب الشرط (وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله) الواو عاطفة وما تافية وتنفقون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعله وإلا أداة حصر وابتغاء مفعول لأجله فالاستثناء من أعم العلى ووجه الله مضاف إليه (وما تنفقوا من خير) تقدم إعرابها (يوف إليكم) جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة ونائب الفاعل مستتر تقديره هو وإليكم جار ومجرور

متعلقان ييوف (وأتم لا تظلمون) الواو حالية وأتم مبتدأ وجملة
لا تظلمون خبر أتم ، والجملة الاسمية في محل نصب حال . ولك
أن تجعل الواو استئنافية فتكون الجملة مستأنفة لا محل لها .

﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي
الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا
يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾
الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٧﴾ ﴾

اللمعة :

(أحرصوا) أحرصهم الجهاد وأرصدهم للمناضلة في سبيل
الله ، وصرف نفوسهم عن الاشتغال بأي شيء سواه . وأرصده الشيء
أعدّه لأمر من الأمور ، وفي الحديث : « إلا أن أرصده لدين علي »
ويستعملونها اليوم خطأ ، فيكتبون : « رصد المبلغ لكذا » والصواب :
« أرسد » فتنبه .

(سيماهم) السيماء : بالقصر العلامة ، ويجوز مدها : السيماء .
وبعض بني أسد وثقيف يقولون : بسيمائهم . ومن ذلك قول ابن
عنقاء الفزاري :

غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيمياء لا تشق على البصر

(الإلحاف) شدة الإلحاح في المسألة وفي الحديث : « من سأل وله أربعون درهماً فقد ألحف » .

الاعراب :

(للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله) الجار والمحرور متعلقان
بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : صدقاتكم للفقراء ، والذين صفة
للفقراء وجملة أحصروا في سبيل الله لا محل لها لأنها صلة الموصول
والجار والمحرور متعلقان بأحصروا (لا يستطيعون ضرباً في الأرض)
الجملة في موضع نصب على الحال ، وجملة للفقراء مستأنفة مسوقة
لتكون جواباً عن سؤال نشأ مما سبق كأنهم سألوا لما أمروا
بالصدقات : لمن هي ؟ فقيل : إنها لهؤلاء . ولا نافية ويستطيعون فعل
مضارع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو فاعل وضرباً مفعول به وفي
الأرض جار ومجرور متعلقان بضرباً (يحسبهم الجاهل أغنياء من
التعفف) الجملة حال ثانية للفقراء ويحسبهم فعل مضارع والهاء
مفعول يحسب الأول ، والجاهل فاعل وأغنياء مفعول
به ثان ومن التعفف جار ومجرور في موضع نصب على أنه
مفعول لأجله ، وجثر بـ « من » لأنه فقد شرطاً من أهم شروطه وهو
اتحاد الفاعل ، ففاعل الحساب هو الجاهل وفاعل التعفف هم الفقراء
(تعرفهم بسيماهم) الجملة حال ثالثة للفقراء وبسيماهم جار ومجرور
متعلقان بتعرفهم (لا يسألون الناس إلحافاً) الجملة حال رابعة ولا
نافية ويسألون فعل مضارع مرفوع والواو فاعل والناس مفعول به
والإحاف يجوز فيه أن يعرب مفعولاً مطلقاً لفعل محذوف ، أي :
يلحفون إلحافاً ، أو مصدراً مؤولاً في موضع الحال ، أي لا يسألون

حالة كونهم ملحقين ، أو مفعولاً من أجله وقد استوفى شروطه .
 (وما تنفقوا من خير) تقدم إعرابه قريباً (فإن الله به عليم) الفاء رابطة
 وإن واسمها والجملة خبرها ، والجملة اسمية في محل جزم جواز الشرط .
 وبه جار ومجرور متعلقان بالخبر « عليم » (الذين ينفقون أموالهم
 بالليل والنهار سرّاً وعلانية) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان
 صفة الصدقة ووقتها . ونزول الآية في أبي بكر أو علي بن أبي طالب
 لا ينزع عنها صفة شمول الحكم وعمومه . والذين مبتدأ وينفقون
 فعل مضارع والجملة لا محل لها لأنها صلة الموصول والواو فاعل
 وأموالهم مفعول به بالليل جار ومجرور متعلقان بتنفقون ، والنهار
 معطوف على الليل ، وسراً وعلانية مصدران منصوبان على الحالية أو
 بنزع الخافض (فلهم أجرهم عند ربهم) الفاء رابطة للدلالة على سببية
 ما قبلها لما بعدها ولما في الموصول من رائحة الشرط والجار والمجرور
 متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ مؤخر والظرف عند متعلق
 بمحذوف حال وربهم مضاف إليه والجملة خبر للموصول « الذين »
 (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعرابها بحروفها كثيراً .

البلاغة :

في قوله تعالى : « لا يسألون الناس إلحافاً » فن من أبدع الفنون
 البيانية ويسمونه « تقي الشيء بإيجابه » وحدّه أن يثبت الشاعر أو
 الكاتب شيئاً في ظاهر كلامه ثم ينفي ما هو من سببه . وهو كثير في
 القرآن الكريم . أما في هذه الآية فالمنفي في ظاهر الكلام هو الإلحاف
 في السؤال ، لا نفس السؤال مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام حقيقة
 نفس السؤال ، إلحافاً كان أو غير إلحاف . وهذا الذي يقتضيه المديح ،

وهو ، كما ترى ، من طرائف علم البيان ومن بارعة قول علي بن أبي طالب في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلسه : « لا تشنى فلتاته » ، أي : لا تذاع سقطاته . فظاهر هذا اللفظ أنه كان ثم فلتات ، غير أنها لا تذاع . وليس المراد ذلك ، ولكن المراد أنه لم يكن ثم فلتات للنبي فتشنى . وهذا من أغرب ما توسعت فيه لغتنا العربية . وزعم ابن الأثير في كتابه « المثل السائر » أنه قليل في الشعر ، وأنه لم يسمع منه غير بيت واحد لامرئ القيس ، وهو قوله :

على لأحب لا يهتدي بمناره إذا ساقه العود الديافيء جرجرا

فقوله : « لا يهتدي بمنارة » يوهم أن له مناراً ، إلا أنه لا يهتدى به . وليس المراد ذلك بل المراد أن لا مناراً له يهتدى به . وقد نسي ابن الأثير قول مسلم بن الوليد الملقب بصريع الغواني :

تسراه في الأمن في درع مضاعفة
لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه ولا يمسح عينيه من الكحل

فإن ظاهر الكلام تقي عبق الطيب ومسح الكحل . والمراد تقي الطيب والكحل مطلقاً ، لانهماكه في قيادة الجيوش وحفظ الثغور والحراسة على خطوط القتال .

٢ - وفي الآية فن المقابلة ، فقد تكرر الطباق بين الليل والنهار ، وبين السر والعلاية .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ

الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ
 اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا
 سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
 خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ

كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾

اللفظة :

(الزبا) الإرباء . الزيادة على الشيء ، يقال منه : أربى فلان على
 فلان إذا زاد عليه . وإنما قيل للرابية رابية لزيادتها في العظم والإشراف
 على ما استوى من الأرض مسا حولها .

(المس) : الجنون .

الاعراب :

(الذين يأكلون الربا) كلام مستأنف مسوق لذكر حكم الربا
 وهي الزيادة في المعاملة بالنقود . والذين مبتدأ وجملة يأكلون الربا
 لا محل لها لأنها صلة الموصول (لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه
 الشيطان من المس) لا نافية ويقومون فعل مضارع مرفوع وعلامة
 رفعه ثبوت النون والواو فاعل والجملة الفعلية في محل رفع خبر الذين
 وإلا أداة حصر وكما يقوم الكاف حرف جروما مصدرية وهي مع مدخولها
 في أويل مصدر في محل نصب مفعول مطلق أحوال وجملة يقوم لا محل لها

لأنها واقعة بعد موصول حرفي والذي فاعل وجملة يتخبطه الشيطان لا محل لها لأنها صلة الموصول ومن المس جار ومجرور متعلقان بيقومون أي لا يقومون من جراء المس إلا كما يقوم المصروع، ولك أن تعلقهما بيقوم أي كما يقوم المصروع من جنونه . واختار أبو حيان تعليقهما بتخبطه على سبيل التأكيد ورفع ما يتحمله « يتخبطه » من المجاز ، وهو وارد ، وما اخترناه أولى (ذلك بأنهم قالوا) اسم الإشارة مبتدأ والإشارة إلى العذاب النازل بهم ، والباء حرف جر وان واسمها وخبرها في تأويل مصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر « ذلك » أي : بسبب قولهم وجملة الإشارة استئنافية وقالوا فعل ماض مبني على الضم والواو فاعل (إنما البيع مثل الربا) إنما كافة ومكفوفة مهلة والبيع مبتدأ ومثل خبر البيع والربا مضاف إليه علامة جره الكسرة المقدرة والجملة في محل نصب مقول القول (وأحل الله البيع وحرم الربا) الواو حالية بتقدير قد بعدها ، وفيه دلالة على أن القياس يهدمه النص ، لأنه قد يكون فاسداً ، وليس ثمة أفسد من قياسهم لتحليل ما حرم الله . وأحل فعل ماض والله فاعله والبيع مفعول به وحرم الربا عطف والجملة بعد الواو حالية (فمن جاءه موعظة من ربه) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ وجاءه فعل ومفعول به وهو في محل جزم فعل الشرط وموعظة فاعل ومن ربه جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لموعظة (فاتمى) الفاء عاطفة ، انتهى عطف على جاءه وفاعله هو (فله ما سلف) الفاء رابطة لجواب الشرط والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة سلف صلة الموصول (وأمره إلى الله) الواو عاطفة وأمره مبتدأ وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة فله ما سلف في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (ومن عاد فأولئك أصحاب

(النار) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم مبتدأ وعاد فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة واسم الإشارة مبتدأ وأصحاب النار خبر والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (هم فيها خالدون) هم مبتدأ والجار والمجرور متعلقان بخالدون وخالدون خبر « هم » والجملة الاسمية في محل نصب على الحال (يمحى الله الربا) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان مصير الربا ويمحق فعل مضارع والله فاعله والربا مفعوله (ويربي الصدقات) عطف على يمحى الله الربا (والله لا يحب كل كفار أثيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يحب خبر وكل مفعول به وكفار مضاف إليه وأثيم صفة لكفار .

البلاغة :

١ - التشبيه التمثيلي في تشبيه آكلي الربا عند خروجهم من أجداثهم بمن أصابه مسّ فاختل طبعه ، واتكست حاله ، وصار يتهاوت في مشيته ويتكاوس في خطوته ، ويترنح ترنح الشارب السكران ثم يهوي مكباً على وجهه من سوء الطالع وقبح المنقلب ، وشناعة المصير ، والجزاء عادة وعقلاً من جنس العمل .

٢ - التشبيه المقلوب : في قولهم : « إنما البيع مثل الربا » وهم يريدون القول بأن الربا مثل البيع ليصلوا الى غرضهم ، وهو تحليل ما حرّمه الله ، فعكسوا الكلام للمبالغة ، وهو في البلاغة مرتبة عليا يصبح التشبيه به قائماً بالمشيّه وتابِعاً له . ومنه في الشعر قول البختری يصف بركة بناها المتوكل على الله :

كأنّها حين لجّت في تدفّقها يد الخليفة لمّا سال وادّيا

والأصل تشبيه يد الخليفة بالبركة ، فقلب الكلام للمبالغة .
وقول الآخر :

وبدا الصباح كأن غرته وجه الخليفة حين يمتدح
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا
فَلَئِكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٧٩﴾﴾

الاعراب :

(إن الذين آمنوا) كلام مستأنف مسوق لبيان حال
المؤمنين العاملين إن واسمها ، وجملة آمنوا لا محل لها لأنها
صلة الموصول (وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة)
الجملة الثلاث معطوفة على الصلة داخلة في حيزها (لهم أجرهم عند
ربهم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأجرهم مبتدأ
مؤخر والظرف متعلق بمحذوف حال والجملة الاسمية في محل رفع
خبر إن (ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) تقدم إعرابها بحروفها
(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها أيضاً (اتقوا الله) فعل أمر وفاعله ومفعوله
والجملة مستأنفة (وذرُوا ما بقي من الربا) الواو عاطفة وذرُوا فعل أمر والواو
فاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة بقي لا محل لها لأنها صلة

الموصول والجار والمجرور متعلقان بـبقي أو بمحذوف حال من فاعل بقي (إن كنتم مؤمنين) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها ومؤمنين خبرها وجواب الشرط محذوف أي فذروا والجملة استئنافية (فإن لم تفعلوا) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم وتفعلوا فعل مضارع مجزوم بلم وهو فعل الشرط (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) الفاء رابطة لجواب الشرط وأذنوا فعل أمر وفاعله والجار والمجرور بحرب متعلقان بأذنوا ومن الله متعلقان بمحذوف صفة لحرب ورسوله عطف على الله والجملة في محل جزم جواب الشرط (وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم) الواو عاطفة وإن شرطية وتبتم فعل ماض وفاعله وهو في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب ولكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم ورؤوس أموالكم مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب الشرط • (لا تظلمون ولا تظلمون) جملة لا تظلمون في محل نصب على الحال وهي بالبناء للفاعل وجملة ولا تظلمون عطف عليها وهي بالبناء للمفعول •

وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۖ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَىٰ اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾

اللفظة :

(نظرة) بكسر الظاء : مصدر بمعنى التأخير •

(ميسرة) : مصدر ميمي بمعنى اليسار والسعة ، أو اسم زمان ،
أي وقت اليسار .

الاعراب :

(وإن كان ذو عسرة) الواو استئنافية والجملة مستأنفة لتقرير
وجوب الإقطار والإمهال للمدين المعسر . وفي ذلك صلاح للعباد
وتأليف بين القلوب . وإن شرطية وكان فعل ماض تام بمعنى حدث
ووجد ، وهي تكتفي بفاعلها كسائر الأفعال . أي وإن حدث ذو عسرة ،
وذو فاعلها وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وعسرة مضاف
إليه (فنظرة الى ميسرة) الفاء رابطة لجواب الشرط ونظرة خبر لمبتدأ
محذوف أي فالحكم نظرة والجار والمجرور متعلقان بنظرة أو بمحذوف صفة لها
والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (وأن تصدقوا خير لكم)
الواو استئنافية وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل رفع مبتدأ
وخير خبر والجار والمجرور متعلقان بخير لأنه اسم تفضيل على غير
القياس (إن كنتم تعلمون) إن شرطية وكنتم فعل ماض ناقص والتاء
اسمها وجملة تعلمون في محل رفع خبرها وجواب الشرط محذوف
وجملة الشرط استئنافية (واثقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله) الواو عاطفة واثقوا
فعل أمر والواو فاعل ويوماً مفعول وترجعون فعل مضارع مبني للمجهول
والواو نائب فاعل والجملة في محل نصب صفة ليوماً وفيه جار ومجرور متعلقان
بمحذوف حال وإلى الله جار ومجرور متعلقان بترجعون (ثم توفي كل
نفس ما كسبت) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وتوفي فعل
مضارع مبني للمجهول وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول في
محل نصب مفعول به ثان وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة
(وهم لا يظلمون) الواو حالية وهم مبتدأ وجملة لا يظلمون في محل
رفع خبر وجملة وهم لا يظلمون في محل نصب حال .

الفوائد :

تختص كان بأمور تشاركها فيها أخواتها ، وبأمور تنفرد بها .
وتؤخذ هذه الأمور من كتب النحو . وهي هنا مختصة بالتمام
وتشاركها فيها أخواتها إلا ثلاثة أفعال لزمت النقصان ، وهي ما فتىء
وما زال وليس . ومن مسائلها الهامة في التمام المثال المشهور : « كائناً
ما كان » . ونستعمله في كتاباتنا كثيراً ، ولذلك نرى إعرابه تسهيلاً
للطالبيين ، وقد اختلف النحاة في إعرابه فقال الفارسي : هنا تامان في
الموضعين ، وما مصدرية وهي وما بعدها مصدر مؤول في محل رفع
فاعل كائناً ، أي كونه . وقيل : هما ناقضان في الموضعين ، وفي
« كائناً » ضمير هو اسمها والخبر ما الموصولية وجملة كان صلة ما
واسم كان ضمير مستتر فيها وخبرها محذوف تقديره إياه ، واسم
« كائناً » المستتر وخبر كان عائدان على الشخص المضروب في قولك :
لأضربه كائناً الذي كان إياه ، وكائناً حال من مفعول لأضربه .

﴿ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى
فَآتَوْهُ وَلَيْكُنْ بِبَيْنِكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ
يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ
رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً
أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ
رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ

الشُّهَدَاءُ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ
 الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمُرُوا أَنْ تَكُنُّبُهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى
 أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا
 أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا
 تَكُنُّبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا
 فَلَهُنَّ فُسُوقٌ بَكْرٌ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

﴿ ٢٨٢ ﴾

اللفظة :

(تدايتم) : دان بعضكم بعضاً ويقال : دانت الرجل . أي
 عاملته . قال رؤية :

داينت أرؤى والشدثيون تثقضى

فَطَلَّكَتْ بعضاً وأدَّت بعضاً

ويقولون : أبعثَ بدين أم بعين ؟ وهي النقد . ودنت وأدنت
 وتدينت واستدنت : أي استقرضت ، قال كثير :

قضى كل ذي دين فوقى غريمه

وعزّة مطول معنّى غريمها

(وليمل) من الاملال والاملاء بمعنى واحد ، هذا وقد أبدلت الياء من حروف صالحة العدة على سبيل الشذوذ ، ولا يقاس عليه . ومن ذلك قولهم : أملت الكتاب : قال تعالى : « فهي تمل عليه بكرة وأصيلاً » . والأصل : أملت ، وقال تعالى : « ولهمل الذي عليه الحق » . والوجه أنهما لغتان ، لأن تصرفهما واحد ، تقول : أمل الكتاب يمليه إملاء . وأمله يملته إملالاً : فليس جعل أحدهما أصلاً والآخر فرعاً بأولى من العكس . وقالوا : قصيت أظفاري ، حكاه ابن السكيت في قصص ، أبدلوا من الصاد الثالثة ياء لتقل التضعيف . ويجوز أن يكون المراد تقصيت أظفاري أي أتيت على أقاصيها ، لأن المأخوذ أطرافها ، وطرف كل شيء أقصاه . وهذا بحث يطول فيه القول ، فنجتزئ بما تقدم ، وستقع على أمثلة صالحة أخرى في هذا الكتاب .

(فرهان) بكسر الراء : مصدر أو جمع رهن . والرهن ما يوضع تأمينا للدين ، وحبس الشيء مطلقاً ، والشيء المرهون . وقرئ : فرهن بضمين : جمع رهن أيضاً .

الإعراب :

(يا أيها الذين آمنوا) تقدم إعرابها وجملة النداء وما يليها مستأنفة مسوقة للشروع في بيان أحكام الدين والتعامل مع الناس على وجه يكفل المصلحة الاجتماعية العامة (إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه) إذا ظرف لما يستقبل من الزمن متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة تداينتم في محل جر بالاضافة وبدين متعلقان بتداينتم وإلى أجل متعلقان بمحذوف صفة لدين ومسمى صفة لأجل والفاء رابطة لجواب إذا واكتبوه فعل أمر وفاعل ومفعول به ، والجملة

المقترنة بالفاء لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (وليكتب بينكم كاتب بالعدل) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويكتب فعل مضارع مجزوم باللام وبينكم ظرف مكان متعلق بـ يكتب وكاتب فاعل وبالعدل متعلقان بكاتب بشأبة النصفة له أي بكاتب مأمون على ما يكتب بالسوية والتحوط ، لا يزيد على ما يجب أن يكتب ، ولا ينقص . ولا داعي لما ذكره ابن عطية من أن الباء متعلقة بقوله تعالى « وليكتب » وليست متعلقة بكاتب ، لأنه كان يلتزم أن لا يكتب وثيقة إلا العدل في نفسه ، وقد يكتبها الصبي والعبد المتحوط إذا أقاما فقههما (ولا ياب كاتب أن يكتب كما علمه الله) الواو عاطفة ولا فاهية وياب فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة وكاتب فاعل وأن وما في حيزها مصدر مؤول في محل نصب بنزع الخافض ، لأن أبي بمعنى امتنع ، وكما علمه الله : الجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق أو نصب على الحال وجمله علمه لا محل لها لأنها صلة الموصول الحرفي (فليكتب) الفاء الفصيحة أي إذا علمتم هذا الحكم فليكتب واللام لام الأمر ، يكتب فعل مضارع مجزوم باللام والفاعل هو (وليمل الذي عليه الحق) الواو عاطفة والذي فاعل يكتب وعليه متعلقان بمحذوف خبر مقدم والحق مبتدأ مؤخر وانجمله الاسمية صلة الموصول (وليتق الله ربه) الواو عاطفة واللام لام الأمر ويتق فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة والفاعل ضمير مستتر تقديره هو ولفظ الجلالة مفعول به وربه بدل (ولا يبغض منه شيئاً) الواو عاطفة ولا فاهية ويبغض فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل هو ، منه جار ومجرور متعلقان ببغض أو بمحذوف حال لأنه كان صفة لقوله « شيئاً » وتقدمت عليه . وشيئاً مفعول مطلق أو مفعول به أي

لا ينقص منه شيئاً (فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً) الفاء استئنافية وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والذي اسم كان وعليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والحق مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة ، وسفيهاً خبر كان وأو حرف عطف وضعيفاً عطف على سفيهاً (أو لا يستطيع أن يملّ هو) أو حرف عطف ولا نافية ويستطيع فعل مضارع وأن وما في حيزها في تأويل مصدر في محل نصب مفعول يستطيع وهو فاعل أو تأكيد للفاعل المستتر (فليملّ وليه بالعدل) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويملّ فعل مضارع مجزوم باللام ووليه فاعل وبالعدل متعلقان بمحذوف حال أي عادلاً ولك أن تعلقها بقوله فليملّ والجملة في محل جزم جواب الشرط (واستشهدوا شهيدين من رجالكم) الواو عاطفة واستشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وشهيدين مفعول به ومن رجالكم متعلقان بمحذوف، صفة أو بقوله واستشهدوا (فإن لم يكونا رجلين) الفاء استئنافية وإن شرطية ولم حرف نفي وقلب وجزم ويكونا فعل مضارع مجزوم بلم وهو فعل الشرط والألف اسمها ورجلين خبرها (فرجل وامرأتان) الفاء رابطة لجواب الشرط ورجل خير لمبتدأ محذوف أو مبتدأ والخبر محذوف وامرأتان عطف على رجل والتقدير فالشهود رجل وامرأتان أو فرجل وامرأتان يشهدون والجملة في محل جزم جواب الشرط (ممن ترضون من الشهداء) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة وجملة ترضون لا محل لها لأنها صلة ومن الشهداء جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (أن تفضل إحداهما) أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب على أنه مفعول من أجله ، لأن الضلال سبب

للتذكير ، فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى ، وسيأتي المزيد من هذا الاعراب في باب الفوائد وإحداهما فاعل تفضل (فتذكر إحداهما الأخرى) الفاء حرف عطف وتذكر عطف على أن تفضل وإحداهما فاعل والأخرى مفعول به (ولا ياب الشهداء إذا ما دعوا) الواو عاطفة ولا ناهية وياب فعل مضارع مجزوم بلا علامة جزمه حذف حرف العلة والشهداء فاعل وإذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وما زائدة ودعوا فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل والجملة في محل جر بالاضافة (ولا تسأموا أن تكتبوه صغيراً أو كبيراً إلى أجله) الواو عاطفة ولا ناهية وتسأموا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وأن وما في حيزها مفعول به لتسأموا ، وصغيراً حال والواو حرف عطف و « كبيراً » عطف على « صغيراً » وإلى أجله متعلقان بمحذوف خال أي مستقراً في الذمة إلى حلوله ، ولا يجوز تعليقه بتكتبوه لعدم استمرار الكتابة إلى أجله (ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة) الجملة لا محل لها لأنها مفسرة ، وذلكم مبتدأ وأقسط خبره . ويلاحظ أنه ورد اسم التفضيل من الرباعي والقياس أن يأتي من الثلاثي ، لأن الفعل أقسط أي عدل ، أما غسط الثلاثي فهو بمعنى جار ، قال تعالى : « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » . وعند ظرف مكان متعلق بأقسط ولفظ الجلالة مضاف إليه وأقوم عطف على أقسط وللشهادة متعلقان بأقوم ، والمعنى أصبح وأثبت (وأدنى أن لا ترتابوا) الواو عاطفة وأدنى عطف على أقوم وأن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بترع الخافض ، أي أقرب من اتقاء الريبة والجار والمجرور متعلقان بأدنى (إلا أن تكون تجارة حاضرة) إلا أداة استثناء وأن وما في حيزها مصدر منصوب على الاستثناء المنقطع ،

لأنها تجارة حاضرة لا تحتاج الى استشهاد أو كتابة ، على أنه يصح
اعتباره استثناء متصلاً ، كأنه استثناء من التجارة ، فالأمر بالكتابة
ساري المفعول ، واستثنى الكتابة بالتجارة الحاضرة . وتكون فعل
مضارع واسمها مستتر تقديره هي أي التجارة ، وتجارة خبر . ويصح
اعتبار « تكون » تامة ، وتجارة فاعل ، وقد قرئ بهما جميعاً .
وحاضرة نعت لتجارة (تديرونها بينكم) الجملة صفة ثانية لتجارة
وبينكم ظرف مكان متعلق بتديرونها (فليس عليكم جناح أن
لا تكتبوها) الفاء عاطفة عطفت هذه الجملة على جملة « إلا أن تكون
تجارة » أي تسبب عن ذلك رفع الجناح في عدم الكتابة . وليس فعل
ماض ناقص وعليكم متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجناح اسمها المؤخر
وأن وما في حيزها مصدر مؤول منصوب بنزع الخافض ، أي في أن
لا تكتبوها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لجناح (وأشهدوا
إذا تبايعتم) الواو عاطفة وأشهدوا فعل أمر والواو فاعل وإذا ظرف
مستقبل متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب وجملة تبايعتم في محل
جر بالإضافة والجواب محذوف تقديره فأشهدوا ، ولك أن تجرد إذا
عن الشرطية وتجعلها لمجرد الظرفية الزمانية ، أي افعلوا الشهادة وقت
التبايع (ولا يضار) الواو عاطفة ولا ناهية ويضار فعل مضارع يحتمل
أنه مبني للمعلوم فأصله يضارر بكسر الراء الأولى ، ويحتمل أنه مبني
للمجهول فأصله يضارر بفتحها ، وهو مجزوم على كل حال ، وحرك
بالفتح لخفته لأنه مضعف (كاتب ولا شهيد) كاتب فاعل أو نائب فاعل
والواو حرف نطف ولا نافية وشهيد عطف على كاتب (وإن تفعلوا
فإنه فسوق بكم) الواو عاطفة وإن شرطية وتفعلوا فعل مضارع فعل
الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف النون والفاء رابطة لجواب الشرط

وإن واسمها ، وفسوق خبرها وبكم متعلقان بمحذوف صفة لفسوق ،
 أي لاحق . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (واتقوا
 الله) الواو عاطفة واتقوا فعل أمر والواو فاعل ولفظ الجلالة مفعول به
 (ويعلمكم الله) الواو استئنافية ولا مكان لجعلها حالية ، كما قرر
 الجلال وتابعه كثيرون من المفسرين والعربيين ، لأن المضارع المثبت
 لا تباشره واو الحال ، وإن حاول بعضهم تقدير مبتدأ محذوف لتكون
 الجملة اسمية أي وهو يعلمكم لما فيه من تكلف ، وفي جعلها عاطفة
 خلاف للأولى ، لأن فيه ارتكاب عطف الخبر على الإنشاء ، وذلك موضع
 خلاف سيرد في مكانه من هذا الكتاب والله فاعل يعلمكم والكاف
 مفعول يعلمكم (والله بكل شيء عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ
 وبكل شيء متعلقان بعليم وعليم خبر الله .

البلاغة :

لعل هذه الآية من أحفل الآيات بذكر شئون المعاش التي تنظم
 بها أمور العباد ، وتضمن لمشيئها حسن المعاد ، وقد شدد الله سبحانه
 فيها على حسن المعاملة التي هي جماع أمر الدين وعموده ، وبالنسبة في
 التوصية بحفظ المال الحلال ، وإحاطته بما يصونه من الهلاك ، ولذلك
 اشتملت على ضروب من التوكيدات فوجزها فيما يلي ، تاركين للقارئ
 الرجوع إلى المظان المعروفة .

١ - أمر بالكتابة بقوله : « فاكتبوه » حذراً من الاستهداف
 للخطأ أو النسيان .

٢ - وذكر « يدين » مع أنه مفهوم من قوله : « تدايتهم »
 للتأكيد وليرجع إليه الضمير بقوله : « فليكتبوه » إذ لو لم يذكر

لوجب أن يقال : فاكتبوا الدين ، وفي ذلك إخلال بحسن النظم ، وليدل على العموم ، أي : أي دين قليلاً كان أم كثيراً .

٣ - وذكر « إلى أجل مسمى » على سبيل التأكيد ، وليعلم أن من حق الأجل أن يكون معلوماً بالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام . ولو قال إلى الحصاد مثلاً لم يجز لعدم التسمية .

٤ - وأناط الكتابة بكاتب بالعدل متّسم به .

٥ - ونهى عن أن يأبى من يطلب إليه الكتابة ما كلّف به .

٦ - وكرر الأمر بالكتابة بصيغة أخرى تشدداً في الكتابة فقال : « فليكتب » .

٧ - وأمر الذي عليه أن يسلي على الكاتب بالعدل ، لثلاث بقى له حجة .

٨ - وتحوّل للأمر بأن أمره باتقاء الله بقوله : « وليتق الله ربه » .

٩ - وعقب على الاتقاء بما يحتمه من عدم البخس ، واستعمل هذه اللفظة التي هي في الأصل اللغوي للعين الموراء ، يقال : بخست عينه ، أي عورت . ولا يخفى ما في هذا من التصوير المجسد الحاكي .

١٠ - واحتاط بما قد يضراً على الأناسي من السأم والملالة ، وما يترتب عليهما من تفريط ، فتعم حينئذ الفوضى ، ويطرأ الخل ، لأنهم لم يستوفوا كتابة ما شهدوا عليه ، سواء أكان كبيراً أم صغيراً .

١١ - وبعد أن أوصى بما أوصى . نبّه إلى أن ذلك هو السبيل الأقوم ، والطريق الأعدل ، صرح باسمه تعالى فقال : « عند الله » تبيانا للمصير المعلوم ، وتحذيراً من تفريط المفرط واقتتات المفتت .

١٢ - وختم الآية بذكر الله ثلاث مرات متعاقبة ، لإدخال الروع في القلوب ، وإحداث المهابة في النفوس ، وترسيخ الحكم في الأذهان ، والإشعار بأنه تعالى مطلع على السرائر ، لا تغرب عنه همسات القلوب ، وخالجات الضمائر .

الفوائد :

مثل الزمخشري لقوله تعالى : « أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى » بقولهم : أعددت الخشبة أن يميل الحائط فأدعنه ، وأعددت السلاح أن يجيء عدو فأدفعه . فكأنه قيل : إرادة أن تذكر إحداهما الأخرى . وتساءل التفتازاني في حواشيه على الكشف فقال : « وما ينبغي أن يتعرض له وجه تكرر « إحداهما » ولا خفاء في أنه ليس من وضع المظهر موضع المضمّر ، إذ ليست المذكورة هي المناسبة إلا أن يجعل « إحداهما » الثانية في موقع المفعول ، ولا يجوز تقدم المفعول على الفاعل في موضع الإلباس . نعم يصح أن يقول : « فتذكر الأخرى » فلا بد للعدول من نكتة . ولم يتعرض التفتازاني للنكتة ، وترك قارئه في حيرة من أمره . على أن الدماميني ذكر في شرح المغني أن المقصود هو كون التذكير من إحداهما للأخرى كيفما قدر لا يستقيم إلا كذلك ، ألا ترى أنه لو قيل : أن تضل إحداهما فتذكرها الأخرى ، وجب أن يكون ضمير المفعول عائداً على الضالة ، فيتمتعن لها ، وذلك مغل بالمعنى المقصود ، لأن الضالة الآن في الشهادة قد تكون هي الذاكرة لها في زمان آخر ، فالمذكورة حينئذ هي الضالة ، فإذا قيل : فتذكرها الأخرى لم يمد ذلك لتعين عود الضمير إلى الضالة . وإذا قيل : فتذكر إحداهما الأخرى ، كان مبهماً في واحدة

منهما • فلو ضلت إحداهما فذكرتها الأخرى فذكرت° كان داخلاً ،
ثم لو انعكس الأمر والشهادة بعينها في وقت آخر اندرج أيضاً تحته
لوقوع قوله « فتذكر إحداهما الأخرى » غير معيّن ، فظهر الوجه
الذي لأجله عدل عن « فتذكرها » الى « فتذكر إحداهما الأخرى » •
وفي النفس من هذا التقرير مالا يحتمله هذا الكتاب •

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَنْ مَقْبُوضَةً فَإِنْ أَتَى
بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا
تَكُونُوا الشَّاهِدَةَ وَمَنْ يَكُنْهَا فَيَنْهَـئِهَا فَيُمْ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾

الإعراب :

(وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ) الواو استئنافية وإن شرطية وكنتم فعل
ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وعلى سفر جار
ومجرور منعلقان بسحذوف خبر كنتم (وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا) الواو حالية
ولم حرف تقي وقلب وجزم وتجدوا فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة
جزمه حذف النون والواو فاعل وكاتباً مفعول به والجملة حالية ويجوز
لك أن تجعل الواو عاطفة فتكون الجملة معطوفة على فعل الشرط فهي
في محل جزم (فَرِهَان مَقْبُوضَةً) التاء رابطة لجواب الشرط ورهان
مبتدأ و ساغ الابتداء بالنكرة لأنها وصفت ، ومقبوضة صفة والخبر
محذوف تقديره تستوثقون بها ، ولت أن تعربها خبراً لمبتدأ محذوف
تقديره : فالمعتد عليه رهان ، لأن السفر مظنة لإعواز الكتب •

وتفاصيل المسألة مبسطة في كتب الفقه والجملة الاسمية في محل جزم جواب الشرط (فإن أمن بعضكم بعضاً) الفاء عاطفة وإن شرطية وأمن فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعضكم فاعل وبعضاً مفعول به (فليؤد الذي أؤتمن أمانته) الفاء رابطة لجواب الشرط واللام لام الأمر ويؤد فعل مضارع مجزوم باللام وعلامة جزمه حذف حرف العلة والجملة في محل جزم فعل الشرط والذي اسم موصول فاعل وأؤتمن فعل ماض مبني للمجهول وفائب الفاعل مستتر تقديره هو والجملة صلة وأمانته مفعول به ليؤد (وليتق الله ربه) تقدم إعرابه بحروفه (ولا تكتسوا الشهادة) الواو عاطفة ولا ناهية وتكتسوا فعل مضارع مجزوم بلا وعلامة جزمه حذف النون وانواو فاعل والشهادة مفعول به (ومن يكتسها فإنه آثم قلبه) الواو استئنافية ومن اسم شرط جازم مبتدأ ويكتسها فعل الشرط والهاء مفعوله والفاء رابطة لجواب الشرط وان واسمها ، وآثم خبرها وقلبه فاعل آثم لأنه اسم فاعل . ويصح في مثل هذا التركيب أن يكون الضمير في فإنه للشان وآثم خبر مقدم وقلبه مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خير إن . والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط ، وفعل الشرط وجوابه خبر من (والله بما تعملون عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وبما متعلقان بعليم وجملة تعملون لا محل لها لأنها صلة الموصول وعليم خبر «الله» .

البلاغة :

١ - الاستعارة التصريحية التبعية في قوله تعالى : « على سفر » .
فقد شبه تمكنهم من السفر وارتياضهم عليه وتمرسهم به بتمكن الراكب من ركوبه .

٢ - المجاز العقلي في قوله : « آثم قلبه » فقد أسند الإثم الى القلب ، والمقصود الإنسان كله لا قلبه وحده لسر عجيب ، وهو أن القلب بمثابة الرأس للأعضاء ، وهو المضغة التي إن صلحت صلح الجسد كله ، وقد تعلق الشعراء بأذيال هذه البلاغة وحسبنا أن نذكر تلفت القلب في قول الشريف الرضي البديع :

ولقد وقت على ديارهم وظلولها بيد البلى نهب
وبكيت حتى ضجّ من لغب نصوي ولج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت عني الطلول تلت القلب

وصرح دعل الخزاعي بجناية القلب والطرف بقوله :

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضلّ بل هلكا
لا تأخذا بظلامتي أحدا قلبي وصوفي في دمي اشتراكا
لا تعحي يا سلم من رجل ضحك الشيب برأسه فبكى

هُوَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨١﴾ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا
يُفَرِّقُونَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ
الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ

وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تَأْخُذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا
تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا
طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

اللفظة :

- (الوسع) : ما يسع الانسان ولا يضيق عليه .
(الطاقة) : المجهود والقدرة . وهي مصدر جاء على حذف
الزوائد ، والأصل الإطاقة .
(الإصر) : العب ، وأصره حبسه ، وبابه ضرب . والمراد به
التكاليف الشاقة التي ينوء بها الجسم ، وتعيا عنها النفس .

الإعراب :

(لله ما في السموات وما في الأرض) كلام مستأنف لا محل له
من الإعراب مسوق للاستدلال على قوله : « والله بما تعلمون عليم »
وغلب غير العقلاء على غيرهم من العقلاء باستعمال « ما » لأنهم أكثر .
والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ، وما اسم موصول
مبتدأ مؤخر وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له
من الإعراب لأنه صلة الموصول ، وما في الأرض عطف على « ما في
السموات » (وإن تبدوا ما في أنفسكم) الواو استئنافية والكلام
مستأنف مسوق لبيان التكليف . والمواخظة تكون بالخواطر التي

لا ندحة للمرء عنها • وقد ظم بعضهم مراتب القصد بقوله :

مراتب القصد خمس : هاجس ذكروا

وخاطر فحديث النفس فاستمعنا

يليه هم فعمزم كلها رفعت

سوى الأخير ففيه الأخذ قد وقعا

وتفصيل ذلك مبسوط في المطولات فليرجع إليها من يشاء •
وإن شرطية وتبدوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو
فاعل والجملة لا محل لها وما اسم موصول مفعول به وفي أنفسكم
جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول
(أو تخضوه) عطف على تبدوا والهاء مفعول به (يحاسبكم به الله)
جواب الشرط مجزوم والكاف ضمير متصل في محل نصب مفعول به
والجار والمجرور متعلقان بيحاسبكم ، والله فاعل والجملة لا محل لها
(فيغفر لمن يشاء) الفاء استئنافية ويغفر فعل مضارع مرفوع ، أي فهو
يغفر ، ويجوز أن تكون الفاء عاطفة ويغفر فعل مضارع مجزوم بالعطف
على يغفر ، وكلتا القراءتين من السبع ، وقرئ أيضاً بالنصب على إضمار
« أن » فينسبك من ذلك مصدر مرفوع معطوف على متوهم ، أي
تكن محاسبة فقيران • ويتخرج على ذلك بيت النابغة الذبياني :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونأخذ بعده بذئاب عيش أجب الظهر ليس له سنام

يروى بجزم تأخذ ورفع ونصبه ، على أن سيوية استضعف
النصب لأن القاريء الزعفراني ليس من السبعة ، ولأنه موجب • ونص

عبارة سيبويه « وقد يجوز النصب في الواجب في ضرورة الشعر وهو ضعيف في الكلام » . ولأن جار ومجرور متعلقان بيقدر وجملة يشاء صلة (ويعذب من يشاء) عطف على ما تقدم (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بقدير ، وقدير خبر « الله » (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه) جملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن الرسول صلى الله عليه وسلم آمن بكل ما فرض الله على العباد ، من الصلاة والزكاة والصوم والحج والطلاق والإيلاء والحيف والجهاد ، وما ورد ذكره في السورة من قصص الأنبياء . وآمن الرسول فعل وفاعل وبما جار ومجرور متعلقان بآمن وجملة أنزل لا محل لها لأنها صلة الموصول وقائب الفاعل مستتر تقديره هو وإليه جار ومجرور متعلقان بأنزل ومن ربه جار ومجرور متعلقان بأنزل أيضاً ، ولك أن تعلقهما بمحذوف حال أي حالة كونه لازلاً من ربه لأنه يضمن السعادة للمجتمع البشري (والمؤمنون) يجوز أن تكون الواو عاطفة والمؤمنون عطف على الرسول ، فيكون الوقف هنا . ويشهد لهذا الإعراب ما قرأه علي بن أبي طالب : « وآمن المؤمنون » فأظهر الفعل ، ويجوز أن تكون الواو استئنافية والمؤمنون مبتدأ أول (كل آمن) كل مبتدأ ثان وجملة آمن خبره والجملة الاسمية خبر المبتدأ الأول وهو المؤمنون والرابط محذوف على الوجه الثاني . وعلى الوجه الأول تكون جملة « كل آمن » مستأنفة . وساغ الابتداء بكل وهو فكرة لأنه بنية الإضافة أي كل واحد منهم والتنوين عوض عن الكلمة المحذوفة (بالله وملائكته وكتبه ورسله) الجار والمجرور متعلقان بآمن وما بعده عطف عليه (لا تفرق بين أحد من رسله) هذه الجملة مقول قول محذوف وجملتها لقول في محل نصب على الحال أي قائلين لا تفرق ، ولا فافية وتفرق فعل مضارع مرفوع وبين ظرف مكان متعلق بتفرق

وأحد مضاف إليه ومن رسله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لأحد ، ولم يقل : بين آحاد ، لأن الأحد يتناول الواحد والجمع كما في قوله تعالى « فما منكم من أحد عنه حاجزين » فوصفه بالجمع لكونه في معناه ولذلك دخل عليه بين وسيرد في هذا الكتاب تفصيل ممتع عن أحد (وقالوا سمعنا وأطعنا) الواو استئنافية وقالوا فعل ماض والواو فاعل وجملتا سمعنا وأطعنا مقول القول (غفرانك ربنا) مفعول مطلق بإضمار عامله ، ومنه قولهم : غفرانك لا كفرانك ، أي نستغفرك ولا نكفر بك . وربنا منادى مضاف محذوف منه حرف النداء (وإليك المصير) الواو عاطفة والمعطوف عليه محذوف داخل في حيز القول أي : قائلين منك المبدأ وإليك المصير . وإليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) جملة مستأنفة مسوقة لإزالة الحرج عن النفوس وليبان أن المؤاخذة قاصرة على ما في الوسع والطاقة فما عداه من خواطر النفس وهو اجسها لا محاسبة عليه وبذلك يزول الإشكال الذي ساور بعض المفسرين فقد قالوا : إن الخطأ والنسيان مغفوران غير مؤاخذ بهما ، فما معنى الدعاء بذلك وهو يكاد يكون من تحصيل الحاصل ؟ ولا نافية ويكلف فعل مضارع مرفوع والله فاعله ونفساً مفعول به أول وإلا أداة حصر ووسعها مفعول به ثان (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) الجملة مفسرة لما أجمله في قوله « وسعها » وسيأتي بيان ذلك في باب البلاغة . ولها جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وما اسم موصول مبتدأ مؤخر وجملة كسبت لا محل لها لأنها صلة الموصول ، وعليها ما اكتسبت : عطف على ما تقدم وقد ذكر إعرابه (ربنا لا تؤاخذنا) ربنا منادى مضاف ولا نافية معناها هنا الدعاء وتؤاخذنا فعل مضارع

مجزوم بلا ونا مفعول به والفاعل أنت والجملة داخلة في حيز القول المتقدم وجملة النداء استثنائية (إن نسينا أو أخطأنا) إن شرطية ونسينا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط ونا فاعل أو أخطأنا عطف عليه والجواب محذوف أي فلا تؤاخذنا وجملة الشرط وجوابه في محل نصب على الحال (ربنا ولا تحمل علينا إصراً) تقدم إعرابه وتوسيط النداء بين المتعاطفين لإظهار مدى الضراعة والاسترحام والمبالغة في التذلل والاعتراف لله سبحانه بربوبيته (كما حملته) تقدم في مثل هذا التركيب أنه مفعول مطلق أو حال وما مصدرية على كل حال (على الذين من قبلنا) على الذين متعلقان بجملة ومن قبلنا متعلقان بمحذوف صلة الذين أي كانوا من الأمم السالفة (ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) عطف على ما تقدم وما مفعول به ثان لتحملنا ولا نافية للجنس وطاقة اسمها المبني على الفتح في محل نصب ولنا جار ومجرور متعلقان بطاقة وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر لا (واعف عنا) دعاء معطوف على ما تقدم وعنا متعلقان باعف (واغفر لنا) عطف آخر (وارحمنا) عطف آخر (أنت مولانا) أنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ومولانا خبر والجملة مستأنفة بمثابة الاعتراف لله تعالى بأنه المولى ، لأن المولى مصدر ميمي من ولي يلي ، والمعنى أنت مولانا بك قلود ، وإليك فلتجئ ، وإليك تكل ، ومن حق المولى أن ينصر من يليه ويجيره إذا خاف ويحوطه بعنايته ويكلاه برعايته . (نانصرنا على القوم الكافرين) انفاء للتعليل والجملة مسوقة لتعليل ما تقدم ، فإن كونه مولانا سبب سبب لطلب النصرة منه ، وعلى القوم متعلقان بانصرنا وذكر لفظ القوم للتعميم لأن النصر على الأفراد لا يستلزم النصر على المجموع فدفع ذلك الإيهام بذكر لفظ القوم والكافرين صفة .

البلاغة :

في هذه الأبيات طائفة من فنون البلاغة نجملها بما يلي :

١ - حسن الختام : وقد تقدم بحثه ، ومن حق سورة البقرة وقد اشتملت على العديد من الأحكام ، واظوت على التشريع البيان - أن يتناول ختامها شكر المنعم الذي منّ على الإنسان بالعقل ليفكر ، ومن حق المنعم عليه أن يعترف لمن أسدى إليه الآلاء أن يشكرها ولمن نصب أمامه محاريب الفكر ومجالي الإبداع أن يفكر فيها ويتدبرها ، ويشهد لمن أبدعها بالحوول والبطول والافتراء بالوحدانية المتجلية على قلوب المؤمنين . فبالفكر وحده يحيى الإنسان وبالفكر استدل على وجوده وما أجمل قوله صلى الله عليه وسلم : « السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها ، فإن تعلموها بركة ، وتركها حسرة ، ولن تستطيعوا البطلة » قيل : وما البطلة ؟ قال : السحرة . ومعنى كونها فسطاط القرآن أنها اشتملت على معظم أمور الدين أصولاً وفروعاً ، والإرشاد إلى ما فيه حسن المعاش في الدنيا والفوز في الآخرة .

٢ - المقابلة : في قوله : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » فقد طابق بين لها وعليها ، وبين كسبت واكتسبت . فالفعل الأول يختص بالخير ، والفعل الثاني يختص بالشر فإن في الاكتساب اعتمالاً ، والشر تشبهات النفس وتجنح إليه بالطبع بخلاف الخير فإنه يهبط على النفس كما يهبط الفيض من آلاء الله ، وكما يشرق اليقين في النفس . إشراقاً جعل من فلاسفة الإشراق مؤمنين ، ومن الغزالي وديكارت أو ابن متيّلين . . .

الفوائد :

١ - (بين) ظرف للمكان أو الزمان لا يضاف إلا لمتعدد ، وقد أضيف في الآية الى « أحد » لأنه اسم لمن يصلح أن يخاطب ، يستوي فيه الواحد والاثنين والجمع كما يستوي فيه المذكر والمؤنث . فمعنى لا تفرّق بين أحد من الرسل : لا تفرّق بين جمع من الرسل . وقد اختلف علماء اللغة : هل تعاد بين بعد ورودها بين المتعاطفين أم لا ؟ نحو : جلست بين زيد وعمرو . هل يقال : جلست بين زيد وبين عمرو ؟ أجاز ذلك قوم على أن تكون بين للتأكيد .

ومن روائع النكت أنه لا يعطف بعدها إلا بالواو فلا يقال : جلست بين زيد وعمرو . وقد اعترض على ذلك بقول امرئ القيس في مطلع معلقته :

فما نبك من ذكرى حبيب ومنزل

يسقط اللوى بين الدخول فحومل

قال الأصمعي : الصواب أن يقال : بين الدخول وحومل ، لأن البينية لا يعطف عليها بإثناء لأنها تدل على الترتيب ، وقال يعقوب بن السكيت في الدفاع عن امرئ القيس : إنه على حذف مضاف وأن التقدير : بين أهل الدخول فحومل . وقال المرادي : إنه على اعتبار المتعدد حكماً لأن الدخول مكان لا يجوز أن يشتمل على أمكنة متعددة ، كما تقول قعدت بين الكوفة ، تريد بين دورها وأماكنها . هذا وتشبع حركة النون فتصير « بينا » و « بينما » . وتضاف عندئذ الى الجمل ، قال أبو ذؤيب :

بيننا تمنقه الكماة وروغه يوما أتيح له جريء سلفه

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ
مَلَكِيَّةٌ وَأَيَّانُهَا فَاثِنَاتٌ

﴿الْم ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٣﴾
مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ
لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ
يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦﴾

(الم) تقدم الكلام على فواتح السور في أول البقرة .

(التوراة والإنجيل) : اسمان أعجيبان ، وقيل عريان . وعلى
القول يعريتهما فالتوراة مشتقة من قولهم : وري الزند إذا قدح
فظهر منه نار . فلما كانت التوراة فيها ضياء يخرج به من الضلال الى
الهدى كما يخرج بالنور من الظلام الى النور سمي هذا الكتاب بالتوراة .
وقيل : هي مشتقة من وريت في كلامي من التورية . وسميت التوراة
لأن فيها تلويحات وإيحاءات ومعارض . أما الانجيل فهو على رأي
القائمين بعريته مشتق من النجل وهو التوسعة . ومنه قولهم : عين
نجلاء أي واسعة . وسمي الانجيل بذلك لأن فيه توسعة لم تكن
في التوراة .

الإعراب :

(أَلَمْ) خبر لمبتدأ محذوف وقد تقدم القول فيه مفصلاً (الله لا إله إلا هو) الله مبتدأ ولا نافية للجنس وإله اسمها وإلا أداة حصر وهو بدل من محل لا واسمها على الصحيح أو من الخير المحذوف أي لا إله موجود إلا هو ، والجملة خبر « الله » وقد تقدم الكلام مفصلاً في إعراب كلمة الشهادة (الحي القيوم) خبر ثان وثالث لـ « الله » أو خبران لمبتدأ محذوف أي هو الحي القيوم (نزل عليك الكتاب بالحق) الجملة خبر رابع لـ « الله » أو خبر ثان إن جعلنا الحي القيوم خبرين لمبتدأ محذوف . ونزل فعل ماض مبني على الفتح وعليك متعلقان بنزل والكتاب مفعول به وبالحق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الكتاب أي متلبساً بالحق (مصداقاً لما بين يديه) مصداقاً : حال مؤكدة واللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بقوله مصداقاً وبين ظرف مكان متعلق بمحذوف صلة الموصول ويديه مضاف إليه مجرور بإلياء لأنه مشى وحذفت النون للإضافة والهاء مضاف إليه (وأنزل التوراة والإنجيل) عطف على ما تقدم (من قبل) جار ومجرور متعلقان بأنزل (هدى للناس) حال من التوراة والإنجيل ولم يشن لأنه مصدر أي هادين . ويجوز إعراب هدى مفعولاً من أجله أي أنزل هذين الكتابين لأجل هداية الناس . وللناس متعلقان يهدى (وأنزل الفرقان) الواو حرف عطف وجملة أنزل الفرقان عطف على جملة أنزل التوراة والإنجيل . من قبيل عطف العام على الخاص أي الكتب التي تفرق بين الحق والباطل (إن الذين كفروا بآيات الله) جملة مستأهة للتحديث عن وفد نجران والتفاصيل مبسطة في المطولات . وإن واسمها . وجملة

كفروا صلة الموصول وبآيات الله متعلقان بكفروا (لهم عذاب شديد)
 الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر
 وشديد صفة والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن (والله عزيز ذو
 انتقام) النواو استئنافية والله مبتدأ وعزيز خبر أول وذو انتقام خبر ثان
 (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء) إن واسمها ،
 وجملة لا يخفى عليه شيء خبرها وفي الأرض متعلقان بمحذوف صفة
 لشيء ولا في السماء عطف على ما تقدم (هو الذي يصوركم في
 الأرحام) جملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان علمه سبحانه وإطلاعه على
 ما لا يدخل تحت الوجود وهو تصوير عباده في أرحام أمهاتهم وهو مبتدأ
 والذي خبره وجملة يصوركم صلة الموصول وفي الأرحام متعلقان
 يصوركم (كيف يشاء) كيف هنا أداة شرط في محل نصب على الحال
 ولم تجزم لعدم اتصال « ما » بها • ومفعول يشاء محذوف تقديره
 تصويركم والجملة حالية (لا إله إلا هو) تقدم إعرابه وكرره لتأكيد
 الكلام و (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو •

البلاغة :

- ١ - المجاز في قوله : « لما بين يديه » والمراد ما أمامه •
- ٢ - الطباق بين « الأرض » و « السماء » •
- ٣ - الإيجاز بالحذف ، فقد حذف مفعول « يشاء » للغرابة وإظهار
 قدرة الله تعالى •

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ
 الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ
 مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي

أَلْعِلْمُ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ



اللفظة :

(محكمات) : أحكمت عباراتها ، ووضحت دلالاتها ، وحفظت من الاحتمال والاشتباه .

(متشابهات) فيها احتمال للتأويل . وفي هذه الكلمة إيهام ، فإن مفردا متشابه ، وكيف يتشابه الشيء مع نفسه ؟ وإنما يقع التشابه بين الاثنين . ومثله يقتلان ، والمفرد لا يقتل ، فكيف يقتل الواحد مع نفسه ؟ وقد وجه هذا الاعتراض الى تقي الدين بن تيمية الإمام المشهور فقال لمن سألته : « هذا ذهن جيد » . ثم عدل عن الجواب . والذي يبدو للخاطر أن العرب نطقت بالفاظ من هذه الصيغة ولم ترد بها المفاعلة كقولهم : طابقت النعثل ، وعاقبت اللص ، وخامرت الحب ، وعاقرت النخمر . ولو فرضنا أن الصيغة على أصل المفاعلة كان الجواب أن التشابه لا يكون إلا بين اثنين فما فوقهما ، وإذا اجتمعت الاشياء المتشابهة كان كل واحد مشابها للآخر ، فلما لم يصح التشابه إلا في حالة الاجتماع وصف بالجمع لأن كل واحد من مفرداته يشابه الآخر .

الحكمة في التشابه :

فإذا خطر لك أن تسأل عن السر في الجنوح الى ذكر التشابه به في القرآن ، والعدول عن تعميم الحكم ؟ قيل إن القرآن في الأصل نزل على أسلوب العرب وبألفاظهم ووفقا لكلامهم ، وهو على ضربين :

منه المحكم الذي لا يخطئه السامع ، ولا يغرب عن الفهم ، ومنه ما حفل بضروب المجازات ، وأنواع الكنايات والإشارات والتلويحات . وقد كان هذا الضرب الثاني ، أفعل في نفوسهم ، وأكثر استهواء لهم ، فأنزل القرآن مفرغاً في الأسلوبين ، حاوياً للنوعين ، ليكون التحدي أعم وأشمل ، ولو نزل كله محكماً لما ترددوا في التماس المطاعن ، ولما أحجموا عن المكابرة واللجاج والاعتراض ، ولقالوا : هلا نزل بالضرب الذي نستحسنه ، ونميل إليه ؟ هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لما يتميز به التشابه من كدّ القرائح في استخراج المغالق واكتناه المرامي ، وحسر الستار عن الطرائف التي تتعالى على النظرة السطحية البدائية ، حتى إذا فتح الله عليه وتمكن من سبر أغوار التشابه ، كان إيمانه أرسخ ويقينه أقوى من أن تعصف به الشبهات .

(الزينغ) الميل عن الحق والجنوح الى الباطل . والزاي والياء إذا وقعتا فاء وعيناً للكلمة أفادتا هذا المعنى وسمي الزيت زيتاً لأنه سائل يميل بسرعة ، وزاغت الشمس تزينغ مالت ، وقس على ذلك .

الإعراب :

(هو الذي أنزل عليك الكتاب) كلام مستأنف مسوق لتفصيل آيات الكتاب وأنها قسمان : قسم يفهمه الناس ، وقسم لا يفهمونه لقصورهم وعجزهم . وهو مبتدأ والذي خبره وجملة أنزل عليك الكتاب لا محل لها لأنها صلة الموصول وعليك متعلقان بأنزل والكتاب مفعول به (منه آيات محكمات) الجملة حال من الكتاب والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر ومحكمات صفة لآيات (هن أم الكتاب) الجملة صفة ثانية لآيات وهن ضمير منفصل في محل

رفع مبتدأ وأم الكتاب خبره ، وأخبر عن الجمع بالواحد لأن كل واحدة بمثابة أم واحدة (وأخر متشابهات) عطف على آيات محكمات (فأما الذين في قلوبهم زيغ) الفاء استئنافية مسوقة لتفصيل موقف الناس منه ، وأما حرف شرط وتفصيل والذين مبتدأ وفي قلوبهم جار ومجرور متعلقان بسحذوف خبر مقدم وزينج مبتدأ مؤخر والجملة صلة الموصول (فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة) الفاء رابطة لجواب أما وجملة يتبعون خبر الذين واستغنى عن الجواب اكتفاء بالفاء وما اسم موصول مفعول به وجملة تشابه صلة الموصول ومنه متعلقان بتشابهه وابتغاء مفعول لأجله والفتنة مضاف إليه (وابتغاء تأويله) عطف على ابتغاء الفتنة (وما يعلم تأويله) الواو حالية وما قافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وتأويله مفعول به مقدم والجملة في محل نصب على الحال (إلا الله) إلا أداة حصر والله فاعل يعلم مؤخر (والراسخون في العلم يقولون) تكلم العربون والمفسرون كثيراً وأطالوا حول هذه الآية ، والقول الفصل فيها أنه يجوز أن تكون الواو عاطفة والراسخون معطوفة على « الله » والمعنى : لا يهتدي إلى تأويله إلا الله وعباده الذين رسخوا في العلم وتمكنوا منه ، ويجوز أن يتم الوقوف على قوله : « إلا الله » وتكون الواو استئنافية والراسخون مبتدأ خبره جملة يقولون . وعلى القول الأول تكون جملة يقولون : حالية أي قائمين ، وقد نشأ عن هذا الاختلاف في التفسير انقسام العلماء إلى فريقين : أصحاب تأويل وأصحاب ظاهر ، ولستا في صدد الترجيح والمفاضلة بين الآراء المتضاربة ولكننا سنورد لمحة عنه في باب الفوائد (آمنا به كل من عند ربنا) الجملتان مقول القول وآمنا فعل وذاعل وبه متعلقان بآمنا وكل مبتدأ ساغ الابتداء به لما في « كل » من معنى العموم والتنوين عوض عن كلمة ، ومن عند ربنا الجار والمجرور

متعلقان بمحذوف خبر (وما يذكر إلا أولو الأبواب) الواو حالية أو مستأنهة وما نافية ويذكر فعل مضارع مرفوع وإلا أداة حصر وأولو فاعل يذكر مرفوع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والأبواب مضاف إليه .

الفوائد :

١ - أفرد بعضهم هذه المسألة بكتاب خاص لسعة الكلام فيها ، وقد استدلل القاضي البيضاوي والزمخشري قبله على اختيارهما الوقوف على « العلم » لأن في ذلك حفزاً للعقول على التفكير والإبداع ، وقال الحشويّة ما خلاصته : الوقف على قوله تعالى : « وما يعلم تأويله إلا الله » واجب حتى يكون قوله : « والراسخون » كلاماً مستأنهاً ، فإذا لم يقف عليه بل وقف على قوله « والراسخون في العلم » ليكون عطفاً على قوله : « إلا الله » كان لا بد أن يتبدىء بقوله : « يقولون آمنا به » أراد به : قائلين ، وهو حال ، وهو باطل ، لأنه لا يخلو إما أن يكون حالاً عن « الله » أو عن الراسخين في العلم ، كان كأن الله سبحانه والراسخين في العلم قالوا : آمنا به كل من عند ربنا . وذلك في حقه تعالى محال ، أو يكون حالاً عن الراسخين في العلم فقط ، وعندئذ يتخصص المعطوف بالحال دون المعطوف عليه ، وهو أيضاً غير جائز ، لأنه منافٍ للقاعدة المقررة في العربية ، وهي أن المعطوف في حكم المعطوف عليه ، فثبت أن الوقف على قوله : « إلا الله » واجب . وإذا كان الوقف عليه واجباً فقد خاطبنا الله بما لا تفهمه وهو المهمل . قلت : لا يخفى ما في حذقة الحشويين من براعة مبنية على المغالطة فهم يجيزون الخطاب بالمهمل ، فإنه يجوز تخصيص المعطوف بالحال حيث لا لبس ،

وهو كثير في القرآن • ومنه : « ووهبتا له إسحق ويعقوب نافلة » فإن « نافلة » حال من المعطوف فقط ، وهو « يعقوب » لأن النافلة هو ولد الولد وإنما هو يعقوب دون إسحق •

ما يقوله الرازي :

واستدل الامام فخر الدين الرازي في مفاتيح الغيب على أن الوقف الصحيح على قوله « إلا الله » بستة أوجه ، ملخص الثاني منها أن الآية دلت على أن طلب التأويل مذموم لقوله تعالى : « فأما الذين في قلوبهم زيغ » الى آخر الآية ، ولو كان التأويل جائزاً لما ذمّه الله • وملخص الرابع : أنه لو كانت الواو في قوله : « والراسخون » عاطفة لصار قوله : « يقولون آمنا به » ابتداء ، وهو بعيد عند ذوي الفصاحة ، بل كان الأولى أن يقولوا : وهم يقولون آمنا به ، أو يقال : ويقولون : آمنا به ، ولهذا كله أسغنا الوجهين •

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٨٠ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝٨١ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ۝٨٢﴾

الإعراب :

(ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا) الجملة مقول قول محذوف وربنا منادى مضاف ولا نافية وهي هنا بمنعنى الدعاء وتزغ فعل مضارع مجزوم بلا والفاعل أنت وقلوبنا مفعول به والظرف الزماني متعلق بتزغ

وهو مضاف الى الظرف الذي هو إذ وإذ ظرف لما مضى من الزمن وجملة هديتنا في محل جر بالإضافة وقيل خرجت إذ عن الظرفية فهي بمعنى « أن » ولكن حكمها لم يتغير فهي ملازمة للإضافة اليها ، وهو قول جميل (وهب لنا من لدنك رحمة) الواو عاطفة وهب فعل أمر ولنا جار ومجرور متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ولدن ظرف مبني على السكون في محل جر بمن والكاف مضاف إليه ورحمة مفعول به (إنك أنت الوهاب) الجملة تعليل للدعاء لا محل لها وإن واسمها ، وأنت ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ والوهاب خبر أنت والجملة الاسمية في محل رفع خبر إن ويجوز أن تعرب أنت ضمير فصل لا محل له والوهاب خبر إن (ربنا إنك جامع الناس) ربنا منادى مضاف ، وإن واسمها ، وجامع الناس خبرها والجملة داخلة في حيز مقول القول (ليوم لا ريب فيه) الجار والمجرور متعلقان بجامع ولا نافية للجنس وريب اسمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبرها . وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (إن الله لا يخلف الميعاد) الجملة تعليلية للحكم فإنه في مقام إلتماس الإنعام وإن واسمها ، وجملة لا يخلف الميعاد مفعول به بمعنى المصدر وهو الوعد ، وقد قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها (إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً) الجملة مستأنفة وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتغني فعل مضارع منصوب بلن والجملة خبر إن وعنهم متعلقان بتغني وأموالهم فاعل تغني ولا أولادهم عطف على أموالهم ، ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لـ « شيئاً » فلما تقدم أعرب حالاً على القاعدة المشهورة ، والتقدير لن تدفع عنهم الأموال

والأولاد شيئاً من عذاب الله شيئاً مفعول به أو في موضع المصدر تقديره غنى ، فيكون مفعولاً مطلقاً (وأولئك هم وقود النار) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتقرير عدم الإغناء ، ولك أن تجعل الواو عاطفة والجملة معطوفة على خبر إن وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ وهم مبتدأ ثان ووقود النار خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة ، ويجوز أن يكون هم ضمير فصل ووقود النار خبر أولئك وقد تقدم تقريره كثيراً .

الفوائد :

(لدن ولدى) ظرفان للمكان والزمان مبنيان على السكون ، والغالب في لدن أن تجر بمن كما في الآية ، وإذا أضيفت إلى ياء المتكلم لزمها نون الوقاية نحو لدني ، وقد ترك هذه النون فيقال لدني . وتضاف إلى المفرد وإلى الجملة . وتقع بعد لدن « غدوة » فيجوز جر غدوة بالإضافة ، ويجوز نصبها على التمييز ، أو على أنها خبر كان المقدرة مع اسمها ، أي : لدن كان الوقت غدوة . والفرق بين لدن ولدى أن لدن لا تقع عمدة في الكلام ولدى تقع ، فلا يقال : لدنه علم ، ولكن يقال لديه علم .

﴿ كَذَابٍ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاَخَذَهُمُ

اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝١١﴾

اللفظة :

(الدأب) مصدر دأب في العمل من باب قطع إذا كدح فيه ، غلب استعماله في العادة والشأن ، ومنه قول امرئ القيس :

كدأبك من أم الحويث قبلها وجارتها أمّ الرباب بمأسل

للإعراب :

(كدأب آل فرعون) الكاف اسم بمعنى مثل في محل رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف والتقدير دأب هؤلاء كدأب من قبلهم • ولك أن تجعل الكاف حرف جر فيكون الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر لذلك المبتدأ المحذوف • ويجوز نصب محل الكاف ومدخولها على المفعولية المطلقة أو الحال وقد تقدم كثيراً • وآل مضاف إليه وفرعون مضاف إليه أيضاً مجرور وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة (والذين من قبلهم) الواو حرف عطف على آل فرعون والجار والمجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (كذبوا بآياتنا) فعل وفاعل وبآياتنا جار ومجرور متعلقان بكذبوا والجملة تفسيرية لا محل لها • ولك أن تعرب الواو استئنافية فيكون الذين مبتدأ خبره جملة كذبوا (فأخذهم الله بذنوبهم) الفاء عاطفة وأخذهم الله فعل ومفعول به وفاعل والجار والمجرور متعلقان بأخذهم فتكون الباء للسببية أو بمحذوف حال فتكون الباء للملابسة أي متلبسين بذنوبهم (والله شديد العقاب) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير العقاب والواو استئنافية والله مبتدأ وشديد العقاب خبره •

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَهُمْ جَهَنَّمُ وَمَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ وَلَا يَشْعُرُونَ ﴾

﴿ ١٢ ﴾

الإعراب :

(قل للذين كفروا) جملة مستأنفة مسوقة للرد على اليهود الذين

ركبوا رؤوسهم بعد موقعة بدر وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم الذي حاول حقناً لدمائهم أن يحذرهم من عواقب الفرور والطيش : لا تحسب أننا أغمار أي غير مجربين على القتال . وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر يعود على النبي صلى الله عليه وسلم أي أنت . وللذين جار ومجرور متعلقان بقل وجملة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول (ستغلبون) السين حرف استقبال وتغلبون فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون والواو نائب فاعل والجملة في محل نصب مقول القول (وتحشرون) الواو حرف عطف وجملة تحشرون معطوفة على ستغلبون داخلية في حيز القول (إلى جهنم) الجار والمجرور متعلقان بيحشرون وجرت جهنم بالفتحة لأنها ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث وسيأتي القول عنها في مكان آخر (وبئس المهاد) الواو عاطفة والجملة معطوفة على ما قبلها داخلية في حيز القول ويجوز أن تكون الواو استئنافية والجملة مسوقة لردعهم وتهويل جهنم لهم وبئس فعل ماض جامد لإنشاء الذم والمهاد فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف تقديره جهنم وإنما حذف لفهم المعنى . وفيه تأييد لمذهب سيبويه وهو إعراب المخصوص بالذم أو المدح مبتدأ خبره الجملة قبله ، ومذهب غيره أنه خبر لمبتدأ محذوف ، ويرد عليه أنه يلزم من ذلك حذف الجملة برأسها من غير أن يبقى ما يدل عليها ، وذلك لا يجوز حتماً لأن حذف المفرد أهون من حذف الجملة .

﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ النَّقَاتِ فِئَةٌ تَقْتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

الفئة :

الفئة : الجماعة ولا واحد لها من لفظها وجمعها فئات وقد تجمع بالواو والنون جبراً لما نقص ، وإنما سميت الجماعة فئة لأنه يفاء إليها ، أي يرجع في وقت الشدة . وقال الزجاج : الفئة : الفرقة ، مأخوذ من قولهم : فأوت رأسه بالسيف أي قطعته .

(العبرة) : الاتعاض ، يقال منه : اعتبر ، وهو الاستدلال بشيء على شيء يشبهه ، واشتقاقها من العبور وهو مجاوزة الشيء إلى الشيء ، ومنه عبر النهر بفتح العين : وهو شطه ، والمعبر السفينة ، والعبارة يعبر بها إلى المخاطب بالمعاني ، وعبرت الرؤيا مخففاً ومثقلاً نقلت ما عندك من علمها إلى الرائي أو غيره ممن يجهل ، وكان الاعتبار انتقالاً من منزلة الجهل إلى منزلة العلم ، ومنه العبرة بفتح العين وهي الدمع لأنها تجاوزت العين .

الإعراب :

(قد كان لكم آية) الجملة داخلة في حيز القول السابق أي قل لليهود : ستغلبون وقل لهم : قد كان وقيل : هي عامة وإن الخطاب لجميع الكفار فتكون مستأنفة أو لجميع المؤمنين ، والعبرة لا تختص بأحد ، وقد حرف تحقيق وكان فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر كان المقدم وآية اسمها المؤخر (في فئتين التقتا) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة التقتا صفة للفئتين والتاء تاء التأنيث الساكنة وحركت بالفتحة لمناسبة ألف الاثنين التي هي فاعل وقد كان ذلك اللقاء يوم بدر (فئة تقاتل في سبيل الله) فئة خبر لمبتدأ

محذوف أي إحداهما فئة ويجوز جر فئة على البدلية من فئتين وهي إحدى القراءات وجملة تقاتل صفة لفئة وفي سبيل الله متعلقان بتقاتل (وأخرى كافرة) الواو عاطفة وأخرى عطف على فئة وكافرة صفة فمن رفع الأول رفعه ومن جر الأول جرّه (يرونهم مثليهم رأي العين) جملة يرونهم نعت للفئة التي تقاتل في سبيل الله وهم النبي وصحابته ، ويرونهم فعل وفاعل ومفعول به والرؤية بصرية أو بمثابة لشدة الالتحام ومثليهم حال ورأي العين مفعول مطلق مؤكد لعامله (والله يؤيد بنصره من يشاء) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يؤيد خبر وبنصره متعلقان يؤيد ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول (إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار) الجملة مستأنفة مسوقة للبحث على الاعتبار وإن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم واللام المرحلة وعبرة اسم إن المؤخر ولأولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لعبرة وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والأبصار مضاف إليه .

البلاغة :

انطوت هذه الآية على أرفع الخصائص البيانية فمنها :

- ١ - الاحتباك وهو الحذف من كلامين متقابلين وكل منهما يدل على المحذوف من الآخر ففي قوله تعالى : « فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة » حذف من الكلامين ، وتقديره : فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان . فحذف من الأول ما يفهم من الثاني ، وحذف من الثاني ما يفهم من الأول .

٢ - الكلام الموجه لأن المعنى إما أن يفهم منه شيء واحد لا يحتمل غيره وإما أن يحتمل منه الشيء وغيره ، وتلك الغيرية إما أن تكون ضدّاً أو لا ، وهذه الآية احتملت معنيين متغايرين ؛ وتلك الغيرية ضد إذا احتملت رؤية الكثرة أن تكون للمسلمين أو للشركين في وقت واحد ، وليس هناك ما يرجح واحداً على الآخر لأن كلاهما يصح إطلاقه في الآية . وقد ورد في الحديث من التوجيه قول النبي صلى الله عليه وسلم « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وهذا يشتمل على معنيين متضادين أحدهما إن المراد به إذا لم تفعل فعلاً تستحي منه فاصنع ما شئت ، والآخر : أن المراد به إذا لم يكن لك حياء يزعلك عن فعل ما يستحي منه فافعل ما شئت . وهذان معنيان ضدان ، أحدهما مدح والآخر ذم .

المتنبي والكلام الموجه

وقد رmq أبو الطيب المتنبي هذه الساء العالية واستغلها في مدائحه لكافور ، حاكم الأخشييد في مصر ، فقد كان مضطراً إلى مجاملته لتفادي المكروه إن جابهه بما يـكنه من احتقار ، فجنح إليه في أماديح ليكون ظاهرها المديح وباطنها الهجاء ، فمن ذلك قوله فيه :

وأظلم أهل الظلم من بات حاسداً لمن في نعمائه يتقلب

وهذا البيت يحتمل معنيين ضدّين أحدهما أن المنعم عليه يحسد المنعم ، فيكون مدحاً . وكذلك أورده ليوهم كافوراً أنه يريد ذلك . وثانيهما أن المنعم يحسد المنعم عليه ليقرر حقيقة رسخت في هذا المخلوق الذي قذفت به المقادير ليكون ملكاً فهو ينعم على الآخرين ثم ما يلبث أن يحسدهم على ما نالوه من نعمائه . وهذا من أعجب ما اتفق

في الشعر ، وهو من خصائص هذا الشاعر العجيب • وكثيراً ما كان
يجنح أبو الطيب إلى هذا اللون من الشعر في أماديحه لكافور ، ومن
ذلك قوله فيه من قصيدة مطلعها :

عدّوك مذموم بكل لسان ولو كان من أعدائك القمران
ثم قال فيه :

ولله سر في علاك وإنما كلام العدا ضرب من الهذيان
فما لك تعنى بالأسنة والقنا وجدك طعان بغير سنان

أي دع أعداءك يقولوا ما أرادوا ويحدثوا في الأسباب التي جعلت
منك ملكاً فإن ذلك من أسرار الله في خلقه ، يرفع الوضيع ويغني البليد
ويرزق القدم الغبي ، ثم يقول له مخاطباً : إنك لم تبلغ ما بلغته بسعيك
واهتمامك بل بحظك وسعدك ، وهذا مما لا فضل فيه ، ويستوي فيه
القدم وغير القدم •

﴿ زَيْنَ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ
مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ
مَنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حَسَنُ الْمَعَآبِ ﴾ (١٨)
اللفة :

(القناطير) جمع قنطار ، مأخوذ من قنطر الشيء إذا أحكه وهو
هنا يعني المال الكثير • والقنطار يختلف مع الأيام والبلاد ،
وقد اختلف علماء اللغة في نونه فقال فريق : إنها أصلية ، وإن وزنه

فعلال كقرطاس ، وقيل : إنها زائدة وإن وزنه على فنعال • وقد خبط فيه صاحب المنجد خطاً عجيباً • (المسومة) وصف للخيل أي المعلمة بعلامة تعرف بها ، والخيل فيه قولان : أحدهما أنه جمع لا واحد له من لفظه بل مفردة فرس ، والثاني أن واحده خائل فهو نظير راكب وركب وتاجر وتجر وطائر وطير ، وسيبويه يدرجه مع قوم ورهط ونساء ، ويجعله اسم جمع ، وغيره يجعله جمع تكسير • واشتقاق الخيل إما من الاختيال وهو العجب ، سميت بذلك لاختيالها في مشيتها ، والثاني من التخيل ، لأنها تتخيل في صورة هي أعظم منها •

(الأنعام) جمع نعم بفتحتين ، والنعم اسم جمع لا واحد له من لفظه ، وهو يذكر ويؤنث ، ويطلق على الابل والبقر والغنم • وسيرد المزيد من بحثه في سورة الأنعام •

(المآب) يصح أن يكون مصدراً صحيحاً أو اسماً للمكان أو الزمان ، وهو على كل حال مفعول بفتح العين من آب يثوب أي رجع ، وأصله مأوب ، فنقلت حركة الواو إلى الهمزة الساكنة قبلها فقلبت الواو ألفاً •

الإعراب :

(زين للناس حب الشهوات) كلام مستأنف لا محل له مسوق لبيان حقارة أعراض الدنيا • زين فعل ماض مبني للمجهول وللناس جار ومجرور متعلقان بـ « زين » وحب الشهوات نائب فاعل (من النساء والبنين والقناطر المقنطرة) من يمانية وهي مع مجرورها متعلقان بمحذوف حال والبنين : الواو عاطفة والبنين معطوف على النساء مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والمقنطرة صفة للقناطر

(من الذهب والفضة والخيول المسومة والأنعام والحرث) من بيانية أيضاً وهي ومجروورها متعلقان بمحذوف حال وما بعده عطف عليه (ذلك متاع الحياة الدنيا) اسم الإشارة مبتدأ ومتاع الحياة خبر والدنيا صفة والجملة مستأنفة أيضاً مسوقة لبيان حقارة ذلك كله لأنه فان لا يبقى (والله عنده حسن المآب) الواو استئنافية وما بعدها كلام مستأنف مسوق للدلالة على أنه ليس فيما عدد من ظواهر النعمة خير ولا ينفع ، والله مبتدأ والظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم وحسن المآب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر « الله » .

البلاغة :

في الآية فن مراعاة النظر ، وهو أن يجمع الشاعر أو الناثر بين أمر وما يناسبه مع إلغاء ذكر التضاد لتخرج المقابلة والمطابقة ، وقد جمع سبحانه في هذه الآية معظم وسائل النعيم الآيلة بالمرء إلى الانهماك في الفتنة والانسحاق مع دواعي النفوس الجموح ، وقد زينت للناس واستهوتهم بالتعجيب والمفاتن ، ابتلاء لهم . وللمتكلمين مناظرات وجولات حول تزيين هذه الشهوات ، والمزين لها ، ويشتجر الخلاف بين أهل السنة وأهل الاعتزال ، مما لا سبيل إلى ذكره لأنه خارج عن نطاق كتابنا ، ولكننا نجتري بالإلماع إليه ، ليرجع من يشاء إلى المظان المعروفة .

﴿ قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِّنْ ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ١٥ ﴾

الإعراب :

(قل) : فعل أمر وفاعله أنت ، أي : يا محمد ، والكلام مستأنف مسوق لتقرير وتحقيق الخير لما عند الله وأفضليته على شهوات الدنيا (أو نبئكم بخير من ذلكم) الهمزة للاستفهام التقريري وأنبياء فعل مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا والكاف مفعول به وبخير جار ومجرور متعلقان بأنبياءكم على أنه ناب مناب المفعول الثاني كما سيأتي في باب الفوائد ، ومن ذلك جار ومجرور متعلقان بخير والإشارة إلى أنواع الشهوات الآتية الذكر . وجملة الاستفهام في محل نصب مقول القول (للذين اتقوا عند ربهم جنات) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وجملة اتقوا لا محل لها لأنها صلة الموصول وعند ربهم ظرف متعلق بمحذوف حال من جنات لأنه كان في الأصل صفة لها فلما تقدم عليها أعرب حالاً . وجنات مبتدأ مؤخر . ولك أن تعلق الظرف بما تعلق به « للذين » من الاستقرار لأنه من جملة الخير ، ولك أن تجعل الكلام موصولاً فلا تقف عند ذلكم وعندئذ يكون للذين نعتاً للخير وجنات خبر لمبتدأ محذوف (تجري من تحتها الأنهار) الجملة صفة لجنات والأنهار فاعل تجري ومن تحتها متعلقان بتجري (خالدين فيها) حال من الذين اتقوا وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (وأزواج مطهرة) أزواج عطف على جنات ومطهرة نعت لأزواج (ورضوان من الله) عطف على جنات أيضاً (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ وبصير خبر وبالعباد متعلقان ببصير .

الفوائد :

(أنا ونبأ) فعلان يتعديان إلى ثلاثة مفاعيل إذا كانا بمعنى العلم .

وأما في الآية فهو بمعنى الاخبار ، فيتعديان لاثنتين فقط • والحقيقة أن الذي يتعدى لثلاثة مفاعيل فعلان ، وهما أرى وأعلم ، أما الخمسة الباقية وهي أخبر وخبر وأنبا ونباً وحدث فقد ألحقت في بعض استعمالاتها بأعلم المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل ، ومنه قول الحارث بن حلزة اليشكري :

إن منعم ما تسألون فمن حدّ ثموه له علينا العلاء

فهو شاهد على أنه متعد لثلاثة مفاعيل ، فالتاء هي المفعول الأول والميم علامة جمع الذكور والواو لإشباع ضمة الميم والهاء هي المفعول الثاني وجملة له علينا العلاء جملة اسمية في موضع المفعول الثالث فافهم ذلك جيداً لأنه عزيز المنال • هذا وتستعمل هذه الأفعال الخمسة متعدية لواحد بأنفسها وإلى مضمون الثاني والثالث بالباء نحو حدثك بأمر •

﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا أَمْنَا فَأَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقَنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾
 ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْحَارِ ﴾
 ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا ﴾
 بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾
 التلوة :

(الأسحار) جمع سحر كفرس وأفراس : أواخر الليل ، وسميت بذلك لما فيها من الخفاء • والسحر : وقت إدبار الليل وإقبال النهار فهو متنفّس الصبح • واختلف أهل اللغة في تحديده بالضبط فقال الزجاج وجماعته : إنه الوقت قبل طلوع الفجر ، وقال الراغب في مفرداته :

السحر اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار ، ثم جعل اسماً لذلك الوقت • وأما السَّحَر بسكونه فهو منتهى قصبة الحلقوم • ومنه قول عائشة رضي الله عنها : « قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحَري ونَحَري » • ومن مجاز العرب قولهم : انتفخت مساحره ، إذا ملَّ وجبن •

(القسط) : العدل • يقال أقسط أي عدل ، وقسط أي جار ، فهو مدح في الرباعي وضم في الثلاثي •

الإعراب :

(الذين يقولون) اسم الموصول يجوز فيه الرفع على إنه خبر مبتدأ محذوف أي : هم الذين ، والنصب على المدح بفعل محذوف أي أمدح الذين ، والجزم على أنه بدل من اسم الموصول في الآية السابقة أو نعت له يقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة صلة (ربنا إنا آمنة) الجملة مقول القول وربنا منادى محذوف منه حرف النداء ، وإن واسمها وجملة آمنة خبرها (فاغفر لنا ذنوبنا) الفاء للتعليل ، لأن الإيمان علة الغفران واغفر فعل أمر للدعاء ولنا متعلقان به وذنوبنا مفعول به (وقنا عذاب النار) الواو حرف عطف وقـ فعل أمر للدعاء مبني على حذف حرف العلة وحذفت واو المثال كما هي القاعدة ، والفاعل أنت وثا ضمير متصل في محل نصب مفعول به أول وعذاب النار مفعول به ثان (الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) الصابرين منصوب على المدح بفعل محذوف وما بعده عطف عليه ، وهي في الأصل صفات قطعت عن الوصفية بتوسط واو العطف بينها للدلالة على انفرادهم بأنواع الكمالات كما سيأتي في باب البلاغة والجملة استئنافية (شهد الله) فعل وفاعل والجملة مستأنفة

مسوقة لتعداد أصول الدين وفوائده وقد وردت فيها أحاديث كثيرة (أنه لا إله إلا هو) أن وما بعدها في موضع نصب بنزع الخافض أي بآته ، والجار وما بعده متعلقان بشهد وقد تقدم إعراب كلمة الشهادة فجدد به عهداً (والملائكة وأولو العلم) الواو حرف عطف والملائكة عطف على الله وأولو العلم عطف أيضاً . ورفع بالواو لأنه ملحق بجمع المذكر السالم (قائماً بالقسط) حال لازمة من الله أو من الضمير المنفصل الواقع بعد إلا ، ولعله أولى . وجاز مجيء الحال بعد معطوفين لأمن الالتباس ، فلو لم يؤمن الالتباس لم يجز مجيء الحال ، نحو جاء عليّ وخالد ضاحكاً لعدم العلم بمن هو الضاحك . ووضح أن القيام بالقسط من خصائص الله تعالى فيكون بمثابة التثمة لكمال الأفعال بعد كمال الذات . وهنا بحث هام سيأتي في باب الفوائد (لا إله إلا هو) تقدم إعرابها (العزيز الحكيم) خبران لمبتدأ محذوف تقديره هو ولك أن تعريهما بدلين من « هو » .

البلاغة :

١ - في دخول الواو على الصفات مع أن الموصوف واحد تفخيم للموصوف لأنه إيذان بأن كل صفة مستقلة بمدح الموصوف ثم إن الموصوف ليس واحداً كما يبدو للنظرة العجلى .

٢ - وفي الآية الأخيرة رد العجز على الصدر ، فقد رد « العزيز » إلى تفرده بالوحدانية التي تقتضي العزة ، ورد « الحكيم » إلى العدل الذي هو القسط ، فهو تعالى حكيم لا يتحيفه جور أو انحراف .

الفوائد :

١ - المثال الذي فاؤه حرف علة إذا بني منه فعل أمر حذفت واؤه

أو ياءؤه ، فتقول في وعد : عِدْ فإذا كان لفيفاً مفروقاً أي إذا كانت فائؤه ولامه حرفي علة أصبح على حرف واحد لأن الحرفين يحذفان ، فتقول في وعي : عِ ، وفي وقى قِ وفي وفى فِ وفي وأى إِ وعلى هذا يخرج اللفز المشهور الذي يتندر به صغار المعربين وهو :

إِنْ هِنْدُ الْمَلِيحَةُ الْحَسَنَاءُ وَأَيُّ مِنْ أَضْمَرَتْ لَخْلَ وَفَاءُ

وإيضاحه كما يلي : إِنْ : فعل أمر مبني على حذف حرف العلة والنون فون التوكيد الثقيلة ، ومعنى إِ : عد ، وفعله وأى ، أي عدي يا هند وعد امرأة أضمرت الوفاء لخلها • وهند منادى مفرد علم محذوف منه حرف النداء مبني على الضم والمليحة نعت على اللفظ والحسنة نعت ثان لهند على المعنى ووأي مفعول مطلق • وإنما نبهنا إلى إعرابه لنبين أن للنحاة المتأخرين أموراً متكلفة يجدر بنا اجتنابها لأنها تفسد الذوق وتعطل الملكة الفنية وهي أشبه بالألاعيب •

٣ - الأصل في الحال أن تكون متنقلة لاثابته ، وتقع وصفاً ثابتاً في ثلاث مسائل :

آ - أن تكون مؤكدة لمضمون جملة قبلها ، نحو : زيد أبوك عطوفاً ، فإن الأبوة من شأنها العطف ، وذلك مستفاد من مضمون الجملة • أو لعاملها نحو « ويوم أبعث حياً » فإن البعث من لازمه الحياة فمعناها مستفاد من دون ذكرها •

ب - أن يدل عاملها على تجديد ذات صاحبها وحدثه أو تجدد صفة له ، فالأول نحو قولهم : « خلق الله الزرافة يديها أطول من رجلها » فيديها بدل من الزرافة بدل بعض من كل ، وأطول حال ملازمة من يديها ومن رجلها متعلقان بأطول لأنه اسم تفضيل ، وعامل الحال خلق ،

والثاني نحو قوله تعالى « وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً »
فالكتاب قديم والإِنزال حادث ، أي محدث النزول لا الوجود .

ج - أن يكون مرجعها إلى السماع نحو « قائماً بالقسط » . على
أن بعضهم أعرب « قائماً » بأنه نصب على المدح كما في قول امرئ
القيس :

إذا قلت : هاتي نولينى تمايلت عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل
فهضيم نصب بتقدير أمدح لا حال ، لأنها صفة لازمة . بقي الاعتذار
عن جهة تأخيره عن المعطوفين فقال التفتازاني كأنها للدلالة على علو
مرتبتها ، أي الملائكة وأولي العلم حيث قرنا به تعالى من غير فاصل ،
فتنبه لهذا الفصل ، فله على الفصول الفضل .

﴿ إِنِّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا
مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَمَنْ يَكْفُرْ بِعَايَتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ
سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝١٩﴾

الإعراب :

(إِنِّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) الجملة مستأنفة مؤكدة للأولى وإن
واسمها ، وعند الله ظرف مكان متعلق بمحذوف حال والإسلام خبر
إن . وقد اعترض أبو البقاء على مجيء الحال بعد إن ، وهو اعتراض
مردود ، لأنهم جوزوا في « ليت » وفي « كأن » وفي هاء التنبيه أن
تعمل في الحال ، لما تضمنت هذه الأحرف من معاني التمني والتشبيه
والتنبيه ، وإن للتأكيد فلتعمل في الحال أيضاً فلا تتقاعده عن « ها »

التي للتنبيه ، بل هي أولى منها ، وذلك أنها عاملة ، و « ها » التي للتنبيه ليست عاملة فهي أقرب لشبه الفعل من « ها » ، ولك أن تجعلها حالاً من الدين أي كائناً وثابتاً عند الله . والاسلام خبر إن (وما اختلف الذين أوتوا الكتاب) الواو استنافية والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الاختلاف وما نافية واختلف الذين فعل وفاعل وجملة أوتوا صلة الموصول وأوتوا فعل ماض مبني للمجهول والواو نائب فاعل وهو المفعول الأول والكتاب مفعول به ثان (إلا من بعد ما جاءهم العلم) إلا أداة حصر ومن بعد جار ومجرور متعلقان باختلاف وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر في محل جر بالإضافة أي من بعد مجيء العلم لهم وجاءهم فعل ومفعول به والعلم فاعله (بغياً بينهم) مفعول لأجله وبينهم ظرف مكان متعلق بمحذوف صفة (ومن يكفر بآيات الله) الواو استنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويكفر فعل الشرط وآيات الله جار ومجرور متعلقان بيكفر (فإن الله سريع الحساب) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وسريع الحساب خبرها والجملة الاسمية المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » .

البالغة :

اشتملت هذه الآية على ضروب من المبالغات في ذم اليهود ، وذلك على النحو التالي :

آ - وصفهم بأنهم أهل الكتاب ، والاختلاف بعد ذاته قبيح ، ولكنه بعد إتيان الكتاب والعلم بنواجهه أقبح .

ب - ثم ترقى في المبالغة فوصفهم بأنهم بعد أن أوتوا كتاباً

جاءهم علم آخر يوضح لهم طريق الصواب ، ولكن طبيعة اللجاج المركوزة في نفوسهم أبت إلا التماذي في الضلال وركوب متن الشطط فكان القبح أزيد .

ج - ثم ترقى مرة أخرى في المبالغة فجعل الاختلاف بعد ظهور العلم لديهم مرتين متتاليتين لم يكن إلا بغياً منهم وهذا ما تعالاه الناس منهم واشتهروا به إلى اليوم ، وبذلك استوفت المبالغة غايتها ف سبحانه المتفرد بالبيان .

﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ^ق وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا ^ط وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَّغُ ^ق وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾

اللفة :

(حاجوك) : خاصموك يقال : حاجته حاجاً ومُحاجة أي خاصسه وجادله .

الأعراب

(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لتضييق الخناق على اليهود الذين أخذوا يخرجون النبي فيكيدون له وإن شرطية وحاجوك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والواو فاعل والكاف مفعول به والفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت والجملة المقترنة بالفاء في محل جزم جواب الشرط (أسلمت وجهي

(الله) الجملة في محل نصب مقول القول وأسلمت فعل وفاعل ووجهي مفعول به والجار والمجرور متعلقان بأسلمت (ومن اتبعن) الواو للعطف أو للمعية ومن اسم موصول معطوف على التاء في أسلمت أو مفعول معه وجملة اتبعن صلة الموصول ، والنون للوقاية وقد حذفت ياء المتكلم وقفاً ووصلاً موافقة للرسم . والذي حسن ذلك أنها فاصلة ورأس آية . وسيرد أمثالها مثل أكرمن وأهانن . وقال بعض النحاة : حذفت مع نون الوقاية خاصة ، فإن لم تكن هناك نون فالكثير إثباتها . على أن هذه الياء أثبتت في بعض القراءات السبع .

(وقل للذين أوتوا الكتاب) الواو عاطفة وقل فعل أمر وللذين جار ومجرور متعلقان بقل وجملة أوتوا الكتاب صلة والواو نائب فاعل والكتاب مفعول به ثان (والأمين) عطف على الذين أوتوا الكتاب وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم ، والمراد بهم مشركو العرب ، وإن كانوا يكتبون ويقرؤون ، لأنه لم ينزل عليهم كتاب بعد (أأسلمتم) الجملة الاستفهامية في محل نصب مقول القول ومعنى الاستفهام التنديد والتعير كما سيأتي في البلاغة (فإن أسلموا فقد اهتدوا) الفاء استئنافية وإن شرطية وأسلموا فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة للجواب وقد حرف تحقيق واهتدوا فعل ماض مبني على الضم المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة المقترنة في محل جزم جواب الشرط (وإن تولوا فإنما عليك البلاغ) الجملة معطوفة على الجملة الأولى وإنما كافة ومكفوفة وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والبلاغ مبتدأ مؤخر والجملة في محل جزم جواب

الشرط (والله بصير بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ بصير خبر
وبالعباد متعلقان ببصير •

البلاغة :

١ - المجاز المرسل في قوله : أسلمت وجهي تعبيراً عن الكل بأشرف
أعضائه وهو الوجه ، والعلاقة هنا الكلية •

٢ - الاستفهام في قوله : « أسلمتم » معناه التنديد والتعير ،
كأنما قد أفرغ جهده في مناصحتهم ، ولم يترك وسيلة إلا تشبث بها
لإفهامهم ، ولكنهم لم يفهموا • وفي هذا الضرب من الاستفهام استركاك
لعقولهم وامتهان لأفهامهم ، فكأنما أصبحت الحجج عندهم كلا حجج ،
وأصبحت البراهين أضيع ما يكون لديهم ، فلم يبق أمامه سوى أن
يسألهم مندداً : أسلمتم بعد هذا كله ؟ أم لا يجدي الضرب على
الحديد البارد ؟

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ
حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ٢١ ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا
لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ٢٢ ﴾

اللفظة :

(حبطت) : ذهبت سدى وفسدت ، وهو من مجاز اللفظة •
والأصل في الحبوط أو الحبط بالسكون أن تأكل الماشية خضرة فتستوبلها
وتهلك • ومنه حبط دم القتيل بكسر الباء أي هدر وبطل •

الإعراب :

(إن الذين يكفرون بآيات الله) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قتل أبائهم الأنبياء من قبل ، وهم اليوم يحاولون التشبه بآبائهم الأولين ، ويرضون بفعلهم ، فيتحينون الفرص لقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الله أحبط أعمالهم . وإن واسمها ، وجملة يكفرون صلة الموصول والجار ومجرور متعلقان بكفرون (ويقتلون النبيين بغير حق) الواو عاطفة ويقتلون فعل مضارع معطوف على يكفرون والنبيين مفعول به منصوب بالياء وبغير حق جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي ظالمين ، وإنما قيد القتل ، وقتل النبيين لا يكون إلا كذلك ، زيادة في التشنيع عليهم (ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس) عطف على ما تقدم ومن الناس جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائنين منهم (فبشرهم بعذاب أليم) الفاء واقعة في جواب الموصول لما فيه من رائحة الشرط ، ودخول إن على الموصول لا يؤثر في خبريته فالجملة خبر إن لأن المعنى لم يتغير بل ازداد تأكيداً وذلك شائع في القرآن وفي الشعر العربي ، قال :

فوالله ما فارقتكم قالياً لكم ولكن ما يقضى فسوف يكون

ولكن إذا دخلت ليت أو لعل على « الذي » امتنع دخول الفاء لنسخ الخبرية ، وتحول الكلام إلى إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب كما هو مقرر في علم المعاني ، وسيأتي في باب الفوائد بحث هام في أسرار الحروف . وبشرهم فعل أمر والهاء مفعول به والفاعل أنت وبعباب متعلقان ببشرهم وأليم صفة والجملة المقترنة بالفاء في محل رفع خبر إن

(أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة) الجملة مفسرة للذين يقتلون لا محل لها وأولئك مبتدأ والذين خبر وجملة حبطت أعمالهم صلة الموصول والجار والمجرور متعلقان بحببطت (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر زائد لفظاً وناصرين مجرور لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ مؤخر .

الفوائد :

جرى النحاة والمعربون على القول بزيادة بعض الحروف ، ولا يعنون بزيادتها أنها جاءت لغواً أو عبثاً وإنما هي عندهم زائدة للتأكيد ولكننا نريد أن نسيط اللثام عن شيء غفل عنه هؤلاء جميعاً ، ورددوه وهم لا يكتنهنون فحواه حتى صار من المقولات البديهة ، وقد مر بك حتى الآن وسيمر معك الكثير من الأحرف التي قالوا بزيادتها ، ومع ذلك قصرنا عملها على الشكل دون المعنى ، فقله : « وما لهم من ناصرين » لا غنى عن إيراد « من » الزائدة لفظاً فالخبر بطبيعته وفي أصل وضعه اللغوي يحتمل الصدق والكذب ، و « من » هي التي نقلته من أصل وضعه الأول إلى دلالة النفي البات والإنكار الحاسم ، وسيطالع القارئ في كتابنا ما يذهله من أسرار هذه الحروف التي يمر النحاة بها مروراً سريعاً ، فهم يقولون بزيادتها ويتركون الطالب في مهامة الحيرة ، لأن كتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ
 اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَمُوعِظُونَ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ ^ط وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا
يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾

الإعراب :

(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) كلام مستأنف مسوق
للتعجب من حالهم وسوء صنيعهم والهزة للاستفهام التعجبيّ ولم
حرف نفي وقلب وجزم وتر فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه حذف
حرف العلة والفاعل أنت وإلى الذين متعلقان بـ « تر » والرؤية هنا
بصرية ، وجملة أوتوا صلة الموصول والواو نائب فاعل ونصيباً مفعول
به ثان ومن الكتاب متعلقان بمحذوف صفة لنصيباً (يُدْعُونَ إلى كتاب
الله ليحكم بينهم) جملة يدعون حالية ويدعون فعل مضارع مبني
للمجهول والواو نائب فاعل وإلى كتاب الله جار ومجرور متعلقان
بـ يدعون وليحكم اللام للتعليل ويحكم فعل مضارع منصوب بأن
مضمره بعد لام التعليل والجار والمجرور متعلقان بـ يدعون وبينهم ظرف
مكان متعلق بـ يحكم (ثم يتولّى فريق منهم) ثم حرف عطف للترتيب
مع التراخي ويتولّى فعل مضارع مرفوع والفريق فاعل والجار والمجرور
متعلقان بمحذوف صفة (وهم معرضون) الواو حالية وهم مبتدأ
ومعرضون خبر والجملة في محل نصب على الحال (ذلك بأنهم
قالوا) ذلك مبتدأ والجملة استئنافية والإشارة إلى التولي عن مجلس
النبي صلى الله عليه وسلم وبأنهم الباء حرف جر وإن مع مدخولها في
محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر أي ذلك التولي
بسبب قولهم وجملة قالوا خبر إن (لن تمسّنا النار إلا أياماً معدودات)

الجملة في محل نصب مقول قولهم ولن حرف نهي ونصب واستقبال
وتنسنا فعل مضارع منصوب بلن ونا ضمير متصل في محل نصب مفعول
به والنار فاعل تنسنا وإلا أداة حصر وأياماً ظرف متعلق بتمسنا
ومعدودات صفة وعلامة نصبه الكسرة لأنه جسع مؤنث سالم (وغرهم
في دينهم ما كانوا يفترون) الواو عاطفة وغرهم فعل ومفعول به وفي
دينهم متعلقان بغرهم وما اسم موصول في محل رفع فاعل وجملة كانوا
يفترون صلة الموصول وكان واسمها وجملة يفترون خبرها .

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا
كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ٢٥ ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِإِذْنِكَ الْخَيْرُ
إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٢٦ ﴿ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي
الَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٢٧

اللفة :

(تولى) تدخل ، من أولى الشيء أدخله . وولى يلج من باب وعد
ولوجاً ، ولجة : دخل .

الإعراب :

(فكيف إذا جمعناهم) هذا التركيب من المشكلات ويتلخص من
الأوجه التي أوردها العربون ، وجهان جديران بالاعتبار :

١ - كيف اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم والمبتدأ محذوف تقديره حالهم ، وتكون جملة قائمة بذاتها ، وكيف عندئذ لا يستغنى عنها ، كما مر في قاعدة كيف .

٢ - كيف اسم استفهام في محل نصب حال من فعل محذوف هو جراب إذا ، أي استقرت . وإذا على الوجه الأول متعلقة بالاستقرار الذي تعلق به « كيف » و « إذا » غير متضمنة معنى الشرط ، بل هي للظرفية المحضة ، وعلى الوجه الثاني هي ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط متعلقة بالجواب المحذوف وهو استقرت ، وعلى هذا الوجه يخرج البيت المشهور :

أشوقاً ولما يض لي غير ليلة فكيف إذا جد المطي بنا عشرا

وقد رجح ابن هشام وأبو البقاء الحالية . ونحن نرى الوجه الأول أبعد عن التكلف ، لأننا لا نرى أثراً للشرطية في « إذا » بهذا التركيب العجيب ، فتأمل . وجملة جمعناهم في جر بالإضافة والفاء الداخلة على كيف استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لإبطال ما غرهم ولتهويل ما سيحقق بهم من الأهوال (ليوم لا ريب فيه) الجار والمجرور متعلقان بجمعناهم ولا نافية للجنس وريب اسمها مبني على الفتح في محل نصب وفيه متعلقان بسحذوف خبرها وجملة لا ريب فيه في محل جر صفة ليوم (ووفيت كل نفس ما كسبت) الواو عاطفة ووفيت فعل ماض مبني لل مجهول وكل نفس نائب فاعل وما اسم موصول مفعول به وجملة كسبت صلة الموصول (وهم لا يظلمون) الواو الحالية وهم مبتدأ ولا نافية ويظلمون فعل مضارع مبني للمجهول والواو نائب فاعل وجملة لا يظلمون في محل رفع خبرهم والجملة الإسمية المقترنة بالواو في محل نصب على الحال (قل اللهم مالك الملك) كلام مستأنف مسوق للرد

على المنافقين الذين لم يصدقوا قوله : إن أمتي ظاهرة • وقل فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت واللهم : منادى مفرد علم والميم المشددة عوض عن « يا » لا محل لها ومالك الملك منادى ثان حذف منه حرف النداء أي يا مالك الملك ، وإنما لم يجعل نعتاً لأن الميم المشددة تمنع التبعية كما قرر سيويه إذ قال : « إن الميم أخرجت هذه اللفظة عن نظائرها من الأسماء » • قال ابن يعيش : « واعلم أن سيويه لا يرى نعت « اللهم » لأنه لفظ لا يقع إلا في النداء ، فهو لا ينعت » • وخالفه أبو العباس المبرد واستدل بقوله تعالى : « اللهم فاطر السموات والأرض » • فسيويه يحمل فاطر السموات على أنه نداء ثان لا نعت ، وقال المبرد : إن الميم بدل من « يا » والمنادى مع « يا » لا يستنع وصفه ، فكذا مع ما هو عوض عنها (تؤتي الملك من تشاء) لك أن تجعل هذه الجملة حالية من المنادى لأنه بمثابة المفعول به وتؤتي فعل مضارع فاعله مستتر تقديره أنت والملك مفعول به أول ومن اسم موصول مفعول به ثان وجملة تشاء صلة الموصول (وتزرع الملك ممن تشاء) عطف على ما تقدم (وتعز من تشاء وتذل من تشاء) عطف أيضاً (بيدك الخير) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والخير مبتدأ مؤخر والجملة حالية أيضاً (إنك على كل شيء قدير) جملة مستأنفة بمثابة التعليل لما تقدم (تولج الليل في النهار) الجملة حالية أيضاً (وتولج النهار في الليل) عطف على الجملة الآتفة (وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي) عطف أيضاً (وترزق من تشاء بغير حساب) عطف أيضاً ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة تشاء صلة الجار والمجرور متعلقان بمحذوف حال من فاعل ترزق •

البلاغة :

١ - الاستعارة التصريحية إذ أراد بالحي والميت المسلم والكافر ،

فقد حذف المشبه وأبقى المشبه به • وإذا أراد النطفة والبيضة كان الكلام جارياً على جانب الحقيقة ، لا على جانب المجاز •

٢ - الاكتفاء في قوله : « بيدك الخير » فاقصر على الخير من باب الاكتفاء بالمقابل أي والشر ، كقوله تعالى : « سرايل تقيكم الحر » أي والبرد ، ولأن الخير هو المرغوب فيه •

٣ - المقابلة فقد طابق بين « تؤتي وتترع » وبين « تغر وتذل » وبين « الليل والنهار » وبين « الحي والميت » •

٤ - وخرج بالاستفهام عن معناه الحقيقي بقوله : « فكيف » إلى معنى التهويل واستفظاع ما أعد الله لهم في يوم عصيب تحار فيه الأبصار والبصائر ، وتشخص فيه القلوب والضمائر •

الفوائد :

(اللهم) قد تخرج عند النداء المحض فيكون لها معنيان :

آ - أن يذكرها المجيب تسكيناً للجواب في نفس السامع ، فإذا حدثك أحد بشيء قلت : اللهم نعم •

ب - أن تستعمل للدلالة على الندرة وقلة وقوع المذكور معها ، كقولك لمن كان متكاسلاً : إنك ناجح اللهم ، إن بذلت مجهوداً أكبر ، وقد علمت أنه غير باذل أي مجهود ، أو إن ذلك مستبعد منه ، وعلى هذا يخطئ كاتبنا في استعمالها قبل إلا •

﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقْلَةً وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٢٨)

اللفة :

(تقاة) أصلها وقية بضم الواو ، فأبدلت الواو قاء والياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ، فهي مصدر تقية كرمية .

الإعراب :

(لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) كلام مستأنف مسوق للنهي عن موالاتهم ، كما نشاهد اليوم . ولا ناهية يتخذ فعل مضارع مجزوم بلا ، المؤمنون فاعل والكافرين مفعول به أول وأولياء مفعول به ثان ومن دون المؤمنين متعلقان بمحذوف حال من الفاعل ، أي : حال كون المؤمنين متجاوزين موالات المؤمنين ، أو من المفعول أي حال كون الكافرين ناصرين من دون المؤمنين (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) الواو اعتراضية والجملة كلها اعتراضية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويفعل فعل الشرط مجزوم وذلك اسم إشارة في محل نصب مفعول به الفاء رابطة لجواب الشرط وليس فعل مضارع ناقص واسمها ضمير مستتر يعود على « من » . ومن الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة الشيء فلما تقدم أعرب حالاً ، وفي شيء : متعلقان بمحذوف خبر ليس (إلا أن تتقوا منهم تقاة) إلا أداة حصر وأن وما في حيزها مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لأجله ، والمعنى لا يتخذ المؤمن الكافر ولياً لأمر من الأمور إلا للتقية ، ومنهم متعلقان بتقوا ، وتقاة منصوب على المفعولية المطلقة والمعنى تتقوا اتقاء ، والمصادر يتناوب بعضها بعضاً ، ويجوز أن يكون مفعولاً به على تضمين « تتقوا » معنى الخوف أي إلا أن تخافوا من جهتهم أمراً يجب إتياءه (ويحذركم الله نفسه) الواو

استثنائية ويحذركم فعل مضارع والكاف مفعول به والله فاعل ونفسه مفعول به ثان ليحذركم لأنه في الأصل يتعدى لواحد فازداد بالتضعيف آخر (وإلى الله المصير) الواو استثنائية والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم والمصير مبتدأ مؤخر .

البلاغة :

أ - في هذه الآية التفات بديع من الغيبة إلى الخطاب ، ولو جرى على سنن الكلام لقال : إلا أن يتقوا ، ولكنه عدل عن الغيبة والخطاب لسر كأنه أخذه السحر ، فإن موالاة الكفار والأعداء وكل من يتآمر على سلامة الأوطان أمر مستسج مستقبح . ينكره الطبع ولا يليق أن يواجه به الأصفياء والأولياء ، فجاء به غائباً كأنه يرسم لهم خطأ يائياً .

على أن هذا إنما يكون فيما لا ضرر فيه ، ولكن التآمر على الكيان ، وسلامة أرواح المؤمنين ، ولكن التقية لا تجوز مع الأعداء الذين لا هم لهم سوى اغتصاب الأرض وامتصاص الطاقات فهؤلاء لا تسوغ معهم مهادة ، ولا يجوز بحال عقد أي عهد معهم ، لأنهم لا يعتمدون أن ينقضوه . وقد يستغلونه للانقضاض على من اطمأنوا اليهم وركنوا إلى عهودهم ، على حد قولي :

أيّ شأن العهود قطعت ثم أضحت ترهات بعد حين
لا تغرنك قصاصات غدت شركاً ينصب للمستضعفين

حذار من العدو - لمحة تاريخية :

وهنا يجدر بنا أن نأتي على ما يرويه التاريخ بصدد نزول هذه

الآية ، فقد روي أن جماعة من المسلمين كانوا يوادّون اليهود ، فأنزل الله هذه الآية ، ناهياً عن الاسترسال في ذلك . وقيل : إنَّ عبادة بن الصامت كان له حلفاء من اليهود ، فقال يوم الأحزاب : يا رسول الله إنَّ معي خمسمائة من اليهود ، وقد رأيت أن أستظهر بهم على العدو . فنزلت هذه الآية ، إذ لا تتفق موالاته الوليِّ وموالاته العدو في وقت واحد قال :

قود عدوي ثم تزعم أنني صديقك ليس النّوك عنك بعازب

٢ - المشاكلة في قوله تعالى : « ويحذركم الله نفسه » . وإطلاق ذلك عليه سبحانه وتعالى جائز في المشاكلة كقوله أيضاً : « تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك » . وقيل : الكلام مجاز مرسل معناه : ويحذركم الله عقابه ، مثل « واسأل القرية » مجاز مرسل ، فجعلت النفس في موضع الإضمار ، وفي ذلك تهديد شديد وتخويف عظيم لعباده أن يتعرضوا لعقابه بموالاته أعدائه .

﴿ قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١٦١)

الإعراب :

(قل : إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه) كلام مستأنف مسوق ليكون بياناً لقوله : « ويحذركم الله نفسه » وقل فعل أمر فاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وتخفوا فعل الشرط وعلامة جزمه حذف النون والواو فاعل وما اسم موصول في محل نصب مفعول به وفي صدوركم : جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ،

وأو حرف عطف وتبدوه معطوف على تخفوا وجملة الشرط وجوابه الآتي في محل نصب مقول القول (يعلمه الله) جواب الشرط والهاء مفعول به والله فاعل (ويعلم ما في السموات وما في الأرض) الواو استئنافية ويعلم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو يعود على الله ، وإنما جيء به مستأنفاً لا معطوفاً لأن علم الله تعالى غير متوقف على شرط ، فهو من باب ذكر العام بعد الخاص . والأحسن أن يقدر مبتدأ محذوف فتكون جملة « يعلم » خبره والتقدير : وهو يعلم ، والجملة بعد الواو مستأنفة لا محل لها ، وما مفعول به وفي السموات متعلقان بمحذوف صلة ما ، وما في الأرض عطف على « ما في السموات » (والله على كل شيء قدير) الواو استئنافية والله مبتدأ وعلى كل شيء متعلقان بمحذوف بقدير وقدير خبر الله .

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَحْذَرُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾

﴿٢٠﴾

اللفظة :

(الأمد) : الغاية والمنتهى ، والفرق بينه وبين الأبد أن الأمد مدة من الزمن محدودة ، وإن يكن الحشد مجهولاً ، أما الأبد فهو مدة من الزمن غير محدودة .

الإعراب :

(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً) يوم ظرف متعلق تقديره :

« اذكر » وجملة تجدد في محل جر بالإضافة ، « وتجد » يجوز أن تكون بمعنى تصادف وتصيب فتتعدى لواحد ويجوز أن تكون بمعنى تعلم فتتعدى لاثنين ، وكل نفس فاعل تجد وما اسم موصول مفعول به وجملة عملت صلة والعائد محذوف أي عملته ومن خير متعلقان بمحذوف حال ومحضراً حال على الأول ومفعول به ثان على الثاني ، والجملة كلها مستأنفة لا محل لها (وما عملت من سوء) الواو استئنافية وما اسم موصول مبتدأ وجملة عملت صلة ومن سوء متعلقان بمحذوف حال (تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً) جملة تود خبر ما ولو الواقعة بعد تود مصدرية، ولكن يشكل هنا دخول الحرف على مثله، فالأولى أن تبقى شرطية وأن حرف مشبه بالفعل مصدرية وبينها ظرف متعلق بمحذوف خبر مقدم لأنّ وبينه عطف على الظرف . ويكون جواب « لو » محذوفاً تقديره : لفرحت واطمأنت ، وأن وما بعدها في محل رفع مبتدأ والخبر محذوف تقديره ثابت ، أو فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت . ويلاحظ عندئذ أن المحذوفات كثرت ، فقد حذف مفعول تود وجواب لو وخبر أن أو فعل الفاعل ، ولذلك كان اعتبارها مصدرية أسهل لولا المانع الفني وهو دخول الحرف المصدرية على حرف مصدرية مماثل (ويحذركم الله نفسه) تقدم إعرابها قريباً وكررها ليكون الخوف من الله نصب أعينهم (والله رؤوف بالعباد) الواو استئنافية والله مبتدأ ورؤوف خبره وبالعباد جار ومجرور متعلقان برؤوف .

﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴿

الإعراب :

(قل : إن كنتم تحبون الله فاتبعوني) كلام مستأنف مسوق لبيان معنى محبة الله ، وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وإن شرطية وكان فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء إسمها وجسلة تحبون الله خبرها والفاء رابطة لجواب الشرط واتبعوني فعل أمر والواو فاعل والنون للوقاية والياء مفعول به والجملة في محل جزم جواب الشرط وجملة إن كنتم مقول القول (يحبكم) جواب الطلب مجزوم والكاف مفعول به (الله) فاعل (ويغفر لكم ذنوبكم) عطف على يحبكم (والله غفور رحيم) الواو استئنافية والله مبتدأ وغفور رحيم خبران للمبتدأ (قل أطيعوا الله والرسول) كلام مستأنف أيضاً وجملة أطيعوا في محل نصب مقول القول (فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين) الفاء استئنافية وإن شرطية وتولوا فعل مضارع حذف منه إحدى التاءين وهو فعل الشرط والجملة لا محل لها . ويجوز أن يكون فعلاً ماضياً مسنداً لضمير الغيبة ، فيكون من باب الالتفات من المخاطب إلى الغائب والجملة في محل جزم فعل الشرط والفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وجملة لا يحب الكافرين خبرها وجملة فإن الله في محل جزم جواب الشرط .

البلاغة :

المجاز المرسل في حب العباد لله تعالى وحبهم لهم والعلاقة ما يكون .
فأما حبهم له فالمراد ما تتول إليه المحبة من اختصاصه بالعبادة دون غيره ،
وأما حبه لهم فالمراد منه ما يتول إليه من الرضا عنهم والغفران
لذنوبهم . وهذه لمحة لا مندوحة عن إيرادها عن الحب :

الحب عند الفلاسفة : أما الفلاسفة فيفرون كما يتحدث عنهم
سويدنبرغ السويدي أن الحب هو حياة الإنسان ، وأن الله وحده هو
عين الحب ، لأنه هو عين الحياة ، فالمحبة لغة - ميل المتصف بها إلى
أمر م لذّ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة إلى مدرك بالحس كلذة
الذوق في الطّعم ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ولذة
الشم في الروائح العطرية ولذة السمع في النغمات الحسنة وإلى لذة
تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها . وإذا
تفاوتت البواعث ، فليس معلوم أكمل ولا أجمل من المعبود الحق ،
وإذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والمواقفات .

الحب عند المتصوفة : أما المتصوفة فهم يقولون : إن الحب هو سكر
المشاهدة وشجاعة البازل وإيمان الولي والأصل الأصيل للتحقق
الخلقي والإدراك الروحي . قال الثوري لرابعة العدوية : ما حقيقة
إيمانك ؟ قالت : ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير
السوء ، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه . وأنشدت :

أحبك حين : حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عما سواكا
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي الحجب حتى أراكا

والكلام يطول فحسبنا ما تقدم .

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١)

اللفة :

(نوح) علم أعجمي لا اشتقاق له ، وقيل : إنه مشتق من النوح وهو منصرف على كل حال ، لأنه علم أعجمي ثلاثي ساكن الوسط (عمران) علم أعجمي أيضاً ممنوع من الصرف وإن قيل إنه عبري مشتق من العمر فهو ممنوع للعلمية وزيادة الألف والنون •

الإعراب :

(إن الله اصطفى آدم ونوحاً) إن واسمها ، وجملة اصطفى آدم ونوحاً خبر (وآل ابراهيم وآل عمران) عطف على آدم (على العالمين) الجار والمجرور متعلقان باصطفى والجملة استئنافية (ذرية بعضها من بعض) ذرية : بدل من آدم ومن عطف عليه ، أو من الآلين أي أن الآلين ذرية واحدة ، ويجوز نصبها على الحال والعامل فيه « اصطفى » • وبعضها مبتدأ ومن بعض جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة صفة لذرية (والله سميع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وسميع عليم خبران له •

البلاغة :

١ - في الآية فن التوشيح ، وهو كما يقول قدامة في نقد الشعر : أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية ، إن كان شعراً أو السجع إن كان ثراً • فإن معنى اصطفاء المذكورين في الآية يعلم منه الفاصلة ، لأن المذكورين صنف مندرج في العالمين •

وفي هذه الآية أيضاً فن براعة التخلص ، فإنه سبحانه وتعالى وطناً

بهذه الآية إلى سياق خبر ميلاد المسيح عليه السلام ، فقد خلص إلى ذكر امرأة عمران ليسوق قصة حملها بمريم وكفالة زكريا لها ، وذكر ولده يحيى ، وقصة حمل مريم بالمسيح ، وما تخلل ذلك من آيات باهرات ، وعبر بالفتات .

﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذَرَيْتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٢٦﴾

اللفة :

(محرراً) معتقاً خالصاً لخدمة بيت المقدس . روي أن حنة — وهو اسمها — كانت عاقراً لم تلد إلى أن عجزت ، فبينما هي في ظل شجرة وريف بصرت بطائر يطعم قرخاً له فتحركت نفسها للولد وتمنته ، فقالت : اللهم إن لك علي نذراً إن رزقتني ولداً لأتصدقن به على بيت المقدس فيكون من سدته . فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل بمريم .

الإعراب :

(إذ قالت امرأة عمران) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بذكر محذوفاً وتكون الجملة مستأنفاً مسوقة لتقرير اصطفاء آل عمران ، وجملة قالت امرأة عمران في محل جر بإضافة الظرف إليها وعلقه بعضهم بقوله :

سميع عليم وليس ثمة ما يمنع ذلك (رب إني نذرت لك ما في بطني محرراً) رب منادى مضاف إلى ياء المتكلم المحذوفة بدليل الكسرة عليها ، وإن واسمها ، وجملة نذرت خبرها وجملة إني نذرت مقول القول ولك متعلقان بنذرت وما اسم موصول مفعول به وفي بطني متعلقان بسحذوف لا محل له لأنه صلة ما ومحرراً حال من « ما » (فتقبل مني) الفاء استئنافية وتقبل فعل أمر وفاعله أنت ومني متعلقان بتقبل (إنك أنت السميع العليم) إن واسمها ، وأنت مبتدأ أو ضمير فصل لا محل له والسميع العليم خبران لأنك والجملة الاسمية خبر لإن ، أو خبران لأن وجملة إن وما في حيزها تعليلية لا محل لها (فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى) الفاء استئنافية ولما ظرفية حينيه أو حرف للربط ووضعتها فعل وفاعل مستتر ومفعول به وجملة قالت لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وإن واسمها ، وجملة وضعتها خبر إن وأنثى حال مؤكدة أو مبنية وسيأتي الفرق بينهما وجملة النداء مقول القول (والله أعلم بما وضعت) الواو اعتراضية والله مبتدأ وأعلم خبر وبما جار ومجرور متعلقان بأعلم وجملة وضعت لا محل لها لأنها صلة ما (وليس الذكر كالأنثى) الواو عاطفة وليس فعل ماض ناقص والذكر اسمها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر ، أو الكاف اسمية وهي الخبر والأنثى مضاف إليه (وإني سميتها مريم) الواو عاطفة والجملة معطوفة على جملة « إني وضعتها » ، وإن واسمها ، وجملة سميتها خبرها ، والهاء مفعول سميت الأول ومريم مفعوله الثاني (وإني أعيدنها بك وذريتها من الشيطان الرجيم) الواو عاطفة أيضاً والجملة معطوفة على جملة « إني سميتها » وإن واسمها ، وجملة أعيدنها خبر إن والهاء مفعول به وبك متعلقان بأعيدنها وذريتها عطف على الهاء أو مفعول معه ومن الشيطان متعلقان بأعيدنها والرجيم صفة للشيطان .

البلاغة :

١ - فائدة الخبر في قوله : « إني وضعتها » للتحسر ، وليس مرادها الإخبار بمفهومه ، لأن الله عالم بما وضعت بل المراد إظهار الحسرة لما فاتها من تحقيق وعدها والوفاء بما التزمت به والاعتذار حيث أتت بمولود لا يصلح للقيام بما نذرتة .

٢ - تكررت إن أربع مرات ، وفي الثلاث الأولى كان خبرها فعلاً ماضياً ، وفي المرة الرابعة عدلت عن الماضي إلى المضارع ، فقالت : أعيدها ، لنكتة بلاغية ، وهي ديمومة الاستعاذة وتجديدها دون انقطاع بخلاف الأخبار السابقة فإنها انقطعت .

٣ - المراد بالخبر في قوله تعالى حكاية عن نفسه : « والله أعلم بما وضعت » لازم الفائدة ، والقصد منه إفادتها دون التصريح بما سيكون من شأن المولود الذي لم تأبه له بادئ الأمر ، وهي جاهلة مآل أمر هذه المولودة التي ستلد رسول الرأفة والسلام .

٤ - المراد بالخبر في قوله : « وليس الذكر كالأنثى » نفي الاعتقاد السائد بين الناس بوجود تفاوت بين الأولاد ، وإن هذا التفاوت الذي يبدو للوهلة الأولى ، إنما هو أمر ظاهري لا يثبت عند الابتلاء والتجربة ، فإن الغيب أعمق غوراً من أن يسبروه ، وأبعد منالاً من أن يدركوه ، وكم من النساء من فاقت الرجال وأربت عليهم في الدرجات وقد تعلق أبو الطيب المتنبي بأذيال هذا المعنى البديع بقوله :

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهمال

٥ - الإطناب في قوله تعالى : « وإني سميتها مريم » والغرض من التصريح بالتسمية التقرب إلى الله والازدلاف إليه بخدمة بيت المقدس

أولاً ، ورجاء عصمتها ثانياً ، فإن مريم في لغتهم العابدة ، واطهاراً لعزمها على الوفاء بوعدھا ثالثاً أي : إنها وإن لم تكن خليفة بالسدانة فأرجو أن تكون من العابدات المطيعات • وقد أهل صاحب المنجد الإشارة إلى ذلك في كتابة « المنجد » •

الفوائد :

تنقسم الحال إلى مبينة أو مؤسسة ، وهي التي لا يستفاد معناها من دون ذكرها ، كجاء علي "راكباً" إذ لا يستفاد معنى الركوب إلا بذكر راكباً . ومؤكدة وهي التي يستفاد معناها من دون ذكرها ، وهي إما مؤكدة لعاملها لفظاً ومعنى نحو « وأرسلناك للناس رسولا » و « فتبسم ضاحكاً » وإما مؤكدة لصاحبها نحو « لآمن من في الأرض كلهم جميعاً » فجسيعاً حال من فاعل آمن ، وهو « من » الموصولة ، مؤكدة لها ، وإما مؤكدة لمضمون جملة قبلها معقودة من اسمين معرفتين جامدين نحو : « هو الحق بينا » ، وقول الشاعر :

أنا ابن دارة معروفاً بها نسبي وهل بدارة يالللناس من عار

فإن جعلت « أنثى » حالاً من الضمير كانت مؤكدة ، وإن جعلتها حالاً من « النسمة والنفس » المفهومة من سياق الكلام كانت مبينة •

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَمْرِئُؤُمَّ إِنِّي
لَكَ هَذَا قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

اللفة :

(كفلها) بتشديد الفاء أي ضمنه إياها وضمها إليه وجعلها كافلاً لها
وضامناً لمصالحها • ويؤيد هذا المعنى قراءة « وأكفلها » بوصفه زوج
خالتها وذلك عن طريق الاقتراع •

(المحراب) والمحرِب آلة الحرب ، وهذا هو القياس الصّرفي •
ولكن المحراب له معان مستقلة ليست داخلة في القياس الاشتقاقي ، فمن
معانيه صدر البيت وأكرم مواضعه ، وصدر المجلس ، ومأوى الأسد ،
ومحراب المسجد • ويرى علماء اللغة أن محراب المسجد سمي بذلك
لأن المتعبد فيه يحارب الشيطان ، ولذلك يقال : لكل محل من محال
العبادة محراب ، والباحث يحار ويدهش في أمر هذه اللغة الشريفة كيف
تطورت ؟ ما هي تفاعلات الزمن التي أسهمت في هذا التطور ؟ إن المتتبع
لموادها اللغوية يعجب كيف تهياً لها هذا التطور الحركي الذي يحتاج إلى
ما لا يحصى من الزمن ، فالحاء والراء حرفان يدلان في الأصل على الحر
والحرق ، ولو تتبعنا جميع الجذور الأخرى لرأينا أن كل كلمة تبتدىء
بهما تدل على معنى يكاد يكون منتزعا من هذا المعنى ، أو متفرعا عنه •
فلنستعرض الآن مادة الحرب ، إنها احتراق بكل معنى لاهب ، والحَرَب
يفتحين الهلاك ، وهو مقتنيات الحرق ومستلزماته ، قال أبو تمام :

لما رأى الحرب رأي العين توفلس " والحرب مشتقة المعنى من الحَرَب

وحرث الأرض : شقها بالسكة ، وهذا يمت إلى المعنى الأصلي ،
بأوثق الأسباب ، والخرج الضيق ، وحرد الرجل بكسر الراء : غضب ،

فهو حارد وحردان ، وهي عامية فصيحة • وهكذا إلى آخر المادة حيث
تنتهي إلى هذا التقرير العجيب •

الإعراب :

(فتقبلها ربها بقبول حسن) الفاء عاطفة وتقبل فعل ماض والهاء
مفعول به وربها فاعل والجار والمجرور متعلقان بتقبلها وحسن صفة
(وأنبثها نباتاً حسناً) الواو عاطفة وأنبثها فعل وفاعل مستتر ومفعول
به ونباتاً مفعول مطلق وحسناً صفة (وكفلها زكريا) الواو عاطفة وكفل
فعل ماض والهاء مفعول به أول وزكريا مفعول به ثان ، أي جعل زكريا
كافلاً لها وضامناً لمصالحها وفي قراءة تخفيف الفاء يكون زكريا هو
الفاعل • وقد نسجت أساطير حول هذه الكفالة ، يرجع فيها إلى المطولات
(كلما دخل عليها زكريا المحراب) كلما ظرف زمان تقدم إعرابه مراراً
وهو متعلق بوجد لأنه جواب الشرط • وجملة دخل عليها في محل جر
بإضافة الظرف إليها والمحراب مفعول به على السعة أو منصوب بنزع
الخافض (وجد عندها رزقاً) الجملة لا محل لها لأنها جواب شرط غير
جازم وعندها ظرف متعلق بوجد ورزقاً مفعول به وجملة الشرط استئنافية
(قال يا مريم أنى لك هذا) الجملة مستأنفة ، وهذا أصح ما قيل فيها
رغم الاختلاف الشديد الذي لا طائل تحته • وقال فعل ماض
والفاعل هو ويا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم مبني على الضم
وأنى اسم استفهام بمعنى كيف ، كأنه سؤال عن الكيفية ، أي : كيف
تھيأ لك وصول هذا الرزق إليك ؟ قال الكميّ :

أنى ومن أين أبك الطرب من حيث لا صبوة ولا طرب

وقيل معناه هنا : : من أين • وعلى الحالين هو منصوب على الظرفية

متعلق بمحذوف خبر مقدم ، ولك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وهذا مبتدأ مؤخر (قالت هو من عند الله) الجملة مستأنفة وهو مبتدأ ومن عند الله متعلقان بمحذوف خبر (إن الله يرزق من يشاء بغير حساب) إن واسمها ، وجملة يرزق خبر ومن اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وبغير حساب جار ومجرور متعلقان بيرزق وجملة إن الله مقول القول أيضاً إذا كان من كلامها أو مستأنفة .

البلاغة :

في هذه الآية فنون نشير إليها بما يلي :

١ - الجناس المغاير في قوله « فتقبلها ربها بقبول حسن » وفي قوله « فأنبثها نباتاً حسناً » وفي قوله « رزقاً » و « يرزق » .

٢ - الإشارة ، وهو التعبير باللفظ الظاهر عن المعنى الخفي في قوله « هو من عند الله » أي هو رزق لا يأتي به في ذلك الوقت إلا الله .
٣ - التنكير في قوله : « رزقاً » لإفادة الشروع والكثرة ، وأنه ليس من جنس واحد بل من أجناس كثيرة .

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۚ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٢٥﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَايِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ

وَأَمْرًا نِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٠١﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي
 ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ءَلَّا رَمَزًا وَءَاذُكَ رَبِّكَ
 كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ ءَلِإِبْكَرِ ﴿١٠٢﴾

(العاقر) من لا يولد له ، رجلاً كان أو امرأة • مشتق من العقر
 وهو القطع ، لقطعة النسل •

(الحصور) بفتح الحاء فعول محول عن فاعل للمبالغة ، وهو الذي
 لا يأتي النساء ، وهو قادر على ذلك والمنوع منهن أو من لا يشتهيهن
 ولا يقربهن • ثم استعمل لكل من لا يشارك في لعب ولهو ومجانة ،
 قال الأخطل :

وشارب مربح بالكأس نادمني لا بالحصور ولا فيها بسار

(العشي) من حين تزول الشمس إلى أن تغيب ، وهو اسم مفرد
 لا جمع كما توهم الجلال وأبو حيان •

(الإبكار) بكسر الهمزة مصدر لأبكر بمعنى بكر ثم استعمل
 اسماً ، وهو طلوع الشمس إلى وقت الضحى •

الإعراب :

(هنالك دعا زكريا ربه) هنالك اسم إشارة للمكان في محل نصب
 على الظرفية المكانية وقد يتجاوز به للزمان واللام للبعد والكاف للخطاب
 والظرف متعلق بدعا وزكريا فاعل دعا وربه مفعوله ، والجملة مستأنفة
 مسوقة للإشارة إلى تحول زكريا عن اعتقاده بشأن الولادة والعقم ،

أي : لما رأى زكريا ذلك وعلم أن القادر على الإتيان بالشيء في غير أوانه قادر على الإتيان بالولد في حال الكبر (قال : رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) جملة مستأنفة مسوقة لتحقيق ما خطر له من سوانح بعد التحول الفكري الطارئ عليه ، وقال فعل ماض وفاعله مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وهب فعل أمر ولي متعلقان بهب ومن لدنك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وذرية مفعول به وطيبة صفة ، وأنت الصفة لتأنيث الموصوف لأنه لم يقصد به معين ، أما إذا قصد به ذلك امتنع اعتبار اللفظ ، نحو طلحة وحمزة وجملة النداء في محل نصب مقول القول (إنك سميع الدعاء) إن واسمها وخبرها والجملة تعليلية لا محل لها (فنادته الملائكة) الفاء عاطفة ونادته الملائكة فعل ومفعول به وفاعل (وهو قائم يصلي في المحراب) الواو حالية وهو مبتدأ وقائم خبره والجملة نصب على الحال من مفعول النداء وجملة يصلي في المحراب لك أن تجعلها خبراً ثانياً لهو أو تنصبها على الحال من القيام وفي المحراب متعلقان يصلي (أن الله يبشرك بيحيى) أن وما في خبرها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بنادته وقرىء بكسر همزة « إن » بتقدير قول محذوف ، فالجملة مقول القول وجملة القول حال ، أي : حال كون الملائكة قائلين . وجملة يبشرك خبرها والجار والمجرور متعلقان ببشرك ويحيى ممنوع من الصرف للعلمية والعجبة إن كان أعجيباً ، وإن كان عريباً فللعلمية ووزن الفعل (مصدقاً بكلمة من الله) مصدقاً حال وبكلمة متعلقان بمصدقاً والمراد بالكلمة عيسى بن مريم وإنما سمي كلمة لأن الله تعالى قال له : كن فكان من غير أب . وهناك أقوال أخرى يرجع

فيها إلى المطولات (وسيداً وحصوراً ونبيّاً من الصالحين) الكلمات الثلاث عطف على « مصداقاً » ومن الصالحين صفة لنبيّاً (قال : رب أنى يكون لي غلام) قال فعل ماض والفاعل مستتر تقديره هو يعود على زكريا ورب منادى مضاف لياء المتكلم المحذوفة وأنتى اسم استفهام في محل نصب على الظرفية والظرف متعلق بمحذوف خبر يكون إذا اعتبرت ناقصة أو حال إذا اعتبرت تامة ، ولي متعلقان بمحذوف حال وغلام اسم يكون أوفاعلها وجملة قال استئنافية وجملة النداء مقول القول (وقد بلغني الكبر) الواو حالية وقد حرف تحقيق وبلغني فعل ماض والنون للوقاية والياء مفعول به والكبر فاعل والجملة في محل نصب حال (وامرأتى عاقر) الواو حالية أيضاً وامرأتى مبتدأ وعاقر خبر والجملة حالية من الياء في « لي » فتكون حالاً متعددة ، ولك أن تجعلها حالاً من الياء في « بلغني » (قال : كذلك الله يفعل ما يشاء) اضطرب كلام المعربين والمفسرين في هذه الآية ، وأقرب ما تراءى لنا وجهان متساويا الرجحان ، أولهما أن الجملة كلها مستأنفة ، والقائل هو الله تعالى ، و « كذلك » جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب مفعول مطلق ، أي يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة مثل ذلك الفعل ، وهو خلق الولد من الشيخ الغاني والعجوز العاقر ، أو على أنها في موضع الحال من ضمير المصدر المحذوف من « يفعل » وذلك على مذهب سيويه في هذه المسألة ، وقد تقدم بحثها . والله مبتدأ وجملة يفعل خبر وما اسم موصول في محل نصب مفعول به والجملة مقول القول . والوجه الثاني أن يتعلق كذلك بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف ، أي : الأمر كذلك ، وجملة يفعل ما يشاء في محل رفع خبر الله وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة (قال رب اجعل لي آية) قال : فعل ماض والفاعل زكريا ورب

منادى تقدم إعرابه ، واجعل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت ، ولي متعلقان باجعل وآية مفعول به وجملة النداء وما تلاه مفعول القول وجملة القول مستأنفة (قال : آيتك أن لا تكلم الناس) الجملة مستأنفة وآيتك مبتدأ وأن وما في حيزها في تأويل مصدر خبر وتكلم فعل مضارع منصوب بأن والناس مفعول به والجملة مفعول القول (ثلاثة أيام إلا رمزاً) ثلاثة أيام : ظرف زمان متعلق بتكلم وإلا أداة استثناء منقطع واجب النصب لأن الرمز ليس من جنس الكلام ، ولك أن تعتبره من جنس الكلام فتكون « رمزاً » استثناء من أعم الأحوال أو من أعم المصادر ، أي حالاً أو مفعولاً مطلقاً ، وهذه الأوجه متساوية الرجحان في هذا التركيب العجيب (واذكر ربك كثيراً) الواو استئنافية واذكر فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وربك مفعول به وكثيراً مفعول مطلق أو ظرف زمان ، أي ذكراً كثيراً أو وقتاً كثيراً (وسبح بالعشي والإبكار) الواو عاطفة وسبح عطف على اذكر وبالعشي جار ومجرور متعلقان بسبح والإبكار عطف عليه .

البلاغة :

في قوله « رمزاً » فن الإشارة ، وقد تقدم بحثه قريباً ، لأنه دل على ما في نفس البشر من خلجات ومعان . وقد تشبث الشعراء بأذيال هذه البلاغة ، قال أبو تمام :

توحي بأسرارنا حواجبنا وأعين بالوصال ترتشق

وقال أيضاً :

كلمته بجفون غير ناطقة فكان من رده ما قال حاجبه

وقال آخر :

إذا كلمتني بالعيون الفواتر رددت عليها بالدموع البوارد

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ
عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ يَمْرُؤُا اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ
الرَّاكِعِينَ ﴿٤٤﴾﴾

اللفة :

(اصطفاك) : اختارك •

(اقنتي) : أخلصي العبادة وأديبي الطاعة •

الإعراب :

(وإذ قالت الملائكة) الواو عاطفة والجملة معطوفة ، فقد عطف
قصة البنت على قصة أمها لما بينهما من كمال المناسبة • ولك أن تعطف
« إذ » على الظرف السابق وأن تعلقه باذكر محذوفاً ، وقالت الملائكة :
فعل وفاعل والجملة في محل جر بإضافة الظرف إليها (يا مريم إن الله
اصطفاك) يا حرف نداء ومريم منادى مفرد علم وإن واسمها ، وجملة
اصطفاك خبر إن والجملة كلها مقول القول (وطهرتك واصطفاك على
نساء العالمين) الفعلان معطوفان على اصطفاك وعلى نساء متعلقان
باصطفاك والعالمين مضاف إليه (يا مريم اقنتي لربك) يا حرف نداء
ومريم منادى مفرد علم واقنتي فعل أمر مبني على حذف النون والياء

فاعل والجار والمجرور متعلقان باقتني (واسجدي واركعي مع الراكعين)
فعلا الأمر منسوقان على اقتني ومع ظرف مكان متعلق باركعي والراكعين
مضاف إليه .

البلاغة :

١ - في هاتين الآيتين التقديم ، فقد قدم السجود وهو متأخر في
حكم الصلاة للاهتمام به ، ولكونه أدل على التذلل والعبادة . وهذا
ديدنهم تقديم الأهم على المهم .

٢ - وفيها أيضاً التكرير ، فقد كرر النداء للإيذان بأن كل واحد
منهما مسوق لمعنى ، فالأول تذكير بالنعمة ، وهو بمثابة تمهيد للثاني
الذي هو للتكليف والترغيب في العمل .

٣ - وفيها أيضاً إطلاق الجزء وإدارة الكل ، وقدم السجود
لأنه أفضل أركان الصلاة كما تقدم .

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ
أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ۚ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ١٥١ ﴾ إِذْ قَالَتِ
الْمَلَكَةُ يَمْرُؤُا إِنَّ اللَّهَ بِشَرِّكَ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ١٥٢ ﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ١٥٣ ﴾

اللفظة :

(أقلامهم) الأعلام : جمع قلم وهو فعَل بمعنى مفعول ، أي

مقلوم • والقلم : القطع ومثله القبض والنقض بمعنى المقبوض والمقنوض •

(المسيح) : لقب من الألقاب الشريفة التي تشعر بالرفعة كالصديق والفاروق وهو بالعبرية المسيح ومعناه المبارك وسمي المسيح قيل : لكثرة سياحته ، وقيل : لأنه كان مسيح القدمين لا أخمص لهما ، وقيل : لأنه كان إذا مسح أحداً من ذوي العاهات برىء •

(عيسى) : معرب من ايشوع ، وقيل : مشتق من العيس ، وهو بياض تعلوه حمرة •

الإعراب :

(ذلك من أنباء الغيب) ذلك اسم إشارة مبتدأ ومن أنباء الغيب خبره والجملة مستأنفة مسوقة للإخبار بأن ذلك كله من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام (نوحيه إليك) فعل مضارع وفاعله نحن والهاء مفعول به والجار والمجرور متعلقان بنوحيه والجملة حالية أو استئنافية أيضاً (وما كنت لديهم) الواو حالية أو استئنافية وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت أي : موجوداً لديهم (إذ يلقون أقلامهم) إذ ظرف لما مضى ودخوله على المضارع لحكاية الحال الماضية ، وهو متعلق بما تعلق به « لديهم » أي بالابستقرار المحذوف •

وقد قال أبو علي الفارسي : العامل في « إذ » هو « كنت » • وقد اعترض عليه بما قرره هو نفسه إذ قال : إن « كان » الناقصة سلبت الدلالة على الحدث وتجردت للزمان فلا يتعلق بها الظرف ولا الجار والمجرور • وجملة يلقون في محل جر بالإضافة وأقلامهم : مفعول

به (أيهم يكفل مريم) الجملة في محل نصب حال بتقدير فعل ، أي يتساءلون ، ويبعد جعلها فاعلاً لفعل محذوف ، لما في ذلك من التكلف ، كما فعل الجلال وأي مبتدأ والهاء مضاف إليه والميم علامة جمع الذكور وجملة يكفل مريم خبر المبتدأ . (وما كنت لديهم إذ يختصمون) الواو عاطفة وما نافية وكان واسمها ، ولديهم ظرف مكان متعلق بمحذوف خبر كنت وإذ ظرف لما مضى متعلق بالاستقرار المحذوف وجملة يختصمون في محل جر بالإضافة (إذ قالت الملائكة) الظرف متعلق بمحذوف ، أي : اذكر ، وقالت الملائكة فعل وفاعل والجملة في محل جر بالإضافة وجملة الظرف ومتعلقة مستأنفة مسوقة للشروع في قصة عيسى عليه السلام (يا مريم) يا أداة نداء ومريم منادى مفرد علم (إن الله يبشرك) الجملة مقول القول وإن واسمها وجملة يبشرك خبرها (بكلمة) متعلقان ببشرك (منه) صفة لكلمة (اسمه المسيح عيسى بن مريم) اسمه مبتدأ والمسيح خبر والجملة صفة ثانية لكلمة وعيسى بدل من المسيح وابن مريم بدل أو نعت . وذكرت مريم مع أنها هي المخاطبة للإيدان باختصاص عيسى عليه السلام بأنه ولد من غير أب كما جرت العادة (وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين) وجيهاً حال من كلمة وإن كانت نكرة لأنها موصوفة والجار والمجرور متعلقان بوجيهاً فهما في موضع نصب على الحال (ويكلم الناس في المهد) الواو عاطفة ويكلم فعل مضارع والفاعل هو والجملة معطوفة على « وجيهاً » فهي حال أيضاً وعدل إلى الفعلية للتجدد والناس مفعول به وفي المهد متعلقان بمحذوف حال من فاعل « يكلم » (وكهلاً ومن الصالحين) عطف على قوله « في المهد » أي : صيماً وكهلاً ، ومن الصالحين عطف على وجيهاً فاستتم بذلك الأوصاف الأربعة ا « كلمة » .

البلاغة :

الكناية في قوله : « يلقون أقلامهم » عن القرعة •

الفوائد :

(إذ) تكون على ثلاثة أوجه :

٢ - تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل ، كقول الفرزدق :
بعدها فعل مضارع فهي لحكاية الحال الماضية •

٢ - تكون للتعليل وهذه حرف بمنزلة لام التعليل، كقول الفرزدق :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم إذ هم قريش وإذ ما مثلهم بشر

فالظرفية هنا منسلخة ولا تصح بحال ، لأن المعنى يفسد ، أي أعاد الله نعمتهم وقت كونهم قريشاً ، فيفيد أن كونهم من قريش أمر طارئ عليهم •

٣ - أن تكون للمفاجأة ، وهي الواقعة بعد «بيننا» و«بينما» كقوله :

استقدر الله خيراً وارضى به فبينما العسر إذ دارت مياسير

والأولى عندئذ أن تكون حرفاً •

(أي) تأتي على خمسة أوجه :

١ - اسم شرط جازم وتعرب بحسب موقعها •

٢ - اسم موصول وتعرب بحسب موقعها إلا إذا أضيفت وحذف صدر صلتها فتبنى على الضم : « ثم لنزعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتياً » •

٣ - اسم استفهام كما في الآية المتقدمة ، وحكمها حكم الموصولية •

٤ - أن تقع صفة للنكرة أو حالا بعد المعرفة للدلالة على معنى التمام والكمال ، كقول أبي العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسدة

٥ - تكون وصلة لنداء ما فيه أل : يا أيها الناس •

(العلم) ينقسم العلم إلى اسم وكنية ولقب، وإذا اجتمع الاسم واللقب يؤخر اللقب عن الاسم، وربما قدم عليه كما في الآية • ويترد هذا إذا كان اللقب أشهر من الاسم ولا ترتيب في الكنية ، ويعرب الثاني بدلا من الأول ، ويجوز أن تضيف اللقب إلى الاسم إذا كانا مفردين كهرون الرشيد ومحمد المهدي ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ

﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّمُ الْمَوْتَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿٥٠﴾

اللفة :

(الأكمه) : الذي ولد أعمى يقال : كمه كمها ، من باب تعب ، فهو أكمه والمرأة كمهاء ، مثل أحمر وحمراء وهو العمى يولد عليه الإنسان وربما كان عارضاً •

(الأبرص) : المصاب بالبرص بفتحيتين وهو داء معروف يعترى الإنسان ، ولم تكن العرب تنفر من شيء نفرتها منه ، فكانوا يصفون العظيم إذا أصيب به بالوضّاح فقالوا : جذيمة الوضّاح وهو من ملوك العرب المشهورين ويقال للقمر أبرص لشدة بياضه وللوزغ سام أبرص لبياضه •

الإعراب :

(قالت : رب أنى يكون لى ولد) تقدم إعرابها قبل قليل بحروفها فجدد بها عهداً (ولم يمسسني بشر) الواو للحال ولم حرف نفي وقلب وجزم ويمسسني فعل مضارع مجزوم بلم والنون للوقاية والياء مفعول به وبشر فاعل والجملة حالية (قال كذلك الله يخلق ما يشاء) الجملة مستأنفة لا محل لها والجار والمجرور متعلقان بمحذوف مفعول مطلق لفعل محذوف ، أو حال وعلقهما بعضهم بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف والله مبتدأ وجملة يخلق خبر وما اسم موصول مفعول به وجملة يشاء لا محل لها لأنها صلة الموصول وجملة الله يخلق مقول القول (إذا قضى أمراً) إذا ظرف مستقبل وجملة قضى في محل جر بالإضافة وأمراً مفعول به (فإنما يقول له كن فيكون) الفاء رابطة لجواب إذا وجملة إنما يقول لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وله متعلقان بيقول وكن فعل أمر تام والجملة مقول القول والفاء

استثنائية ويكون فعل مضارع تام مرفوع بالضمّة والفاعل هو والجملة خبر لمبتدأ محذوف أي فهو يكون والجملة مستأنفة ، وهذا قول سيبويه وهو الصحيح وقرأ ابن عامر بالنصب « فيكون » على أن الفاء للسببية ، ويشكل على هذه القراءة أن الاستقبال مسلوب عنه عندئذ بهاء (ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل) الواو استثنائية ولك أن تعطفها على « وجيهاً » كأنه قال : وجيهاً ومعلماً ، وقرئ ويعلمه فتكون الجملة مقولاً نقول محذوف لأنه يكون من كلام الله ويعلمه فعل مضارع وفاعل مستتر ومفعول به أول والكتاب مفعول به ثان وما بعده منسوق عليه (ورسولاً إلى بني إسرائيل) الواو عاطفة ورسولاً مفعول به لفعل محذوف أي ويجعله رسولاً أي من باب الإخبار بالمفريات ، وأجاز الزمخشري وغيره أن يعرب رسولاً حالاً كأنه عطفه على يعلمه بالمعنى وإلى بني إسرائيل متعلقاً بمحذوف صفة ا « رسولاً » (أني قد جئتكم بآية من ربكم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر منصوب بنزع الخافض ، أي بآني قد جئتكم ، وقد سبق القول بأن هذا مطرد قبل أن وأن ، والجار والمجرور متعلقان بـ « رسولاً » لأنه تضمن معنى النطق ، أي ورسولاً ناطقاً بآني قد جئتكم . وقد كثرت التأويلات في هذه التعابير ، ولذلك جعلها الزمخشري من المضائق المعجزة . وقيل الباء للملابسة وهي مع مدخولها في محل نصب على الحال ، والمعنى أني رسول الله اليكم حال كوني متلبساً بمجيئي بالآيات وجملة قد جئتكم خبر أن وبآية متعلقان بجئتكم ومن ربكم متعلقان بمحذوف صفة لآية (أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير) أن وما في حيزها في تأويل مصدر بدل من آية لأن ما يفعله لا يعدو أن يكون من دلائل آياته الباهرة ، ولك أن تجعله

خبراً لمبتدأ محذوف تقديره هي والمعنى واحد وفي قراءة بكسر همزة إن فتكون إن وما بعدها مستأنفة وجملة أخلق خبر إن ولكم متعلقان بمحذوف في محل نصب على معنى التعليل أي لأجل هدايتكم ، أو معنى الحال أي هادياً لكم ، ومن الطين متعلقان بأخلق وكهيئة الكاف اسم بمعنى مثل فهي في محل نصب مفعول به أو حرف فتكون وما بعدها في محل نصب صفة لمفعول به محذوف أي شيئاً مثل هيئة الطير وهيئة مضاف إليه إن كانت اسماً والطير مضاف مضاف الى هيئة (فأنفخ فيه) الفاء عاطفة ، أنفخ معطوف على أخلق ، والجار والمجرور متعلقان بأنفخ (فيكون طيراً بإذن الله) الفاء عاطفة ويكون فعل مضارع ناقص معطوف على أخلق وطيراً خبر يكون واسمها مستتر وإذن الله متعلقان بيقول على رأي من يجيز تعلق الجار والمجرور والظرف بالأفعال الناقصة أو بمحذوف حال ، والأول أقرب الى المعنى (وأبرئ الأكمه والأبرص) عطف على أخلق والأكمه مفعول به (وأحيي الموتى بإذن الله) عطف على ماتقدم أيضاً وإذن الله متعلقان بأحيي (وأنبئكم بما تأكلون) عطف أيضاً والجار والمجرور متعلقان بأنبئكم ناب عن المفعولين وجملة تأكلون لا محل لها لأنها صلة الموصول (وما تدخرون في بيوتكم) الواو عاطفة وما عطف على «ما» المتقدمة وجملة تدخرون لا محل لها وفي بيوتكم جار ومجرور متعلقان بتدخرون (إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) إن حرف مشبه بالفعل وفي ذلك جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم ، واللام هي المرحلة وآية اسمها المؤخر ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية وجملة إن وما في حيزها إما أن تكون من كلام عيسى عليه السلام فتكون داخلية في حيز القول، ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى فتكون مستأنفة. وإن شرطية وكنتم في محل جزم فعل الشرط وكان فعل ماض ناقص

والباء اسمها ومؤنين خبرها وجواب الشرط محذوف والتقدير إن كنتم مؤمنين انتفعتم بهذه الآية وجملة الشرط استئنافية (ومصدقا لما بين يدي من التوراة) الواو عاطفة ومصدقا حال من فعل محذوف أي وجئتكم مصدقا ، أو تعطفه على محل « بآية » ولما اللام حرف جر وما اسم موصول مجرور باللام والجار والمجرور متعلقان « بمصدقا » وبين ظرف متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة ما ويدي مضاف إليه وعلامة جره الياء لأنه مشى والياء مضاف إليه ومن التوراة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولأحلّ لكم بعض الذي حرم عليكم) الواو حرف عطف واللام للتعليل وأحلّ فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا بعد لام التعليل واللام ومدخولها متعلقان بجئتكم مقدرة ، ولا يجوز عطفه على « مصدقا » لأنه حال ولأحلّ تعليل ، ولكم جار ومجرور متعلقان بأحلّ وبعض مفعول به والذي اسم موصول مضاف إليه ، وجملة حرم عليكم لا محلّ لها لأنها صلة الموصول (وجئتكم بآية من ربكم) الواو حرف عطف وجملة جئتكم عطف على جئتكم السابقة وتكررت للتوكيد وبآية جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال فالباء للملابسة ، والمعنى أني رسول إليكم حال كوني ملتبسا بمجيئي . ولك أن تعلقها بجئتكم ، ومن ربكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لآية (فاتقوا الله وأطيعون) الفاء الفصيحة ، أي إذا علمتم أنه لا يسوغ لكم بعد هذه الآلاء الباهرة التي مننت بها عليكم أن تأخذكم هوادة في طاعة الله فاتقوا الله . واتقوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وأطيعون عطف على اتقوا وحذفت ياء المتكلم لمراعاة الفواصل .

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ ﴿٥١﴾ * فَلَمَّا

أَحْسَ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ
 نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ
 وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا مِمَّا مَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ
 الْمَكْرِينَ ﴿٥٤﴾
 اللفظة :

(الحواريون) : جمع حواري ، وهو صفوة الرجل وخالسته ، ومنه
 قيل للحضريات : حواريات ، لخلوص ألوانهن وفتتهن ونعومتهم قال :

فقل للحواريات يكنين غيرنا ولا تبكنا إلا الكلاب النوايح
 وتكاد هذه النسبة تكون مطردة كالحوالي وهو الكثير الحيلة .
 وزعم صاحب المنجد أن اللفظة حبشية ولكننا نرجح أنها عربية خالصة .
 ففي أساس البلاغة : وامرأة حوارية ونساء حواريات : بيض قال الأخطل :

حوارية لا يدخل الدم بيتها مطهرة يأوي إليها مطهر

وقد نسجت أساطير جميلة حول الحواريين تحتاج إلى قصاص
 بارع يصوغ منها أروع القصص .

(المكر) في اللغة : الستر ، يقال : مكر الليل أي أظلم وستر بظلمته
 ما فيه ، واشتقاقه من المكر ، وهو شجر ملتف ، كأنهم تغيّلوا أن المكر
 يلف المكور به . وامرأة مكورة البطن : أي ملتفة ثم خصصوه
 بالخبت والخداع .

الإعراب :

(إن الله ربي وربكم فاعبدوه) كلام مستأنف مسوق لتقدير أصل

الديانة المترتبة على الإيمان بما أورده ، وإن واسمها ، وربّي خبرها وربكم عطف على ربّي . فاعبدوه : الفاء الفصيحة أي إذا شئتم حسن المصير فاعبدوه ، واعبدوه فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والهاء مفعول به وجملة اعبدوه لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم (هذا صراط مستقيم) يصح أن تكون الجملة مستأنفة أو مفسرة ، وعلى الحالين لا محل لها . وهذا مبتدأ وصراط خبر ومستقيم صفة لصراط (فلما أحس عيسى منهم الكفر) الفاء عاطفة على محذوف تقديره فكذبوه ، لأنه قول مرتب على هذا المحذوف . ويجوز أن تعرب استئنافية ولما ظرفية حينية أو رابطة وقد تقدم ذكرها كثيراً ، وجملة أحس عيسى في محل جر بإضافة الظرف إليه أو لا محل لها إذا أعربناها رابطة . وأحس فعل ماض وعيسى فاعل ومنهم جار ومجرور متعلقان بأحس والكفر مفعول به ويجوز أن يتعلقا بمحذوف حال من الكفر أي حال كونه صادراً منهم (قال من أنصاري إلى الله) جملة قال لا محل لها لأنها جواب شرط غير جازم وهو لما ومن اسم استفهام مبتدأ وأنصاري خبره وإلى الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال من الياء في أنصاري ، والمعنى من أنصاري حال كوني ماضياً إلى سبيل الله شارعاً في المناضلة عنه ونصرته ؟ وللزمخشري رأي طريف في هذا الجار والمجرور إذ جعلهما من صلة أنصاري مضمناً معنى الإضافة ، كأنه قال : من الذين يضيفون أنفسهم إليّ ينصرونني كما ينصرنني ؟ (قال الحواريون : نحن أنصار الله) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير الجواب على استفهامه . وقال الحواريون فعل وفاعل وجملة نحن أنصار الله من المبتدأ والخبر مقول القول (آمنا بالله) آمنا فعل وفاعل وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا والجملة خبر ثان لنحن (واشهد بأننا مسلمون) الواو استئنافية واشهد

فعل أمر وبأنا الباء حرف جر وأن واسمها ، ومسلمون خبرها • وأن وما في حيزها مصدر في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بأشهد ، وهذا أحسن من جعلها عاطفة لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر ، وهو مرجوح ، وإنما طلبوا شهادته بإسلامهم تأكيداً لإيمانهم (ربنا آمنا بما أنزلت) ربنا منادى مضاف وجملة آمنا خبر ثالث لنحن وبما جار ومجرور متعلقان بآمنا وجملة أنزلت لا محل لها لأنها صلة الموصول (واتبعنا الرسول) عطف على جملة آمنا والرسول مفعول به (فاكتبنا مع الشاهدين) الفاء الفصيحة أي إذا كان الأمر كما تقدم فاكتبنا ، ولك أن تجعلها استئنافية ومع ظرف مكان متعلق باكتبنا والشاهدين مضاف إليه (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) الواو استئنافية ومكروا فعل وفاعل ومكر الله عطف على مكروا والله الواو حالية والله مبتدأ وخير الماكرين خبره والجملة في محل نصب على الحال •

البلاغة :

١ — الاستعارة التمثيلية في أحس ، إذ لا يحس إلا ما كان متجسداً، والكفر ليس بمحسوس ، وإنما يعلم ويدرك كعلم ما يدرك بالحواس •

٢ — فن المشاكلة وقد مرت الإشارة إلى هذا الفن ، وحقيقة ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ، فكأنه قال : وأخذهم بمكرهم ، لأن الله تعالى وتقدس لا تستعمل في حقه لفظة توهم الشناعة • وهو كثير شائع في القرآن ، فاعلمه • ومنه في الشعر قول عمرو بن كلثوم :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أي فنجازيه على جهله ، فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه للمشاكلة • ومن طريف المشاكلة قول أبي تمام الطائي :

والدهر ألام من شرقت بلومه إلا إذا أشرقت بكريم

أي انتصرت عليه بكريم فقال : أشرقت ، للمشاكلة .

﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىٰ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ۖ ﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذَّ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ۖ ﴿٥٧﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

﴿٥٧﴾

الاعراب :

(إذ قال الله يا عيسى) إذ ظرف لما مضى من الزمن متعلق بذكر مقدراً أو متعلق بمكروا أو ظرف لخير الماكرين . وجملة قال الله في محل جر بالإضافة ويا حرف نداء وعيسى منادى مفرد علم مبني على الضم المقدر على الألف (إني متوفيك ورافعك الي) إن وأسمها ومتوفيك خبرها والكاف مضاف اليه ورافعك عطف على متوفيك وإلي جار ومجرور متعلقان برافعك لأنه إسم فاعل (ومطهرك من الذين كفروا) ومطهرك عطف على ما تقدم ومن الذين جار ومجرور متعلقان بمطهرك وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا) وجاعل عطف أيضاً والذين اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة اتبعوك صلة الموصول لا محل لها وفوق

ظرف، مكان متعلق بمحذوف مفعول به ثان لجاعل والذين مضاف إليه
وجملة كفروا صلة الموصول (إلى يوم القيامة) الجار والمجرور متعلقان
بجاعل، يعني أن هذا الجعل مستمر إلى يوم القيامة (ثم إلي مرجعكم)
ثم حرف عطف للتراخي وإلي جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر
مقدم ومرجعكم مبتدأ مؤخر (فأحكم بينكم) الفاء حرف عطف للتعقيب
وأحكم فعل مضارع مرفوع وبينكم ظرف مكان متعلق بأحكم
(فيما كنتم فيه تختلفون) فيما جار ومجرور متعلقان بأحكم وجملة
كنتم صلة الموصول وكان واسمها، وفيه جار ومجرور متعلقان بتختلفون
وجملة تختلفون في محل نصب خبر كنتم، والجملة كلها في محل نصب
مقول القول (فأما الذين كفروا) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة
مسوقة لتكون تفسيراً للحكم بين الفريقين • وأما حرف شرط
وتفصيل والذين مبتدأ وجملة كفروا صلة الموصول لا محل لها (فأعذبهم
عذاباً شديداً في الدنيا والآخرة) الفاء رابطة لجواب أما وأعذبهم
فعل وفاعل مستتر ومفعول به والجملة الفعلية خبر الذين وعذاباً مفعول
مطلق وشديداً صفة وفي الدنيا جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة
ثانية والآخرة عطف على الدنيا (وما لهم من ناصرين) الواو حالية أو
استئنافية وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم
ومن حرف جر زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً لأنه مبتدأ
مؤخر والجملة حالية أو استئنافية (وأما الذين آمنوا و عملوا الصالحات)
عطف على الآية السابقة والصالحات مفعول به منصوب بالكسرة لأنه
جمع مؤنث سالم (فيوفيهم أجورهم) الفاء رابطة لجواب أما ويوفيهم
فعل مضارع مرفوع وفاعله ضمير مستتر تقديره هو والهاء مفعول به
أول وأجورهم مفعول به ثان والجملة خبر الذين (والله لا يحب الظالمين)
الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يحب الظالمين خبر •

البلاغة :

اختلف المفسرون في قوله : « إني متوفيك ورافعك إلي » ، قال قتادة وغيره : هذا من المقدم والمؤخر ، والتقدير : إني رافعك إلي ومتوفيك . يعني بعد ذلك . قال علي بن طلحة عن ابن عباس : إني متوفيك أي مميتك . وجمهور المفسرين يقولون : المراد بالوفاة هنا النوم ، كما قال تعالى : « وهو الذي يتوفاكم بالليل » الآية . وقد اقتبس هذا المعنى بلفظه بعض الشعراء فقال :

تبارك من توفاكم بليل ويعلم ما جرحتم في النهار

﴿ ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾

الإعراب :

(ذلك تتلوه عليك من الآيات) جملة مستأنفة مسوقة لبيان ما تقدم من أمر عيسى وذلك مبتدأ وجملة تتلوه خبر وعليك جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال ويجوز أن يكون اسم الإشارة مبتدأ وجملة تتلوه في موضع نصب على الحال ومن الآيات جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر (والذكر الحكيم) عطف على الآيات والحكيم صفة (إن مثل عيسى عند الله) كلام مستأنف سيق تمهيداً لذكر حاجة وفد نجران الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم يسأله في أمر عيسى عليه السلام . وإن واسمها ، وعيسى مضاف إليه وعند الله ظرف متعلق

بمحذوف حال (كمثل آدم) الجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر
وآدم مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه لا ينصرف كما تقدم (خلقه من
تراب) الجملة مفسرة لشبه عيسى بآدم لا محل لها وخلقه فعل ومنفعل
به والفاعل هو يعود على الله ومن تراب جار ومجرور متعلقان بخلقه
(ثم قال له كن فيكون) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وقال فعل
ماض وله جار ومجرور متعلقان بقال وجملة كن التامة في محل نصب
مقول القول وقوله فيكون عطف ، وهي حكاية حال ماضيه (الحق من
ربك) جملة مستأنفة مسوقة لتقرير أن الحق الثابت الذي لا يطرأ عليه
التغيير هو من ربك فالحق مبتدأ ، ومن ربك خبر ، ويجوز أن يكون
الحق خبراً لمبتدأ محذوف أي ما قصصنا عليك هو الحق ، ومن ربك
جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (فلا تكن من الممترين) الفاء
الفصيحة أي إذا علمت هذا وقد علمته فلا تكن والجملة جواب الشرط
غير جازم لا محل لها ولا ناهية وتكن فعل مضارع ناقص مجزوم بلا
واسمها ضمير مستتر تقديره أنت ومن الممترين جار ومجرور متعلقان
بمحذوف خبر .

البلاغة :

المقصود بالنهي « لا تكن من الممترين » إما زيادة تهيجه صلى الله
عليه وسلم على الثبات ، والطمأنينة ، وحاشاه أن يكون ممترياً ، أو أن
الخطاب لغيره لطفاً بهم .

﴿مَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ
أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ

فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ
وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٧﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا
فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٦٨﴾
اتلّفة :

(حاجك) : خاصمك وجادلَكَ ، وقارعَكَ الحجة • والمحااجة
هي مفاعلة ، ولا تقع إلا من اثنين فصاعداً •

(تعالوا) : تعال فعل أمر على الأصح ولامه مفتوحة دائماً ،
وأصله طلب الإقبال من مكان مرتفع تفاؤلاً بذلك ، وإذنًا للمدعو
لأنه من العلو والرفعة • فإذا أمرت المفرد قلت : تعال ،
ثم توسع فيه فاستعمل في مجرد طلب المجيء • وقد لحنوا أبا فراس
الحدادني لأنه كسر لامه مع ياء الخطاب بقوله :

أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا تعالي أقاسمك الهموم تعالي
وقد يجاب عنه بأنه ضرورة شعرية •

(نبتهل) المباهلة والابتهال في الأصل : الملاعنة • وفعله الثلاثي بهلة
بهلاً من باب نصر لعنه • واسم الفاعل باهل ، والاثني باهلة ، وبها
سميت قبيلة عربية ، ثم تطورت الكلمة وأطلقت على كل دعاء خيراً كان
أم شراً ، وإن لم يكن لعناً • وقد استعمل هذه الكلمة أبو العلاء المعري
في رسالة الغفران إذ قال في صدد حديثه عن الخرمية ، وهم فئة من
الزنادقة : « فعلى معتقدي هذه المقالة بهلة المبتهلين » والبهلة بضم الباء
وفتحها : اللعنة أي لعنة اللاعنين ، وهذا المعنى هو المراد في الآية •

الإعراب :

(فمن حاجك فيه) الفاء استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدا حاجك فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل ضمير مستتر تقديره هو والكاف مفعول به وفيه جار ومجرور متعلقان بحاجك والضمير يعود إلى عيسى أو الحق مطلقاً والجملة مستأنفة مسوقة لبيان حكم المباهلة وشروطها المستنبطة من الكتاب والسنة . وحاصل كلام الأئمة فيها أنها بعد النبي صلى الله عليه وسلم لا تجوز إلا في أمر مهم شرعاً ، وقع فيه اشتباه وعناد ، لا يتاح دفعهما إلا بالمباهلة (من بعد ما جاءك من العلم) الجار والمجرور متعلقان بحاجك أي من ذلك الوقت وما اسم موصول مضاف إليه وجملة جاءك صلة الموصول ومن العلم جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال أي كائناً من العلم (فقل : تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم) الفاء رابطة وقل فعل أمر وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وتعالوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وجملة قل في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « ما » وجملة تعالوا في محل نصب مقول القول وندع فعل مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب وفاعله نحن وأبناءنا مفعول به وأبناءكم وما تلاه عطف على قوله « أبناءنا » وإنما أضافهم إليه صلى الله عليه وسلم والأمر مختص به وبمن يباهله لأن ذلك أكد في الدلالة على الثقة بالنفس والإيمان باتتصار حجته ، وإلا ما كان عرض أفلاذ كبده وأهله للهلاك ، ولكن المباهلة لم تتم ورجع الوفد بحجة استشارة قومه من دون الارتظام بها كما هو مبين في كتب التاريخ فارجع إليها . (ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين) ثم حرف عطف للتراخي ونبتهل فعل مضارع معطوف على ندع مجزوم والفاء حرف عطف للتعقيب ونجعل عطف على نبتهل والفاعل بينهما نحن

ولعنت الله مفعول به وعلى الكاذبين جار ومجرور متعلقان بنجعل أو في محل نصب على أنهما بمثابة المفعول الثاني (إن هذا هو القصص الحق) كلام مستأنف مسوق لتقدير ما تقدم ذكره وإن واسمها ، اللام المرحلة وهو ضمير فصل لا محل له والقصص خبر أو « هو » مبتدأ والقصص خبره والجملة خبر إن والحق صفة للقصص (وما من إله إلا الله) الواو استئنافية وما نافية ومن حرف جر زائد وإله مجرور لفظاً مبتدأ ويجوز أن يكون الخبر محذوفاً أي لنا • وإلا أداة حصر والله بدل من محل إله وهو الرفع • ويجوز أن يكون الله خبر إله والجملة مستأنفة (وإن الله لهو العزيز الحكيم) تقدم إعراب نظيرتها قريباً (فإن تولوا فإن الله عليهم بالفسدين) الفاء استئنافية والجملة مستأنفة وإن شرطية وتولوا فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين والواو فاعل والجملة في محل جزم فعل الشرط فإن الفاء رابطة وإن واسمها ، وعليهم خبرها وبالمفسدين جار ومجرور متعلقان بعليم والجملة في محل جزم جواب الشرط •

الفوائد :

نص العلماء على كتابة « لعنة » بالتاء المفتوحة هنا وفي سورة النور فقط وما عداها تكتب بالتاء المربوطة على الأصل المعروف •

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْعًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٦٤)

الإعراب :

(قل يا أهل الكتاب) كلام مستأنف مسوق للبحث في الجدل الذي ثار حول إبراهيم عليه السلام عند مقدم وفد نجران ، وقل فعل أمر وفاعله

أنت ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) الجملة نصب على أنها مقول القول وتعالوا تقدم إعرابها قبل قليل وإلى كلمة جار ومجرور متعلقان بتعالوا وسواء صفة وبيننا ظرف مكان متعلق بسواء لأنها أجريت مجرى المصادر كما تقدم في أول البقرة وبينكم عطف على بيننا (أن لا نعبد إلا الله) أن وما في حيزها مصدر مؤول بدل من « كلمة » ، أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هي ، وأن مصدرية ولا نافية ونعبد فعل مضارع منصوب بأن وفاعله مستتر تقديره نحن وإلا أداة حصر والله مفعول به . والكلمة تطلق في اللغة على الجملة المفيدة (ولا نشرك به شيئاً) الواو عاطفة ولا نافية ونشرك عطف على نعبد وبه جار ومجرور متعلقان بنشرك وشيئاً مفعول به أو مفعول مطلق وقد تقدم الكلام على هذا الإعراب (ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله) الواو عاطفة ولا نافية ويتخذ فعل مضارع معطوف على لا نعبد ولا نشرك وبعضنا فاعل وبعضاً مفعوله الأول وأرباباً مفعوله الثاني ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « أرباباً » (فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) الفاء استئنافية وما بعدها كلام مستأنف لا محل له مسوق لتقرير جوابهم وإن شرطية وتولوا فعل ماضٍ في محل جزم فعل الشرط أي أعرضوا ، فقولوا الفاء رابطة لجواب الشرط والجملة في محل جزم جواب الشرط واشهدوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل والجملة في محل نصب مقول القول وبأنا الباء حرف جر وأن حرف مشبه بالفعل ونا اسمها ومسلمون خبرها وأن وما بعدها في محل جر بالباء والجار والمجرور متعلقان باشهدوا .

﴿ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَٰجُّوْنَ فِى ٱلْإِسْمِ وَمَا أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَةُ وَٱلْإِنْجِيلُ

إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ هَآأَنْتُمْ هَآؤِلَآءِ حَآجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

﴿٦١﴾

الإعراب :

(يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم) كلام مستأنف لإتمام قصة الجدل في أمر إبراهيم عليه السلام ، ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم : اللام حرف جر وما اسم استفهام حذفت ألفها بعد حرف الجر كما سيأتي في باب الفوائد ، والجار والمجرور متعلقان بتحاجون وتحاجون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وفي إبراهيم جار ومجرور متعلقان بتحاجون ولا بد من حذف مضاف أي في دين إبراهيم لأن المجادلة لا تكون في الذوات (وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده) الواو حالية وما نافية وأنزلت فعل ماض مبني للمجهول والتوراة نائب فاعل والإنجيل عطف على التوراة وإلا أداة حصر من بعده جار ومجرور متعلقان بأنزلت فهو استثناء مفرغ (أفلا تعقلون) الهمزة للاستفهام الإنكاري التعجبي وهي داخلة على مقدر هو المعطوف عليه بهذا العاطف أي ألا تفكرون فلا تعقلون بطلان قولكم ؟ (ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم) الهاء للتنبيه وأنتم مبتدأ وهؤلاء خبر والجملة مستأنفة مسوقة لبيان بطلان قولهم وجملة حاججتم مستأنفة مسوقة لبيان الجملة قبلها والمعنى أنتم هؤلاء الأشخاص الحمقى ، وآية حقيقكم أنكم أمعنتم في اللجاج والمكابرة فيما لا طائل تحته ، وفيما جار ومجرور متعلقان بحاججتم ولكم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر مقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لعلم فلما تقدم أعرب حالاً وعلم مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية لا محل لها لأنها صلة ما الموصولة (فلم تحتاجون) الفاء عاطفة ولم تحتاجون تقدم إعرابها قريباً (فيما ليس لكم به علم) فيما جار ومجرور متعلقان بتحتاجون وليس فعل ماض ناقص ولكم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر ليس المقدم وبه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وعلم اسم ليس المؤخر (والله يعلم وأنتم لا تعلمون) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة يعلم خبر وأنتم الواو عاطفة وأنتم ضمير منفصل مبتدأ وجملة لا تعلمون خبر .

الفوائد :

١ - أعلم أن الأصل وصل الهاء التنبيهية باسم الإشارة لأن تعريف أسماء الإشارة في أصل الوضع بما يضاف إليها من إشارة المتكلم الحسية من يد أوجارحة أخرى فجيء في أوائلها بحرف ينبه بها المتكلم المخاطب حتى يلتفت إليه وينظر إلى أي شيء يشير من الإشارة الحاضرة ، ويفصل بـ «أنا» وأخواته كثيراً نحو : ها أنا ذا وها أنتم أولاء وها هو ذا وبغيرها قليلاً ، وليس المراد بقولك : ها أنا أفعل ، أن تعرف المخاطب نفسك وأن تعلمه أنك لست غيرك ، لأن هذا محال ، بل المعنى فيه وفي : ها أنت ذا تقول ، وها هو ذا يفعل ، استغراب وقوع مضمون الفعل المذكور بعد اسم الإشارة من المتكلم أو المخاطب أو الغائب . والجملة بعد اسم الإشارة لازمة لبيان الأمر المستغرب ، ولا محل لها إذ هي مستأنفة ، وقال أبو عمرو بن العلاء :

« الأصل في ها أنتم : أنتم ، أبدلت الهمزة الأولى هاء لأنها أختها » .

قال النحاس : وهذا قول حسن . وقال بعضهم : هي حالية ، أي ها أنت قائلًا والحال هنا لازمة لأن الفائدة معقودة بها ، والعامل في الحال حروف التنبيه أو اسم الإشارة . والذي نراه أن ما قررناه أولى ، وأن الاستئناف هو الأرجح ، إذ ليس المراد أنت المشار إليه في حال قولك . وما أعجب هذه اللغة الشريفة .

٢ - إذا وصلوا « ما » في الإستفهام حذفوا ألفها لوجوه : الأول للترقة بينها وبين أن تكون حرفاً . والثاني : لاتصالها بحرف الجر حتى صارت كأنها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال . والثالث : للتخفيف ، لأن « ما » تقع كثيراً في الكلام ، وأبقوا الفتحة لتدل على أن المحذوف من جنسها ، كما فعلوا في علام ؟ وإلام ؟ وحتام ؟ وبم ؟ وعم ؟ وفيهم ؟ ومم ؟ قيل : إن بعض العوام سأل أحد النحويين فقال له : بما توصيني ؟ وأثبت الألف في « ما » ، فقال : بتقوى الله واسقاط الألف من « ما » .

﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ٦٧ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿ ٦٨ ﴾

الفتحة :

(الحنف) الميل ، والمراد مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم .

الإعراب :

(ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً) كلام مستأنف أورده سبحانه نبوة إبراهيم مما حاولوا إلصاقه به . وما نافية وكان فعل ماض ناقص

وإبراهيم اسمها ويهودياً خبرها والواو حرف عطف ولا نافية ونصراً
معطوف على « يهودياً » (ولكن كان حنيفاً مسلماً) الواو عاطفة ولكن
مخففة مهملة وكان فعل ماض ناقص واسمها هو وحنيفاً
خبرها الأول ومسلماً خبر ثان . (وما كان من المشركين)
عطف على ما تقدم ومن المشركين متعلقان بمحذوف خبر كان (إن أولى
الناس بإبراهيم) إن واسمها ، والناس مضاف إليه وإبراهيم جار
ومجرور متعلقان بأولى والجملة استئنافية (للذين اتبعوه) اللام المزحلقة
والذين خبر إن واتبعوه فعل وفاعل ومفعول به والجملة صلة (وهذا
النبي) الواو حرف عطف على الذين والنبي بدل من اسم الإشارة
(والذين آمنوا) الواو حرف عطف والذين اسم موصول معطوف على
هذا النبي وجملة آمنوا صلة الموصول (والله ولي المؤمنين) الواو
استئنافية والله مبتدأ وولي خبر والمؤمنين مضاف إليه .

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا
أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ ﴿٦٩﴾ يَتَّأَمَّلُ الْكِتَابَ لِمَ تَكْفُرُونَ بِعَايَتِ
اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَتَّأَمَّلُ الْكِتَابَ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ
وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾

اللفة :

(تلبسون) بكسر الباء أي تخلطون .

الإعراب :

(ودت طائفة من أهل الكتاب) ودت فعل ماض والتاء للتأنيث
وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة

لطائفة والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن اليهود الذين دعوا عدداً من الصحابة منهم خذيفة ومعاذ وعمار إلى دينهم • وسيأتي بحث مهم عن معنى ودت في باب الفوائد (لو يضلونكم) لو مصدرية ويضلونكم فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والكاف مفعول به ولو مؤولة مع ما بعدها بمصدر منصوب لأنه مفعول ودت ، والتقدير تمتت إضللكم (وما يضلون إلا أنفسهم) الواو حالية وما فافية ويضلون فعل وفاعل وإلا أداة حصر وأنفسهم مفعول به والجملة في محل نصب حال (وما يشعرون) عطف على الجملة السابقة (يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم ويا حرف نداء وأهل الكتاب منادى مضاف ولم اللام حرف جر وما اسم استفهام في محل جر باللام وحذفت ألف ما لوفوعها بعد حرف الجر كما تقدم قريباً ، وتكفرون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجار والمجرور المتقدم عليه متعلق به وبآيات الله جار ومجرور متعلقان بتكفرون (وأنتم تشهدون) الواو حالية وأنتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وتشهدون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة خبر وجملة أنتم تشهدون في محل نصب حال (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل) جملة مستأنفة ثالثة مسوقة لتأكيد استركاك عقولهم وقد تقدم إعراب نظيرتها (وتكتمون الحق) الواو عاطفة وتكتمون فعل مضارع والواو فاعل والحق مفعول به (وأنتم تعلمون) تقدم إعرابها •

الفوائد :

تستعمل « ود » بمعنى تمنى فتستعمل معها لو أو أن وربما جمع

بينهما فيقال : وددت لو أن فعل « والمصدر » الودادة والاسم منه ود "وقد يتداخلان في المصدر والاسم وقال الراغب : إذا كان ود بمعنى أحب لا يجوز إدخال « لو » فيه أبداً ، وقال علي بن عيسى : إذا كان « ود » بمعنى تمنى صلح للماضي وللحال والمستقبل ، وإذا كان بمعنى المحبة والإرادة لم يصلح إلا للماضي لأن الإرادة كاستدعاء الفعل وإذا كان للحال والمستقبل جاز أن ولو وإذا كان للماضي لم يجز أن لأن أن للمستقبل .

﴿ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّمَا أُنْهَدِي هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَىٰ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنِّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

اللفظة :

(وجه النهار) أوله " وسمي الوجه وجهاً لأنه أول ما يبدو من الإنسان لمن يشاهده قال :

من كان مسروراً بمقتل مالك فليأت نسوتنا بوجه نهار

وقال :

وتضيء في وجه الظلام منيرة كجمانة البحري سل نظامها

الإعراب :

(وقالت طائفة من أهل الكتاب) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة للحديث عن نوع آخر من تلييسات اليهود فقد توطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر فقال بعضهم لبعض : ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان ، دون اعتقاد بالجنان ، ثم اكفروا آخر النهار لادخال التشكيك في صدور أصحاب محمد وربما أفضى ذلك إلى رجوعهم عن دينهم . وقالت فعل ماض وطائفة فاعل ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لطائفة (آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا) الجملة في محل نصب مقول القول وآمنوا فعل أمر مبني على حذف النون وبالذي جار ومجرور متعلقان بآمنوا وجملة أنزل صلة وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وعلى الذين آمنوا جار ومجرور متعلقان بأنزل وجملة آمنوا صلة (وجه النهار) ظرف زمان متعلق بآمنوا (واكفروا آخره) الواو حرف عطف واكفروا فعل أمر مبني على حذف النون معطوف على آمنوا وآخره ظرف زمان متعلق باكفروا (لعلهم يرجعون) جملة الرجاء في محل نصب على الحال أي راجين رجوعهم عن دينهم ولعل واسمها وجملة يرجعون خبرها ثم أردف بتتمة مقولهم فهو داخل في حيزه (ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم) الواو عاطفة ولا ناهية وتؤمنوا فعل مضارع مجزوم بلا والواو فاعل وإلا أداة استثناء ولما اللام حرف جر ومن اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور في محل نصب على الاستثناء من محذوف تقديره ولا تؤمنوا أي تعترفوا وتظهروا بأن يؤتى أحد بمثل ما أوتيتم لأحد من الناس إلا لأشياعكم دون غيرهم وتبع فعل ماض وفاعله هو والجملة الفعلية

صلة ودينكم مفعول به (قل : إن الهدى هدى الله) الجملة من قل ومقولها وهو ان واسمها وخبرها لا محل لها لأنها اعتراضية (أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم) أن وما في حيزها في تأويل مصدر مجرور بنزع الخافض والجار والمجرور متعلقان بتؤمنوا وأحد نائب فاعل يؤتى ومثل مفعول به ثان وما اسم موصول في محل جر بالإضافة وجملة أوتيتم صلة (أو يحاجوكم عند ربكم) أو حرف عطف ويحاجوكم فعل مضارع معطوف على يؤتى وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والكاف مفعول به وعند ظرف مكان متعلق بمحذوف حال وربكم مضاف إليه (قل إن الفضل بيد الله) قل فعل أمر وفاعله أنت وإن واسمها ، وييد الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وإن وما في حيزها جملة اسمية في محل نصب مقول القول (يؤتيه من يشاء) جملة يؤتيه في محل نصب حال ويؤتي فعل مضارع وفاعله هو والهاء مفعول يؤتي الأول ومن اسم موصول في محل نصب مفعول يؤتي الثاني وجملة يشاء صلة (والله واسع عليم) الواو استئنافية والله مبتدأ وواسع خبر أول وعلیم خبر ثان (يختص برحمته من يشاء) الجملة خبر ثالث ويختص فعل مضارع مرفوع وفاعله هو أي الله تعالى وبرحمته جار ومجرور متعلقان ب يختص ومن اسم موصول في محل نصب مفعول به وجملة يشاء لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول (والله ذو الفضل العظيم) الواو عاطفة والله مبتدأ وذو الفضل خبر مرفوع وعلامة رفعه الواو نيابة عن الضمة لأنه من الأسماء الخمسة والفضل مضاف إليه والعظيم صفة للفضل .

الفوائد :

كثر الخوض في هذه الآية والاختلاف في إعرابها وتخريجها ، وأوصل

بعض المعربين أوجه الإعراب فيها إلى تسعة دون أن يصلوا إلى وجه حاسم يخلو من الاعتراضات •

ما يقوله الواحدي :

قال الواحدي " وهو من كبار المشتغلين بالمسائل الإعرابية : « وهذه الآية من مشكلات القرآن وأصعبه إعراباً وتفسيراً ، ولقد تدبّرت أقوال أهل التفسير والمعاني في هذه الآية فلم أجد قولاً يطرد في الآية من أولها إلى آخرها مع بيان المعنى وصحة النظم » •

ما يقوله الشهاب الحلبي :

وقال الشهاب الحلبي المعروف بالسّمين : « أعلم أنه قد اختلف الناس والمفسرون والمعربون في هذه الآية على أوجه » وذكر السمين الأوجه التسعة ، ولما كان كتابنا يتوخى الأسهل والأقرب إلى المنطق والأبعد عن التكلف اكتفينا في باب الإعراب بما أوردناه فيه ورأينا أنه الأقرب إلى ما توخيناه وقد اختاره الزمخشري في كشفه ، ولكننا نرى من المفيد أن ثبت ما قاله أبو حيان ، ثم نقب عليه بما قاله ابن هشام •

ما يقوله أبو حيان :

قال أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط بعد كلام طويل : « يحتمل القول وجوهاً :

١ - أن يكون المعنى : ولا تصدقوا تصديقاً صحيحاً وتؤمنوا إلا لمن جاء بمثل دينكم مخافة أن يؤتى أحد من النبوة والكرامة مثل ما أوتيتم ومخافة أن يحاجوكم بتصديقكم إياهم عند ربهم إذا لم يستمروا



المعتضة بالحالية ويميزها منها أمور : أحدها أنها تكون غير خبرية كالأمرية في « ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل : إن الهدى هدى الله أن يوتي أحد مثلاً أوتيتم » ، كذا مثل ابن مالك وغيره بناء على أن « أن يوتي أحد » متعلق بتؤمنوا وأنّ المعنى : ولا تظهروا تصديقكم بأن أحداً يوتي من كتب الله مثل ما أوتيتم وبأن ذلك الأحد يحتاجونكم عند الله تعالى يوم القيامة بالحق فيغلبونكم إلا لأهل دينكم لأن ذلك لا يغير اعتقادهم بخلاف المسلمين فإن ذلك يزيدهم ثباتاً ، وبخلاف المشركين فإن ذلك يدعوهم إلى الإسلام . ومعنى الاعتراض حينئذ أن الهدى بيد الله ، فإذا قدره لأحد لم يضره مكرهم . والآية محتملة لغير ذلك ، وهي أن يكون الكلام قد تم عند الاستثناء ، والمراد : لا تظهروا والإيمان الكاذب الذي توقعونه وجه النهار وتنقضونه آخره إلا لمن كان منكم كعبد الله بن سلام ثم أسلم ، وذلك لأن إسلامهم كان أغبط لهم ورجوهم إلى الكفر كان عندهم أقرب ، وعلى هذا فـ « أن يوتي » من كلام الله تعالى ، وهو متعلق بمحذوف مؤخر ، أي : الكراهية أن يوتي أحد دبرتم هذا الكيد .

وهذا الوجه أرجح لوجهين : أحدهما أنه الموافق لقراءة ابن كثير : أن يوتي بهمزتين ، أي : الكراهية أن يوتي قلت ذلك ، والثاني أن في الوجه الأول عمل ما قبل إلا فيما بعدها ، مع أنه ليس من المسائل الثلاث المذكورة آنفاً ، والثاني مما يميزها الدعائية كقول عوف بن محلم :

إن الثمانين ، وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وكالتنزيهية في قوله تعالى : « ويجعلون لله البنات ، سبحانه ، ولهم ما يشتهون » وكالاستفهامية في قوله تعالى : « فاستغفروا لذنوبهم ،

ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا « إلى آخر هذا البحث الممتع الذي عكزه الأسلوب الجاف .
ما يقوله الزمخشري :

ولا مندوحة لنا عن ذكر عبارة الزمخشري التي جاءت مؤيدة لما ذهبنا إليه في الإعراب ، قال : « ولا تؤمنوا متعلق بقوله : أن يؤتى أحد ، وما بينهما اعتراض ، أي : ولا تظهروا إيسانكم بأن يؤتى أحد مثلما أوتيتم إلا لأهل دينكم دون غيرهم ، أرادوا : أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد أوتوا مثلما أوتيتم ولا تفشوه إلا لأشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتاً ، ودون المشركين لئلا يدعوهم إلى الإسلام ، أو يحاجوكم به عند ربكم : عطف على أن يؤتى والضمير في يحاجوكم لأحد لأنه في معنى الجمع ، ولا تؤمنوا لغير أتباعكم أن المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة » .

وقد كدنا نخرج عن شرط الكتاب في تلخيص الأقوال ، فحسبنا ما أوردناه ولعل بعض العلماء كان على حق عندما قرر أن هذه الآية أعظم أي هذه السور إشكالا ، وكلام الله أكبر ، وغور لغتنا العربية أبعد وأعمق من أن يسبر .

﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾

اللفظة :

(دينار) : الدينار : ضرب من قديم النقود الذهبية ، والجمع دنانير

وأصله دَنَار بنونين ، فاستثقل توالي مثلين فأبدلوا أولهما حرف علة تخفيفاً لكثرة دورانه في الاستعمال ، ويدل على ذلك رده إلى النونين عند جمعه جمعاً مكسراً أو عند تصغيره ، فقالوا : دنانير ودينير .

(الأميين) جمع أمي والمراد به هنا : من ليس من أهل الكتاب . ومعلوم أن اليهود استباحوا دماء العرب وأموالهم وأعراضهم .

الإعراب :

(ومن أهل الكتاب) جملة مستأنفة مسوقة للشروع في بيان خيانتهم في الأموال بعد بيان خيانتهم في الدين ، والواو استئنافية ومن أهل الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم (مَنْ إن تأمنه بقنطار يؤده إليك) من اسم موصول مبتدأ مؤخر ولك أن تعربها نكرة موصوفة أيضاً أي : ناس وهي مبتدأ مؤخر وإن شرطية وتأمنه فعل الشرط مجزوم والهاء مفعول به والفاعل أنت وبقنطار جار ومجرور متعلقان بتأمنه ويؤده جواب الشرط مجزوم وعلامة جزمه حذف حرف العلة والهاء مفعول به وإليك جار ومجرور متعلقان بيؤده وجملة الشرط وجوابه إما صلة للموصول إذا كانت من موصولة . وإما صفة لها في محل رفع إذا كانت من نكرة موصوفة (ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك) عطف على الجملة السابقة وتقدم إعرابها بحروفها (إلا ما دمت عليه قائماً) إلا أداة حصر وما دمت فعل ماض ناقص والتاء اسمها وقائماً خبرها وعليه جار ومجرور متعلقان بـ « قائماً » والاستثناء مفرغ من الظرف العام فهو ظرف (ذلك بأنهم قالوا) جملة مستأنفة مسوقة لبيان استحلالهم أموال العرب وإسم الإشارة في محل رفع مبتدأ والباء حرف جر وأن وما بعدها في محل

جر بالباء والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة قالوا خبر إن (ليس علينا في الأمين سبيل) الجملة في محل نصب مقول قولهم وليس فعل ماض ناقص وعلينا جار ومجرور متعلقان بمحذوف في محل نصب خبر ليس المقدم وفي الأمين حال ومجرور متعلقان بمحذوف حال وسبيل اسم ليس المؤخر (ويقولون على الله الكذب) الواو استئنافية ويقولون فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان ويقولون والكذب مفعول به على التضمين فمعنى يقولون يفترون والأحسن أن يعرب صفة لمصدر محذوف وذلك المصدر مفعول مطلق أي القول المكذوب (وهم يعلمون) الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبر .

الفوائد :

(ما دام) من أخوات كان وشرط إعمالها أن تتقدمها « ما » الظرفية والمصدرية ، فإذا قلت : لا أكلمك ما دام زيد قاعداً ، فالمراد زمن دوام قعوده ، و « ما » من قولك : ما دام ، تقع لازمة ولا بد منها ولا يكون معها الفعل إلا ماضياً ، وليس كذلك ما زال ، فإنه يجوز أن يقع موقع « ما » غيرها من حروف النفي ، ويكون الفعل مع النافي ماضياً ومضارعاً ، نحو : ما زال ولم يزل ولا يزال ، وأصل مادة « دام » السكون والثبوت يقال : دام الماء أي سكن ، ودومت الشمس إذا رقت في كبد السماء .

﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَسْتُرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾

الإعراب :

(بلى من أوفى بعهدہ واتقى) كلام مستأنف مسوق ليكون إثباتاً لما نقوه بقولهم : ليس علينا في الأمين سبيل ، أي العرب . وبلى حرف جواب وتصديق مثل نعم وأكثر ما تقع بعد الاستفهام وتختص بالإيجاب وسيأتي المزيد عنها في موضعه من هذا الكتاب ، ومن لسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ وأوفى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعهدہ جار ومجرور متعلقان بأوفى ، واتقى عطف على أوفى (فإن الله يحب المتقين) الفاء رابطة لجواب الشرط وإن واسمها ، وجملة يحب خبرها والمتقين مفعول به وجملة فإن الله الخ في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » (إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً) كلام مستأنف لا محل له من الإعراب مسوق لبيان كذب اليهود إذا حلفوا أو باعوا سلعة وحلفوا أنهم أعطوا فيها كذا وكذا ، وإن واسمها ، وجملة يشترون صلة وبعهد الله جار ومجرور متعلقان يشترون والباء داخلة على المتروك وأيمانهم عطف على بعهد الله وثنناً مفعول به وقليلاً صفة (أولئك لا خلاق لهم في الآخرة) اسم الإشارة مبتدأ ولا نافية للجنس وخلاق اسمها المبني على الفتح ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وجملة لا خلاق لهم خبر أولئك وجملة الإشارة وما تلاها في محل رفع خبر إن (ولا يكلمهم الله) الواو عاطفة ولا نافية ويكلمهم فعل مضارع مرفوع والهاء مفعول به مقدم والله فاعل مؤخر والجملة عطف على جملة لا خلاق لهم (ولا ينظر إليهم) عطف أيضاً (يوم القيامة) الظرف متعلق بينظر (ولا يزكيهم) عطف على « ولا

ينظر إليهم » (ولهم عذاب أليم) الواو عاطفة ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر وأليم صفة والجملة معطوفة أيضاً .

البلاغة :

١ - الاستعارة المكنية في الاشتراء ، أي أنهم يستبدلون بما عاهدوا عليه وبما حلفوا به من الإيمان متاع الدنيا ، وأراد بذلك تحريفهم للتوراة وتبديل ما ورد فيها .

٢ - الكناية في قوله « ولا يكلمهم ولا ينظر إليهم » عن السخط وشدة الغضب ، ومعنى « ولا يكلمهم الله » أي بما يسرهم « ولا ينظر إليهم » ولا يعطف عليهم بخير مقتاً من الله لهم ، كقول القائل : أنظر إلي نظر الله إليك ، بمعنى تعطف عليّ تعطف الله عليك بخير ورحمة ، وكما يقال للرجل :

لا استجاب الله لك . والله لا تخفى عليه خافية على حد قول شاعر بن الحارث الضبي :

دعوت الله حتى خفت أن لا يكون الله يسمع ما أقول

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٨)

اللفظة :

(يلوون ألسنتهم) يفتلونها ويديرونها عن الصحيح إلى المزيف ،

يقال : لويت عنقه : أي فقلته ، والمصدر : التليء والتليان ، وأصل التلي التلي والقتل والقلب ، من قول القائل : لوى فلان يد فلان ، ومنه قول فرعان بن الأعرف السعدي في ابنه منازل :

تخون مالي ظالماً ولوى يدي لوى يده الله الذي هو غالبه
وهذا البيت من أبيات جميلة ، وقبلة :

جزت رحم بيتي وبين منازل
جزاء كما يستنزل الدين طالبه
وما كنت أخشى أن يكون منازل
عدوي وأدنى شائي أنا راهبه
حملت على ظهري وفديت صاحبي
صغيراً إلى أن أمكن الطر شاربه
وأطعمته حتى إذا صار شيطماً
يكاد يساوي غارب الفحل غاربه

تخون مالي ظالماً ... البيت .

الإعراب :

(وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب) كلام مستأنف مسوق لوصف فريق منهم ككعب بن الأشرف ومالك بن الصئيف وحيتي بن أخطب وأبي ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر كانوا يلوون ألسنتهم ويتشدقون بها محرفين ما فيها من نعت النبي محمد صلى الله عليه وسلم وغيره ، والواو استئنافية وإن حرف مشبه بالفعل ومنهم جار ومجرور

متعلقان بمحذوف خبر إن المقدم واللام المرحلة وفريقاً اسم إن المؤخر
وجملة يلوون صفة لـ « فريقاً » وجمع الضمير اعتباراً بالمعنى لأنه
اسم جمع كالرھط والقوم ، والواو فاعل وألستهم مفعول به وبالكتاب :
جار ومجرور متعلقان يلوون (لتحسبوه من الكتاب) اللام لام التعليل
وتحسبوه فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل وحذفت
النون لأنه من الأفعال الخمسة والهاء مفعول تحسبوه الأول ومن الكتاب
جار ومجرور في موضع المفعول الثاني وأن المضمرة وما بعدها في محل جرباً للام،
والجار والمجرور متعلقان يلوون (وما هو من الكتاب) الواو
حالية وما نافية حجازية تعمل عمل ليس وهو ضمير منفصل في محل رفع
اسمها ومن الكتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبرها (ويقولون :
هو من عند الله) الواو حرف عطف ويقولون فعل مضارع مرفوع
بثبوت النون وهو معطوف على يلوون وهو مبتدأ ومن عند الله جار
ومجرور متعلقان بمحذوف خبر والجملة الاسمية في محل نصب مفعول
القول (وما هو من عند الله) تقدم إعرابها بحروفها • (ويقولون
على الله الكذب) عطف على ما سبق ويقولون فعل مضارع والواو
فاعل وعلى الله جار ومجرور متعلقان يقولون الكذب مفعول به
أو مفعول مطلق وقد تقدم إعرابه قريباً ، (وهم يعلمون) الواو حالية
وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وجملة يعلمون خبرها •

البلاغة :

التشبيه في قوله : « لتحسبوه » أي يعطفون ألستهم بشبه الكتاب
لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب •

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ
 كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ
 الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ ٧٩ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ
 وَالرَّبَّانِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ ٨٠
 التلوة :

(البشر) الإنسان ذكراً وأنثى ، واحداً وجمعاً ، ولا واحد له من لفظه ، مثل القوم والخلق •

(ربانيين) الربانيون : جمع ربّاني ، وفيه أقوال أشهرها وأصحها ما ذكره سيويه قال : الربّاني منسوب إلى الرب ، والألف والنون فيه زائدتان في النسب دلالة على المبالغة ، كرقباني ولحياني وشعراني للغليظ الرقبة والطويل اللحية والكثير الشعر ولا تفرد هذه الزيادة عن النسب ، أما إذا نسبوا إلى الرقبة واللحية والشعر من غير مبالغة قالوا : رقبتي ولحوي وشعري • وهذه فائدة جليلة نرى اطرادها في كل نسبة قصد منها المبالغة ، فيصح أن يقال : علماني نسبة للعلم •

الإعراب :

(ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة) كلام مستأنف مسوق لبيان افتراء اليهود على الأنبياء إثر افتراءهم على الله ، وما نافية وكان فعل ماض ناقص ، لبشر جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وأن حرف مصدري ونصب ويؤتيه فعل مضارع منصوب بأن والهاء مفعول به أول وأن وما في حيزها في تأويل مصدر اسم

كان المؤخر والله فاعل يؤتیه والكتاب مفعول به ثان والحكم والنبوة معطوفان (ثم يقول للناس) ثم حرف عطف للتراخي وجملة يقول معطوف على يؤتیه وللناس جار ومجرور متعلقان بيقول (كونوا عباداً لي من دون الله) الجملة في محل نصب مقول القول وكان واسمها ، وعباداً خبرها ولي جار ومجرور متعلقان بمحذوف صفة لـ « عباداً » ومن دون الله جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال (ولكن كونوا ربانيين) الواو عاطفة ولكن مخففة من الثقيلة مهمة وكونوا فعل أمر ناقص مبني على حذف النون والواو اسمها وربانيين خبرها وجملة كونوا ربانيين في محل مقول قول محذوف أي ولكن يقول كونوا .. (بما كنتم تعلمون الكتاب) الباء حرف جر وما مصدرية مؤولة مع ما بعدها بمصدر مجرور بالباء والجار والمجرور متعلقان بربانيين لما فيه من رائحة الفعل وكان واسمها ، وجملة تعلمون الكتاب خبر كنتم والكتاب مفعول به • (وبما كنتم تدرسون) عطف على « بما كنتم » وجملة تدرسون خبر كنتم (ولا يأمرکم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً) الواو عاطفة ولا مزيدة لتأكيد النفي في قوله « ما كان لبشر أن يؤتیه » ، ويأمرکم فعل مضارع معطوف على يؤتیه ، أي : ما كان لبشر أن يؤتیه الله ما ذكر ثم يأمر الناس بعبادة نفسه أو باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً ، وتوسيط الاستدراك بين المعطوف والمعطوف عليه للمصارعة الى تحقيق الحق • وقرئ برفع يأمرکم على الاستئناف وابتداء الكلام • وسيأتي مزيد من تفصيل إعرابه في باب الفوائد • أن تتخذوا الواو حرف عطف وتتخذوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل والمصدر المؤول منصوب بنزع الحافض والجار

والمجرور متعلقان بيأمر والملائكة مفعول به أول والنيين معطوف على الملائكة منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم وأرباباً مفعول به ثان (أيأمركم بالكفر بعد إذ أتم مسلمون) كلام مستأنف لخطاب المؤمنين عن طريق التعجب من حال غيرهم والهمزة للاستفهام الإنكاري ويأمركم فعل مضارع مرفوع وفاعله هو والكاف مفعول به وبالكفر جار ومجرور متعلقان بيأمركم وبعد ظرف زمان متعلق بيأمركم أيضاً وإذ ظرف زمان مضاف لـ « بعد » وقد مر أنه لا يضاف إليها إلا الزمان نحو حينئذ ويومئذ ، وأتم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ومسلمون خبره والجملة الاسمية في محل جر بإضافة الظرف إليها .

الفوائد :

١ - نفي الكون في قوله تعالى « ما كان لبشر » يراد به نفي خبره نحو : ما كان لك أن تفعل هذا ، والمراد نفي الفعل لا نفي الكون ، ويطرد هذا في نوعين :

آ - نوع يكون النفي من جهة العقل كآلية الآفة الذكر لأن الله لا يعطي الكتاب لمن يقول مثل هذه المقالة الشنعاء .

ب - نوع يكون فيه النفي على سبيل الانبغاء والإمكان كقول أبي بكر : ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم فيصلي بين يدي رسول الله أي : ما ينبغي له ذلك ولا بإمكانه ، والمدار في التمييز بينهما على الذوق والإلمام بسياق الكلام وفحواه .

٢ - إذا عطفت قوله : « ولا يأمركم » على « يؤتيه » فتكون « لا » زائدة مؤكدة لمعنى النفي السابق . وإذا عطفته على « يقول »

فيجوز فيه وجهان :

آ - الزيادة : فالمعنى ، ما كان لبشر أن ينصبه الله للدعاء إلى عبادته وترك الأنداد ثم يأمر الناس بأن يكونوا عباداً له ويأمرهم أن تتخذوا الملائكة والنبين أرباباً .

ب - أن تكون غير زائدة ، ووجهه بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشاً عن عبادة الملائكة ، وأهل الكتاب عن عبادة عيسى فلما قالوا له : أنتخذك رباً ؟ قيل لهم : ما كان لبشر أن يستنبه الله ثم يأمر الناس بعبادته وينهاهم عن عبادة الملائكة والنبين ، وقيل هو معطوف على قوله « ثم يقول » ويكون التقدير : ولا له أن يقول ، وقرئ بالرفع على الاستئناف وابتداء الكلام .

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾
اللفظة :

الإصر : المراد به هنا العهد وسمي العهد إصراً لأنه مما يؤصر أي : يعقد ويشد . والإصر كل ما يشد به .

الإعراب :

(وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ) كلام مستأنف مسوق لبحث العهد الذي أخذه الله تعالى على النبيين وأممهم والواو استئنافية وإذ ظرف

لما مضى من الزمن متعلق باذكر محذوفاً وقد مر نظيره وجملة أخذ في محل جر بالإضافة والله فاعل وميثاق مفعول به والنبين مضاف إليه (لما آتيتكم من كتاب وحكمة) اللام المفتوحة موطئة للقسم لأن أخذ الميثاق فيه معنى الاستحلاف وقيل : هي للابتداء التي يتلقى بها القسم وما اسم موصول مبتدأ وجملة آتيتكم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول ومن كتاب جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال وحكمة عطف على كتاب (ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وجاءكم فعل ماض والكاف مفعول به ورسول فاعل مؤخر مرفوع ومصدق صفة ولما اللام حرف جر وما اسم موصول في محل جر باللام والجار والمجرور متعلقان بمصدق ومعكم ظرف مكان متعلق بمحذوف لا محل له لأنه صلة الموصول (لتؤمنن به ولتنصرنه) الواو واقعة في جواب قسم مقدر وتؤمنن فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون المحذوفة لتوالي الأمثال والأصل لتؤمنونن ولما التقى ساكنان حذفت الواو أيضاً وهي فاعل وبقيت الضمة دليلاً عليها ، والنون المشددة هي نون التوكيد الثقيلة لا محل لها ، وبه متعلق بتؤمنن ، ولتنصرنه عطف على لتؤمنن وهو مثله في الإعراب والواو المحذوفة فاعل والهاء مفعول به وجملة القسم المقدر وجوابه خبر ما (قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري) جملة مفسرة لا محل لها وقال فعل ماض وفاعله هو والهمزة للاستفهام التقريري والتوكيدي لأن الاستفهام بمعناه الحقيقي مستحيل في حقه وأقررتم فعل وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول وأخذتم عطف على أقررتم وعلى ذلكم جار ومجرور متعلقان

بأخذتم وإصري مفعول به والياء ضمير متصل في محل جر بالإضافة (قالوا أقررنا) الجملة مستأنفة لا محل لها وجملة أقررنا في محل نصب مقول القول (قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) الجملة مستأنفة مسوقة لتسجيل الشهادة على إقرارهم وقال فعل ماض والفاعل هو، فاشهدوا الفاء هي الفصيحة واشهدوا فعل أمر والواو فاعل والجملة لا محل لها ، وأنا الواو حالية أو استئنافية وأنا مبتدأ ومعكم ظرف متعلق بمحذوف حال ومن الشاهدين جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر وجملة أنا معكم في محل نصب على الحال أو استئنافية لا محل لها .

الفوائد :

١ - شغلت هذه الآية المعربين كثيراً وسنورد خلاصة لأهم ما قيل فيها سالكين سبيل الاختصار .

ما يقوله سيبويه :

قال سيبويه : سألت الخليل عن قوله : « وإذا أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم » فقال : « ما » بمعنى الذي ، قال النحاس في شرحه لكتاب سيبويه : التقدير في قول الخليل : الذي آتيتكموه ثم حذفت الهاء لطول الاسم واللام لام الابتداء ، وبهذا قال الأخفش ، وتكون « ما » في محل رفع على الابتداء . وقوله : ثم جاءكم وما بعده جملة معطوفة على الصلة والعائد محذوف أي مصدق به .

ما يقوله المبرد والزجاج والكسائي :

ما : شرطية دخلت عليها لام التحقيق كما تدخل على إن ولتؤمنن جواب القسم الذي هو أخذ الميثاق ، إذ هو بمنزلة الاستحلاف كما

تقول : أخذت ميثاقك لتفعلن كذا ، وهو سار مسد الجزاء • وقال الكسائي : إن الجزاء في قوله فمن تولى •

ابن هشام يرد على أبي البقاء :

وقال ابن هشام في الرد على أبي البقاء : « وأما أبو البقاء فإنه قال في « لما آتيتكم من كتاب وحكمة » الآية : من فتح اللام ففي « ما » وجهان أحدهما أنها موصولة مبتدأ والخبر إما من كتاب أي الذي آتيتكموه من الكتاب ، أو لتؤمنن به واللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم وجاءكم عطف على آتيتكم والأصل ثم جاءكم به فحذف عائد ما والأصل مصدق له ، ثم تاب الظاهر عن المضمر ، أو العائد ضمير استقر الذي تعلق به « مع » والثاني أنها شرطية واللام موطئة وموضع ما نصب " بآتيت والمفعول الثاني ضمير المخاطب و « من كتاب » مثل « من آية » في « ما ننسخ من آية » وفيه أمور :

آ - إن اجازته كون من كتاب خبراً فيه الإخبار عن الموصول قبل كمال الصلة لأن « ثم جاءكم » عطف على الصلة •

ب - إن تجويزه كون لتؤمنن خبر مع تقديره إياه جواباً لأخذ الميثاق يقتضي أن له موضوعاً وأنه لا موضع له من حيث جعله خبراً ومن حيث أنه جواب للقسم وهذا تناقض ، وإنما كان حقه أن يقدره جواباً لقسم محذوف ويقدر الجملتين خبراً ، وقد يقال : إنما أراد بقوله : اللام جواب القسم لأن أخذ الميثاق قسم ، وأخذ الميثاق دال على جملة قسم مقدرة ومجموع الجملتين ، وإنما سمي « لتؤمنن » خبراً لأنه الدال على المقصود بالأصالة لأنه وحده هو الخبر بالحقيقة ،

وإنه لا قسم مقدر بل « بل أخذ الله ميثاق النبيين » هو جملة القسم ، وقد يقال : لو أراد هذا لم يحصر الدليل فيما ذكر للاتفاق على وجود المضارع مفتوحاً بلام مفتوحة مختصاً بنون مؤكدة وهو دليل قاطع على القسم وإن لم يذكر معه أخذ الميثاق أو نحوه .

ج - إن تجويزه كون العائد ضمير استقر يقتضي عود ضمير مفرد إلى شيئين معاً فإنه عائد إلى الموصول .

د - إنه جوز حذف العائد المجرور مع أن الموصول غير مجرور ، فإن قيل : اكتفى بكلمة به الثانية فيكون كقوله :

لو أن ما عالجت لين فؤادها فقسا استلين به للان الجندل

قلنا قد جوز على هذا الوجه عود « به » المذكورة إلى « الرسون » لا إلى « ما » .

ه - إنه سمي ضمير آتيتكم مفعولاً ثانياً وإنما هو مفعول أول .

٢ - اللام الموطئة للقسم: هي الداخلة على شرط وسميت موطئة لأنها توطىء ما يصلح أن يكون جواباً للشرط وللقسم فيصير جواب الشرط محذوفاً إذ ذاك لدلالة جواب القسم عليه .

﴿ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ
 اللَّهُ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ
 يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

الإعراب :

(فمن تولى بعد ذلك) كلام مستأنف للرد على أهل الكتاب الذين

اختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم والفاء استئنافية ومن شرطية في محل رفع مبتدأ تولى فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وبعد ظرف متعلق بتولى وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (فأولئك هم الفاسقون) الفاء رابطة لجواب الشرط وأولئك اسم إشارة مبتدأ وهم ضمير فصل لا محل له والفاسقون خبر أو « هم الفاسقون » مبتدأ وخبر والجملة خبر أولئك وجملة فعل الشرط وجوابه في محل رفع خبر « من » . (أفغير دين الله يبغون) الهمزة للاستفهام الانكاري ودخلت على الفاء العاطفة جملة على جملة ، والمعنى : فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ، ثم توسطت الهمزة بينهما ، ويجوز أن يعطف على محذوف تقديره : أيتولون فغير دين الله يبغون ، وقد تقدمت الإشارة إلى ويبغون فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو فاعل (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً) الواو حالية وله جار ومجرور متعلقان بأسلم ، وأسلم فعل ماض والجملة في محل نصب حال ومن اسم موصول فاعل أسلم وفي السموات جار ومجرور متعلقان بمحذوف لا محل له لأنه صلة والأرض عطف على السموات وطوعاً وكرهاً مصدران منصوبان على الحالية بمعنى طائعين أو كارهين أو على أنها مفعولان مطلقان لفعلين محذوفين والأول أولى (وإليه يرجعون) الواو عاطفة وإليه جار ومجرور متعلقان بيرجعون ويرجعون قرىء بالتاء والياء وهو فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بثبوت النون والواو نائب فاعل .

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرٰهٖمَ وَإِسْمٰعِيلَ وَإِسْحٰقَ

وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا

نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾

التلغة :

(الأسباط) : جمع سبط بكسر السين ، وهو ولد الولد . ويغلب على ولد البنت ، مقابل الحفيد الذي هو ولد الابن . والأسباط من اليهود مقابل القبيلة من العرب .

الإعراب :

(قل : آمنا بالله) كلام مستأنف مسوق لطلب إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول هو وأصحابه : آمنا بالله . ولذلك وحد الضمير في قوله : « قل » ، وجسعه في قوله : « آمنا » . وقل فعل أمر وفاعله أنت وآمنا فعل ماض وفاعل وجمله آمنا مقل القول وبالله جار ومجرور متعلقان بآمنا (وما أنزل علينا) الواو عاطفة وما اسم موصول معطوف على الله وجمله أنزل علينا صلة الموصول (وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط) الواو حرف عطف وما اسم معطوف على ما الأولى وأنزل فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وجمله أنزل صلة وعلى إبراهيم جار ومجرور متعلقان بأنزل والأسماء المتعاقبة عطف على إبراهيم (وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم) عطف على ما تقدم ، وأوتي فعل ماض مبني للمجهول وموسى نائب فاعل وما بعده عطف عليه ومن ربهم جار ومجرور متعلقان بأوتي (لا تفرق بين أحد منهم) لا نافية وتفرق فعل مضارع وفاعله ضمير مستتر تقديره نحن وبين ظرف مكان متعلق بنفرق ، وأحد مضاف إليه ومنهم جار ومجرور متعلقان بسحذوف صفة

لأحد والجملة حالية (ونحن له مسلمون) الو و حالية أو استئنافية ونحن مبتدأ وله جار ومجرور متعلقان بـ « مسلمون » • ومسلمون خبر نحن والجملة إما نصب على الحال وإما مستأنفة لا محل لها •

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٨٥) كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرُّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩) ﴿

الإعراب :

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه) كلام مستأنف مسوق للشروع في الحديث عن المرتدين الذين لحقوا بالكفار ، وكانوا اثني عشر رجلاً ارتدوا وخرجوا من المدينة وأتوا مكة كفاراً ، منهم الحارث بن سويد الأنصاري • والواو استئنافية ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويبتغ فعل الشرط وعلامة جزمه حذف حرف العلة وفاعله ضمير مستتر تقديره هو وغير : لنا فيها وجهان إما أن تكون مفعولاً به لـ يبتغ وديناً تمييز وإما أن تكون حالاً لأنها كانت في الأصل صفة لـ : ديناً ، ثم تقدمت عليه ، وديناً على هذا الوجه مفعول به ، فلن الفاء رابطة •

نجواب الشرط ولن حرف نفى ونصب واستقبال ويقبل فعل مضارع مبني للجهول منصوب بـ لن ومنه جار ومجرور متعلقان بيقبل وجملة لن يقبل منه في محل جزم جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر من (وهو في الآخرة من الخاسرين) الواو للعطف وهو مبتدأ وفي الآخرة جار ومجرور متعلقان بالخاسرين ومن الخاسرين : جار ومجرور متعلقان بحذوف خبر هو والجمله عطف على جواب الشرط ، ويحتمل أن تكون الواو استئنافية والجمله مستأنفة بثابة الإخبار عن حاله في الآخرة (كيف يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن المرتدين الأنفي الذكر وقيل : نزلت بشأن اليهود أو المراد هؤلاء وأولئك . وكيف اسم استفهام معناه الحجد والنفى ، أي لا يهدي الله وهو في محل نصب حال ويهدي فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء والله فاعل وقوماً مفعول به وجمله كفروا صفة ل : قوماً وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (وشهدوا أن الرسول حق) هذا العطف من الدقائق إذ لا يصح عطفه على كفروا كما يبدو لأول وهلة لفساد المعنى فالأصح أن يعطف على ما في « إيمانهم » من معنى الفعل لأن معناه : بعد أن آمنوا بالله ، فهو من باب العطف على النوهم . ويسكن أن يقال إن الواو لا تقتضي الترتيب فهي معطوفة على كفروا ، ويجوز أن تكون الواو حالية بإضمار « قد » بعدها أي : وقد شهدوا ، والأول أمكن في المعنى وأبعد عن الوهن . وأن واسمها وخبرها وهي وما في حيزها في محل نصب بنزع الخافض أي بأن الرسول حق فيكون الجار والمجرور متعلقين بشهدوا (وجاءهم البيئات) الواو عاطفة وجاءهم فعل ماض ومفعول به والبيئات فاعل والجمله عطف على جملة شهدوا

ويجوز أن تكون الواو للحال بتقدير قد أي وقد شهدوا فالجملة نصب على الحال (والله لا يهدي القوم الظالمين) الواو استئنافية والله مبتدأ وجملة لا يهدي خبر والقوم مفعول به والظالمين صفة القوم (أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله) الجملة مستأنفة مسوقة لبيان جزائهم ومصيرهم ، وأولئك اسم إشارة في محل رفع مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وأن وما في حيزها خبر جزاؤهم والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وعليهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر أن المقدم ، ولعنة الله اسم أن المؤخر (والملائكة والناس أجمعين) الواو حرف عطف والملائكة عطف على الله والناس عطف أيضاً وأجمعين تأكيد مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم (خالدين فيها) خالدين : حال وفيها جار ومجرور متعلقان بخالدين (لا يخفف عنهم العذاب) الجملة حال ثانية ولا نافية ويخفف فعل مضارع مبني للمجهول وعنهم جار ومجرور متعلقان يخفف والعذاب نائب فاعل (ولا هم ينظرون) الواو عاطفة ولا نافية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وينظرون أي يمهلون فعل مضارع والواو نائب فاعل والجملة في محل رفع خبر « هم » والجملة عطف على جملة لا يخفف (إلا الذين تابوا) إلا أداة استثناء والذين مستثنى وجملة تابوا لا محل لها لأنها صلة الموصول (من بعد ذلك) جار ومجرور متعلقان بتابوا ، وذلك اسم إشارة في محل جر بالإضافة (وأصلحوا) الجملة معطوفة على جملة تابوا (فإن الله غفور رحيم) الفاء هي الفصيحة وإن واسمها ، وغفور خبرها الأول ورحيم خبرها الثاني . هذا وقد اختلف في إعراب جملة الاستثناء وأكثر المعربين يعربونها حالاً متداخلة أي حالاً من حال ، لأن خالدين حال من الضمير في « عليهم » وأعربها آخرون جملة مستأنفة وهي بذلك مسوقة لبيان خلودهم في النار ،

وجدير بالذكر أن الذي تاب هو الحارث بن سويد بن الصامت الانصاري حين ندم على رده وأرسل إلى قومه الأنصار يقول : سلوا هل لي من توبة ؟ فأرسل إليه أخوه الجلاس الآية ، فأقبل إلى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نوبته .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ نُّقَبِّلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴾ (٩١) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقَبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَى بِهِ ؕ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

الإعراب :

(إن الذين كفروا بعد إيمانهم) كلام مستأنف مسوق للحديث عن اليهود الذين كفروا بعبسى عليه السلام والإنجيل بعد إيمانهم بسوسى والتوراة ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ، وقيل هي عامة ، وإن واسمها ، وجسلة كفروا لا محل لها لأنها صلة الموصول وبعد ظرف زمان متعلق بكفروا وإيمانهم مضاف إليه (ثم ازدادوا كفراً) ثم حرف عطف للترتيب مع التراخي وازدادوا فعل ماضى والواو ضمير متصل فى محل رفع فاعل وكفراً تمييز محول عن الفاعل أى : ازداد كفرهم ، وزاد يتعدى لاثنتين ومطاوعه يتعدى لواحد فقط (لن تقبل توبتهم) لن حرف نصب وتقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بلن وتوبتهم نائب فاعل والجسلة خبر إن (وأولئك هم الضالون) الواو حرف عطف أو استئنافية لئلا نحتاج إلى تقدير فى عطف الجسلة

الاسمية على الجملة الفعلية وقيل هي للحال ، والمعنى لن تقبل توبتهم من الذنوب في حال أنهم ضالون وأولئك اسم إشارة . وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ ثان والضالون خبر « هم » والجملة الاسمية في محل رفع خبر اسم الإشارة أو « هم » ضمير منفصل لا محل له الضالون خبر أولئك (إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار) جملة مستأنفة مسوقة لتأكيد ما تقدم وإن واسمها ، وجملة كفروا صلة الموصول وماتوا عطف على كفروا وهم الواو حالية وهم ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ وكفار خبر والجملة نصب على الحال (فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهاباً) الفاء رابطة للجواب لما في الموصول من راحة الشرط وإنما دخلت الفاء هنا ولم تدخل في قوله « لن تقبل منهم » لأن الفاء مؤذنة بالاستحقاق بالوصف السابق ، وهنا قال « وماتوا وهم كفار » ولم يصرح هناك بهذا القيد ، ولن حرف نصب ويقبل فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بـلن والجملة خبر إن ومن أحدهم جار ومجرور متعلقان بيقبل وملء نائب فاعل والأرض مضاف إليه وذهباً تمييز وقد اختلف في ناصبه اختلافاً حدا بالكسائي إلى ترجيح نصبه بنزع الخافض ولعله أرجح (ولو افتدى به) الواو عاطفة على محذوف وسيأتي حكمها في باب الفوائد لو شرطية غير جازمة وافتدى فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف وفاعله هو وبه جار مجرور متعلقان بافتدى (أولئك لهم عذاب أليم) الجملة برأسها خبر ثان لأن وأولئك اسم إشارة مبتدأ ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعذاب مبتدأ مؤخر والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وأليم صفة (وما لهم من ناصرين) الواو عاطفة وما نافية ولهم جار ومجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم ومن حرف جر

زائد وناصرين مجرور بمن لفظاً مرفوع محلاً على أنه مبتدأ مؤخر •

الفوائد :

١ - العطف على التوهم : جعل جمهور النحاة العطف على التوهم مطرداً ، وهو أن تتوهم أن الأمر جار على الأصل فتعطف عليه كقول زهير بن أبي سلمى :

بدا لي أنني لست مدركاً بما مضى ولا سابق شيئاً إذا كان جائياً
بعطف سابق على توهم زيادة الباء في خبر ليس أي لست بمدرك
ولا سابق ، وقول الآخر :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب إلا بين غرابها
أي ليسوا بمصلحين ولا ناعب •

٢ - زعم نحويو البصرة أنه نصب الذهب لاشتغال الملء بالأرض ، ومجيء الذهب بعدهما ، فصار نصبها نظير نصب الحال ، وذلك أن الحال يجيء بعدها فعل قد شغل بفاعله فينصب كما ينصب المفعول الذي يأتي بعد الفاعل الذي قد شغل بفاعله • قالوا : ونظير قوله : ملء الأرض ذهباً ، في نصب الذهب في الكلام : لي مثلك رجلاً ، بمعنى لي مثلك من الرجال • وزعموا أن نصب الرجل لاشتغال الإضافة بالاسم ، فينصب كما ينصب المفعول به لاشتغال الفعل بالفاعل •

٣ - استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى : «فلن تقبل توبتهم»

مع كون التوبة مقبولة كما في الآية الأولى وكما في قوله تعالى : « وهو الذي يقبل التوبة عن عباده » وغير ذلك ، فقليل : لن تقبل توبتهم عند الموت . قال النحاس : وهذا قول حسن ، كما قال تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال : إني تبت الآن » . وقيل : الأولى أن يحمل عدم قبول التوبة في هذه الآية على من مات كافراً غير تائب ، فكأنه عبر عن الموت على الكفر بعدم قبول التوبة ، أو تابوا في الآخرة عند معاناة العذاب ، كما أشير إليه بقوله تعالى : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا » الخ وبقوله تعالى : « فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا » .

٤ - الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطاً آخر يعطف عليه الشرط الذي اقترنت الواو به ، والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق منبهاً على المسكوت عنه بطريق الأولى . مثاله قولك : أكرم فلاناً ولو أساء ، فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره : أكرم فلاناً لو أحسن ولو أساء ، إلا أنك نبهت بإيجاب إكرامه أن أساء ، على أن إكرامه إن أحسن بطريق الأولى ، والافتداء بملء الأرض ذهباً هو جدير بالقبول ، فإن لم يقل فبطريق الأولى أن لا يقبل الافتداء بأقل من ذلك ، وهذا من دقائق النكت وأسرار لغتنا التي لا تقف عند مدى .

﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٩٢ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلالًا لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٩٣ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٩٤ ﴿

اللفة :

(حلاً) الحَلّ : بكسر الحاء مصدر حلّ ، يقال : حل الشيء حلاًّ وحِلاًّ . ويستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع .

الإعراب :

(لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون) : كلام مستأنف مسوق لبيان ما ينفع المؤمنين ويقبل منهم إثر بيان ما لا ينفع الكفار ولا يقبل منهم ، ولن حرف نفي ونصب واستقبال وتنالوا فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه حذف النون لأنه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل والبر مفعول به وحتى حرف غاية وجر وتنفقوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وجوباً بعد حتى والواو فاعل ومما جار ومجرور متعلقان بتنفقوا وجملة تحبون لا محل لها لأنها صلة « ما » الموصولية . واعلم أن هذه الآية وردت منظومة من غير قصد ، فلا تعد شعراً ، لأن الشعر عند العروضيين هو المنظوم بقصد ، وهذه الآية بيت كامل من مجزوء الرّمّل ، ويأتي على الشكل التالي :

لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون

وسيرد الكثير من الآيات الموزونة بغير قصد الشعر .

(وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) الواو استئنافية وما اسم شرط جازم في محل نصب مفعول به مقدم لتنفقوا وتنفقوا فعل الشرط مجزوم والواو فاعل ومن شيء جار ومجرور متعلقان بتنفقوا فإن الفاء

رابطة لجواب الشرط المحذوف بمثابة التعليل له ، وقد وقعت موقعه والتقدير : فيجازيكم بحسبه ومقداره فإنه عليهم بكل شيء ، وإن واسمها ، وعليهم خبرها وبه : جار ومجرور متعلقان بعليم (كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل) كلام مستأنف مسوق لتفنيد تخرصات اليهود إذ قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم ، وكان إبراهيم لا يأكل لحوم الإبل ولا ألبانها ، وأنت تأكل ذلك وتشربه ، فلست على ملته . وكل مبتدأ وجملة كان حلاً خبره وكان فعل ماض واسمها هو وحلاً خبرها ولبني إسرائيل جار ومجرور متعلقان بقوله « حلاً » وإسرائيل مضاف إليه مجرور بالفتحة لأنه ممنوع من الصرف والمانع له العلمية والعجمة (إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) إلا أداة استثناء وما اسم موصول في محل نصب على الاستثناء من اسم كان المستتر وجملة حرم لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وإسرائيل فاعل وعلى نفسه جار ومجرور متعلقان بحرم والمراد بإسرائيل يعقوب وجملة الاستثناء حالية (من قبل أن تنزل التوراة) اختلف العربون في تعليق من قبل والظاهر أنه متعلق بـ « حلاً » لمناسبة المعنى وأن وما في حيزها في تأويل مصدر مضاف لقبل والتوراة نائب فاعل (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) الجملة مستأنفة مسوقة لقطع الطريق على جوابهم والفاء الفصيحة لأنها أفصحت عن شرط مقدر أي إذا كنتم واثقين من أقوالكم وأصررتم عليها فأتوا بالتوراة ، وأتوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وبالتوراة متعلقان بأتوا والجملة مقول القول ، فاتلوها الفاء عاطفة واتلوها فعل أمر مبني على حذف النون

والواو فاعل والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به وإن شرطية
وكنتم فعل ماض ناقص في محل جزم فعل الشرط والتاء اسمها وصادقين
خبرها وجواب الشرط محذوف دل عليه « فأتوا بالتوراة » (فمن افتري
على الله الكذب) جملة مستأنفة مسوقة لوصف المفتريين بالظالمين والفاء
استئنافية ومن اسم شرط غير جازم في محل رفع مبتدأ وافتري فعل ماض
في محل جزم فعل الشرط وفاعله ضمير مستتر يعود على « من » ، وعلى
الله جار ومجرور متعلقان بافتري والكذب مفعول به (من بعد ذلك)
الجار والمجرور متعلقان بافتري أو بمحذوف حال (فأولئك هم الظالمون)
الفاء رابطة لجواب الشرط وألئك اسم إشارة مبتدأ وهم مبتدأ ثان
والظالمون خبر « هم » والجملة الاسمية خبر اسم الإشارة وهم ضمير
فصل ، والظالمون خبر أولئك وجملة الإشارة وما بعدها في محل جزم
جواب الشرط وفعل الشرط وجوابه خبر « من » •

﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ ۖ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ ۝٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا
وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۝٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ۖ وَمَنْ دَخَلَهُ
كَانَ آمِنًا ۚ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ ۚ إِلَيْهِ سَبِيلًا
وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ۝٩٧﴾

اللفة :

(بكة) لغة في مكة ، وسميت مكة لأنها قليلة الماء تقول العرب :

مك الفصيل ضرع أمه وأمكه إذا امتص ما فيه من اللبن • وفي القاموس ما يدل على أنها سميت بذلك لأنها تمك الذنوب أي تمحوها وتزيلها • أما بكة فقد سميت بذلك لأنها تبك أعناق الجبابرة ، أي تذلمهم وتهلكهم • وقيل : من بكه إذا زحمه ، سميت بذلك لازدحام الناس فيها • قال :

إذا الشرب أخذته الاكه فخله حتى يك بكه

هذا وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة منها مكة وبكة والبيت العتيق والبيت الحرام والبلد الأمين والمأمون وأم رحيم وأم القرى وصلاح والعرش والقادس لأنها تطهر من الذنوب والمقدسة والناسة بالنون وبالباء أيضاً والحاطمة والرأس وكوثاء والبلدة والبنية والكعبة •

الإعراب :

(قل : صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفاً) كلام مستأنف مسوق للتعريض بكذبهم أي ثبت أن الله صادق فيما أنزل وأتسم الكاذبون • وقل فعل أمر مبني على السكون وفاعله ضمير مستتر تقديره أنت وصدق الله فعل ماض وفاعل والجملة في محل نصب مقول القول فاتبعوا : الفاء هي الفصيحة أي إذا أردتهم النجاة بعد أن ثبت لكم ذلك على الوجه الأكمل فاتبعوا ، واتبعوا فعل أمر مبني على حذف النون لأن مضارعه من الأفعال الخمسة والواو ضمير متصل في محل رفع فاعل وملة مفعول به وإبراهيم مضاف إليه وحنيفاً حال (وما كان من المشركين) الواو حالية وما نافية وكان فعل ماض ناقص واسمها ضمير مستتر تقديره هو يعود على إبراهيم

ومن المشرکین جار ومجرور متعلقان بحذوف خبر كان (إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة) كلام مستأنف مسوق للدلالة على أن أول مسجد وضع للناس هو المسجد الحرام ثم بيت المقدس وأول من بناه إبراهيم عليه السلام ، وإن واسمها وبيت مضاف إليه ووضع فعل ماض مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو وللناس جار ومجرور متعلقان بوضع والجملة صفة لبيت وللذي اللام المفتوحة هي المرحلة والذي اسم موصول في محل رفع خبر إن وببكة جار ومجرور متعلقان بحذوف لا محل له لأنه صلة الموصون (مباركاً وهدى للعالمين) مباركاً حال من اسم الموصول أو من الضمير المستكن في متعلق الجار والمجرور وهدى عطف على مباركاً وللعالمين جار ومجرور متعلقان بهدى أي هادياً لهم (فيه آيات بينات مقام إبراهيم) الجار والمجرور متعلقان بحذوف في محل رفع خبر مقدم وآيات مبتدأ مؤخر وبينات صفة لآيات والجملة مستأنفة لبيان بركته وهداه ، ومقام مبتدأ خبره محذوف أي منها مقام إبراهيم أو خير لمبتدأ محذوف تقديره أحدها أي أحد تلك الآيات البينات مقام إبراهيم والجملة استئنافية .

وسترى في باب القوائد مناقشة طريفة وما أوردناه هو الأولى (ومن دخله كان آمناً) الواو استئنافية ومن شرط جازم في محل رفع مبتدأ ويجوز أن تكون موصولية ودخله فعل ماض في محل جزم فعل الشرط والفاعل هو والهاء مفعول به على السعة أو منصوب بنزع الخافض وقد تقدم إعرابه وكان فعل ماض ناقص في محل جزم جواب الشرط واسمه هو وآمناً خبر كان وفعل الشرط وجوابه خير من

الشرطية والموصولة (و الله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) الواو استئنافية والجملة مستأنفة مسوقة لفرض الحج والجار والمجرور متعلقان بمحذوف خبر مقدم وعلى الناس جار ومجرور متعلقان بما تعلق به الخبر وهو « الله » وحج مبتدأ مؤخر والبيت مضاف إليه ومن اسم موصول في محل جر بدل من الناس بدل بعض من كل أو اشتمال والضمير محذوف أي منهم وأعربها بعضهم فاعلاً : « حج » وفيه نظر يأتيك تفصيله الممتع في باب الفوائد ، وجملة استطاع صلة الموصول وإليه جار ومجرور متعلقان بمحذوف حال لأنه كان في الأصل صفة لسبيلاً فلما تقدمت عليه أعربت حالاً (ومن كفر فإن الله غني عن العالمين) الواو عاطفة ومن اسم شرط جازم في محل رفع مبتدأ أو اسم موصول وكفر فعل ماض في محل جزم فعل الشرط وفاعله هو والفاء تعليل لجواب الشرط المقدر أي فلن يضر الله فإن الله عنه غني ، وعلى كل حال فالجملة لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول وفعل الشرط وجوابه خبر وإن حرف مشبه بالفعل والله اسمها وغني خبرها وعن العالمين جار ومجرور متعلقان بغني .

الفوائد :

١ - للنحاة كلام طويل اشترج فيه الخلاف بينهم وشايعهم المفسرون فهموا في كل واد ، حتى كاد يفوتهم المراد ، ولو أنهم جنحوا الى السهولة لاختاروا الوجه الذي اخترناه فأراحوا واستراحوا ، ولكنهم خاضوا في القول واستغلوا طاقاتهم النحوية القوية ، فأتوا في مناقشاتهم بالمتع المطرب ، وسنعرض لك هنا خلاصة عن تلك المناقشات لتكون تسجيلاً تاريخياً لاشتجار الآراء وشلهداً لموضوعية الفكر .

قال الزمخشري : مقام : عطف بيان من آيات ، ورد عليه النحاة فقالوا : إنه خرق لإجماع النحاة الذين قرروا أن النكرة لا تبين بالمعرفة وجمع المؤنث السالم لا يبين بالمفرد المذكر . وقالوا : لا يجوز أن يكون بدلاً من آيات لأنهم نصوا على أن المبدل منه إذا كان متعدداً وكان البدل غير واف بالعدة تعين القطع . ورد عليهم أنصار الزمخشري بأنه أي الزمخشري كان مجتهداً فلا يبالي بمخالفة الإجماع .

وابن جني أجاز خرق الاجماع :

وقال ابن جني : إنه يجوز خرق الإجماع في الفنون الأدبية .

ما يقوله جلال الدين السيوطي :

وقال الجلال السيوطي في حاشيته على البياض ما نصه : « قوله ، مبتدأ محذوف خبره ، أي أحد الوجوه في « مقام » قال الشهاب الحلبي : وهو المختار . وقال الزمخشري هو عطف بيان ورد عليه بأن « آيات » نكرة و « مقام إبراهيم » معرفة ، ولا يجوز التخالف في عطف البيان بإجماع البصريين والكوفيين . وقال الصفاقسي : يحتمل أن يكون الزمخشري أطلق عطف البيان وأراد به البدل كالجماعة تسمياً ، وكذلك قال ابن هشام في المعنى : قد يكون عبر عن البدل بعطف البيان لتأخيها . ويؤيده قوله في « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » أن « من وجدكم » عطف بيان لقوله : « حيث سكنتم » وهذا سيويه إمام الصنعة يسمي التوكيد صفة ،

وإنما نقلنا هذا الكلام وهو غيض من فيض — للاستمتاع وترويض
الذهن ، وقد أغناها إعراب « مقام » مبتدأ خبره محذوف أو خبر لمبتدأ
محذوف عن كل هذا التطويل .

٢ - المناقشة الثانية في « من استطاع » :

ما ارتئيانه من إعراب « من » بدلا من « الناس » هو المختار ،
وقال بعض النحاة : « من » فاعل حج لأنه مصدر يعمل عمل فعله ،
والمصدر مضاف إلى مفعوله . ورد النحاة عليه بأنه يجب على الناس
أن يحج مستطيعهم ، وذلك باطل . وأجاب التاج السبكي عن ابن السيد
فقال : ولا مانع من أن يكون في الحج شيان : فرض كفاية على كل
الناس أن يحج مستطيعهم فإن لم يحج أثم الخلق كلهم ، وفرض عين
على المستطيع . ولا حاجة إلى كل هذا التكلف ، والاخذ والرد . وذلك
باعراب « من » بدلا من الناس ، فتأمل والله يرشدك .

هذا وقد أعرب الكسائي « من » شرطية في محل رفع مبتدأ وجوابها
محذوف والتقدير : من استطاع فليحج أو فعلية أن يباشر الحج بنفسه .

فهرس المجلد الأول

٥	المقدمة
٧	اعراب الاستعاذة
٨	اعراب البسملة
١٢	اعراب سورة الفاتحة
٢١	اعراب سورة البقرة
٤٥٣	اعراب سورة آل عمران
٥٧١	الفهرس

انتهى المجلد الأول ويليه المجلد الثاني
من الآية «٩٨» من سورة آل عمران